

التنافس البريطاني – الروسي في منطقة الخليج العربي

1907-1798

أطروحة تقدم بها

فواز مطر نصيف الدليمي

إلى

مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث

بإشراف

الأستاذ الدكتور

إبراهيم خلف العبيدي

آذار / 2007

صفر / محرم 1427-1428

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وإمتنان

يُحتم عليّ واجب الوفاء , وأنا أضع اللمسات الأخيرة على هذا الجهد المتواضع , أن أقدم شكري وإمتناني لكل من مدّ يد المساعدة والعون , وأخص بالذكر أستاذي أفاضل الدكتور إبراهيم خلف العبيدي, المشرف على هذه الأطروحة , الذي كان لمتابعته التفصيلية وآراءه السديدة , الفضل في إخراج الأطروحة بهذا الشكل. ولا بد لي من التنويه بفضل الأساتذة الذين كان لي شرف التلمذ على أيديهم في السنة التحضيرية, الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد , والأستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي, والأستاذ الدكتور صالح محمد العابد , وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده برحمته الواسعة, والأستاذ الدكتور نوري عبد البخيت السامرائي, والأستاذ الدكتور صادق حسن السوداني.

وأشكر إخواني وزملائي , طالب محييس ألوائي كلية التربية / جامعة القادسية , وسامي صالح الصياد, كلية التربية / جامعة تكريت , وأنيس عبد الخالق , كلية الآداب / الجامعة المستنصرية , الذين شاطروني في السنة التحضيرية , لتعاونهم في تذليل الكثير من الصعوبات , وأتمنى لهم التوفيق في حياتهم. وأثمن عالياً الجهود التي بذلها إخواني وزملائي , الأستاذ الدكتور خالد أحمد المشهداني في كلية التربية/ جامعة الأنبار , الذي قرأ مسودة الأطروحة وتقويمها من ناحية اللغة العربية , والأستاذ عبد شاحوذ الدليمي رئيس قسم اللغة الانكليزية في كلية التربية , بجامعة الأنبار , للمساعدة التي أبداها في ترجمة العديد من النصوص الإنكليزية.

وأود هنا أن أسجل إمتناني وتقديري للمساعدة التي أبداها منتسبو المكتبة المركزية في جامعة بغداد , وأخص بالذكر منهم الأخت بشرى عبدالحليم العزاوي , والأخت زينب , والأخت آلاء , والأخ موفق , ومكتبة كلية الآداب وأخص بالذكر منهم الأخت فوزية , ومكتبة الدراسات العليا , ومكتبة قسم التاريخ وأخص بالذكر منهم الأخت أم حيدر, والمكتبة الوطنية, والمكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية , والمكتبة المركزية , في كلية التربية جامعة الأنبار. أدعو من الله عز وجل أن يوفق الجميع لخدمة العلم وطلابه.

المختصرات المستخدمة في الأطروحة

A.K.	The Affairs of Kuwait.
F.O.	Foreign Office.
I. P.D.	Iran Political Diaries.
R.E.P. D.	Records of the Emirates Primary Documents.
S. R. G. I.F.D	Selections from the Records of the Government of India Foreign Department.

" وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي (الروسي) " :
و. أ. د. م. س. ب. ح.

المحتويات

1	شكر وإمتنان
2	المختصرات
3	المحتويات
5	المقدمة
11	الفصل الأول: بدايات التوجه البريطاني والروسي تجاه منطقة الخليج العربي لغاية عام 1798
12	التغلغل البريطاني في منطقة الخليج العربي لغاية عام 1798
25	النشاطات الروسية تجاه منطقة الخليج العربي لغاية عام 1798
36	الفصل الثاني: التنافس البريطاني . الروسي في منطقة الخليج العربي 1798- 1857
37	النشاط الفرنسي وانعكاسه على التنافس البريطاني - الروسي في منطقة الخليج العربي 1798- 1809 ..
56	معاهدة جونز في عام 1809 وأثرها في العلاقات البريطانية . الروسية لغاية عام 1814
	معاهدة طهران البريطانية . الإيرانية في عام 1814 وأثرها في العلاقات البريطانية . الروسية
66	لغاية عام 1832
81	العلاقات البريطانية . الروسية بشأن إيران وأفغانستان وأثرها في الخليج العربي 1832 - 1847 ..
107	الصراع البريطاني _ الروسي في إيران وانعكاسه على الخليج العربي 1848- 1857
	الفصل الثالث: تضارب المصالح البريطانية والروسية في إيران وأفغانستان وانعكاساتها
122	على الخليج العربي 1857-1901
	الصراع البريطاني . الروسي بشأن المصالح في إيران وأفغانستان وانعكاسه
123	على الخليج العربي 1857-1893
151	مطالبة روسيا بقاعدة بحرية في الخليج العربي 1895-1900
159	المناورات البحرية الروسية في الخليج العربي 1900-1901

الفصل الرابع: النشاط الروسي في الخليج العربي وردود الأفعال البريطانية 1902-1907... 188

189	إستنتاجات بوغويافلنسكي عن علاقات سكان الخليج العربي ببريطانيا وروسيا في عام 1902.
196	المناورات البحرية الروسية في الخليج العربي عامي 1902-1903.
208	زيارة الطراد الروسي "بويارين" لموانئ الخليج العربي في عام 1903.
220	ردود الأفعال البريطانية لنشاط روسيا في منطقة الخليج العربي 1902-1905.
233	رحلة اللورد كيرزن في الخليج العربي في عام 1903 وأثرها في روسيا.
249	الإتفاق النهائي بين بريطانيا وروسيا بشأن إيران ومنطقة الخليج العربي عام 1907.

الخاتمة 264

المصادر والمراجع..... 266

ملخص الأطروحة باللغة الإنكليزية.

المقدمة

إطار البحث وتحليل المصادر

شهدت منطقة الخليج العربي التي تشمل الخليج العربي بحدوده المعروفة ، والمناطق المجاورة له التي تؤثر أحداثها فيه ، نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين، تنافساً استعمارياً بين الدولتين الكبيرتين بريطانيا وروسيا ، للحصول على المستعمرات ومناطق النفوذ ، وعلى الرغم من أن روسيا كانت هي المنافس القوي لبريطانيا في منطقة الشرق الأوسط ، إلا أن معارضتها كانت تقتصر على إيران ، بحكم ما تتمتع به من موقع جغرافي واستراتيجي مهم ، لتحقيق أهدافها ومآربها ، وكانت بريطانيا التي ترسخ نفوذها في الهند ، من أكثر القوى الأوروبية حرصاً على تعزيز علاقاتها مع إيران القريبة من الهند ، لاتخاذها مع المناطق المجاورة لها في الخليج العربي وأفغانستان وآسيا الوسطى ، حاجزاً أمام أطماع القوى الأوروبية المحتملة للهند ، لذلك احتلت إيران ومنطقة الخليج العربي ، مكانة بارزة في مخطط الدفاع البريطاني عن الهند منذ عام 1798، التي تنطلق منها الدراسة ، ففي هذا العام طغت المسائل الإستراتيجية والسياسية على غيرها ، التي كانت سائدة قبلها ، فبعد أن احتل نابليون مصر تيقن البريطانيون خطورة التهديد الفرنسي وجديته ، بقطع مواصلاتهم المؤدية إلى الهند ، واستجابة لهذا التحدي سعت بريطانيا إلى تكوين حاجز متماسك ، من البلدان القريبة من الهند يصعب على الفرنسيين والروس وسواهم من الأوروبيين إختراقه .

تتبع الدراسة سياسة بريطانيا تجاه إيران ومنطقة الخليج العربي ، حيث حاولت بريطانيا إبعاد النفوذ الروسي عن المنطقة ، والمحافظة على الحاجز الإيراني والأفغاني ، بضمان تفوقها على بقية المنافسين الأوروبيين فيهما ، ودخلت من أجل ذلك في صراع مع فرنسا التي سعت خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر ، لكسب إيران إلى جانبها وإيجاد موطئ قدم لها في الخليج العربي لتهديد الهند البريطانية ، ثم مع روسيا التي شكلت سياستها التوسعية في شمال إيران ، وما تمخض عن معاهدتي كلستان وتركمانجاي من امتيازات واسعة في الممتلكات الإيرانية ، تحدياً خطيراً للمصالح البريطانية لا في إيران ومنطقة الخليج العربي فحسب ، بل في آسيا الوسطى والهند .

سعت روسيا مستغلة ضعف السلطة القاجارية في إيران ، إلى مد نفوذها إلى أفغانستان ، لتهديد الممتلكات البريطانية في الهند ، مما دفع بريطانيا إلى إرسال حملتين بحريتين ، في عامي 1838 و 1856 واحتلال جزيرة خرج وأجزاء مهمة في منطقة الخليج العربي ، لحمل حكام إيران بالتخلي عن أطماعهم في أفغانستان ، بعد أن غدو أداة روسية لتهديد الهند البريطانية ، أجبرت إيران فيهما بالتخلي عن كل مطامعها في أفغانستان ، وربطت بريطانيا في المرة الثانية انسحابها من جزيرة خرج والموانئ الأخرى ، بتخلي إيران عن مزاعمها بالسيادة على هرات ، والاستجابة للشروط البريطانية الأخرى ، التي تكفل لبريطانيا التفوق على النفوذ الروسي في إيران ، بما يضمن أمن الحاجز الأفغاني لحماية الهند وسلامتها.

وإذا كانت روسيا ، التي تعدّ منذ مدة طويلة هي المنافس القوي لبريطانيا في منطقة الشرق الأوسط، وكانت معارضتها تقتصر على بعض المراكز في أطراف إيران ، فقد غدت نشاطاتها في نهاية القرن التاسع عشر، تشكل تهديداً واضحاً لمركز بريطانيا الوطيد في البحار، لاسيما في منطقة الخليج العربي ، وكان الهدف من إرسال روسيا سفنها في مطلع القرن العشرين إلى الخليج العربي ، هو أن تبيّن للبريطانيين وللسلطات المحلية على حد سواء ، بوساطة عرض العَلم الروسي في الخليج العربي ، إنها تعدّ مياهه سهلة المنال تماماً أمام ملاحه سفن جميع الأمم ، وذلك على النقيض من سعي بريطانيا لتحويل الخليج العربي إلى بحر مغلق يقع في دائرة نفوذها فقط.

كانت أهداف السياسة الروسيّة هي خلق قاعدة بحرية لها في الخليج العربي ، ومد خط حديدي عبر إيران ، لنقل المعدات واللوازم العسكرية من روسيا لتعزيز تلك القاعدة ، وان الامتيازات التي ستحقّقها روسيا لو حصلت على قاعدة بحرية قوية في المنطقة واضحة تماماً ، فإلى جانب تعزيز نفوذها، وفتح معبر لها إلى محيط جديد ، فان ذلك سيسفر على مد وتقوية نفوذها في إيران ومنطقة الخليج العربي، وزيادة طاقاتها ضد الإمبراطورية البريطانية في الشرق ، وكانت خطتها جريئة وجديدة تماماً ، خطة تمضي لتحقيق أهداف أبعد مما خطر ببال المسؤولين الروس من قبل في تاريخ روسيا كلها ، وبدا ان الفرصة مناسبة لتنفيذ الخطة ، فقد كان وضع روسيا في منشوريا الصينية يبدو مأمناً ، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا منهكة في حرب جنوب أفريقيا 1899-1902 ، مما شدّ من عزيمة دعاة سياسة التقدم الروسي باتجاه منطقة الخليج العربي، ومنحهم حججاً قوية للدعوة إلى سرعة العمل وانتهاز الفرصة.

وكانت بريطانيا على وعي تام بكل احتمالات الموقف ، وكان عليها ان تأخذ بمزيد من الحذر لمواجهة النتائج المحتملة لتلك التطورات ، على كل المستويات الدبلوماسية والبحرية والعسكرية ، وإتباع سياسة الحزم ضد روسيا ، وعدم السماح لها بتثبيت أقدامها على سواحل الخليج العربي البحرية والعسكرية، فصدرت التصريحات من كبار المسؤولين البريطانيين ، التي تحذر من تأسيس قاعدة بحرية أو ميناء محصن في الخليج العربي من روسيا ، على انه تهديد خطير للمصالح البريطانية ، لما يترتب على ذلك من تزايد عدد قطع الأسطول الروسي ، وإضعاف هيبة بريطانيا في منطقة الخليج العربي ، وعلى بريطانيا ان تقاومه بكل ما تملك من الوسائل.

لم يلبث التخوف البريطاني من النشاط الروسي ان اخذ يتلاشى تدريجياً ، على أثر المتغيرات الدولية، التي كان لها دورها في تخفيف حدة التوتر بين بريطانيا وروسيا وجنوحهما إلى التفاهم ، فقد تطلعت روسيا إلى إنهاء خلافاتها مع بريطانيا بعد هزيمتها على يد اليابان في حرب 1904-1905، وقيام ثورة عام 1905 في بلادها ، ولتتفرغ لمواجهة ألمانيا التي تبنت سياسة الاندفاع نحو الشرق ، ولم تكن بريطانيا أقل خوفاً من هذا الاندفاع على مصالحها في منطقة الخليج العربي والهند ، مما دفعها إلى التفاهم مع الروس بتوسط فرنسا ، التي وقعت معها الاتفاق الودي في عام 1904، في إنهاء الخلاف بين حليفتهما روسيا وصديقتها الجديدة

بريطانيا , فتم التوصل إلى اتفاق عام 1907 بين بريطانيا وروسيا , الذي أنهى الخلافات بينهما بشأن إيران وأفغانستان والتبت , وإستبعاد الخليج العربي من هذه التسوية , لذلك اخترنا عام 1907 خاتمة لدراستنا .

تتألف الأطروحة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة , تتناول الفصل الأول بدايات الصلات البريطانية بمنطقة الخليج العربي , من خلال شركة الهند الشرقية الانكليزية التي ركزت نشاطها في الجانب التجاري أساساً , وإفتقارها لأهداف سياسية , ولتدهور أحوالها التجارية في الخليج العربي وإيران , كادت الشركة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر أن تنسحب من المنطقة , إلا أن تسارع الأحداث الدولية في القارة الأوروبية وقيام نابليون بحملته على مصر , دفعا الشركة إلى التخلي عن فكرة الانسحاب , إذ دخلت العلاقات البريطانية مع منطقة الخليج العربي وإيران مرحلة جديدة , من خلال الاهتمام السياسي والإستراتيجي الذي يعد جزءاً من التبدل الذي طرأ على السياسة البريطانية في الشرق.

وتتناول الفصل النشاطات الروسية تجاه منطقة الخليج العربي وإيران , منذ تطور الإمارة المسكوفية إلى الدولة الروسية الحديثة , في عهد إيفان الثالث في منتصف القرن الخامس عشر , مروراً بطموحات بطرس الكبير في الربع الأول من القرن الثامن عشر , وانتهاءً بعهد كاترين الثانية , التي سعت إلى تنفيذ وصية بطرس الكبير بالوصول إلى المياه الدافئة , وبذلك يشكل الفصل الأول قاعدة أساسية لا بد منها , لإدراك الأحداث التي شهدتها الحقبة موضوعة البحث.

وعالج الفصل الثاني التنافس البريطاني - الروسي في منطقة الخليج العربي للمدة 1798-1857, وتم فيه تناول انعكاس النشاط الفرنسي على التنافس البريطاني الروسي في منطقة الخليج العربي , خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر , كما تم تناول تأثير معاهدتي جونز عام 1809 وطهران عام 1814 على العلاقات البريطانية الروسية , وأثر ذلك في الخليج العربي لغاية عام 1832, كما تطرق الفصل إلى العلاقات البريطانية - الروسية للحقبة 1832-1857, بشأن إيران وأفغانستان وأثرها في الخليج العربي.

أما الفصل الثالث فقد تطرق إلى تضارب المصالح البريطانية - الروسية في إيران وأفغانستان , وانعكاساتها على الخليج العربي للحقبة 1857-1901, وقد شهدت هذه المرحلة مطالبة روسيا بقاعدة بحرية في الخليج العربي , فضلاً عن المظاهرات البحرية للسفن الروسية فيه لغاية عام 1901.

واختص الفصل الرابع بتناول النشاط الروسي في الخليج العربي , وردود الأفعال البريطانية على ذلك , ثم درس الإتفاق النهائي بين بريطانيا وروسيا بشأن الخليج العربي , الذي أنهى الصراع بينهما في عام 1907.

إعتمدنا في إعداد هذه الأطروحة على مجاميع متنوعة من المصادر , تأتي الوثائق غير المنشورة في مقدمتها , ونظراً لعدم تمكننا من الحصول على جزء وافي منها , فهي على قلتها مهمة , كالأوراق التابعة لوزارة الخارجية البريطانية Foreign Office, Part.V وكانت إفادتتنا منها فيما يتعلق بالسياسة البريطانية , التي إتبعتها بريطانيا للمحافظة على مصالحها في منطقة الخليج العربي.

وكذلك:

Treaties and Undertaking in Force between the British Government and the Shaikh of Mohamerah 1899-1909.

التي تطرقت بشكل خاص إلى الاتفاقيات والتعهدات السارية المفعول , بين الحكومة البريطانية وشيخ المحمرة , ووقوف بريطانيا إلى جانبه ضد أي تدخل أجنبي في إمارته.
ومن أبرز الوثائق المنشورة التي أفادت منها الأطروحة مصنفات اتشيسون C. U. Aitchison أحد موظفي دائرة العلاقات الخارجية لحكومة الهند:

A Collection of Treaties, Engagements and Stands Relating to India and Neighboring Countries.

التي لا غنى لأي باحث في تاريخ العلاقات البريطانية الروسية , مع بلدان الشرق من الاطلاع عليها, إذ أفادت الأطروحة من المجلد الثاني عشر المتعلق بالمعاهدات والاتفاقيات , التي عقدتها بريطانيا مع إيران وعُمان وأفغانستان , والمجلد الثالث عشر الذي ضمّ المعاهدات والاتفاقيات , بين إيران والدولة العثمانية والدول الأوربية , لاسيما بريطانيا وروسيا , ومما يزيد من أهمية هذه المجلدات المقدمة المركزة , التي تتعرض للحوادث التاريخية للأقطار , التي عقدت معها تلك المعاهدات والاتفاقيات وظروف وملابسات عقدها.
وعلى غرار الكتاب السابق اعتمدت الأطروحة على كتابي هيرويتز Hurewitz الوثائقيين:

Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record, Vol. I. (1535-1914).

The Middle East and North Africa in World Politics, A Documentary Record, Vol.I. (1535-1914).

واللذان لهما أهمية خاصة لاحتوائهما على نصوص معظم المعاهدات , التي عقدت بين الدول الأوربية وأقطار الشرق الأوسط , طوال الحقبة الممتدة من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين.
ومن الكتب الوثائقية الأخرى التي رفدت الأطروحة , لما وفرته من معلومات وثائقية مهمة , ووثائق مكتبة الهند , India Office Library (I. O. L.) التي جمعها وصنفها سالدانا Saldanha في مجلدات عدة , يتعلق كل واحد منها بجزء من أقطار الخليج العربي, وأهم المجلدات التي اعتمدت عليها الأطروحة المجموعة المعروفة بـ

Précis of Corresponding Regarding the Affairs of the P. Gulf, 1801-1853.

وغطت وثائق هذا المجلد معظم أعوام النصف الأول من القرن التاسع عشر , المتعلقة بسير العلاقات البريطانية . الإيرانية وأثرها في روسيا. ولا تقل الأجزاء الأخرى من مجموعة وثائق مكتبة الهند , التي أفادت الأطروحة, أهمية عن هذا الجزء ومنها الجزئين السابع والثامن:

Précis on Commerce and Communication in P. Gulf, 1801-1905.

وامتاز كتاب لوريمر Lorimer دليل الخليج:

Gazetteer of the Gulf Oman and Central Arabia

بأنه موسوعة شاملة ليس للخليج العربي بحدوده الجغرافية فحسب , بل تجاوزه إلى الأقطار المجاورة, أفادت الأطروحة منه في تلمس عمق الصلات البريطانية بالمنطقة , في مختلف الجوانب والتطورات الاقتصادية والسياسية , من مطلع القرن السابع عشر حتى مطلع العقد الأول من القرن العشرين , لاسيما التناقضات

البريطانية . الروسية في إيران وأفغانستان, وانعكاسها على الهند ومنطقة الخليج العربي , وقد استقى لوريمر معلوماته مباشرة من الوثائق البريطانية , ومن ضباط البحرية البريطانية, ومسؤولي حكومة الهند المختصون بشؤون منطقة الخليج العربي, فضلاً عن كتب الرحالة الذين زاروا المنطقة في القرون التي تناولها الكتاب.

ولابد من ذكر الكتاب الوثائقي المهم: **Euphrates Valley Route to India, London 1882** لمؤلفه وليم أندرو **W. Andrew** الموظف في شركة سكة حديد الهند, ومدير مشروع سكة حديد وادي الفرات لعام 1856 لربط البحر المتوسط بالخليج العربي عن طريق وادي الفرات, ولهذا الكتاب أهمية كبيرة لفهم اهتمام بريطانيا بالعراق , واتخاذ شريانياً لمواصلاتها مع الهند, ولدرء التقدم الروسي إلى العراق والخليج العربي.

ويشكل الكتاب الوثائقي "فارسنامه ي ناصري" **"Farsnama-ya-Nasari"** مصدراً مهماً للأطروحة , وهو في الأصل مخطوطة ألفها حسن فسائي باللغة الفارسية , وقد قام هربت بوس **H. Busse** بترجمتها إلى اللغة الإنكليزية تحت عنوان:

" History of Persia Under Qajar Rule "

أفادت الأطروحة أيضاً من الكتب الوثائقية التي عالجت تاريخ إيران العام والعلاقات البريطانية الروسية خلال القرن التاسع عشر, لاسيما كتابي اللورد كيرزن نائب الملك والحاكم العام في الهند للمدة 1899-1905 وهما:

Persia and the Persian Question.

Russia in Central Asia in 1889 and the Anglo-Russian Question.

ومن الكتب الوثائقية الأخرى التي أفادت الأطروحة لما وفرته من معلومات وثائقية مهمة كتاب: **The Affairs of Kuwait 1896-1905** وهي مجموعة وثائقية استخرجت من السجلات البريطانية لوزارة الهند والخارجية , صنفها وقدم لها روبين بدويل **R.Bidwell** سكرتير الشرق الأوسط في جامعة كمبرج , في مجلدين يحويان التقارير المتبادلة بين المسؤولين البريطانيين في منطقة الخليج العربي , بشأن الكويت ومستقبلها وعلاقاتها بالدولة العثمانية.

ومن ناحية أخرى اعتمدت الأطروحة في معلوماتها بشكل أساس على عدد لا يستهان به من الوثائق المنشورة , لأرشفيف الدولة المركزي للأسطول البحري الروسي , وهي تقارير قائدي السفن الحربية الروسية , التي زارت الخليج العربي للمدة 1900 - 1903, وفيها معلومات غزيرة عن إستنتاجات زياراتهم للخليج العربي , قام ي. ريزفان بنشرها, بعد أن ترجمها سليم توما إلى اللغة العربية, كما وردت في نصها وطبقاً للأصل .

وأفادت الأطروحة أيضاً, من كتاب البروفسور جون كيلي **J.B.Kelly** **Britain and P. Gulf (1795-1880)** وهو من الدراسات التاريخية الرصينة , التي تناولت علاقة بريطانيا بأقطار الخليج العربي في الحقبة , التي نمت وتعرزت فيها المصالح البريطانية في المنطقة.

ومن كتاب سيتون . واتسون **H.Seton-Watson**:

The Decline of Imperial Russia 1855- 1914.

والذي جاء بمعلومات غزيرة عن العلاقات البريطانية الروسية , خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

والكتاب المهم الآخر كتاب برسي سايكس P. Sykes : A History of Persia, Vol. II. وفيه استعرض المؤلف - وهو من المسؤولين البريطانيين الذين أمضوا مدة طويلة في إيران - تاريخ البلاد عامة , وتطرق إلى الكثير من الأحداث المتصلة بالعلاقات البريطانية- الإيرانية , كما تناول علاقات إيران مع روسيا وأفغانستان , التي انعكست نتائجها مباشرة على العلاقات مع بريطانيا.

كانت تلك أهم المصادر التي اعتمدت عليها الأطروحة , وفي الهوامش وقائمة المصادر الملحقه أسماء عن الكتب التي رددتها .

وفي الختام إنني على ثقة من أن آراء وتصويبات أساتذتي في لجنة المناقشة , ستسهم إلى حد كبير في ترصين هذه الأطروحة , وإن أقصى ما أتمناه أن يفتح هذا الجهد المتواضع الأبواب أمام زملائي طلبة الدراسات العليا , للتوجه نحو بحث تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر , ليسهموا في تعزيز التوجه العلمي الرصين لقسم التاريخ العريق , والله وليّ التوفيق.

الفصل الأول

**بدايات التوجه البريطاني والروسي تجاه منطقة
الخليج العربي لغاية عام 1798**

التغلغل البريطاني في منطقة الخليج العربي لغاية عام 1798 .

ظهر اهتمام إنكلترا للمشاركة بالتجارة الشرقية المربحة ، منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر ، لذلك بعث الإنكليز الرُّسل لدراسة أوضاع المنطقة قبل أن تمخر أساطيلهم متجهة نحو الشرق ، وكانت أولى محاولاتهم للوصول إلى الهند لأهداف تجارية من خلال روسيا (1) ، حينما تقدم انتوني جنكنسون Anthony Jenkinson في عام 1561 من موسكو عن طريق نهر الفولغا إلى استراخان ، ثم ابهر من قزوین الى اذربيجان (2) ، بعدها التقى بالشاه الإيراني (3) طهماسب الأول (1524-1576) في بلاطه في مدينة قزوین (4) في العام التالي ، وسلمه خطاب من الملكة اليزابيث الأولى Elizabeth I (1558 - 1603) يهدف إلى إقامة علاقات تجارية بينهما ، غير أن هذه البعثة الكشفية لم تتمكن من تحقيق أهدافها ، بسبب العداء الذي أظهره الشاه لجنكسون من الناحية الدينية (5) .

منحت الملكة اليزابيث امتياز في عام 1581 إلى شركة الليفانت التركية Turkey Levant Company (6) ، يسمح لها الاتجار مع الهند عن طريق الخليج العربي ، وكان جون نيوبيري

(1) G. N. Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. II. London, 1892, P. 532 ; M. S. Anderson, Britain's Discovery of Russia (1553-1815) London, 1958, P. 6 ; A. T. Wilson, The P. Gulf, An Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century, London, 1959, P. 133.

(2) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي ، دراسة وثائقية ، ط1 ، بغداد 1981 ، ص72 .

(3) طلبت الحكومة الإيرانية رسمياً في عام 1935 من باقي الدول أن تطلق اسم إيران على بلادها ، بدلاً من بلاد فارس . وعليه فإن إيران ستزد خلال البحث بمعنى بلاد فارس . ينظر :

W. Donald, Iran Past and Present, New Jersey, 1955. P. 1.

(4) جعل الشاه طهماسب الأول مدينة قزوین بمنزلة العاصمة ، بسبب هجوم القوات العثمانية على عاصمته تبريز . ينظر :

L-Lockhart, Persian Cities, London, 1960, P. 69.

(5) Ibid;

علي أكبر بيضا ، تاريخ سياسي وديبلوماسي إيران ازكلنا باد تاتركمن جاي (1134-1243هـ) ، جلد أول ، جاب سوم ، تهران ، 1342هـ ، ص9 .

(6) تأسست تلك الشركة في لندن في عام 1581 نتيجة للمعاهدة الانكليزية - العثمانية لعام 1580 لتنظيم العلاقات الاقتصادية بينهما ، للمزيد عن نشاطها ينظر :

A. Wood, A History of the Levant Company, London, 1946.

John Newberry أول تجار هذه الشركة الذي خرج لاستكشاف الطريق أولاً ، إذ تمكن من الوصول إلى إيران وهرمز ، عن طريق حلب والبصرة ما بين عامي 1580-1581 ثم رجع إلى إنكلترا (7) .

عاود جون نيوبيري الكرة في عام 1583 برفقة الإنكليز (8) رالف فيتش R. Fitch ووليم ليدز W. Leeds (9) وجيمس ستوري J. Story للوصول إلى الهند ، عن طريق وادي الفرات والخليج العربي ، وذلك لعدم افادتهم من طريق رأس الرجاء الصالح الذي سيطر عليه البرتغاليون ، فاجتازوا المسافة ما بين البحر المتوسط والخليج العربي ، عن طريق طرابلس الشام وحلب وبغداد والبصرة وهرمز ، لكنهم لم يصلوا إلى الهند ، لأن الحاكم البرتغالي دون ماثيوس دي البوكيرك Don Mathias de Albuquerque أسره وأرسلهم مخفورين إلى كوا المقر البرتغالي في الهند باستثناء رالف فيتش (10) ، الذي تمكن من التخلص من الأسر والرجوع وحده إلى إنكلترا في عام 1591 ، وان التقرير الذي قدمه هذا الأسير المغامر عن الثروات الشرقية ، لا سيما في هرمز التي لا ينضب لها معين ، كان باعثاً كبيراً في إثارة رغبة إنكلترا للمشاركة في هذه الثروة (11) .

وبعد انتصار الإنكليز في عام 1588 على فيليب الثاني Philip II ملك أسبانيا والبرتغال (12) وهزيمة الارمادا الأسبانية ، غدت إنكلترا دولة بحرية كبرى لذا لم تتوان في الاندفاع

(7) G. N. Curzon, OP.Cit. PP. 416, 546; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 133; L-Lockhart, OP.Cit. P. 173; S. Searight, The British in the Middle East, London, 1969, PP. 35-36.

(8) كان نيوبيري وفيتش تاجرين ، أما ستوري فكان رساماً بينما كان ليدز جواهري ، ينظر :

S. B. Miles, Countries and Tribes of the P. Gulf with Anew Introduction, J. B. Kelly, London, 1966, P. 205.

عند ولسن ، ينظر : W. Deeds (9) ورد اسمه وليم ديدز

A. T. Wilson, OP.Cit. P. 133.

(10) يشير خضير مظلوم فرحان البديري الذي نقل عن ولسن سهواً ، إلى أن جون نيوبيري هو الذي استطاع التخلص من الأسر البرتغالي ، في حين يشير ولسن نفسه إلى رالف فيتش ، ينظر الالتباس في : خضير مظلوم فرحان البديري ، سياسة بريطانيا تجاه إيران 1896-1919 ، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة بغداد 1991 ، ص 9 .

A. T. Wilson, OP.Cit. P. 134 .

(11) Ibid. PP. 133-134; S. B. Miles, OP.Cit. P. 205 ; G.N. Curzon, OP.Cit. PP. 416-417.

(12) كانت البرتغال قد خضعت للعرش الأسباني لمدة ستين عاماً منذ عام 1580 لغاية 1640 ، الأمر الذي أضعف النفوذ البرتغالي في الشرق . ينظر :

S. B. Miles, OP.Cit. P. 181; L-Lockhart, OP.Cit. P. 174 .

نحو الشرق وتحدي أسطول البرتغال القوي آنذاك , فتحول الإنكليز إلى طريق رأس الرجاء الصالح للوصول إلى الهند ⁽¹³⁾ , ومنذ ذلك الحين بدأ النشاط الإنكليزي يتخذ شكلاً جدياً وفعالاً, أثمر عن تأسيس شركة الهند الشرقية الإنكليزية , حينما منحت الملكة إليزابيث في الحادي والثلاثين من كانون الأول عام 1600, إذنأ ملكياً لمجموعة من التجار الإنكليز للاتجار مع الشرق ⁽¹⁴⁾.

شملت النشاطات الأولى لشركة الهند الشرقية على إرسال أسطول تجاري إلى الشرق , فوصلت أول سفينة إنكليزية إلى سورات , إحدى موانئ الساحل الغربي للهند في عام 1608, بقيادة وليم هوكنز W. Howkins وكانت بذلك أول سفينة ترفع علماً إنكليزياً في تلك الربوع ⁽¹⁵⁾ , وما ان فتحت أول وكالة تجارية إنكليزية في سورات في كانون الثاني عام 1612, حتى وجد الإنكليز أن السوق المحلية في الهند غير كافية لتصريف منتجاتهم, فتوجه اهتمامهم إلى البحرين وإيران ⁽¹⁶⁾, وكان من رأي توماس الدورث T. Aldworth رئيس وكالة الشركة في سورات , تصريف تلك البضائع في إيران كونها قارصة البرد ويحتاج أهلها إلى المنسوجات الصوفية الإنكليزية , التي لم تجد في الهند رواجاً , لهذا صدر الأمر في عام 1615 لجون كراوثر J.Crowther وريتشارد ستيل R. Steele بالتوجه إلى إيران , ليحصلوا على مزيد من المعلومات ويزوروا موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي , ليروا أيهما يصلح للشحن التجاري والحصول على فرمان من الشاه ⁽¹⁷⁾ .

⁽¹³⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. PP. 416–417, 545; H. Hoskins, British Routes to India, London, 1966, P. 80;

عبد الفتاح إبراهيم , على طريق الهند , بغداد 1935, ص 25 .

⁽¹⁴⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P. 545; S. B. Miles, OP.Cit. P. 206; P. Woodruff, The Men who Ruled India, Vol. I. London, 1965, P. 18.

⁽¹⁵⁾ P. Woodruff, OP.Cit. P. 25; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 134.

⁽¹⁶⁾ J. G. Lorimer, Gazetteer of the P. Gulf Oman and Central Arabia , Vol. I. Part. I. Calcutta, 1915, P. 18.

⁽¹⁷⁾ S. B. Miles, OP.Cit. P.206 ; A. T. Wilson, OP.Cit. P.136; L-Lockhart, The Fall of the Safai and the Afghan Occupation of Persia, Cambridge, 1958, P. 360.

برهنت هذه البعثة على نجاحها ، بعد حصولها على فرمان من الشاه عباس الأول (1587-1628) في العام نفسه ، ينص على السماح للسفن الإنكليزية بالدخول إلى الموانئ الإيرانية بكل حرية وتقديم المساعدات للإنكليز ، وبعد أن فحص كراوثر وستيل عدداً من الموانئ على الساحل الشرقي من الخليج العربي ، اختاراً ميناء جاسك⁽¹⁸⁾ في مدخل خليج عمان ، لأنه وفقاً لرأيهما هو الأفضل من بقية الموانئ الأخرى كونه بعيداً عن سيطرة البرتغاليين ، لذلك أرسلت شركة الهند الشرقية أول سفينة إنكليزية ، تدعى جيمس James في عام 1616 من سورات إلى ميناء جاسك ، بحمولة كبيرة من البضائع لتصريفها في إيران ، بقيادة الكسندر جايلد Alexander Childe وبإشراف أول ممثل للشركة في إيران أدورد كونوك Adward Connock ، أخفق البرتغاليون في صدّ السفينة التي وصلت إلى ميناء جاسك في أوائل كانون الأول من العام نفسه ، بعد سبعة وعشرين يوماً من الابحار ، وقد كتب كونوك تقريراً إلى مجلس المديرين في الهند ، أكد فيه تشجيع حاكم ميناء جاسك للتجارة الإنكليزية ، ومع أن الصفقة كانت غير مربحة تجارياً إلا أنها عدّت مهمة ، نظراً لأنها سجلت بداية المشاركة الإنكليزية ، في النشاطات البحرية التجارية في الخليج العربي⁽¹⁹⁾ .

أسس كونوك في أوائل عام 1617 وكالة تجارية للشركة في شیراز ، وأخرى في أصفهان في العام نفسه ، وكان الشاه غائباً قرب الحدود العثمانية حينما وصل كونوك ، وبعد عودة الشاه إستقبله بحفاوة واحترام ، وبعد أن سلمه رسالة باسم الملك جيمس الأول James I (1603-1625) ، وصف الأخير بأنه (شقيقه الأكبر) وشرب نخب صحته ! ووعد أن يمنح جاسك أو غيرها من الموانئ للإنكليز إذا طلبوها ، فضلاً عن ذلك وعد الشاه عباس الأول بتزويد شركة الهند الشرقية ، ألف إلى ثلاث آلاف باله من الحرير كل عام ، يتم تصديرها من ميناء جاسك من دون ضرائب كمركية⁽²⁰⁾ ، كما منح الشاه امتيازاً إلى توماس باركر T. Barker الذي خلف

⁽¹⁸⁾ يبعد ميناء جاسك مائة وثلاثين ميلاً من ميناء كمرون ، ومائة وخمسين ميلاً عن مسقط ، وهو يحتل مكاناً إلى جنوب غرب الزاوية الإيرانية من خليج عمان . ينظر :

S. B. Miles, OP.Cit. P. 185.

⁽¹⁹⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P P . 427 و 547; A. T. Wilson, OP.Cit. P.138; L-Lockhart, The Fall of the Safai, PP. 360-361.

⁽²⁰⁾ G. N. Curzon, OP.Cit P. 547; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 19; A. T. Wilson, OP.Cit. P.138; L-Lockhart, The Fall of the Safai, PP. 360-361.

كونوك⁽²¹⁾ في شؤون البعثة في إيران، عندما إستقبله في أصفهان في العام 1618، ينصّ على أن يباع مستقبلاً كل الحرير الذي يخرج من إيران إلى الإنكليز وحدهم، على أن لا يصدر شيء منه إلى أوروبا من خلال الدولة العثمانية، أو يباع للأسبان والبرتغاليين⁽²²⁾، وكان ذلك بحضور السفير الأسباني دون كارسياس دي سيلفا دي فيكورا Don Carcias de Silva de Figueroa مع غيره من المبعوثين الأجانب، وبعد أن تسلم الشاه من فيكورا خطابات مرسلّة له من الملك الأسباني يطالبه فيها إرجاع البحرين⁽²³⁾ وكمبرون Gombroon⁽²⁴⁾ اللتان احتلتا من الإيرانيين، فضلاً عن مطالبته حرمان الإنكليز والأوربيين الآخرين من التجارة الإيرانية، غضب الشاه لذلك الطلب الذي تجاوز الحدّ في نظره، فقام بتمزيق الخطابات وأقسم على طرد البرتغاليين من قلعتهم في هرمز، وفي الوقت نفسه أخذ يتقرب من الإنكليز، حينما سمح لشركتهم بافتتاح أول وكالة لها في ميناء جاسك في عام 1619، لتصرف التجارة البرية مع العاصمة الإيرانية⁽²⁵⁾.

أصبح الشاه قوياً يحكم جميع أنحاء إيران، وله تطلعات كبيرة في فرض هيمنته على منطقة الخليج العربي، لكن نقص قوته البحرية دفعته إلى التقرب من الإنكليز، لاسيما بعد

(21) مات كونوك في كانون الأول من العام 1617 في مدينة أصفهان، ينظر :

G. N. Curzon, OP.Cit. P. 547.

(22) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 27; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 139.

(23) L-Lockhart, Persian Cities, P. 173; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 140.

كان البرتغاليون يخططون للاستحواذ على جزيرة البحرين، لكن الشاه عباس الأول سبقهم في احتلالها في العام 1602، ينظر :

L-Lockhart, Persian Cities, P. 173; R. Kumar, India and the P. Gulf Region 1858-1907, Bombay, 1965, P. 10; J. B. Kelly, Britain and P.Gulf (1795-1880), Oxford, 1968 . P. 51.

المدينة الصغيرة التي تقع على الساحل المقابل لجزيرة هرمز وعلى بعد عشرة أميال شمال غرب Jarun⁽²⁴⁾ كانت جaron الجزيرة، قد بنى البرتغاليون فيها قلعة منذ أيام البوكيرك، أصبحت المدينة تستخدم ميناءاً رئيسياً للبضائع والسفن إلى في الوقت الذي كان الإنكليز Cambarao كمباراو أو Comaro وكمر و Gamru جزيرة هرمز، وكانوا يسمونها كامرو، ويذكر Gamron أو كامرون Gomrow وكمر و Combron و Gombroon والهولنديون يسمونها كمبرون الذي كان في كمبرون في مطلع القرن السابع عشر، Cornelius de Bruyn الرحالة الهولندي كورنيلوس دي بروين Gamberi، نسبة إلى السمك الصغير الذي يسمى كامبري Camrang أن البرتغاليين يسمون المدينة كامرنج المتوفر في مياه الخليج، ينظر :

L-Lockhart, Persian Cities, P. 173.

(25) G. N. Curzon, OP.Cit. P. 547; L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 361; L-Lockhart, Persian Cities, P. 173 ;J. B. Kelly, OP.Cit. P. 51; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 140.

نجاح أربع سفن إنكليزية من الانتصار على أسطول برتغالي في ميناء جاسك , في الثامن والعشرين من كانون الأول من العام 1620 , وكان ذلك أول صدام عسكري خطير بين الإنكليز ومنافسيهم البرتغاليين (26) .

ويمكن عدّ ذلك بداية تدخل شركة الهند الشرقية في شؤون الخليج العربي , مؤسسة تجارية وعسكرية في آن واحد , كما يمثل في الوقت نفسه بداية النهاية للنفوذ البرتغالي في منطقة الخليج العربي .

الأمر الذي ولد لدى الشاه عباس الأول انطباعاً عن نمو قوة شركة الهند الشرقية , وإمكانية استثمار قوتها في تحقيق طموحاته , لذلك لم يكتف العاهل الإيراني بما منحه من امتيازات إلى الشركة, بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حينما عقد معها في عام 1621 تحالفاً عسكرياً , يهدف إلى طرد البرتغاليين من جزيرة هرمز ومن غيرها من مياه الخليج العربي , وكان الإنكليز من جانبهم متلهفين لكسب موطئ قدم لهم في ميناء كمبرون , وقد اشترط الإنكليز على الشاه حصولهم على نصف الرسوم الكمركية لميناء هرمز مقابل مشاركتهم في تلك الحملة , وقد نجحوا في ذلك عندما إستسلم البرتغاليون في عام 1622 (27) .

أمر الشاه بتدمير جزيرة هرمز , التي تمثل المفتاح إلى الخليج العربي , والتي كانت مركزاً تجارياً مزدهراً , ويبدو أن الشاه لم تكن لديه نيّة في إعادة السكنى فيها, ونظراً لرغبته في جعل كمبرون ميناءه , فقد أمر بهدم الأبنية في جزيرة هرمز , ونقل أنقاضها لتعمير ميناء كمبرون في العام نفسه , الذي أسماه باسمه بندر عباس (28), ويشير لوكارت إلى أن سقوط هرمز كان حدثاً مشؤوماً ليس للبرتغال وحدها بل للمكان نفسه , ويعلل تصرف الشاه تجاه جزيرة هرمز , بنقص قوته البحرية دفعته إلى اتخاذ قراره , بهجر ميناء هرمز لصالح ميناءه الجديد , وليبرّ الشاه بتعهده لشركة الهند الشرقية منحها بناية (29) , تقع في القسم الغربي من ميناء بندرعباس لإتخاذها

(26) S. B. Miles, OP.Cit. PP. 185-187; G. N. Curzon, OP.Cit. P. 428; P. Sykes, A History of Persia, Vol. II. London, 1951, P. 190; J. B. Kelly. OP.Cit. P. 51; L. Lockhart, Persian Cities, P. 173.

(27) S. B. Miles, OP.Cit. P. 188; G. N. Curzon, OP.Cit. P. 548; L. Lockhart, Persian Cities, P. 174; Records of the Emirates Primary Documents , Vol.5, 1892 – 1909 , Edited by : Penelope Tuson, British Library Cataloguing in Publication Dats, Archive Editions 1990, P. 403 .
(R. E. P. D. Vol. 5.) وسيرمز له بـ

(28) G. N. Curzon, OP.Cit. P. 420; L. Lockhart, The Fall of the Safai, P. 362; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 151; W. Phillips, Oman A History, Economic Adviser and Representative for His Majesty the King of Oman and Dependencies, London, 1967. P. 90.

(29) يشير ولسن إلى أن الشاه منح الشركة بنايتين وحرم عليها تحصينها , لكي لا تتخذها قاعدة لها , ينظر :

A. T. Wilson, OP.Cit. P. 152.

وكالة تخدم تجارتها ، وأصبح ميناء بندر عباس أكثر أهمية من ميناء جاسك ، لأنه كان يشكل نهاية الطرق البرية لمدينتي شيراز وأصفهان ، فضلاً عن أن طرقه البرية كانت آمنة نسبياً عما كان عليه الحال في ميناء جاسك⁽³⁰⁾.

لكن الآمال الكبيرة التي توقعتها شركة الهند الشرقية ، في زيادة تجارتها في منطقة الخليج العربي لم تتحقق بشكل تام ، لأنه ما أن فتحت الشركة وكالتها التجارية في ميناء بندر عباس في عام 1623 ، حتى أسرع شركة الهند الشرقية الهولندية⁽³¹⁾ ، وفتحت وكالة تجارية أكبر إلى الشرق من الوكالة الإنكليزية ، مما بعث الذعر في نفوس ممثلي الشركة الإنكليزية ، فبدأ الصراع بين الإنكليز والهولنديين ، لفرض سيطرتهم التجارية والسياسية في الخليج العربي⁽³²⁾.

وحاول البرتغاليون من جانبهم إعادة هيمنتهم عليه ، فعلى الرغم من أن قوة البرتغاليين في الخليج العربي قد كسرت على أثر سقوط هرمز ، إلا إنها لم تدمر بشكل تام وظلت مسقط أقوى معقل لهم في الخليج العربي ، ينطلقون منها لمضايقة التجارة هناك ، وعندما حاولوا استرداد جزيرة هرمز ، تمت هزيمتهم في كانون الثاني من العام 1625 ، على يد أسطول مشترك من السفن الإنكليزية والهولندية ، وذلك بعد أن تناسى الإنكليز والهولنديون خلافاتهم مؤقتاً أمام منافسيهم البرتغاليين ، الذين استمروا بمحاولاتهم⁽³³⁾ لاسترجاع هيمنتهم على منطقة الخليج العربي ، التي لم تكلل بالنجاح حتى طردهم إمام عمان سلطان بن سيف (1649-1668) في العام 1650 من مسقط ، ثم أخرجهم العرب من المياه العربية بعد ذلك في العقود اللاحقة ، وهكذا فإن اختفاء البرتغاليين من الميدان لم يرح الإنكليز من المنافسة التجارية والسياسية ، بل على العكس إذ حينما إختفت قوة البرتغاليين زادت أرجحية الهولنديين ، ومن ثم صارت أكثر خطورة على الإنكليز ، بعد أن إحتكروا أسواق الخليج العربي منذ منتصف القرن السابع عشر⁽³⁴⁾.

⁽³⁰⁾ L-Lockhart, Persian Cities, PP. 174-175; L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 378.

⁽³¹⁾ للمزيد من التفاصيل عن النشاط الهولندي في الخليج العربي ، ينظر :

محمود علي الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية في الخليج العربي (1630-1671) ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 6 لسنة 1961 ؛ هيفاء عبد العزيز الربيعي ، غزاة في الخليج ، الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية ، دراسة تاريخية ، بغداد 1989

⁽³²⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P. 418; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 160 .

⁽³³⁾ ولا نتفق مع ما أورده د.زكي صالح ، من أن البرتغاليين قاموا في عام 1630 بمحاولتهم الأولى والأخيرة لاسترجاع جزيرة هرمز ، ينظر : زكي صالح ، مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية 1966 ، ص 18 .

⁽³⁴⁾ S. B. Miles, OP.Cit.PP.190-191, 195 ; A. T. Wilson, OP.Cit. PP.155-156 , 161, 164; Lockhart, The Fall of the Safai, P. 365; I.Skeet, Muscat and Oman the end of on L-

ونتيجة للأعمال العدائية التي إرتكبها الهولنديون في الشرق ضد شركة الهند الشرقية الإنكليزية, فقد صدر في إنكلترا في عام 1651 قانون الملاحة , من أجل تدمير تجارة الشحن الهولندية فتصاعد الصراع الإنكليزي- الهولندي , الأمر الذي دفع أوليفر كرومويل A.Cromwell (1649-1658)⁽³⁵⁾ في العام التالي الى إعلان الحرب على هولندا , لكن الأخيرة تمكنت من أسر سفينتين إنكليزيتين خارج ميناء جاسك ثم غنمت ثالثة, وفي المعركة التي نشبت في العام 1654 خارج بندر عباس , أغرقت خمس سفن هولندية سفينة إنكليزية وأسرت أخرى مع ما يقرب من ثلاثين أسيراً , مما أدى إلى عدم تمكن الإنكليز من فرض هيمنتهم على الخليج العربي , بعد أن أصبح بكامله في يد الهولنديين , لدرجة أن التجارة في بندر عباس غدت مشلولة الحركة, مما دفع ممثلي الشركة الإنكليزية في البصرة إلى التفكير بنقل وكالتهم إلى مكان أكثر أمناً , لكن الصلح الذي أبرم في العام نفسه أنهى هذه الحالة الخطرة بين الجانبين , ولدعم الشركة الإنكليزية قامت الحكومة الإنكليزية بدفع مبلغ قدره خمسة وثمانين ألف جنيه إسترليني , تعويضاً عما لحق بها من خسائر بفعل حربها مع هولندا , فضلاً عن إصدار الملك الإنكليزي شارل الثاني Charles II (1660-1685) مرسوماً ملكياً في العام 1660, يؤكد أفضلية الشركة في حصولها على الامتيازات, الأمر الذي منحها زخماً جديداً مكنها من دعم نشاطها التجاري بدرجة كبيرة⁽³⁶⁾, وصدرت بعد هذا المرسوم مراسيم آخر في الأعوام 1661 و 1667 و 1668 و 1683, منحت الشركة الإنكليزية إمتيازاتها السابقة وزادت عليها , فصار لها بموجب هذه المراسيم الحق في إقامة قوات عسكرية خاصة بها في الهند , وتنظيم الرتب العسكرية وإنشاء الحصون والقلاع , وإعلان الحرب على الأقوام غير المسيحية وبناء المراكب الحربية , وإنشاء المحاكم الخاصة بها على أن تعمل بموجب قانون التجار وبمعرفتهم, ونصت المراسيم بشكل عام على عدّ الشركة الإنكليزية وكيلاً عن التاج في حكم الممتلكات التي آلت للشركة في الهند⁽³⁷⁾, لكن الموقف ازداد خطورة على شركة الهند الشرقية الإنكليزية , ففي الحقبة نفسها التي حافظ فيها

era,London, 1974.PP.33,38-39.

(2) وصل كرومويل الى الحكم , على أثر الحرب الأهلية التي نشبت في انكلترا بين عامي 1642- 1649 التي تسمى الثورة الإنكليزية الأولى , بسبب الخلافات التي حصلت بين الملك شارل الأول والبرلمان , حقق جيش البرلمان الذي كان يقوده كرومويل , إنتصاراً ساحقاً على القوات الملكية , وأعدم الملك شارل الأول في مطلع عام 1649, وحكم كرومويل البلاد بأسم البرلمان لغاية عام 1658.

(3) S. B. Miles, OP.Cit.P.213; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 165

(37) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم , المصدر السابق , ص 41-42 .

الهولنديون على أرجحيتهم في الخليج العربي ، قام الفرنسيون في عام 1664 بتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية ⁽³⁸⁾ ، فظهر منافس أوربي ثالث ودخل ميدان التجارة الشرقية ⁽³⁹⁾ .

ويجدر بنا التعرف على الوضع للقوى المتنافسة خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر ، من بعض الرّحالة المعاصرين للأحداث ، فهذا جون شاردن J.Chardin الذي كان في بندر عباس في عام 1674 ، يقول أن الشرقيين يعتقدون أن الهولنديين هم ملوك أوربا ، فقد قال حاكم بندر عباس لممثل الشركة الفرنسية "تقول أن ملككم قد احتل بلاد الهولنديين ، ومع ذلك تأتي سبع من سفنهم ، بينما لم تأت سفينة واحدة لكم أو للإنكليز" ، وهذا الدكتور جون فراير Dr.J.Fryer [طبيب شركة الهند الشرقية الإنكليزية] الذي زار بندر عباس في عام 1677 ، يشهد على إزدياد قبضة الهولنديين على التجارة في الخليج العربي ، عندما يقول "بينما تجارة الشركة الإنكليزية قليلة هنا" ، وبناءً على رواية فراير يبدو أن الفرنسيين أيضاً لم يتقدموا إلا قليلاً ، منذ تأسيس شركتهم الفرنسية إذ يشير إلى "أن الفرنسيين ليس لديهم ما يعملونه في هذا الميناء كما هو حالهم في أماكن أخرى" ، وهذا دليل على أن مركز الهولنديين ، كان هو الطاعى حتى قبيل نهاية القرن السابع عشر على موقف منافسيهم الإنكليز ⁽⁴⁰⁾ ، ثم بدأ الهولنديون يفقدون مكانتهم في الخليج العربي ، بسبب سلسلة من المناوشات المسلحة ⁽⁴¹⁾ ، التي حصلت بين الإيرانيين والهولنديين ، فضلاً عن المنافسة الإنكليزية ⁽⁴²⁾ ، فأخذت الظروف تتحول بالتدريج لصالح الإنكليز ، فقد ضم ميناء بومباي الذي كان تابعاً إلى التاج ⁽⁴³⁾ ، إلى أملاك

⁽³⁸⁾ تأسست أول شركة فرنسية للاتجار مع الشرق في عام 1604 ، لكنها ولدت هزيلة نظراً للنزاع الذي نشب بين الممولين والافتقار إلى المال ، ينظر : صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798- والافتقار إلى المال ، ينظر : صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798- 1810 ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1978 ، ص 29 ؛

G. N. Curzon, OP.Cit. P. 548; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 166.

⁽³⁹⁾ Ibid ; Ibid.

⁽⁴⁰⁾ Quoted in: A. T. Wilson, OP.Cit. PP. 166-167.

⁽⁴¹⁾ قامت القوات الهولندية على سبيل المثال باحتلال جزيرة فشم في عام 1645 ، الأمر الذي ولدَ حقداً كبيراً في نفوس الإيرانيين ، الذين ظلّوا يتحينون الفرص لرد الضربة ، ينظر :

L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 365.

⁽⁴²⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P. 552.

⁽⁴³⁾ Infanta Chatharine حصل شارل الثاني عام 1661 على جزيرة بومباي ، جزء من مهر زواجه من أنفانتا كاترين ويعد شهرين تسلم تلك الجزيرة ، ينظر :

J. Bruce, Annals of the Honorable East India Company, Vol. II. London, 1810, PP. 11-12 .

يشير مايلز إلى أن شارل الثاني حصل على الجزيرة ، في عام 1662 وبعد عامين تم استلامها. ينظر :

شركة الهند الشرقية الإنكليزية في عام 1668⁽⁴⁴⁾ , فأصبح ميناء بومباي مركزاً تجارياً كبيراً حلّ محل سورات التي غدت مركزاً ثانوياً , لاسيما بعد أن صار ذلك الميناء يوجه أعمال الشركة في القسم الغربي من المحيط الهندي , بما في ذلك منطقة الخليج العربي والبحر الحمر⁽⁴⁵⁾ .

أن طموح الملك الفرنسي لويس الرابع عشر Louis XIV (1643 – 1715) دفعه إلى الاصطدام بأسبانيا وهولندا , وكانت إنكلترا قد وقفت في البداية إلى جانبه , الأمر الذي أدى إلى وقوع مناوشات غير حاسمة , بين السفن الإنكليزية والهولندية في أوربا , لكن الرأي العام الإنكليزي كان معادياً لفرنسا , فأجبر حكومته على عقد صلح مع هولندا في عام 1674 , تعزز ذلك بدخول إنكلترا وهولندا في عام 1688 , في اتحاد في أوربا لمقاومة فرنسا , ومنذ ذلك الحين أصبحت مصالح هولندا تابعة لمصالح إنكلترا , وظلت هكذا حتى عام 1697 , حينما أنهكت قوى فرنسا وأخذت وراثة العرش الأسباني تأخذ كل اهتمام لويس الرابع عشر , كما بدأ الهولنديون يخسرون مكائنتهم في منطقة الخليج العربي , ربما بسبب سلوكهم المتغطرس الذي اتبعوه في صفقاتهم التجارية , لذا شهد نهاية القرن السابع عشر , تحول التيار لصالح شركة الهند الشرقية الإنكليزية , التي اتجهت إلى تبني موقف سياسي , اخذ يطغى بصورة متزايدة على طابعها التجاري في منطقة الخليج العربي⁽⁴⁶⁾ , فتمكنت الشركة الإنكليزية في عام 1699 من كسب الشاه سلطان حسين (1694 – 1722) إلى جانبها , وتفضيله الإنكليز على الهولنديين , يشهد على ذلك زيارته الرسمية للوكالة الإنكليزية⁽⁴⁷⁾ في أصفهان في العام نفسه , في حين رفض زيارة

S. B. Miles, OP.Cit. P. 213.

⁽⁴⁴⁾ J. Bruce. OP.Cit. P. 80.

يشير مايلز إلى أن ضم جزيرة بومباي , إلى الشركة كان في عام 1869 , ينظر :

S. B. Miles, OP.Cit. P. 213.

⁽⁴⁵⁾ S. B. Miles, OP.Cit. P. 213 ;

صلاح العقاد , التيارات السياسية في الخليج العربي , القاهرة 1974 , ص 33.

⁽⁴⁶⁾ A. T. Wilson, OP.Cit. P. 168; L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 367.

⁽⁴⁷⁾ قام الشاه بزيارة الوكالة الإنكليزية في أصفهان , مثلما فعل الشاه عباس الأول ذلك قبل ثمانين عاماً , فقد وصل الشاه إلى مقر الوكالة في صباح اليوم الرابع والعشرين من تموز عام 1699 , وحلّ ضيفاً عليها لمدة اثنا عشر يوماً لغاية الرابع من آب من العام نفسه , فجرت استعدادات فخمة لاستقباله , بلغت تكاليفها أكثر من اثني عشر ألف جنيه إسترليني , لكن النتائج كانت مثمرة حيث أن الشاه لم يقم بإظهار امتنانه فحسب , بتقديم عبارة شرف وسيف ثمين وحصان لممثل الوكالة , بل تعدى ذلك إلى دفع نصيب الشركة , من عوائد بندر عباس الكمركية المتأخرة البالغة ألف تومان , على أن يتم بعدها دفع الفي تومان في آذار التالي , ينظر :

A. T. Wilson, OP.Cit. P. 173; L-Lockhart, The Fall of the Safai, PP. 393-394.

الوكالة الهولندية هناك , عندما التمس منه الهولنديون ذلك , فضلاً عن رفضه طلبهم في بناء قلعة في بندر عباس لحماية مصالحهم هناك , ولعل هذا نتيجة لسلسلة من الاعتداءات , التي قامت بها السفن الهولندية المسلحة على إيران أبان القرن السابع عشر⁽⁴⁸⁾.

لقد بدأ نزاع حاد بين الشركات الإنكليزية العاملة في البحار الشرقية , كاد أن يؤدي الى فقدان إنكلترا لمركزها في الشرق , لكن تم تلافي ذلك حينما اتحدت تلك الشركات في عام 1807, وسميت

الشركة التي تشكلت من هذا الاتحاد باسم , "الشركة المتحدة للتجار البريطانيين المتاجرين مع الهند الشرقية" **"The United Company of Marchants of England Trading to the East Indies"**⁽⁴⁹⁾, فأرسلت الشركة برسكوت Perscott إلى أصفهان ممثلاً رئيساً لها , وحاملاً رسالة من الملكة آن Anne (1702-1714) إلى الشاه سلطان حسين , الذي وعد الشركة منحها مزيداً من الامتيازات في الممتلكات الإيرانية⁽⁵⁰⁾ , الأمر الذي عزز مكانة الشركة في منطقة الخليج العربي .

كان اندماج الشركات البريطانية نقطة تحول حقيقية في الشؤون الهندية سرعان ما انعكست آثارها في منطقة الخليج العربي , إذ اتخذت الشركات البريطانية لها طابعاً عاماً ووطنياً أكثر من السابق , كما أن رؤساءها خولوا صلاحيات ورتباً قنصلية , وحينها ازدادت هيبة بريطانيا في منطقة الخليج العربي , وهكذا أخذت أسهم الشركة البريطانية ترتفع تدريجياً في القرن الثامن عشر في منطقة الخليج العربي , في الوقت الذي ازدادت فيه ظروف الهولنديين سوءاً , ومما يؤشر على ذلك إلغاء الشاه الكثير من امتيازاتهم التجارية في عام 1708, وإغلاق مكتبهم التجاري في البصرة في العام نفسه , بسبب المنافسة البريطانية من جهة , وبسبب الضغط الذي تعرضوا له من السلطات المحلية من جهة أخرى⁽⁵¹⁾, في الوقت الذي نجحت فيه الشركة البريطانية من فتح وكالة دائمة لها في البصرة في عام 1723⁽⁵²⁾ .

⁽⁴⁸⁾ Ibid; Ibid; G. N. Curzon, OP.Cit. P. 552.

⁽⁴⁹⁾ للمزيد من التفاصيل عن اتحاد الشركات البريطانية , ينظر :

J. Bruce, OP.Cit. Vol. III. PP. 56-67.

⁽⁵⁰⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P. 552.

⁽⁵¹⁾ A. T. Wilson, OP.Cit. PP. 170, 174;

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر أخذ النفوذ الهولندي يتلاشى في الخليج العربي ، ليحل محله النفوذ البريطاني ، يدل على ذلك إغلاق المقيمة الهولندية في البصرة في عام 1753 ، بعد أن طرد فان نيبهاوزن Van Knipphausen الذي كان مسؤولاً عنها حينذاك ، من السلطات المحلية في البصرة ، بسبب النزاع الذي نشب بينه وبينها ، تبع ذلك انسحاب الهولنديين في عام 1759 من ميناء بندر عباس ، وبطردهم من لدن العرب من جزيرة خرج في عام 1766 ، انتهى نفوذهم في الخليج العربي من الناحية العملية⁽⁵³⁾ .

كشفت حرب السنوات السبع التي نشبت بين بريطانيا وفرنسا بين عامي 1756-1763 ، عن أهمية الخليج العربي طريقاً سريعاً لنقل الأخبار بين أوروبا والهند⁽⁵⁴⁾ ، ويصيب الدكتور صالح محمد العابد حينما يقول : "حق استخدام الطريق الصحراوي عبر العراق وسوريا لنقل البريد فوائدها جمة للبريطانيين خلال القرن الثامن عشر ، ففي السلم كان يستخدم لنقل أخبار السوق والطلبات المتوقعة... ولكن أهميته تتضاعف في أوقات الحروب لما يوفره من وقت له أهميته بالنسبة إلى المبادرات العسكرية البريطانية... وفي خلال حرب السنوات السبع لعب دوراً كبيراً في انتزاع البريطانيين لزام المبادرة العسكرية في الهند لأنهم سبقوا الفرنسيين باطلاعهم على نباء اندلاع الحرب في أوروبا بين فرنسا وبريطانيا فقاموا بمهاجمة الحصن الفرنسي في شاندرناكور Chandernagor (24 مارت 1757) قبل ان يكون لدى الفرنسيين أي علم بالتطورات في أوروبا وأسفر الهجوم عن استسلام القلعة"⁽⁵⁵⁾ ، وكانت الرحلة بين بومباي ولندن تستغرق من عشرة إلى اثنتي عشر أسبوعاً ، أي من شهرين ونصف إلى ثلاثة أشهر ، في حين كان استخدام طريق رأس الرجاء الصالح يستغرق أحد عشر شهراً ، لذا لم يعرف خبر اندلاع حرب السنوات السبع في الهند ، إلا بعد اندلاعها في أوروبا بعام ، وبانتهاء حرب السنوات السبع لصالح بريطانيا ، تنازلت فرنسا بموجب صلح باريس في العاشر من شباط عام 1763 عن معظم ممتلكاتها في الهند ، وبذلك خلا الميدان لبريطانيا لبسط نفوذها على شبه القارة الهندية ، بعد ذلك قامت الشركة البريطانية بتوزيع ممتلكاتها على الحكومات الرئيسة الثلاث التي أنشأتها

هيفاء عبد العزيز الربيعي ، المصدر السابق ، ص 102 ؛ بي . جي . سلوت ، دراسة حول المصادر عن نشاطات شركة الهند الشرقية الهولندية في البصرة ، عامي 1645-1754 ، ترجمة الدكتور عبد الجبار ناجي ، مجلة الخليج العربي ، المجلد السابع عشر ، العدد 3-4 لسنة 1985 ، ص 99 .

⁽⁵²⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 122; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 51.

⁽⁵³⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1818, 1207; W. Phillips, OP.Cit. P. 91; P. Sykes, OP.Cit. P. 280.

⁽⁵⁴⁾ The Cambridge History of British Foreign Policy, Vol. I. 1783-1815, Edited by: A.W. Ward and G.P. Gooch. New York, 1922, P. 105; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 53.

⁽⁵⁵⁾ مقتبس في: صالح محمد العابد ، المصدر السابق ، ص 45-46 .

في الهند ، وهي حكومات البنغال ومدراس وبومباي وفقاً لموقعها الجغرافي ، لذلك غدت منطقة الخليج العربي من اختصاص حكومة بومباي ، وكانت الخطوة الأولى التي اتخذتها تلك الحكومة ، نقل وكالة الشركة من بندر عباس في السابع من آذار من العام نفسه إلى البصرة (56) .

وترسخت جذور الشركة البريطانية في الخليج العربي أكثر، حينما منح كريم خان (1757-1779) حاكم إيران⁽⁵⁷⁾ في الثاني من تموز⁽⁵⁸⁾ عام 1763 ، وليم اندرو برايس William Andrew Price الذي وصفه كريم خان ، وفقاً لتعبير كيرزن بـ"حاكم الأمة الإنكليزية في الخليج"، امتيازات ختمت أخيراً بختم كريم خان في الأول من آب من العام نفسه ، تضمنت شروطها الرئيسة ، حرية الشركة البريطانية في إقامة وكالة تجارية في بوشهر أو في أي ميناء آخر في الخليج العربي ، ولها أن تنصب من المدافع بالقدر الذي تشاءه على أن لا يتعدى عيار المدافع ستة أرتال ، وأن تبني فيما يتعلق بهذا الغرض في أي جزء من الممتلكات الإيرانية أي عدد من الأبنية العادية ، كما يجب أن تعفى تجارتها من رسوم الاستيراد والتصدير الداخلية في كل من بوشهر أو أي ميناء آخر ، وان لا يتقاضى شيخ بوشهر والحكام المحليون الآخرون ، أكثر من ثلاث بالمئة ضريبة تصدير ، على البضائع البريطانية التي تشتري من التجار الإيرانيين ، ويجب أن يكون للشركة البريطانية حق احتكار توريد البضائع الصوفية ، إلى أي مكان إجراءً احترازياً ضد جميع الجنسيات الأخرى ، وأن تكون تجارتها حرة من جميع القيود في كافة أنحاء إيران ، كما يجب على التجار المحليين عدم شراء بضائع من أية سفينة بريطانية ، تصل إلى ميناء إيراني في منطقة الخليج العربي من دون موافقة الممثل البريطاني الرسمي ، فضلاً عن امتيازات أخرى ، مقابل ذلك على الشركة البريطانية عدم إيواء الأشخاص الثائرين على السلطات الإيرانية

⁽⁵⁶⁾ The Cambridge History, OP.Cit. P. 124; J. B. Kelly, OP.Cit.PP. 51-53; A. T. Wilson, OP.Cit. P. 178;

صالح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، ص21-22

⁽⁵⁷⁾ للمزيد من التفاصيل عن سياسة كريم خان في الخليج العربي ، ينظر :

علاء الدين نورس ، السياسة الإيرانية في الخليج العربي أبان حكم كريم خان (1757-1779) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1985 .

⁽⁵⁸⁾ يشير الدكتور صالح محمد العابد، إلى أن صدور فرمان من كريم خان إلى الشركة البريطانية ، كان في الثاني عشر من تموز، ينظر: صالح محمد العابد ، المصدر السابق ، ص26.

، وعدم مساعدة أعداء الشاه بشكل مباشر أو غير مباشر⁽⁵⁹⁾ ، الأمر الذي جعل ميناء بوشهر يؤدي دوراً كبيراً ، في خدمة التجارة البريطانية وهيمنتها على الخليج العربي منذ نهاية القرن الثامن عشر ، ومما زاد من أهميته اتصاله بمدينة شيراز بطريق القوافل البرية⁽⁶⁰⁾ .

حققت الشركة البريطانية إنجازاً آخرًا حينما حصل هنري كرانفيل H.Granville السفير البريطاني في اسطنبول ، على فرمان في التاسع والعشرين من آب عام 1764 من الباب العالي ، أعترف بوكالة الشركة البريطانية في البصرة قنصلية مشمولة بنظام الامتيازات الأجنبية ، ومعاملة القنصل معاملة السفير البريطاني نفسه⁽⁶¹⁾ .

ويمكن القول أن الأهداف التجارية والسياسية والعسكرية البريطانية غدت أكثر وضوحاً في منطقة الخليج العربي ، منذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، لا سيما بعد طرد الحامية الهولندية من جزيرة خرج في عام 1766 ، واحتكار بريطانيا التجارة في الخليج العربي⁽⁶²⁾ ، فأخذت التطلعات الاستراتيجية تحدد السلوك البريطاني بشكل أو بآخر ، تشير الى ذلك العمليات العسكرية

البريطانية التي حدثت في المنطقة أبان الحقبة 1761 – 1768⁽⁶³⁾ ، بالاشتراك مع العثمانيين تارة ومع الإيرانيين تارة أخرى، وفي نهاية العقد الأخير من القرن الثامن عشر، لم يبق من الوجود الأوربي في الخليج العربي، إلا شركة الهند الشرقية البريطانية⁽⁶⁴⁾ .

⁽⁵⁹⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P. 422; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1781; P. Sykes, OP.Cit. P. 280; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 52 ; R. E. P. D., Vol. 5. OP.Cit. P. 404.

⁽⁶⁰⁾ أداموف ، القنصلية الروسية العامة في تبريز سنة 1902 ، التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ترجمة الدكتور نوري عبد البخيت ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 9 ، جامعة البصرة ، لسنة 1980 ، ص 107 ، 110 ؛

R. E. P. D., Vol. 5 . OP.Cit. P. 404.

⁽⁶¹⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1220; C. U. Aitchison, A Collection of Treaties, Engagements and Stands Relating to India and Neighbouring Countries, Vol. XIII, Calcutta, 1933, PP. 7-10.

⁽⁶²⁾ Notes Et Etudes Documentaires, Presidence Du Conseil, Premiere Partie, No. 1499, 5 Juillet, Paris, 1951, P. 22; W. Phillips, OP.Cit. P. 91.

⁽⁶³⁾ واجهت قبيلة كعب العربية في عام 1761 عدواناً بريطانياً عثمانياً مشتركاً ، وأن الحملة العسكرية المشتركة التي قامت بها بريطانيا وإيران ، ضد إمارة بندر ريق العربية والجزيرة التابعة لها خرج ، انتهت في تموز عام 1765 من دون أن تحقق أهدافها ، وفي مايس عام 1768 تعرضت جزيرة خرج أيضاً ، لهجوم الأسطول البريطاني بالاشتراك مع الإيرانيين ، غير أن العمليات لم تحقق نجاحاً يذكر ، ينظر :

لقد اكتشفت الشركة أن الخليج العربي يشكل طريقاً استراتيجياً ، يجب أن لا يقع مهما كلف الثمن تحت سيطرة دولة أجنبية ، وخطورة موقعه هذا تفسر جوانب من صراعها الطويل مع قوى أجنبية عديدة ، وحسبما يذكر الكاتب الفرنسي روسو : "لقد استعجلت الشركة البريطانية في أن تقوم بدور الشرطي فيه، وان تقضي على المنافسين البرتغاليين والهولنديين ، ثم الآخرين الذين يترددون عليه"⁽⁶⁵⁾.

ويمكن القول أن تنافس القوى الأوروبية الذي بدء مع مطلع القرن التاسع عشر ، وكان موقع الدولة العثمانية وإيران الاستراتيجي ، لاسيما امتلاك الأخيرة سواحل طويلة على الخليج العربي ، ومجاورتها روسيا وأفغانستان ، التي تطل على المستعمرات البريطانية في الهند ، من بين الأسباب المشجعة لذلك التنافس⁽⁶⁶⁾، الذي جرى في مراحله الأولى بين بريطانيا وفرنسا⁽⁶⁷⁾ خلال معظم العقد الأول من القرن التاسع عشر ، وقد فتح سقوط نابليون صفحة جديدة في السياسة الآسيوية ، فبعد أن خفت نجمه ، أصبحت روسيا المنافس المحتمل لبريطانيا في آسيا⁽⁶⁸⁾، طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

النشاطات الروسية في منطقة الخليج العربي لغاية عام 1798 .

هياً الموقع الجغرافي لروسيا وشائج الاتصال بين الروس والعرب ، وأتاح لهما التعرف على بعضهما البعض ، وكان الرحالة والتجار والحجاج الروس إلى الأماكن المقدسة ، يجوبون

J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1630-1640;

علاء الدين نورس ، المصدر السابق ، ص 26 ، 47 ، 49 .

⁽⁶⁴⁾ Ibid ; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 2; R. E. P. D., Vol. 5. OP.Cit. P. 404.

⁽⁶⁵⁾ Quoted in: P. Rossi, L'Iraq des Revoltes, Paris, 1957, P. 65.

⁽⁶⁶⁾ H. V. Herbert, Iran, New Haven, 1957, P. 22; N. S. Fatemi, Diplomatic History of Persia, 1917- 1923, New York, 1952, P. 122; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 98.

⁽⁶⁷⁾ للمزيد من التفاصيل عن النشاط الفرنسي في الخليج العربي وموقف بريطانيا منه ، ينظر : صالح محمد العابد، المصدر السابق ؛ محمد عبد الله العزاوي ، نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة 1793-1798 ، مجلة الخليج العربي ، المجلد الثامن عشر ، العدد 3-4 لسنة 1986.

⁽⁶⁸⁾ R. Kumar, OP.Cit. P. 14.

سيراً على الأقدام كثيراً من الأقطار العربية ، الأمر الذي جعلهم يمتلكون معلومات عن الشرق وسكانه منذ أمد بعيد، وشكل الخليج العربي شرياناً مهماً لمرور أغلب الرحالة في طريقهم إلى بلدان الشرق الأدنى ، لقد كان حب الإطلاع والمصالح التجارية والدوافع الدينية ، تحرك الروس في ذلك الزمن ، بل والتجار العرب أيضاً كانوا منذ زمن بعيد ، يزورون منطقة نهر الفولغا ويتحدثون لدى عودتهم عن روسيا البعيدة ، إلا أنه لا تزال مجهولة لدى القارئ العربي ، صفحات مثيرة من تلك الرحلات القروسطية الأولى ، التي دشنت تاريخ العلاقات الروسية العربية (69) .

وقد جاء في مخطوطات التاجرة الروسية أناناسيا نيكستينا، التي أبحرت إلى الهند عن طريق الخليج العربي قبل فاسكو دي كاما بأربعمئة عام ، ذكر لمدينة هرمز إذ تشير : " تعتبر مدينة هرمز محطة تجارية عظيمة ، يأتيها الناس من جميع أنحاء العالم ، وتوجد فيها مختلف أنواع البضائع " (70) .

يعد ايفان الثالث Ivan III (1505.1462) (71) الذي لقب بالعظيم ، أحد كبار الساسة وهو المؤسس البارع للدولة الروسية الحديثة ، بفضل ارتقت الدولة من إمارة صغيرة ، إلى دولة مسيحية (72) على درجة كبيرة من الأهمية ، لاسيما بعد تحرير الأمة الروسية من السيطرة التتارية

(69) ي. ريزفان ، سفن روسية في الخليج العربي 1899-1903 ، مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي ، ترجمة : سليم توما ، دار التقدم ، موسكو 1990 ، ص 3 ؛ ب. م. دانتسيغ ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط ، ترجمة وتعليق الدكتور معروف خزندار ، بيروت 1981 ، ص 40 ؛ علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 7.

(70) نقلاً عن : أداموف ، المصدر السابق ، ص 109 .

(71) يقع الدكتور عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار في التباس ، عندما يطلقا على ايفان الثالث لقب المرعب في كتابيهما: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 233.

على ايفان الرابع ، الذي حكم بين 1533 و 1584 ، للمزيد **The Terrible** في حين أطلق لقب المرعب (الرهيب) من التفاصيل عن عصره ، ينظر :

J. L-I. Fennell, Prince A.M.Kurbsky's History of Ivan IV, Cambridge 1965; M. C. Wren, The Course of Russian History, New York, 1958, PP. 188-203.

ابنة أخي قسطنطين Sophia (72) تزوج ايفان الثالث في عام 1472 زواجاً جديداً ذا مغزى ، إذ كانت زوجته الثانية صوفيا آخر أباطرة الشرق المسيحيين ، الذي مات عند سقوط الإمبراطورية البيزنطية في عام Palaeogous باليوجوس 1453 بيد العثمانيين ، ولقد كان هذا الزواج تعبيراً عن مكانة موسكو ومطالبها الجديدة ، ذلك أن ايفان بدأ يحلم بأن يخلف القيصرية الشرقيين ، فتحل روسيا المسكوفية محل الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، من أجل بعث عقيدة أرثوذكسية واحدة ، وتزعم العالم المسيحي الشرقي في الحلول محل القسطنطينية الضائعة. ينظر : رايموند بيزلي ، كيف وصلت الدولة التي أسسها ايفان فليكي إلى مستوى العظمة زمن بطرس الكسيفتش = وكاترين الثانية ، الناشر جون. أ. هامرتن ، تاريخ العالم ، ترجمة : إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي ، مصر ، (د.ت) ، ص 2 .

في ثمانينيات القرن الخامس عشر , فعلى صعيد العلاقات الخارجية أوفد ايفان الثالث في عام 1464 بعثة إلى هرات (في أفغانستان), من أجل إقامة علاقات تجارية بينهما , واستقبل بعد عامين وفد من حاكم باكو الميناء القزويني المهم , لتعزيز الروابط مع موسكو , الأمر الذي دفع ايفان الثالث إلى إيفاد سفير عنه في العام نفسه إلى هناك⁽⁷³⁾.

وكان نجاح التاجر الروسي افاناسي نيكيتين Afanassy Nikitin⁽⁷⁴⁾, من أهالي مدينة تفير Tver من إيجاد طريق إلى الهند , من خلال بلدان الخليج العربي في منتصف القرن الخامس عشر ورجوعه سالماً إلى بلده , من الأحداث التاريخية المهمة في حياة روسيا , ثم أُرْدِفَها في العام 1472 برحلة تجارية إلى هرمز في الخليج العربي , تمخض عنها جمع معلومات قيمة عن المنطقة التي مرّ من خلالها , وقد تحدث عنها في كتابه " تجوال في ثلاثة بحار " ⁽⁷⁵⁾.

وكان ايفان الرابع (1533-1584)⁽⁷⁶⁾ معاصراً لحاكم إيران الشاه طهماسب الأول (1524-1576) , إلا انه لم تكن هناك أية علاقات مباشرة بين العاهلين⁽⁷⁷⁾ , لكن بعد ثمانية عقود من رحلة أفاناسي نيكيتين الثانية إلى منطقة الخليج العربي , دخلت بواعث جديدة لدفع الروس باتجاه الجنوب , ففي عام 1552 تمكن القيصر الروسي ايفان الرابع من الاستيلاء على خانية قازان , وبعد أربعة أعوام استولى على خانية استراخان , مما أدى إلى كسر سيطرة التتار على نهر الفولغا , ومنح حركة النقل التجاري الروسي زخماً كبيراً⁽⁷⁸⁾ , لاسيما في المناطق

⁽⁷³⁾ M. C. Wren, OP.Cit. PP. 172 . 175; P. Sykes, OP.Cit. P. 208.

⁽⁷⁴⁾ قام افاناسي نيكيتين برحلته إلى الهند من خلال إيران , ذهاباً وإياباً خلال الحقبة 1466-1472 . علماً أن اسمه ورد , ينظر : Athanase Nikitine عند لوكارت بـ

L- Lockhart, The Fall of the Safai, P. 58.

⁽⁷⁵⁾ Ibid; G. N. Curzon, OP.Cit. P. 414 ;J.Hamel, England and Russia,Comprising the Voyages of Sir Hugh Willoughby, Richard Chancellor, Nelson and Others to the White Sea, London, 1968, P. 47; ي. ريزفان , المصدر السابق , ص3.

في عام 1547 المقتبس من النظام البيزنطي , ومن ثم لقب بطرس Tsar⁽⁷⁶⁾ ايفان الرابع أول من تلقب بلقب القيصر (1682-1725) بالإمبراطور في عام 1721 , ينظر : Peter the Great الكبير

B. H. Sumner, Ashort History of Russia, New York, 1949. P. 79.

⁽⁷⁷⁾ L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 55.

⁽⁷⁸⁾ B. H. Sumner, OP.Cit. P. 79; M. C. Wren, OP.Cit. P. 200; W. B. Walsh, Russia and the Soviet Union Amodren History, New York, 1968, P. 69.

المجاورة لنهر الفولغا واستراخان، وفي طبيعتها السواحل الشمالية لبحر قزوين ، ويمكن تأشير ذلك بداية التوجه الروسي نحو إيران والمناطق الغنية التي كانت بحوزتها ⁽⁷⁹⁾ .

لم تكن إنكلترا تؤدي دوراً كبيراً في حياة روسيا ، فحتى نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر ، كان يقد إلى روسيا عادة الأطباء ، وعمال المناجم وغيرهم من إيطاليا وألمانيا وفي بعض الأحيان من اليونان من دون أية مشاركة من الإنكليز ، لذا كان مجيء المستكشفين الإنكليز إلى روسيا ، وفتح باب الاتصالات الدبلوماسية الانكلو-روسية في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، يعد من الأحداث التاريخية المهمة ⁽⁸⁰⁾ ، حينما تمكن المغامر الإنكليزي ريتشارد تشانسيلر Richard Chancellor في عام 1553 ⁽⁸¹⁾ ، من اكتشاف طريق البحر الأبيض الشمالي والشمالي الشرقي، الذي يؤدي إلى بحر البلطيق ، بعد أن حطت سفينته التي تحمل اسم إدوارد بونفنتر Edward Bonaventure التي حملتها مائة وستة أطنان ، وعلى متنها سبعة وأربعين شخصاً ، على ساحل البحر الأبيض بالقرب من المنطقة المعروفة حالياً بأركانجل Archangel ذلك المكان الذي كان أول مكان يزوره الإنكليز ، والذي وجد بوساطتهم في الأراضي الروسية ، أصبح ميناء أركانجل يؤدي دوراً كبيراً في حياة الروس ، إذ كان المنفذ الوحيد الذي يفتح أمامهم باب الاتصال بأوروبا ، على الرغم من تجمد مياهه لأيام طويلة من العام ⁽⁸²⁾ .

وقد رحب الروس بريتشارد تشانسيلر وساعده في رحلته إلى موسكو، وهناك رحب به القيصر الروسي إيفان الرابع بحرارة ، وبعث معه عند عودته إلى إنكلترا في بداية عام 1554 رسالة ⁽⁸³⁾ ،

⁽⁷⁹⁾ كمال مظهر أحمد ، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، بغداد 1985، ص 13 ؛

L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 55.

⁽⁸⁰⁾ L-Lockhart, The Fall of the Safai, P.55 ; W. B. Walsh, OP.Cit. P.78; J. Hamel, OP.Cit. P. 99.

⁽⁸¹⁾ يشير علي أكبر بيينا إلى أن وصول ريتشارد تشانسيلر إلى روسيا كان في عام 1552 ، ينظر : علي أكبر بيينا، المصدر السابق ، ص 8 .

⁽⁸²⁾ J. Hamel, OP.Cit. PP. 2, 96, 110; I. Spector, An Introduction to Russia History and Culture, New York, 1965, P. 39; M. C. Wren, OP.Cit. PP. 190, 202; W. B. Walsh, OP.Cit. P. 78.

⁽⁸³⁾ J. Hamel, OP.Cit. PP. 2, 100-101; M. S. Anderson, OP.Cit. P. 1; M. C. Wren, OP.Cit. P. 203; I. Spector, OP.Cit. P. 39.

إلى الملك إدوارد السادس Edward VI (1547-1554)⁽⁸⁴⁾ لإقامة علاقات تجارية بين البلدين , لكن موت الأخير في السادس من حزيران من العام نفسه , أدى إلى تسليم تلك الرسالة إلى الملكة ماري الأولى Mary I (1554-1558), التي سمحت لتشانسلر ومجموعة من التجار الإنكليز , بتأسيس شركة تجارية في لندن , للعمل بين الجزر البريطانية والممتلكات الروسية فصدر امتياز خاص بتأسيسها , يحمل توقيع فليب وماري Philip and Mary في السادس والعشرين من شباط عام 1555, وكان تشانسلر قد حصل في العام السابق على موافقة إيفان الرابع , بتأسيس تلك الشركة في إنكلترا للقيام بالتجارة مع روسيا , وكثيراً ما كان يتغير اسم الشركة من حين إلى آخر , فكانت تعرف باسم الشركة الروسية Russia Company تارة , أو الشركة المسكوفية في لندن The Muscovy Company of London تارة أخرى, فتبلورت العلاقات التجارية بين إنكلترا وروسيا , وأخذت الشركة الروسية ترسل في بداية كل عام, ما بين ثلاث عشر إلى أربع عشر سفينة, محملة بالمنسوجات والصفائح والذخائر الحربية وغيرها من البضائع إلى الأسواق الروسية, بينما كانت مادة الشمع والكتان والفرو والنفط التي كانت تنقل بواسطة الشركة , قد وجدت لها أسواق جيدة في إنكلترا⁽⁸⁵⁾.

لقد تم تأسيس تلك الشركة على الرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين حتى النصف الثاني من القرن السادس عشر , حينما أنتدب إيفان الرابع أوسيب نيبا Ossip Nepa ممثلاً عنه إلى إنكلترا , من أجل تعزيز العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين , فقد شهد اللندنيون في الثامن والعشرين من شباط عام 1557 لأول مرة دخول السفير الروسي مدينتهم , وكان يصحبه عدد من اللوردات الإنكليز, وحينما كان يسير في شارع المدينة متوجهاً إلى مسكنه المخصص له , احتشد جمع غفير من الناس لتحيته , إذ انه كان يشق طريقه بصعوبة , على الرغم من الإدارة الكبيرة التي كانت تقوم بتنظيم عملية الاستقبال , وحينما عاد السفير الروسي إلى موسكو اصطحب معه عدداً من المثقفين الإنكليز , لاسيما من الأطباء والمهندسين للخدمة في بلاده⁽⁸⁶⁾ .

ولكي يبرهن القيصر الروسي إيفان الرابع , على مدى حرصه على تعزيز العلاقات مع إنكلترا, سمح للتجار الإنكليز بعد عام 1558 باستخدام طريق نارفا Narva التجاري بكل حرية , وإن لا يتعاملوا تجارياً مع موسكو فقط , بل سمح لهم التعامل التجاري مع قازان واستراخان معاً,

(84) لما مرض الملك إدوارد السادس وأشرف على الموت عام 1552, تولت الحكم الأميرة ماري ابنة هنري الثامن من زوجته الأولى كاترين الارجوانية , ينظر :

عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار , المصدر السابق , ص 201 .

(85) M. S. Anderson, OP.Cit. PP. 4 - 5; M. C. Wren, OP.Cit. P. 203; L-Lockhart, Persian Cities, P. 75; J. Hamel, OP.Cit. PP. 102, 108; W. B. Walsh, OP.Cit. P. 79.

(86) M. S. Anderson, OP.Cit. PP. 1-3 ; M. C. Wren, OP.Cit. P. 203 .

وان لا تفرض عليهم ضرائب ترانسييت , عند استخدامهم طريق الفولغا إلى إيران وآسيا الوسطى⁽⁸⁷⁾, وكان التجار الإنكليز قد انتخبوا انتوني جنكنسون **Anthony Jenkinson** - لذي يُعد واحداً من كبار الرحالة والمستكشفين الإنكليز - في النصف الثاني من القرن لسادس عشر في عهد الملكة اليزابيث , ممثلاً عن الشركة الروسية لدراسة أفضل الطرق التي تمر عبر روسيا وبحر قزوين , من أجل الحصول على الحرير الإيراني , وإقامة علاقات تجارية بين إنكلترا وبين إيران والهند , ولتحقيق ذلك الهدف , قام انتوني جنكنسون في السادس والعشرين من تشرين الأول عام 1562 بزيارة المدينة الإيرانية أردبيل, وكان أول إنكليزي يضع خارطة لروسيا , التي طبعت في لندن في العام نفسه , فيها معلومات جغرافية مهمة إذعتمد عليها طيلة القرنين التاليين⁽⁸⁸⁾.

ثابر ايفان الرابع على مفاوضاته⁽⁸⁹⁾ مع الملكة اليزابيث , ففي عام 1567 بعث لها طلب بوساطة انتوني جنكنسون من أجل إقامة حلف بين البلدين , والأكثر من ذلك أبدى رغبة شديدة في أن يتزوج من إحدى الإنكليزيات , بل أنه كان يود أن يتأكد من حصوله على ملجأ في إنكلترا إذا ما أرغم على الفرار من بلده , لأن القيصر كان يخشى من قوة السويد وبولندا , فبعثت الملكة اليزابيث بوساطة سفيرها توماس راندولف **Thomas Randolph** الذي زار موسكو في العام التالي, بان القيصر يستطيع ان يتيقن من حصوله على ملاذ في إنكلترا عند الضرورة⁽⁹⁰⁾ .

كانت الشركة الروسية أو الشركة المسكوفية كما كانوا يسمونها , قد بعثت في عام 1573 حملة كشفية إلى إيران , بقيادة عضو الشركة جيوفري دوكيت **Geofrey Ducket** التي ظلت عدة أسابيع في كاشان , من أجل إقامة علاقات تجارية مع إيران⁽⁹¹⁾ .

ولم تشهد العقود اللاحقة لوفاة ايفان الرابع , في الثامن عشر من آذار عام 1584 حدثاً بارزاً في علاقات روسيا الخارجية , بسبب ضعف القياصرة الروس الذين خلفوه , وبسبب

⁽⁸⁷⁾ I. Spector, OP.Cit. P. 39.

⁽⁸⁸⁾ M. S. Anderson, OP.Cit. PP. 6, 16 ; L-Lockhart, Persian Cities, P. 54; L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 56; علي أكبر بينا , المصدر السابق , ص , 95 .

⁽⁸⁹⁾ للمزيد من المعلومات عن المفاوضات التي تمت بين القيصر ايفان الرابع والملكة اليزابيث , ينظر :

J. Hamel, OP.Cit. PP. 189-239.

⁽⁹⁰⁾ Ibid , P. 189 ; M. S. Anderson, OP.Cit. P. 8; M. C. Wren, OP.Cit. P. 203.

⁽⁹¹⁾ L-Lockhart, Persian Cities, P. 123.

الاضطرابات⁽⁹²⁾، التي حلت بروسيا في مطلع القرن السابع عشر ، لكن حكم أسرة رومانوف دشن بداية في علاقات روسيا الخارجية⁽⁹³⁾، لا سيما مع إيران التي لم يكن التوجه الروسي نحوها في بدايته ، قد إتخذ طابعاً سلمياً صرفاً، ففي عام 1636 مثلاً ، قام قطاع الطرق ذوو السمعة السيئة ، بقيادة ستنكا رازين Stenka Razin مع عصابته المؤلفة من خمسمائة من قوزاق الدون ، بالهجوم على مدينة انزلي الإيرانية ونهبوها ، ثم زحفوا نحو مدينة رشت ونهبوها أيضاً ، ويبدو أن الضرر الذي لحق بالمدينتين لم يكن قاسياً ، لأن آدم اولريوس Adam Olearius الذي كان في مدينة رشت مع عدد من أعضاء بعثة هولشتاين الهولندية Duke of Holstein بعد عامين من ذلك الحادث ، لم يشر إلى ذلك الهجوم الذي عدّ أول عمل عدائي روسي ضد إيران⁽⁹⁴⁾ ، وفي عهد الشاه الصفوي عباس الثاني (1642-1666) وصلت أصفهان في عام 1664 أول بعثة دبلوماسية روسية ضخمة ، باسم القيصر ألكسي ميخائيلوفيتش Alexis Michaelovitch (1645-1676) ، تتألف من سفيرين وما لا يقل عن ثمانمائة تابع ، تم استقبالهم بتميز كبير واسكنوا في القصور الملكية ، لكن عندما أكتشف الشاه أن هذه البعثة كانت بهدف التجارة ، وان تنكر السفراء فُسر على أنه لتجنب دفع الضرائب الكمركية على البضائع التجارية ، التي كانوا قد جلبوها معهم إلى البلاد ، فقد غضب الشاه من هذا التعامل ذو الوجهين من الروس ، على حد وصف كيرزن ، الأمر الذي أدى به إلى طردهم من البلاد من دون أن يحققوا أي نتيجة ، وبعد ثلاثة عقود من ذلك التاريخ وبالتحديد في عام 1696، وصل تاجران روسيان هما

⁽⁹²⁾ أطلق على الحقبة 1605 – 1613 عصر المتاعب في روسيا ، فقد تعرضت البلاد بعد وفاة بوريس فيدروفيتش (1598-1605) إلى الانهيار القومي ، فضلاً عن الغزو البولندي Boris Fedorovitch Godunoff كودونوف كانت تكمن اللصوصية والمجاعة والمرض ، وأخذت تنتشر في بعض المناطق ظاهرة أكل اللحوم البشرية ، وفي تلك البلاد التي عرفت الحكومة المركزية الصارمة ، اختفت السلطة الحاكمة باستثناء المناطق التي كان يسيطر عليها ملوك الأعداء وقادة جيوشهم ، وبعد ان تم طرد البولنديين من موسكو وضع حد لذلك الفرع المنهك من القياصرة (1613-1645) على يد مجلس Michael Filaret Romanov المدّعين ، أُنْتُخِبَ ميخائيل فاليري رومانوف يمثل البلاد ، وكان اقرب شيء إلى البرلمان الحقيقي، الذي لم تشهده موسكو حتى ذلك الحين ، وهكذا تم إنقاذ روسيا التي دخلت في طور النقاهة بعد مرض رهيب . على حد وصف رايموند بيزلي، ينظر : رايموند بيزلي ، المصدر السابق ، ص 32 . للمزيد من التفاصيل عن عصر المتاعب في روسيا ، ينظر :

M. C. Wren, OP.Cit. PP. 205-222; W. B. Walsh, OP.Cit. PP. 89-93.

⁽⁹³⁾ M. C. Wren, OP.Cit. P. 225; J. Hamel, OP.Cit. P. 238.

⁽⁹⁴⁾ L-Lockhart, Persian Cities, P. 75; L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 58.

سيمون مالمينكي Semeon Malinky واندري سيمينوف Andrei Semenov إلى مدينة أصفهان ,
توجها منها إلى ميناء بندرعباس في الخليج العربي , ثم سافرا من هناك إلى الهند بحراً⁽⁹⁵⁾.
لكن أحداث النقلة الكبيرة في حياة روسيا السياسية في القرن الثامن عشر , ترجع إلى
طومحات بطرس الكبير Peter the Great (1689 . 1725) البعيدة المدى , الذي يصفه
كيرزن بـ"الرجل العجيب", الذي كان يدرك حاجة بلاده إلى فتح نافذة بحرية تطل على
المياه الدافئة, لتطوير روسيا وجعلها في مصاف الدول الكبرى⁽⁹⁶⁾ , ومما يؤشر على طموحاته
مضمون وصيته التي انتشرت في القرن التاسع عشر , التي تؤكد ضرورة توجه روسيا نحو الهند
ومنطقة الخليج العربي , ففي الفقرة التاسعة من وصيته الشهيرة التي نسبت إليه , بغض النظر
عن صحتها أو عدم صحتها , لكنها أثرت تأثيراً كبيراً في الرأي العام البريطاني حينذاك , ومما
جاء في بعض منها: "إلى الاقتراب قدر الإمكان من اسطنبول والهند , ومن يحكم هناك سيكون
الحاكم الفعلي للعالم , سيطروا على إيران من أجل الانسلاخ نحو الخليج , أعيدوا ما أمكن التجارة
القديمة مع الشرق الأدنى, وتقدموا نحو الهند التي هي مخزناً للعالم , فإذا ما وصلنا إليها فلن
نكون بحاجة إلى ذهب إنكلترا أبداً"⁽⁹⁷⁾ .

ولكي يضع بطرس الكبير طموحاته موضع التنفيذ , توجه في نهاية القرن السابع

عشر

الجنوب حين نجحت حملته الثانية⁽⁹⁸⁾ , في الاستيلاء على حصن آزوف Azov⁽⁹⁹⁾ , في عام
1696 الذي كان خاضعاً للسيطرة العثمانية , والذي يقع على نهر الدون , الأمر الذي فتح

⁽⁹⁵⁾ J. T. Krussinski, The History of the Revolutions of Persia, New York, 1973, PP. 48, 53;
G. N. Curzon, OP.Cit. P. 549; P. Sykes, OP.Cit. P. 212 ;L-Lockhart, The Fall of the Safai,
P. 57-58.

⁽⁹⁶⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P. 540; B. H. Sumner, OP.Cit. P. 10.

⁽⁹⁷⁾ Quoted in: P. Sykes, OP.Cit. P. 245 .

للمزيد من التفاصيل عن وصية بطرس الكبير . ينظر :

Ibid , PP. 244-246;

علي أكبر بيضا , المصدر السابق , ص12.

⁽⁹⁸⁾ اخفقت حملة بطرس الكبير الأولى على حصن آزوف في عام 1695 , بسبب افتقارها إلى دعم القوة البحرية
الضرورية , الأمر الذي دفعه إلى الاهتمام بتلك القوة في حملته الثانية , التي تكللت بالنجاح في العام التالي .
ينظر :

B. H. Sumner, Peter the Great and the Ottoman Empire, Hamden Connecticut, 1965,
PP. 18-19.

الطريق أمامه للوصول إلى البحر الذي يحمل الاسم نفسه ، وبعد أن حول حصن آزوف إلى قاعدة بحرية ، أصبح لدى روسيا في عام 1699 أربع عشرة سفينة ، بعضها يحمل اثنان وستين مدفعاً تعمل هناك ⁽¹⁰⁰⁾ .

وقد ازداد اهتمام بطرس الكبير بإيران ، لاسيما انه كان يطمح إلى إقامة تجارة مباشرة بين روسيا والهند ، إما عن طريق بحر قزوين مروراً بإيران ، أو عن طريق خيوة وبخارى ، وتحويل تجارة الترانسيت للحريز والبضائع الأخرى بين إيران وأوروبا عبر روسيا ، بدلاً من سمرقند وحلب ، وقد هيا لهذه السياسة كل المستلزمات السلمية والعسكرية ، ففي عام 1708 بعث السفير اسرائيل أوري Israel Ori أو (Orii) ، إلى البلاط الإيراني في أصفهان ، الأمر الذي أثار مخاوف ممثلي الدول الأوروبية الأخرى في إيران ، لاعتقادهم أن إقامة العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين روسيا وإيران سيكون على حسابهم ، وبعد سبعة أعوام بعث السفير ارتيم بيتروفيتش فولينسكي Artemii Petrovich Volynsky ، إلى بلاط الشاه سلطان حسين (1694-1722) في أصفهان لعقد معاهدة تجارية بين البلدين ، وزوده بتعليمات تقضي باقناع الإيرانيين ، في تحويل نقل الحريز الإيراني المار إلى أوروبا عبر الأراضي السورية والعثمانية إلى الأراضي الروسية ، وإذا اخفق في ذلك فعليه عرقلة التجارة الإيرانية - الأوربية ، وعليه العمل على جمع معلومات تفصيلية عن إيران ومواصلاتها وأنهارها وقوتها العسكرية ، وعلى الرغم من النجاح الكبير الذي حققته بعثة السفير فولينسكي في إيران ، لكن بطرس الكبير أصدر تعليمات تقضي بالتوسع في جمع معلومات جديدة عن إيران ، ولتحقيق ذلك بعث بيكوفيتش Beckovitz في عام 1717 لاستكشاف القنوات القديمة والجديدة في نهر أوكسس Oxus ، وجمع معلومات عن سواحل قزوين والطرق العسكرية في المناطق الشمالية من إيران ، وكانت روسيا قد توصلت في العام نفسه إلى عقد معاهدة تجارية مع إيران ، التي منحت بموجبها التجار الروس حق شراء الحريز الإيراني ، وممارسة أعمالهم التجارية بحرية في جميع أنحاء البلاد ، فضلاً عن تعهد الحكومة الإيرانية بتوفير الحماية للرعايا الروس في الممتلكات الإيرانية ، وكانت تجارة الحريز إحدى الإغراءات التي جذبت بطرس الكبير إلى إيران ⁽¹⁰¹⁾ ، ويبدو انه لم يكتف بما حققه من مكاسب اقتصادية في

⁽⁹⁹⁾ أعيد إلى السيطرة العثمانية ثانية عام 1711، ثم الحق بروسيا بشكل نهائي في عام 1774 بموجب معاهدة كوجك كينارجي ، ينظر :

Ibid, PP. 76-77.

⁽¹⁰⁰⁾ Ibid.P. 77.

⁽¹⁰¹⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. P. 540; P. Sykes, OP.Cit. P. 214; L-Lockhart, The Fall of the Safai, PP. 63, 176; L-Lockhart, Persian Cities, PP. 75, 125, 130;

إيران , لذلك كَلَّف في عام 1717 فولينسكي سفيره في العاصمة الإيرانية أصفهان , أن يزور مدينة رشت , التي تقع على بعد عشرة أميال جنوب بحر قزوين , بصدد تنشيط التجارة الروسية فيها , وتمخض عن زيارة السفير الروسي أن أصبحت رشت مركزاً تجارياً مهماً بين روسيا وإيران , لاسيما بعد فتح قنصلية روسية فيها في عام 1720 , ووصول القنصل الروسي سيمون افراموف Semeon Avramov في تشرين الأول من العام نفسه مدينة قزوين , إذ كان البلاط الإيراني لا يزال باقياً فيها بدلاً من العاصمة أصفهان , وذلك لاستلام منصبه⁽¹⁰²⁾ .

وقام بطرس الكبير في أيلول من العام نفسه , بتعيين سفيره السابق فولينسكي في إيران حاكماً على استراخان , وقبل أن يقوم باتخاذ تلك الخطوة , كان قد أمر ضابط البحرية الروسي فيدور ايفانوفيتش سيمونوف Feodor Ivanovich Soimonov , والكابتن الهولندي كارل فان فيردن C. Carl Van Verden الذي يعمل في البحرية الروسية , ان يقوموا بفحص مفصل لبحر قزوين وسواحلها , وقد وضعوا في العام التالي خارطة مفصلة , عن تلك المناطق التي قاما بمسحها ودراستها , لذلك اتخذ بعض الخطوات لتحسين البحرية الروسية في بحر قزوين , بتشغيل الكابتن البريطاني بي. هـ. بروس P. H. Bruce للقيام بعمل استطلاع لسواحلها , لكن بطرس الكبير لم يعيش طويلاً ليشهد تحقيق خطته , وقبل أشهر قليلة من وفاته قام بمحاولة بوساطة التاجر البريطاني ريتشارد ماينوارينك Richard Mainwaring لدعوة تجار لندن , تهدف إلى إعادة تجارة الترانسيت من خلال الأراضي الروسية بين بريطانيا وإيران , التي توقفت قبل مائة وخمسين عاماً , لكن وفاته في كانون الثاني عام 1725 حالت دون ذلك , وبتنفيذ مخلص لأفكاره بصدد تعزيز العلاقات الاقتصادية بين بريطانيا وروسيا , قامت الامبراطورة آن Anne (1730-1740) في كانون الأول عام 1734 , بتوقيع امتياز يمنح البريطانيين حق نقل البضائع , التي تنقل عبر روسيا من وإلى إيران بضريبة كمركية نسبتها ثلاثاً بالمائة فقط⁽¹⁰³⁾ .

أما بصدد توجه الروس نحو شعوب بلاد ما وراء القفقاس , فقد جاء على أثر استيلاء تلك الشعوب من سياسة حكام إيران , ومحاولة الروس استغلالها بما يخدم مصالحهم في المنطقة , ففي العقد الرابع من القرن الثامن عشر , وصل عدد اللاجئين الجورجيين إلى موسكو وحدها ثلاثة آلاف شخص تقريباً , الأمر الذي أسهم كثيراً في توطيد علاقاتهم بالروس⁽¹⁰⁴⁾ , وازداد التقارب أكثر بين الجانبين حينما توصل الروس في الرابع والعشرين من كانون الثاني من عام 1783 , إلى عقد معاهدة صداقة سرية مع الحاكم الجورجي هيراكلي الثاني Heraclius II (1744-1798) وضع نفسه بموجبها تحت حماية الإمبراطورة كاترين الثانية Catherine II

⁽¹⁰²⁾ L-Lockhart, The Fall of the Safai, P. 177 ; L-Lockhart, Persian Cities, PP. 73,75.

⁽¹⁰³⁾ G. N. Curzon, OP.Cit. PP. 540 – 541; L-Lockhart, The Fall of the Safai , PP. 176-177.

⁽¹⁰⁴⁾ كمال مظهر أحمد , المصدر السابق , ص 22 .

(1762 . 1796) ⁽¹⁰⁵⁾، فكانت بمثابة خطوة في طريق تنفيذ وصية بطرس الكبير في التوجه الروسي الى الجنوب ⁽¹⁰⁶⁾، ويبدو أن إقدام الحاكم الجورجي على هذا التصرف هو خشيته من إيران ، التي كانت تدعي السيادة على جورجيا ⁽¹⁰⁷⁾ منذ عهد الصفويين ، لكن رافق التوجه الروسي الى جورجيا ظهور الأسرة القاجارية على المسرح السياسي، فما ان استقرت الأمور في إيران في أواخر عام 1794 لمؤسس تلك الأسرة ، آغا محمد خان (1742-1797) ⁽¹⁰⁸⁾، حتى بعث في العام التالي رسالة تهديد إلى هيراكلي الثاني الحاكم الجورجي ، يطالبه فيها الاعتراف بسيادة إيران على بلاده ، وقد جاء فيها ما نصه: "حكم الشاه اسماعيل الصفوي كل جورجيا التي يجب ان تعود إلى إيران وحكومتها ، ويمكنك أن تبقى حاكماً عليها باسم إيران ، وإلا فسندرك من تلك الممتلكات" ، وهدده في ختام رسالته ما نصه : "إنني اليوم أصبحت في أوج قوتي ، أنذركم أن تقطعوا علاقاتكم مع روسيا ، وإلا فسوف أقود جيشي حالاً إلى جورجيا ، وسأريق نهرًا من دماء الروس والجورجيين" ، لكن قوة نفوذ كاترين الثانية وتسلسلها في جورجيا من جهة ، وحاجة

P. Sykes, OP.Cit. P. 292. ⁽¹⁰⁵⁾ علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 38 ؛

⁽¹⁰⁶⁾ المصدر نفسه ، ص 39 ؛ علي خضير عباس المشايخي ، إيران في عهد ناصر الدين شاه 1848-1896 ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1987 ، ص 50 ، ومن الجدير بالذكر أن الباحث الثاني يقع في التباس عند استعراضه ، أحداث منتصف القرن الثامن عشر في إيران ، حينما يشير إلى أن خطة الجنرال الروسي السرية لغزو الهند ، كانت في عام 1785 ، والصحيح أن تلك الخطة كانت قد **G. Kuropotkin** كروبتكين وضعت في عام 1885 ، وفقاً لما أشار اليه مصدر كيرزن الذي إستند اليه الباحث . ينظر : علي خضير عباس ينظر : المشايخي ، المصدر السابق ، ص 50 ، بشأن تلك النقطة بالذات

G. N. Curzon, OP.Cit. P. 597.

⁽¹⁰⁷⁾ كانت جورجيا قد احتلت في بداية القرن السادس عشر من إيران ، لكن الجورجيين كانوا يميلون إلى روسيا التي لم تكن قوية بدرجة كافية لانتصارها على إيران حينذاك ، إلى ان حل عهد كاترين الثانية التي عززت من وجودها في في عام 1801 بالإمبراطورية الروسية ، لكن لم يرض ذلك إيران التي تمكنت **Paul I** جورجيا ، ثم ألحقها بأول الأول من احتلالها ، في أثناء حربها مع روسيا في عام 1805 ، ثم عادت إلى أحضان روسيا في نهاية تلك الحرب في ينظر : . عام 1813

W. B. Walsh, OP.Cit. P. 169;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 90 .

⁽¹⁰⁸⁾ **H. Busse, History of Persia under Qajar Rule, Translated from Persia of Hasari – E- Fasais Farsnama-ye Naseri, New York, 1972, PP. 66-67;**

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 33-34 ، 37 ؛ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 23.

هيراكلي الثاني الشديدة لحماية روسيا من جهة أخرى ، جعلته يرفض رسالة آغا محمد خان عندما قال ما نصه : " أنه لا يعترف إلا بسلطة كاترين الثانية إمبراطورة روسيا" ⁽¹⁰⁹⁾ , الأمر الذي دفع آغا محمد خان إلى قيادة حملة عسكرية في ربيع عام 1795 من طهران , على العاصمة الجورجية تبليس (تفليس) , وحينما دخل جيشه المدينة كان حاكمها هيراكلي الثاني , قد هرب مع عائلته إلى المنطقة الجبلية المجاورة إذ لم تكن , النجدة الروسية متيسرة في الحال , لأن آغا محمد خان كان قد أعد حملته بكتمان شديد , لحرمان روسيا من محاولة تقديم النجدة لجورجيا , وبعد أن أمضى آغا محمد خان تسعة أيام في تبليس , التي قاست من النهب والفظائع الأخرى على أيدي الإيرانيين ⁽¹¹⁰⁾ , رجع إلى بلاده مستصحباً معه خمسة عشر ألف شخصاً من أهلها ⁽¹¹¹⁾ , يشير الدكتور كمال مظهر أحمد : "حول معظمهم إلى خدم في بيوت الأمراء والأثرياء" ⁽¹¹²⁾ , مما أدى إلى إثارة غضب الإمبراطورة كاترين الثانية , التي تعدّ سكان جورجيا من السلاف وكانوا يعيشون في ظل وحماية الإمبراطور الروسي منذ عهد بعيد , لذا استغلت انشغال آغا محمد خان في حملته العسكرية على خراسان , للقيام بإرسال حملة عسكرية روسية إلى شمال غرب إيران , في نهاية عام 1795 بقيادة الجنرال الروسي كودوفيتش General Goudowich وحينما تقدمت الحملة نحو درند , تم تعزيزها في ربيع عام 1796 بقوة بلغ تعدادها , ثلاثة عشر ألف مقاتل بقيادة الجنرال الروسي فاليري زوبوف V.Zubov , فوصل مجموع تلك القوات إلى أربعين ألف مقاتل , تمكنت القوات الروسية من خلال عملياتها العسكرية السريعة , من احتلال قلاع درند وباكو وطالش وكنجة , مهددة في الوقت نفسه أذربيجان , التي يعني سقوطها بأيدي القوات الروسية سقوط السلطة في إيران ⁽¹¹³⁾ , مما دفع آغا محمد شاه ⁽¹¹⁴⁾ ,

⁽¹⁰⁹⁾ Quoted in: H. Busse, OP.Cit. P . 66;

علي أكبر بيضا , المصدر السابق , ص 39-40 .

⁽¹¹⁰⁾ Ibid, P. 67; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1858; P. Sykes, OP.Cit. PP. 292-293;

علي أكبر بيضا , المصدر السابق , ص 43-44 ؛ كمال مظهر أحمد , المصدر السابق , ص 25-26 .

⁽¹¹¹⁾ H. Busse, OP.Cit. P. 67.

ينظر . يشير سايكس إلى أن عدد الذين تم نقلهم من قبل آغا محمد خان , من جورجيا إلى إيران بلغ عشرين ألف شخص :

P. Sykes, OP.Cit. P. 293.

بينما يشير د. كمال مظهر أحمد إلى أن عددهم بلغ ستة عشر ألف شخص ينظر :

كمال مظهر أحمد , المصدر السابق , ص 26 .

⁽¹¹²⁾ نقلاً عن المصدر نفسه .

إلى التوجه من مشهد إلى طهران التي وصلها في العشرين من أيلول من العام نفسه ، للقيام بالاستعدادات العسكرية اللازمة لصد الهجوم الروسي الذي أخذ يهدد بلاده ، لكن خطر ذلك الهجوم ، على أية حال تلاشى بموت كاترين الثانية في التاسع⁽¹¹⁵⁾ من تشرين الثاني عام 1796، بعد أن أصدر ابنها وخليفته باول الأول Paul I (1796-1801) وأمره بعودة القوات الروسية إلى داخل بلادها⁽¹¹⁶⁾، وقد شجع انسحاب الروس آغا محمد شاه على الشروع بهجوم ثانٍ في ربيع العام التالي على جورجيا، ووفقاً لما يشيره لوريمر : "لكن عقله بدأ يختل ، وفي أثناء سير حملته أغتاله اثنان⁽¹¹⁷⁾ من خدم منزله⁽¹¹⁸⁾ " في السابع عشر من حزيران من العام 1797⁽¹¹⁹⁾ ، كان قد حكم عليهما وفقاً لوصف لوريمر : "الذنب بسيط، ثم عفا عنهما بينما كانا ينتظران مصيرهما"⁽¹²⁰⁾ .

أعقب اغتيال آغا محمد شاه حالة من الهدوء النسبي في علاقات روسيا بإيران ، إلا أنه سرعان ما دخلت روسيا في نزاع خطير مع إيران ، فقدت الأخيرة فيه بعض المناطق فيما وراء القوقاز كانت بيدها إلى عهد قريب⁽¹²¹⁾ .

ويمكن القول أن الروس حتى مطلع القرن التاسع عشر ، كان نشاطهم مركزاً على إيران ولم يصلوا إلى الخليج العربي ، إلا في الحقبة السابقة تجاراً أو رحالة ، فأصبحت إيران في مطلع

⁽¹¹³⁾ H. Busse, OP.Cit. P. 71; P. Sykes, OP.Cit. P. 294;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 48-49 ؛ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 26 .

⁽¹¹⁴⁾ لم يتّوج آغا محمد خان شاهاً حتى عام 1796 ، ينظر :

P. Sykes, OP.Cit. P. 293; L-Lockhart, Persian Cities, P. 6.

⁽¹¹⁵⁾ يشير بوس إلى أن موتها كان في السابع عشر من تشرين الثاني عام 1796 ، ينظر :

H. Busse, OP.Cit. P. 72.

⁽¹¹⁶⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1859; P. Sykes, OP.Cit. P. 294.

⁽¹¹⁷⁾ يشير بوس إلى أن ثلاثة من حراسة اشتركوا في مؤامرة اغتياله ، ينظر :

H. Busse, OP.Cit. P. 74.

⁽¹¹⁸⁾ Quoted in: J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1859; P. Sykes, OP.Cit. P. 294.

⁽¹¹⁹⁾ H. Busse, OP.Cit. P. 74.

⁽¹²⁰⁾ Quoted in: J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1859.

⁽¹²¹⁾ كمال مظهر احمد ، المصدر السابق ، ص 28 ؛

J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1873-1874.

ذلك القرن بلاداً تتنافس عليها أكثر من قوة ، فالروس دفعتهم انتصاراتهم للتفكير بتقدم جديد ،
والبريطانيون خشوا من هذا التقدم على مصالحهم في الخليج العربي والهند ، وبدأت فرنسا تخطط
للوصول إلى منطقة الخليج العربي والهند من خلال تنسيق نابليون مع إيران .

الفصل الثاني

التنافس البريطاني - الروسي في منطقة الخليج

العربي

1798 - 1857

النشاط الفرنسي وانعكاسه على التنافس البريطاني – الروسي في منطقة الخليج العربي 1798 – 1809 .

كان التنافس البريطاني الروسي في منطقة الخليج العربي قد أخذ أبعاداً أوسع من الخليج العربي , شمل إيران وأفغانستان على أساس ان التنافس في هذه المنطقة , سيتترك أثره في الخليج العربي محورالتنافس .

دخلت إيران في حسابات الاستراتيجية البريطانية لتؤدي دوراً ايجابياً في الدفاع عن المستعمرات البريطانية في الهند , إذ اعتقدت السلطات البريطانية أن تحالفها مع إيران يمنع هذا التهديد , الذي يأتي من مصدرين أولهما نابليون, الذي احتل مصر في تموز عام 1798 وما تلى ذلك من حديث عن خطته لغزو الهند , أما التهديد الثاني فكان مصدره أفغانستان⁽¹²²⁾, التي قام حاكمها زمان شاه (1793-1801) بغزو شمال الهند , ووصول قواته في خريف عام 1798 إلى بيشاور في طريقها إلى البنجاب⁽¹²³⁾, وفي ضوء ذلك غادر بومباي في أيلول من العام نفسه , أول مبعوث بريطاني إلى بلاط فتح علي شاه(1797-1834) وهو مهدي علي

⁽¹²²⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 68; R. K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran Adeveloping Nation in World Affairs, Verginia, 1966, PP. 38-39.

⁽¹²³⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 68.

خان⁽¹²⁴⁾، في بعثة مؤقتة إلى البلاط الإيراني بتكليف من جوناثان دونكان Jonathan Duncan حاكم بومباي، وكان المبعوث قبل رحيله من الهند بمدة قصيرة قد عين مقيماً في بوشهر في الخليج العربي، وكان لهذه البعثة هدفين رئيسيين الأول اقناع فتح علي شاه باستمراره في مشاغلة زمان شاه على حدود أفغانستان الغربية، لأن إيران هي المفتاح لوضع حد لتهديدات زمان شاه، فضلاً عن ذلك فإن فتح علي شاه كانت تراوده الأطماع في توسيع منطقة نفوذه إلى خراسان، كما كان يسعى إلى أن يسترد من زمان شاه المناطق التي كانت في حوزة الصفويين سابقاً، وكان يبدو أنه لو أمكن تقديم مساعدات مغرية إليه، فإن ذلك قد يؤدي إلى حدوث انشقاقات في أفغانستان الغربية، مما يرغم زمان شاه على التخلي عن غزو الهند، وألهدف الثاني العمل على إقصاء النفوذ الفرنسي من إيران، وفيما يتعلق بالهدف الأول، يبدو أن حكومة الهند وضعت تحت تصرف مبعوثها، اثنين أو ثلاث لكات⁽¹²⁵⁾ من الروبيات الهندية نفقات سنوية، أما عن تعيينه مقيماً بريطانياً من مقره في بوشهر، فكان من المتوقع أن يزيد المبعوث من مبيعات شركة الهند الشرقية من البضائع البريطانية في إيران، والحصل على أسعار أفضل لمستورداتهم من الأسعار السائدة حينذاك⁽¹²⁶⁾.

طلبت بومباي من مهدي علي خان مقيمها الجديد في الخليج العربي، زيارة مسقط قبل التوجه إلى مقيمته في بوشهر، من أجل التوصل إلى عقد اتفاقية سياسية مع سلطان بن أحمد (1804.1792) حاكم مسقط، وإقصاء الفرنسيين وحلفائهم الهولنديين من ممتلكاته، وإقناعه بإقامة وكالة لشركة الهند الشرقية في مسقط، وتزويده بطبيب جراح بريطاني من بومباي بدلاً من الطبيب الفرنسي الذي يعمل في خدمته⁽¹²⁷⁾.

وصل مهدي علي خان إلى مسقط في الأسبوع الأول من تشرين الأول من العام 1798، وبعد بضعة أيام من المحادثات مع حاكمها، تمكن من اقناعه بالتوقيع في الثاني عشر من الشهر نفسه، على عقد قولنامه Caulnama أو Cowlamah أو اتفاقية مكتوبة⁽¹²⁸⁾، وبذلك وفقاً لما

⁽¹²⁴⁾ هو فارسي الأصل من عائلة خراسانية استوطن الهند، عمل موظفاً في شركة الهند الشرقية البريطانية، كان يتمتع

بثقة جوناثان دونكان حاكم بومباي التامة، لذا اختاره مقيماً في الخليج العربي. ينظر :

J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1884-1885.

J.B. Kelly, OP.Cit.P.73.⁽¹²⁵⁾ لك من الروبيات الهندية يساوي عشرة آلاف جنيه استرليني. ينظر :

⁽¹²⁶⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II PP. 1884-1885 ; J. B. Kelly, OP.Cit PP. 66-68 .

⁽¹²⁷⁾ S. B. Miles, OP.Cit. P. 291; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 66.

⁽¹²⁸⁾ Ibid.; Ibid ; I. Skeet, OP.Cit. PP. 213-214.

يشير مايلز إلى أن وصول مهدي علي خان إلى مسقط كان في أيلول عام 1798. ينظر :

يشيراليه مايلز , يعد سلطان بن أحمد أول حاكم في منطقة الخليج العربي يدخل في ارتباط سياسي⁽¹²⁹⁾ مع بريطانيا⁽¹³⁰⁾ , ويبدو من نصوص تلك الاتفاقية التي احتوت على سبع مواد⁽¹³¹⁾ , أن بريطانيا كسبته إلى جانبها في صراعها ضد فرنسا , بما في ذلك طردالفرنسيين وحلفائهم الهولنديين من ممتلكاته , فضلاً عن منح

بريطانيا الحق في اتخاذ قاعدة لها في بندر عباس , الذي كان شاه إيران قد تنازل عنه⁽¹³²⁾ لحاكم مسقط على سبيل التأجير , وإقامة أربعين أو خمسين من البريطانيين , إلى جانب سبعمئة أو ثمانمئة من القوات الهندية في قاعدة ذلك الميناء , وفقاً للبند السابع من الاتفاقية⁽¹³³⁾.

S. B. Miles, OP.Cit. P. 291.

ممثّل الشركة في سورات وحاكم مسقط في شباط⁽¹²⁹⁾ Philip Wylde حيث تم توقيع أول معاهدة تجارية بين فيليب وإيلد عام 1646 , احتوت على ثمانية بنود حصلت الشركة بموجبها , على امتيازات واسعة لكنها لم تستفد منها , وكادت الشركة ان تحصل في العام 1650 على إقامة مركز تجاري لها في مسقط , حينما جرى الاتصال بين سلطان بن . (1680 C) والإنكليز , عن طريق ممثّل الشركة الكولونيل رينسفورد - سيف الأول (1641) الذي أرسل في العام نفسه من سورات لمفاوضة حاكم مسقط , والحصول على موافقته بإقامة ذلك Rainsford المركز , لكنه أخفق في مهمته لوفاته المفاجئة , وحتى المعاهدة التي حصلت بموجبها الشركة على امتيازات واسعة لم توقع , وظلت إنكلترا تنتظر لمدة مائة وتسعة وثلاثين عاماً حينما حصلت على معاهدة مع مسقط , وذلك لأن سلطان بن سيف الأول وخلفاءه , قرروا عدم السماح لإقامة أية مؤسسة أوروبية على ارض مسقط , لما عاناه العرب من الوجود البرتغالي في الخليج العربي . ينظر :

I. Skeet, OP.Cit. PP. 38, 43, 211-212.

يشير د. صالح محمد العابد الذي نقل عن سكيت سهواً , إلى أن ممثلي الشركة في سورات أرسلوا الكولونيل رينسفورد في عام 1659 إلى عمان لمفاوضة حاكمها , في حين يشير سكيت إلى العام 1650 . ينظر : صالح محمد العابد , المصدر السابق , ص 55 ؛

I.Skeet,OP.Cit,P.38.

⁽¹³⁰⁾ **S. B. Miles, OP.Cit. P. 291.**

⁽¹³¹⁾ عن نصوص تلك الاتفاقية ينظر :

I. Skeet, OP.Cit. PP. 213-214.

⁽¹³²⁾ كان الشاه قد منح بندر عباس في عام 1794 إلى سلطان بن أحمد (1792-1804), على ان يدفع مقابل ذلك مبلغ قدره ستة آلاف تومان سنوياً , وهكذا فقد ظل بندر عباس ثلاثة ارباع القرن تابعاً إلى حاكم مسقط . ينظر :

S. B. Miles, OP.Cit. P. 287 .

ومن جانب آخر فقد أدى احتلال نابليون لجزيرة مالطا في البحر المتوسط ، اثناء تقدمه في عام 1798 من طولون إلى مصر، التي كانت في ذلك الحين تحت سيطرة فرسان القديس يوحنا⁽¹³⁴⁾ ، إلى إثارة غضب باول الأول القيصر الروسي الذي نصب نفسه حامياً لهم ، مما دفعه إلى أن يمد يده في كانون الأول من العام نفسه إلى بريطانيا ، فتقرر ان تعمل بريطانيا وروسيا معاً، على إعادة فرنسا إلى الحدود التي كانت عليها قبل الثورة⁽¹³⁵⁾ .

أما مهدي علي خان الذي تسلم منصبه في الثالث من تشرين الأول من العام 1799 مقيماً بريطانياً في الخليج العربي، من هانكي سميث **Hanky Smith** الذي كان يشغله عند وصوله ، فقد توجه إلى إيران ، التي كانت الميدان الثاني من وجهة نظر الساسة البريطانيين ، لاحتباط المخططات الفرنسية هناك ، وخول المبعوث ان يعرض على الشاه تزويد إيران بالأسلحة والذخائر مقابل وقوفه الى جانب بريطانيا ، وفي حالة احتجاج روسيا من تقديم تلك المساعدات ، فأن الحاكم العام في الهند سيدفع الساسة البريطانيين ، إلى استخدام نفوذهم في بطرسبورغ من اجل تسوية النزاع الروسي - الإيراني في القوقاز، وحمل مهدي علي خان إلى جانب الهدايا الثمينة خطاب إلى الشاه ، من دونكان حاكم بومباي يشير إلى العلاقات المتينة بين البلدين ، ومن خلال اتصاله بوزراء الشاه علم بإصرار الأخير، على القيام بأعمال عسكرية ضد جاره حاكم أفغانستان ، لذلك اعتقد المبعوث أنه من الأفضل أن يخفي أهداف بعثته الأساسية ، وعلى هذا الأساس تقدم بخطابات بدلاً من خطاب حاكم بومباي الذي أحضره معه ، مدعياً أنه أرسل لمجرد تقديم تعازي الحكومة البريطانية لفتح علي شاه في وفاة عمه ، وللتهنئة لمناسبة إرتقائه العرش ، وأنه تجنب ذكر الجهة التي يمثلها في القيام بأي عمل ضد زمان شاه، ووفقاً لما يشيره لوريمر ، وهي رغبة لو عرفت لورطتهم بكل تأكيد في النفقات⁽¹³⁶⁾.

كان فتح علي شاه في تموز عام 1799 في مشهد يهدد الحدود الأفغانية ، وحينما وصل مهدي علي خان إلى شیراز استقبل بحفاوة، وكان على اتصال دائم بشاه إيران ، بعدها توجه مهدي علي خان إلى طهران في الرابع من كانون الأول من العام نفسه ، إذ عاد الشاه في الوقت نفسه من خراسان، وحل ضيفاً على حجي إبراهيم رئيس الوزراء الإيراني ، وفي ثلاث اجتماعات

⁽¹³³⁾ Ibid, P.291; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 172; I. Skeet, OP.Cit. P. 214; J.B. Kelly, OP.Cit. P. 66; W. Phillips, OP.Cit. P. 70.

⁽¹³⁴⁾ A.G.Mazour, Russia Tsarist and Communist, Toronto Canada, 1962, P. 186; W. B. Walsh, OP.Cit. P. 167.

⁽¹³⁵⁾ أ. ج. جرانت وهارولد تمبرلي ، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789 . 1950 ، ترجمة : بهاء فهمي ، مراجعة : الدكتور عزت عبد الكريم ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 160-161 .

⁽¹³⁶⁾ صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص 104 - 105 J.G.Lorimer, OP.Cit.Vol.I.Part. II. PP.1885-1886;

مع الشاه تمت في غضون بضعة أسابيع من وصوله , نجح في إنجاز المهمة السياسية لبعثته كما يريد , وبالذات تحديداً وجوب صدور أوامر وفقاً لما يشيره لوريمر : "إلى جميع موانئ إيران لليقظة والقبض على أي شخص من الفرنسيين السفلة ! إذا ظهروا براً أو بحراً , أو كانوا متتكرين بحيث لا ينجوا منهم أحد حياً" , وقد قدرت تكاليف اعمال المبعوث في طهران باثنين ونصف لك روبية⁽¹³⁷⁾ .

وعلى الرغم من صدور التصريحات الإيرانية المؤيدة للبريطانيين ضد الفرنسيين , إلا ان اللورد ولزلي⁽¹³⁸⁾ الحاكم العام للهند وجدها غير كافية , لا سيما بعد وصول تقارير في صيف عام 1799 إلى حكومة الهند , تؤكد قدرة زمان شاه على تهديد الهند , لذلك قرر ارسال بعثة إلى إيران في العاشر من آب من العام نفسه , بقيادة الكابتن جون مالكولم **Captian Jhon Malcolm**⁽¹³⁹⁾ , مساعد المعتمد البريطاني في حيدر آباد في إقليم الدكن , وكانت هذه البعثة في الحقيقة هي الثانية إلى إيران والأولى للكابتن جون مالكولم , كان الهدف منها هو اراحة الهند من تهديد زمان شاه المستمر بالغزو , الأمر الذي كان يكلف الشركة البريطانية نفقات باهظة , إذ كانت تخصص جزء كبير من المال في مقاومة نشاطه في الأقاليم التي يحكمها في أفغانستان , وفي مقاومة نشاط الفرنسيين ولاستعادة التجارة الناجحة السابقة التي باتت تتعرض لخسارة كبيرة , وعلى هذا الأساس لم يكن هناك فارق جوهري بين أهداف هذه البعثة وبين الأهداف التي , أرسل من اجلها مهدي علي خان في العام السابق , لكن البعثة تمت بهيبة كبيرة لإرسالها من الحاكم العام للهند بدلاً من حكومة بومباي , وكانت مزودة بصلاحيات كبيرة , فقد منح ولزلي الحاكم العام للهند مالكولم كافة الصلاحيات , بما فيها عقد معاهدة مع الشاه لتحقيق تلك لأهداف ,

⁽¹³⁷⁾Quoted in : J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1885-1886.

حتى نهاية **Mornington** , الايرل الثاني لمورننكتون **Richard Colley Wellesly**⁽¹³⁸⁾ هو ريتشارد كولي ولزلي في كانون الأول من العام 1799 , وحتى ذلك اليوم **Marquis** عام 1797 قبيل ابحاره إلى الهند , رقي إلى ماركيز كان ينادى بلورد مورننكتون وهو اللقب المعروف به جيداً , تولى منصب الحاكم العام للهند في المدة 1805-1798 . ينظر :

J. B. Kelly, OP.Cit. P. 64; H.G.Rawlinson, The British Achievement in India, London 1948 P.60.

⁽¹³⁹⁾ كان جون مالكولم (1833.1769) في الثلاثين من عمره حينما تم تكليفه لقيادة هذه البعثة , وقد جاء إلى الهند جندي تحت التمرين في جيش الشركة , وكان عمره حينذاك أربعة عشر عاماً , وقد شهد عمليات عسكرية في ميسور في عام 1790 , ثم نقلت خدماته في عام 1798 إلى السلك السياسي في حيدر آباد , وحتى ذلك الحين لم تظهر أي دلائل على نبوغه غير العادي , وكل ما كان معروفاً عنه انه شجاع وعنيف وطموح , مما جعله يحظى باهتمام الحاكم العام للهند وتقديره , (أدى دوراً كبيراً في السياسة البريطانية تجاه منطقة الخليج العربي) . ينظر :

J.B.Kelly, OP.Cit. P.64.

مقابل ان تدفع الحكومة البريطانية لإيران معونة مالية سنوية تصل إلى أربع لكات من الروبيات, ما يقارب أربعين ألف جنيه إسترليني , طوال سريان مدة المعاهدة وهي ثلاثة أعوام , مع احتمال تجديدها وفقاً لرغبة الطرفين المتعاقدين⁽¹⁴⁰⁾ .

طلبت حكومة الهند من مالکولم المرور بمسقط قبل توجهه إلى إيران , وضرورة استعمال وسائل الضغط على سلطان بن أحمد (1792-1804) حاكم مسقط لتنفيذ شروط قولنامه عام 1798⁽¹⁴¹⁾ , لأنه بعد مدة من عقدها وصلت معلومات إلى حكومة الهند , تشير إلى أن سلطان بن أحمد بدأ باعادة علاقات الصداقة مع الفرنسيين , وقيام نابليون بارسال خطابات⁽¹⁴²⁾ من القاهرة له بهذا الصدد , لذلك كان هدف مالکولم من بعثته إلى مسقط , هو التأكيد على نقطتين, الأولى إعادة العمل بقولنامه عام 1798, والثانية تعيين وكيل سياسي في مسقط⁽¹⁴³⁾ .

غادر مالکولم في التاسع والعشرين من كانون الأول عام 1799 بومباي , ووصل مسقط في الثامن من كانون الثاني من العام التالي, بعد رحلة استغرقت عشرة أيام⁽¹⁴⁴⁾ , كان يرافقه اعضاء بعثته إلى إيران فضلاً عن الطبيب الجراح ارشيبالد بوجل Archibald Bogle , واستقبل مالکولم بالسفينة بومباي حاكم المدينة سيف بن محمد , الذي أخبره أن سيده سلطان بن أحمد حاكم مسقط يقوم بحملة بفرقاطته جنجافا Gunjav⁽¹⁴⁵⁾ ضد القواسم⁽¹⁴⁶⁾ في مدخل الخليج العربي , وقد تمكن مالکولم من العثور على الفرقاطة جنجافا في جزيرة هنجام في مدخل الخليج العربي في الثامن عشر من الشهر نفسه⁽¹⁴⁷⁾ , وعند لقاءه سلطان بن أحمد أخذ يوضح له طبيعة

⁽¹⁴⁰⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1887 ; J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 68-69.

⁽¹⁴¹⁾ S. B. Miles, OP.Cit. P. 292; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 69.

⁽¹⁴²⁾ للاطلاع على نص الخطاب الذي بعثه نابليون من القاهرة , والمؤرخ في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ينظر : 1799 الى سلطان بن أحمد حاكم مسقط

S. B. Miles, OP.Cit. P. 290; I. Skeet, OP.Cit. P. 42; W. Phillips, OP.Cit. P. 71.

⁽¹⁴³⁾ S. B. Miles, OP.Cit. PP. 292-293.

⁽¹⁴⁴⁾ Ibid ; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1887; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 70.

ينظر : ⁽¹⁴⁵⁾ كانت تحمل أثان وستين مدفعاً وحمولتها ألف طن

W. Phillips, OP.Cit. P. 71.

ينظر : صالح محمد العابد , دور القواسم في الخليج⁽¹⁴⁶⁾ للمزيد من التفاصيل عن نشاط القواسم في الخليج العربي العربي 1747-1820 , بغداد 1976.

⁽¹⁴⁷⁾ W. Phillips, OP.Cit. P. 71; S. B. Miles, OP.Cit. P. 293; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 70.

ينظر: بشير جون كيلي إلى أن مالکولم التقى بسلطان بن أحمد في جزيرة هنجام في السابع عشر من كانون الثاني

البعثة التي جاء من اجلها , وكيف أن حكومة الهند قد وصلتها معلومات عن تجدد علاقاته مع الفرنسيين , وأن كل موانئ الهند من

سورات إلى كلكتا باتت بيد البريطانيين⁽¹⁴⁸⁾, الذين انتصروا على تيبو سلطان **Tipu Sultan** (1799-1782) ⁽¹⁴⁹⁾ المدعوم من فرنسا, وعليه أن مسقط تتمكن من دون أي صعوبة من التعامل التجاري مع الهند , إذا كانت الحكومة البريطانية تميل إلى ذلك , كان سلطان بن أحمد يصغي إلى حديث مالكولم الذي حمل في طياته نوعاً من التهديد , مما أجبر سلطان بالتوقيع على اتفاقية بين بريطانيا ومسقط في اليوم نفسه , الثامن عشر من كانون الثاني عام 1800 , تضمنت بندين الأول أكد الالتزام بما جاء بقولنامه عام 1798 , والثاني أكد على تعيين وكيل سياسي بريطاني في مسقط , إذ عين مالكولم أحد أعضاء بعثته الطبيب الجراح بوجل⁽¹⁵⁰⁾, الذي كان أول مقيم بريطاني في منطقة الخليج العربي, لكنه لم يلبث أن قضى نحبه في أواخر عام 1800 , فخلفه الكابتن دافيد سيتون **C. David Seton** (1809-1801) , الذي عمل طوال الأعوام الثمانية التي أقامها في مسقط , على إرساء قواعد النفوذ البريطاني هناك⁽¹⁵¹⁾,

J. B. Kelly, OP.Cit. P. 70.

⁽¹⁴⁸⁾ **S. B. Miles, OP.Cit. P. 293.**

⁽¹⁴⁹⁾ هو ابن حيدر علي وحاكم ولاية ميسور (1799-1782) , تعلم الفنون العسكرية على أيدي ضباط فرنسيين كانوا يعملون في خدمة والده , حارب البريطانيين مراراً لقيامهم بغزو بلاده , وحقق في عام 1783 نصراً عليهم في بومباي في الرابع من مايس عام 1799 أمام **Seringapatam**, وافاه الأجل أثناء دفاعه عن مدينة سيرنجاپاتام ينظر : .البريطانيين

هربت. أ. ل. فشر , تاريخ أوربا الحديث , ترجمة : محمد شفيق غريال , ط2 , القاهرة , 1953 , 53 ؛

D. Forrest, Tiger of Mysor, The Life and death of Tipu Sultan, London, 1970, P. 10.

⁽¹⁵⁰⁾ **I. Skeet, OP.Cit. PP. 214-215; S. B. Miles, OP.Cit. P. 293; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 70.**

⁽¹⁵¹⁾ صلاح العقاد , الاستعمار في الخليج , ص51 ؛ فؤاد سعيد العابد , سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر , الكويت , (د.ت) , ص29 .

كان دافيد سيتون نقيباً في جيش بومباي , ومات في الوظيفة في آب عام 1809.

ينظر :

J. G. Lorimer , OP.Cit. Vol. 1.

Part. 11.P.2675.

بعد نجاح مالكولم في مهمته في مسقط توجه إلى طهران ، وعلى الرغم من وصوله في الأول من شباط من العام نفسه إلى بوشهر ، وإرساله خطابات في الحال إلى البلاط الإيراني تعلمه بقدومه ، إلا ان الإجراءات الإيرانية أخرت تقدمه إلى طهران⁽¹⁵²⁾، فكان عليه الانتظار في بوشهر لمدة أربعة أشهر حتى وصول المبعوث الإيراني ليصطحبه إلى بلاط الشاه ، وقد إستغل مالكولم مدة بقاءه في بوشهر لدراسة منطقة الخليج العربي من النواحي التجارية والسياسية ، فتكونت لديه قناعة مفادها ، أن عقد معاهدة تجارية بين الهند وإيران سيكون مردودها قليل الأهمية على الشركة البريطانية ، لذلك أقنع بصواب رأي سلطات بومباي ، الذي كان يؤكد على ترك التجارة بين الهند وإيران في أيدي التجار ، فضلاً عن إدراكه ان الحصول على جزيرة في الخليج العربي ، ستكون أهميتها السياسية أكثر من التجارية ، فالحملة الفرنسية على مصر كشفت عن مواطن الضعف في الدولة العثمانية ، وان تحرك الفرنسيين إلى الهند عن طريق املاكها أمراً محتملاً ، كما ان الاندفاع الروسي من قزوين باتجاه الجنوب هو الآخر أمراً محتملاً ، وعليه فإن إمتلاك جزيرة وإتخاذها قاعدة في الخليج ، سيساعد إلى حد ما في الوقوف بوجه كلا الخطرين ، فضلاً عن ذلك انها ستشجع التجار الإيرانيين والعثمانيين الذين ينشدون الأمن لمزاولة نشاطهم في الخليج العربي ، أما إذا تأزمت العلاقات بين الحكومة البريطانية والباب العالي، فان والي بغداد سيتخذ موقفاً ودياً من الجانب البريطاني، نظراً لوجود ذلك الموقع الحصين في الخليج العربي ، وقد وقع إختيار مالكولم على جزيرة قشم الواقعة بالقرب من مدخل الخليج العربي، التي ستجذب إليها وفقاً لإعتقاده نصف التجارة الواردة من مسقط ، وإمكانية إدارتها عن طريق مقيم لا يمارس أية تجارة شخصية ، على أن يكون تحت تصرفه قوة مكونة من خمسمائة جندي وطرادين للدفاع عن القاعدة وتجاريتها ، وأن تسديد تكاليفها سيكون عن طريق فرض رسم مقداره ثلاثة بالمائة على جميع الواردات ، كما كان مالكولم لم يكن يتوقع أي صعوبة في الحصول على تلك الجزيرة من الشاه إذا ما طلبها، وكانت هذه الآراء من مضمون أسئلة مالكولم ، التي بعثها إلى ولزلي الحاكم العام للهند من بوشهر في الثاني والعشرين من نيسان والخامس من مايس عام 1800⁽¹⁵³⁾، لم يصل مالكولم إلى شیراز حتى منتصف حزيران من العام نفسه ، واستقبل فيها بهيبة كبيرة من المسؤولين الإيرانيين ، ومنها انتقل إلى أصفهان وقم وكاشان ثم إلى طهران ، التي عقد اجتماعه الأول فيها مع الشاه في السادس عشر من تشرين الثاني من العام نفسه⁽¹⁵⁴⁾

⁽¹⁵²⁾ Ibid. P. 1887; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 71.

⁽¹⁵³⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 70-71.

⁽¹⁵⁴⁾ Ibid , P. 72. J. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1887; H.Busse, OP.Cit .P. 94 .

بدأ مالكولم مفاوضاته مع كبار الوزراء حجي إبراهيم وميرزا شافي (Shafi) (شفيع) بعد بضعة أيام من وصوله طهران ، ومنذ مغادرته الهند وقعت تغيرات هامة إذ انقضى المضمون السياسي لمهمته، فلقد أخذ حكم زمان شاه يتدهور في أفغانستان وانتهت قدرته على تهديد الهند ، لحدوث ثورة ضده من لدن اخويه محمود وفيروز الدين، اللذان كانا يحضيان بمؤازرة من فتح علي شاه منذ وصوله إلى الحكم ، وكان يهدف من وراء ذلك اضعاف البيت المال في أفغانستان ، عن طريق خلق الشقاق الداخلي وأن يحتضن واحداً أو اثنين من اعضاء الأسرة لتحقيق مصالحه ، كان يشجعه على خطته هذه مبعوث من الحكومة البريطانية في الهند ، احباطاً لما كانت تخشاه بريطانيا من توجه زمان شاه ضد ممتلكاتها في الهند ، ولم تمض مدة طويلة حتى تمكن محمود وفيروز الدين من أن يسيطرا على هرات ، التي تم اتخاذها قاعدة لهما ، ومنها استطاع محمود التقدم إلى قندهار واحتلالها بينما بقي فيروز الدين للمحافظة على هرات ، وسلمت عينا زمان شاه في عام 1801 وخلع وحل محله محمود حاكماً على أفغانستان بدعم من إيران (155) .

أما نابليون فبعد اخفاق حملته على مصر بدأ يفكر في حملة جديدة على الهند عن طريق إيران ، الأمر الذي دفعه إلى الموافقة على الخطة التي وضعها باول الأول القيصر الروسي في عام 1800، التي تضمنت إشتراك قواتهما في الحملة العسكرية المقرر إرسالها من خلال إيران إلى الهند (156) ، وكان باول الأول قد غدا شديد الأمتعاض لاستيلاء بريطانيا على جزيرة مالطا، في تشرين الثاني - كانون الأول من العام نفسه والحقها ببريطانيا ، مما دفعه إلى مصالحة نابليون والوقوف بجانبه في صراعه ضد بريطانيا، وتنفيذ الحملة المشتركة لغزو الهند (157) ، ومما ذكره باول الأول في مذكراته عن الحملة الروسية - الفرنسية المشتركة لغزو الهند ، ان الشعب الهندي كان يعاني من إفرازات الاحتلال البريطاني، وان نقاط الضعف هذه ألهمت الحكومتين الروسية والفرنسية على تنفيذ خطة الغزو المشترك ، فهو يقول بهذا الصدد: "لتخليص الشعب الهندي من لف الحبل حول رقبتة" ، ويضيف باول الأول لقد كان الاحتلال البريطاني للهند "احتلالاً بربرياً وطاغياً"، وعليه فأن الحملة الروسية - الفرنسية المشتركة ستحضى بدعم وتأييد الشعب الهندي ، وقد حدد القيصر الروسي هدف الحملة حينما يشير نصاً : " بان الحملة وبكل معانيها ستكون عادلة ، إذا ما قورنت بحملة الأسكندر الأكبر التي كانت جائرة، حينما تمنى أن يغزو كل العالم" (158).

(155) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. 1. Part. 11. P. 1887; P. Sykes, OP.Cit. P. 305.

(156) G. N. Curzon, Russia in Central Asia in 1889 and the Englo- Russian Question, London, 1967, P. 323; The Cambridge History, OP.Cit. P. 299.

(157) M. S. Anderson, OP.Cit. P. 199; I. Spector, OP.Cit. P. 102.

(158) Quoted in: G. N. Curzon, Russia in Central Asia, P.323.

ويبدو ان القيصر الروسي كان يبالغ في الإعتماد على قدرة جيشه وعلى الجيش الفرنسي في تحقيق أهدافه , للنيل من عدوته اللدودة بريطانيا بضرب ممتلكاتها في الهند , لان ذلك كان يتطلب من جيشه والجيش الفرنسي ان يقطعا طريقاً طويلاً وشاقاً , لمرورهما عبر ايران باراضي افغانستان الوعرة , فضلاً عن عدم وجود تنسيق مسبق بين قيادة الحملة المشتركة وبين الشعب الهندي في الحصول على دعمه وتأييده ضد البريطانيين .

وعندما لم يكن لدى السلطات البريطانية دليل ظاهر على أي نشاط فرنسي ضد الهند من جانب, ولأن الجيش الفرنسي في مصرغدا في حالة يرثى لها, وكان على وشك أن تخرجه من مصر حملة عسكرية بريطانية من جانب آخر , لهذا تظاهر مالكولم أثناء مفاوضاته مع الإيرانيين بأن هدفه هو عقد معاهدة تجارية, وترك للإيرانيين ان يطلبوا ارتباطات سياسية , ليحصل على أفضل الشروط في هذا المجال , وحينما حاول مالكولم ادخال عبارة تمنح شركة الهند الشرقية البريطانية, حق امتلاك جزر قشم وهنجام وخرج وحققها في تحصينها في المعاهدة التجارية , بناء على التعليمات التي صدرت له من ولزي الحاكم العام للهند , اصطدم بمقاومة عنيفة من الشاه ووزرائه , لظنهم ان قوة الشركة البريطانية في الهند كانت نتيجة امتيازات من ذلك القبيل , الأمر الذي أدى إلى استبعاد الموضوع من المناقشات (159) .

تمخض عن بعثة مالكولم إلى إيران , عقد معاهدين مع الشاه الأولى سياسية والثانية تجارية في الثامن والعشرين من كانون الثاني عام 1801 (160) , وقد حقق هذا المبعوث نجاحه بفضل ما كان يحمل من هدايا ثمينة مقدمة من ولزي إلى المسؤولين الإيرانيين, وقد وقع المعاهدين مالكولم المبعوث البريطاني وحجي إبراهيم رئيس الوزراء الإيراني , ووقعهما الشاه رمزاً لموافقته, كما أصدر فرماناً طلب فيه من الموظفين , ألالتزم بشروطهما وبقي عمل الترتيبات للتصديق عليها من الحاكم العام للهند (161) .

نصت المعاهدة السياسية التي تضمنت خمسة بنود على إقامة حلف دفاعي بين بريطانيا وإيران, وعلى الشاه أن يقوم بغزو أفغانستان إذا ما هاجمت الأخيرة الهند, وأن يحصل الشاه في أي معاهدة للصلح يعقدها مع أفغانستان , على شروط من الأخيرة بالتخلي عن جميع خططها العدائية ضد الهند , كما نصت على اتخاذ بريطانيا وإيران إجراءات لتنظيم حملة عسكرية مشتركة ضد أي قوة فرنسية تحاول إقامة قاعدة على الساحل الشرقي للخليج العربي , أو أي

(159) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1888; J.B.Kelly, OP.Cit.P.72.

(160) J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East A Documentary Record 1535-1914, Vol. I. NewYork,1972,PP. 68-70; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1888; J.B.Kelly, OP.Cit.P.73; H. Busse, OP.Cit. P. 94.

(161) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1888-1889;

علي أكبر بينا , المصدر السابق, ص 102-103 .

جزيرة هناك , وإذا طلب الفرنسيون إذنًا بإقامة أي قاعدة في مثل ذلك المكان , فعلى إيران أن ترفض مثل ذلك الطلب , وفي حالة إعلان الأفغان أو الفرنسيين الحرب على إيران , فيجب على البريطانيين ان يزودوا الإيرانيين بالمدافع والذخيرة الحربية , وكانت موافقة إيران على هذه البنود التي جاءت لصالح بريطانيا, إعتقاداً منها في امكانية استخدام تحالفها مع بريطانيا في صراعها ضد روسيا ⁽¹⁶²⁾, كما حصلت بريطانيا على امتيازات لها أهميتها في الاتفاقية التجارية , التي تخولها استخدام غير محدد للموانئ الإيرانية , والإشراف التام على الساحل الشرقي للخليج العربي , أما المشكلات المتعلقة بالتجارة فتسوى في فرصة أخرى ⁽¹⁶³⁾.

وبعد أن أنجز مالكولم مهمته سافر إلى الهند , وقد خرج من بلاط الشاه بانطباع ضمنه في رسالته , التي بعثها إلى ألجن Elgin السفير البريطاني لدى الباب العالي في الثالث والعشرين من آذار عام 1801 , مفاده ان الشاه كان يخشى التهديدات الروسية على حدوده الشمالية أكثر من أي شيء آخر , فقد ضاعت منطقة جورجيا من إيران على أثر الغزو الروسي لها في عام 1796 , وقد توقف الزحف الروسي في الأراضي الإيرانية بسبب وفاة الإمبراطورة كاترين الثانية في تشرين الثاني عام 1796 الأمر الذي أدى إلى ايقاف تقدم الحملة الروسية , ولم تؤد محاولات الشاه لاستعادة جورجيا إلى أي نتيجة , وظل في خوف دائم من تكرار الحملات الروسية في بلاده , وكان أكثر ما أزعج مالكولم هو خوفه من ان يؤدي التقدم الروسي في آسيا إلى تهديد الوجود البريطاني يوما ما في الهند, وعلى الرغم من ذلك فقد تجنب مالكولم الالتزام باعطاء أي ضمانات محددة لدعم إيران في حال نشوب حرب مع روسيا , وبدلاً من ذلك وعد بكلمات دبلوماسية عامة مفادها , انه من الطبيعي ان لن تسمح بريطانيا العظمى بتعريض حليفها إيران للسلب , لأنه وجد من غير الضروري الإشارة إليها في مثل تلك الظروف ⁽¹⁶⁴⁾ .

لقد كانت النتائج السياسية لبعثة مالكولم إلى إيران غير ضرورية وجاءت متأخرة , لأن زمان شاه لم يعد يشكل خطراً على المستعمرات البريطانية في الهند بسبب وفاته آنذاك ⁽¹⁶⁵⁾ , فضلاً عن إخفاق الخطة الروسية الفرنسية المشتركة لغزو الهند , بعد ان قام البريطانيون بالتخطيط للتخلص من باول الأول , فتم لهم ذلك عندما نفذت عملية اغتياله في ليلة الثالث والعشرين من آذار عام 1801 في غرفة نوم قصره , وكانت القوات الروسية قد عبرت بالفعل

⁽¹⁶²⁾ Ibid; J.C.Hurewitz, OP.Cit. P.68; R. Kumar, OP.Cit. P. 13; J.B.Kelly, OP.Cit. PP.72-73.

⁽¹⁶³⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1888.

⁽¹⁶⁴⁾ P. F. Shupp, The European Powers and the Near Eastern Question 1806- 1807, New York, 1931, P. 525; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 73.

⁽¹⁶⁵⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1889; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 73.

نهر الفولغا، من أجل التقدم باتجاه الهند لتهديد الممتلكات البريطانية هناك ⁽¹⁶⁶⁾ ، لكن وصول الأنباء عن مقتل باول الأول أدى إلى توقف تلك القوات من تقدمها لتنفيذ خطة الغزو ، بعد أن اصدر القيصر الجديد الكسندر الأول Alexander I (1801-1825) أوامره بعودتها ، وشرع في الوقت نفسه بالتفاوض مع بريطانيا ،التي توصل إلى توقيع صلح معها في حزيران من العام نفسه⁽¹⁶⁷⁾ ، فضلاً عن انتهاء الاحتلال الفرنسي لمصر في الشهر نفسه ، وفي العام التالي وقعت معاهدة السلام في أميان بين بريطانيا وفرنسا، ولكنه كان سلاماً قصيراً فقد نشبت الحرب بينهما بعد ثلاثة أعوام ، مما دفع الحكومة البريطانية الى البحث مرة أخرى عن سبيل لحماية ممتلكات شركتها في الهند ⁽¹⁶⁸⁾.

وكان إحتمال وجود تهديد على الهند من الشمال الغربي عن طريق إيران والخليج العربي احتمالاً ضئيلاً ، ومن ثم لم تبذل أي محاولة للحفاظ على العلاقات التي أقامها مالكولم مع إيران ، بل ان حكومة الهند لم تفكر قط في التصديق على المعاهدات التي عقدها مالكولم مع الشاه ، على الرغم من النفقات والتكاليف الباهظة التي تكبدتها الحكومة البريطانية التي قدرت بعشر لكات من الروبيات الهندية ، أي ما يعادل حوالي مائة ألف جنيه إسترليني ⁽¹⁶⁹⁾ .

وليحصل الشاه على تصديق الحاكم العام في الهند على المعاهدتين التي عقدهما مالكولم في عام 1801 ، أوفد الشاه في العام التالي تاجراً إيرانياً هو حجي خليل خان ⁽¹⁷⁰⁾ إلى الهند، لكنه قتل صدفة خلال شجارحدث في بومباي بين خدمه وبين حرس شرف حكومة بومباي،

⁽¹⁶⁶⁾ I. Spector, OP.Cit. P. 103; M. C. Wren, OP.Cit. P. 321; W. B. Walsh, OP.Cit. PP. 162, 167; A. G. Mazour, OP.Cit. P. 189.

⁽¹⁶⁷⁾ W. B. Walsh, OP.Cit. P. 168.

⁽¹⁶⁸⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 74.

⁽¹⁶⁹⁾ Ibid. PP. 73-74.

⁽¹⁷⁰⁾ وهو من كبار التجار ، كان يعمل بالتجارة ما بين بوشهر والهند ، وهو متزوج من أخت آغا محمد نبي خان أحد تجار البصرة الأثرياء وأحد رجال هارفرد جونز ، وكان حجي خليل خان يطمح في منصب السفير الإيراني ، وكانت شروط تفويضه مبعوثاً إلى الهند بسيطة ، ولا تكلف الشاه أكثر من اعطاءه حلة ملكية وبعض أدوات = الخيل ولقب خان ، قام برحلته إلى الهند بالسفينة التي استأجرها على حسابه الخاص ، تحرسه سفينة حربية بريطانية خصصتها لبعثته حكومة بومباي . ينظر :

J. A. Saldanha, *Precis of Correspondence Regarding the Affairs of the P. Gulf 1801-1853*, London, 1986, P. 3; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1889-1890 .

وتوقفت المفاوضات بين الطرفين⁽¹⁷¹⁾، ولم تستأنف المفاوضات بينهما حتى عام 1805 حينما عين الشاه أغا محمد نبي خان⁽¹⁷²⁾، مبعوثاً جديداً ليخلف المبعوث الأول، وكان تاجراً ثرياً له صلة وثيقة بالمبعوث الراحل في أمور مختلفة، وكان الدافع الرئيس للشاه في اتخاذ تلك الخطوة، محاولته الحصول على حماية من الحكومة البريطانية ضد الروس، لأنه كان يخشى انتقامهم على أثر مقتل زيزانوف **Zizanoff**⁽¹⁷³⁾ الجنرال الروسي ذو الأصل الجورجي غدرًا على يد حاكم باكو، بمساعدة أحد المتنفذين من باكو التي كان يحاصرها الروس آنذاك، فضلاً عن محاولته الحصول على الأموال والمعدات العسكرية الضرورية لإيران لتستخدمها في حربها ضد روسيا، وكان الدكتور جيوكس **Dr.Jukes** وهو استاذ إيراني كبير قد عين لمرافقة محمد نبي خان في بعثته إلى الهند، وصلت تلك البعثة إلى بومباي في العاشر من تشرين الأول من العام 1805، وقد استقبلتها حكومة بومباي بحفاوة وبقيت في ضيافتها لمدة جاوزت الشهر، ثم تقدمت بعد ذلك براً إلى كلكتا⁽¹⁷⁴⁾.

وحينما اندلعت الحرب بين روسيا وفرنسا في عام 1805⁽¹⁷⁵⁾، أوفد نابليون الكولونيل روميو **C. Romieu** إلى طهران على رأس بعثة كبيرة لفتت الانتظار إلى أهميتها، وكانت التعليمات التي صدرت له من حكومته، أن يقترح على الشاه أن يفسخ تحالفه مع بريطانيا لعام 1801، ويعقد حلفاً مع فرنسا التي ستبعث بدورها وزيراً إلى طهران، وتمنح إيران إعانة مالية

⁽¹⁷¹⁾ Ibid. PP. 3 -4 ; Ibid.; H. Busse, OP.Cit. P. 105; P. Sykes, OP.Cit. P. 302 ; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 74.

⁽¹⁷²⁾ كان اغا محمد نبي خان ابناً لأحد تجار البصرة المعروفين، تزوجت اخته من حجي خليل خان المبعوث الإيراني الأول إلى الهند، وقد عينه الأخير وكيله التجاري في البصرة عام 1795، وأصبح أغا محمد نبي خان أحد التجار المهمين هناك. ينظر :

J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1892.

⁽¹⁷³⁾ كان زيزانوف قائداً للقوات الروسية في القوقاز خلال المدة 1802-1805، قاد عدة حملات جنوب القوقاز، وحينما قرر القيصر الروسي الكسندر الأول في 1803-1804 احتلال أذربيجان وأرمينيا وقره باغ أرسله لقيادة الحملة، أي المفتش، وقد اقتحم المفتش **Inspector** التي تعني **Ishpokhdur** وكان أهل أرمينيا يطلقون عليه اسم (زيزانوف) كنجة في الرابع عشر من كانون الثاني عام 1804 بقواته، وكان الحاكم لكنجه حينذاك جواد خان القاجار، قد قتل أثناء المعركة، وبعد مقتل زيزانوف في عام 1805، خلفه في قيادة القوات الروسية الكونت **Zeyadlu** يدللو، في عام 1806، وكان الكسندر الأول قد غضب لموت زيزانوف. ينظر : **Count Gudovich** كودوفيتش

H. Busse, OP.Cit. PP. 107, 120.

⁽¹⁷⁴⁾ Ibid. P. 121; J.A.Saldanha, OP.Cit. P.7 ; J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1874, 1889, 1893.

⁽¹⁷⁵⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 79.

تستخدمها في عملياتها العسكرية ضد روسيا , وتبعث قوات فرنسية لمساعدة الجيش الإيراني لاستعادة جورجيا من روسيا (176) .

ولما كان الشاه سبق أن أوفد قبل ذلك مبعوثه محمد نبي خان إلى الهند , ليطلب مساعدة من الحكومة البريطانية في صراعه ضد روسيا , فإنه رفض اقتراحات فرنسا قبل ان يعرف رد بريطانيا على طلبه , وتشاء المصادفات أن يموت روميو بعد وصوله إلى طهران في تشرين الأول عام 1805 , وحل محله بعد ذلك في مايس من العام التالي أميدي جوبير M.Jaubert , الذي وجد الشاه عند وصوله أكثر استعداداً للاستماع إلى مقترحاته ودراساتها (177) , ويكمن السبب في موقف الشاه , إلى التقارير غير المشجعة التي وصلتته من محمد نبي خان مبعوثه إلى الهند , وكان المبعوث قد وصل إلى كلكتا في نهاية العام 1805 , وهناك وعند وصوله وجد بارلو Barlow الحاكم بالنيابة غير مهتم بمشاكل إيران (178) , بينما كان يجب على سياسة الحكومة البريطانية في الشرق الأوسط , لاسيما في إيران , ان تأخذ مسالة الحرب الروسية – الإيرانية بالحسبان , لأن الحملة الروسية على طول سواحل قزوين , ودفع حدودها باتجاه مباشر إلى الهند اصبح يهم بريطانيا , ففي الثالث والعشرين من حزيران عام 1806 بعث ستورات Stuart الوزير المفوض البريطاني في بطرسبورغ بهذا الصدد مذكرة إلى لندن اشار فيها , إلى أن الاندفاع الروسي في القوقاز من شأنه إثارة اهتمام بريطانيا في الشرق مستقبلاً , فالمقاطعتين الإيرانيتين جيلان ومارنردان تحاددان النهاية الجنوبية لقزوين , الأمر الذي سيجعل الحرير الإيراني بيد روسيا , ويجعلها في الوقت نفسه تسيطر على بداية الطريق التجاري مع البصرة , كما ان الاندفاع الروسي نحو سواحل قزوين الغربية وباكو , سيمنح روسيا السيطرة على طرق التجارة المهمة , وسيشكل منافسة قوية لبريطانيا في الشرق (179) .

أما محمد نبي خان فقد بقي يتكأ في كلكتا عاماً كاملاً من دون ان يحقق أي شيء , وتلقى في نهاية عام 1806 رسالة من الشاه محررة في مايس , وهو الشهر نفسه الذي وصل فيه جوبير إلى طهران , يقول فيها : أنه لن يعقد أي اتفاق مع فرنسا قبل أن يعود محمد نبي خان مع الرد النهائي من الحكومة البريطانية , وقد عرض المبعوث الخطاب على بارلو الحاكم بالنيابة الذي لم يبد أي اهتمام به , وكان بارلو قد تلقى تقارير عن النشاط الذي كان يقوم به روميو وجوبير بأن تلك التقارير مبالغ فيها كثيراً , وقد أنحى بارلو باللائمة في المبالغات التي تضمنتها التقارير , إلى مرسلها وهما هارفرد

(176) J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 7; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1880-1881.

(177) Ibid ; Ibid.

(178) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 79.

(179) P. F. Shupp, OP.Cit. PP. 530-531.

جونز H.Jones⁽¹⁸⁰⁾ في بغداد، وصامويل مانستي Samuel Manesty الممثل البريطاني في البصرة ، فضلاً عن ذلك فقد أصبحت روسيا حليفاً لبريطانيا ولم يكن يستطيع بارلو أن يؤيد إيران ضد روسيا، ما لم يتلق تعليمات واضحة من الحكومة البريطانية في لندن⁽¹⁸¹⁾، وقد ابلغ مضمون هذه الفكرة لمحمد نبي خان في كانون الثاني عام 1807، وذكر له أن معاهدة عام 1801 كانت موجهة ضد فرنسا وليست ضد روسيا ، وإن البنود التي وردت في المعاهدة فيما يتعلق بتقديم المساعدات في حالة نشوب الحرب ، كانت تنطبق على أفغانستان فقط، ولا تنطبق على روسيا ، كما أوضح بارلو لمبعوث الشاه أن إيران لا تزال ملتزمة بتلك المعاهدة والوقوف مع بريطانيا ضد فرنسا⁽¹⁸²⁾ .

وفي غضون ذلك حينما كانت الحكومة البريطانية بحاجة إلى معلومات عن الشؤون الإيرانية ، فإن هارفرد جونز الذي رجع إلى بريطانيا في نهاية عام 1806 ، قدم مذكرة في السابع من كانون الثاني من العام التالي إلى وزارة الخارجية البريطانية ، وضح فيها أن أول الأضرار التي يمكن أن توجهها فرنسا إلى كل من بريطانيا وروسيا ، هو حصولها على موطن قدم لها في إيران ، التي تنشد إيقاف حربيها مع روسيا ، وبما أن بريطانيا غير مستعدة لتقديم دعمها لإيران ضد روسيا حينذاك ، فإن ذلك سيؤدي إلى ارتقاء إيران في أحضان فرنسا ، على الرغم من عدم استطاعة الأخيرة ، تقديم دعم حقيقي لها ضد روسيا سواء أكان عن طريق توسطها لإنهاء الحرب الروسية – الإيرانية أم في تقديم القوات العسكرية لإيران ، بينما تستطيع بريطانيا تقديم توسطها لإنهاء تلك الحرب ، وعلى هذا الأساس يعتقد جونز ، أنه يجب على الحكومة البريطانية إرسال مبعوث إلى البلاط الإيراني بسرعة ، على أن يسافر أولاً إلى بطرسبورغ ، بهدف اقناع قيصر روسيا بحل خلافاته مع إيران والمسألة الجورجية ، لتتفرغ روسيا لمواجهة الخطر الأكبر الذي تمثله فرنسا من جهة ، ولإبعاد إيران عن الارتقاء في أحضان فرنسا من جهة أخرى⁽¹⁸³⁾ .

⁽¹⁸⁰⁾ وهو موظف مدني في شركة الهند الشرقية البريطانية ، كان ملحقاً بوكالة البصرة من عام 1784 حتى عام 1795، زار شيراز عامي 1787 و1791 وتولى وظيفة المقيم البريطاني في بغداد من عام 1798 حتى عام 1806 ، وانعم عليه في آب عام 1808 بلقب بارون مكافئة له على خدماته السابقة، وليزيد من كرامته سفيراً لبريطانيا في إيران في العام نفسه. ينظر :

J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1894 .

⁽¹⁸¹⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. P. 80; M.E.Yapp, Stratege of British India, Britain, Iran and Afghanistan, 1798-1850, Oxford, 1980 PP. 37-38.

⁽¹⁸²⁾ J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1893; P. F. Shupp, OP.Cit. P. 535; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 80.

⁽¹⁸³⁾ P. F. Shupp, OP.Cit. PP. 530-533; J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 80-81.

كما يتعين على المبعوث ان يتكلم باسم الملك البريطاني لا باسم الشركة ليضيف ذلك إلى مهمته ثقلاً، وسوف تتركز مهمته على العمل بإعادة العلاقات الودية بين بريطانيا وإيران ، وعدّ أي اتفاقيات يكون الشاه قد عقدها مع فرنسا ملغاة ، غير أن بريطانيا أصبحت غير متحمسة للوفاء بالتزاماتها تجاه إيران ، بعد ان زال الخطر عن مستعمراتها في الهند ، الأمر الذي دفع نابليون إلى أن يستغل فرصة فتور العلاقات البريطانية - الإيرانية ، من اجل إيجاد موطئ قدم لفرنسا في إيران ، لاسيما ان فتح علي شاه الذي يأس من حصوله على المساعدة البريطانية ، ضد جارتة الشمالية روسيا التي يخوض حرباً معها ، وجد في نابليون خير حليف، وعلى هذا الأساس بعث الشاه ميرزا محمد رضا ممثلاً عنه إلى نابليون ، فتوصل الجانبان في الرابع من أيار عام 1807 إلى عقد معاهدة فنكنشتاين Finkenstein⁽¹⁸⁴⁾ التي كان لها هدفان يتلخص الأول في مساعدة إيران ضد روسيا ، والثاني مساعدة فرنسا في غزو الهند⁽¹⁸⁵⁾ ، وكان نابليون يعرف مدى التأثير السيئ في نفس الشاه لاستيلاء الروس على جورجيا، فأراد ان يستفيد من ذلك ويستعين بالشاه على مهاجمة الهند⁽¹⁸⁶⁾ ، وقد بعث إلى فتح علي شاه خطاب مؤرخ في السابع عشر من كانون الثاني من العام نفسه ، يعلن فيه عزمه على كسر شوكة روسيا في أوربا ، ومساعدة إيران في استعادة جورجيا من روسيا⁽¹⁸⁷⁾، لكن لم يتمخض عن معاهدة فنكنشتاين شيء يذكر، فلم يكد يمضي شهران على عقدها ، حتى كان نابليون قد توصل إلى اتفائه المشهور مع القيصر الكسندر الأول ، الذي وقع في تموز من العام نفسه في تليست Tilist وقد ربط الكسندراول نفسه بموجبه ، انه في حالة رفض بريطانيا قبول توسطه بينها وبين نابليون ، فإنه سينضم إلى الحصار القاري⁽¹⁸⁸⁾ ، وفعلاً فقد بذل الكسندر الأول جهوداً في إيجاد تقارب بين

⁽¹⁸⁴⁾ عن نص المعاهدة ينظر :

J. C. Hurewitz, OP.Cit. PP. 77-78 .

⁽¹⁸⁵⁾ J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 9; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1881, 1889; J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 81-82; P. F. Shupp, OP.Cit. P. 436;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 118-119 .

⁽¹⁸⁶⁾ عبد الفتاح إبراهيم ، المصدر السابق ، ص 46 .

⁽¹⁸⁷⁾ عن نص الرسالة ينظر : علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 116-117 .

⁽¹⁸⁸⁾ الحصار القاري الذي أُتخذ في عام 1806 في برلين ، وفي عام 1807 في ميلانو من لدن نابليون وفيه ألزم الحكومات ، التي دخلت في حلف مع فرنسا ان تقاطع بريطانيا اقتصادياً . ينظر :

R. B. Mowat, A History of Europe and the Modern World 1492 -1928, London, 1931, PP. 572-577;

هـ. أ. ل. فشر ، المصدر السابق ، ص 83 .

بريطانيا وفرنسا ، لكن الأولى ازدادت إصرارا وميلاً لمناهضة نابليون، بعد أن أثارها مشروع الحصار القاري (189) .

وكان جورج كاننك **George Canning** (1807-1809) وزير الخارجية البريطاني الجديد ، قد تبنى اقتراح جونز في مايس عام 1807 بإيفاد بعثة إلى إيران، للتحقق من النشاط الفرنسي هناك ومحاولة كسب الحكومة الإيرانية إلى جانب بريطانيا ، ومنح جونز لقب بارون لدعم منصب السفير البريطاني لدى حكومة طهران (190) .

لم تكن حكومة الهند أقل من حكومة لندن اقتناعاً بضرورة تدعيم النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي ، لاسيما في إيران ، لمقاومة النشاط الفرنسي ، ولم يكن لورد مينتو **Lord Minto** الحاكم العام للهند (1807-1813) - الذي كان يعرف نية إرسال جونز إلى إيران - يعلم متى وعن أي طريق سيصل الأخير ، فرأى أنه من الأصوب ان يبعث مالكولم مرة أخرى ، بعد أن أصبح برتبة لواء **General . Brigdier** ليكتب تقريراً عن الحالة في إيران ، وليدبر الإجراءات لطرد الفرنسيين منها ، ويستطلع امكانية ارسال حملة عسكرية في حدود ضيقة ، يمكنها ان تمنع الفرنسيين من تثبيت اقدامهم على الساحل الشرقي من الخليج العربي ، وقد أعلم مالكولم بصفة خاصة ، أن يدحض الحملة الدعائية التي تقوم بها الحكومة الإيرانية القائلة ، أن معاهدة عام 1801 البريطانية - الإيرانية كانت تنص على تحالف هجومي دفاعي ضد جميع القوى ، وأن هذه المعاهدة غدت بحكم الملغية ، بمجرد تقصير بريطانيا في تقديم المساعدات لإيران ضد روسيا (191) .

وصل مالكولم بوشهر ليلاً في العاشر من آيار من العام 1808 ، وبعد ذلك ببضعة أيام بعث مساعده الكولونيل شارلس باسيلي **C. Charles Pasely** ، إلى طهران حاملاً خطاباً منه إلى الشاه ، يحوي احتجاجات شديدة فيما يتعلق بعلاقة البلاط الإيراني بفرنسا ، لكن باسيلي منع من المرور إلى طهران ولم يتعد شیراز ، ربما لأن الشاه لم يفقد الأمل بعد بالحصول على المساعدات الفرنسية ، لذلك كانت دهشة مالكولم كبيرة ، وثارت ثائرتة حينما رفض الشاه استقباله، وعليه ان يقوم بالاتصال بالأمير حسين علي ميرزا حاكم إقليم فارس ، الذي كلفه الشاه بالفعل الإشراف على علاقات إيران بشركة الهند الشرقية ، وعلى هذا الأساس ، ترك مالكولم المنطقة ، متوعداً بالعودة مع قوات كبيرة ، للانتقام لهذه الإهانة ، وقد استخدم هذا الحادث حجة قوية ، في اقناع لورد مينتو الحاكم العام للهند بنظريته القديمة ، بإنشاء قاعدة بريطانية في

(189) الياس طنوس الحويك ، تاريخ نابليون الأول ، منشورات مكتبة الهلال ، ج 2 ، (دون مكان الطبع) ، 1981 ، ص 150.

(190) **J. B. Kelly, OP.Cit. P. 81.**

(191) **J. A. Saldanha, OP.Cit. PP. 10-11, 16; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1894-1895; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 81.**

الخليج العربي ، وكان يقترح نقل وكالة بوشهر إلى جزيرة خرج ، التي ستصبح مستعمرة بريطانية لأهميتها الاستراتيجية (192) .

يمكن تحليل الخيبة التي عانى منها مالكولم في بعثته الثانية إلى إيران إلى النفوذ الفرنسي الذي كان في إيران كبيراً ، إذ تمكن الجنرال غاردان (193) المبعوث الفرنسي ، من اقناع الشاه ان سلامة بلاده الوحيدة من روسيا ، لا تأتي إلا بالاتحاد الوثيق مع فرنسا ، التي ستعمل على اخراج الروس من جورجيا واذربيجان ، ويرجع السبب ايضاً ، إلى عدم صبر و فظاظة مالكولم ، حينما واجهته المصاعب من جهة أخرى (194) .

ويبدو انه لم يخطر على بال مالكولم ان إخفاقه في مهمته ، انما يعود إلى الأسلوب الذي عالج به المهمة ، وكان إصراره على الشاه ان الالتزام بمعاهدة عام 1801 انما هو خطأ جسيم ، وقد أوضح لورد مينتو الحاكم العام للهند هذه الحقيقة ، لمالكولم أثناء مناقشته لمهمته في الثاني عشر من آب عام 1808 : "ان إيران حكومة مستقلة ، لها الحق في استقبال السفراء المعتمدين من أي دولة ، وان تعقد معهم أي مفاوضات تراها ضرورية لها" ، وكان الأولى بمالكولم إذا كان يهدف إلى صرف الشاه عن الفرنسيين ، على حد رأي مينتو ، أن يضرب على وتر المخاوف الإيرانية من الروس ، وتذكير الشاه بالتحالف القوي بين روسيا وفرنسا ، مما يجعله يفقد الثقة في فرنسا من ناحية وروسيا وفرنسا من ناحية أخرى ، وكان المفروض أن لا يتوقع مالكولم من الشاه ، الذي كان حينذاك متورطاً في قتال مع الروس في الشمال ، أن يكثر لتهديدات في الجنوب (195) .

(192) Ibid . PP. 12-13, 16; Ibid. P. 1895 ; Ibid. P. 89

(1766-1817) ، Claude Mathieue Gardane (193) ارسل نابليون بعثة إلى إيران برئاسة كلود ماثيو غاردان الذي رقي في عام 1799 إلى رتبة لواء ، ضمت تلك البعثة سبعة فرداً من كبار العسكريين والمهندسين والميكانيكين ، جالباً معاهدة أعدت سلفاً من قبل نابليون إلى الشاه ، وقد وصلت البعثة إلى طهران في الرابع من كانون الأول عام 1807 ، وخصص له جناح خاص في بيت رئيس الوزراء ، وبعد أن سلم غاردان خطاب نابليون والهدايا إلى الشاه ، رحب به وبكل اعضاء بعثته ومنحه لقب خان . ينظر :

H. Busse, OP.Cit. PP. 120-121; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 85.

يشير علي أكبر بينا ، إلى ان بعثة غاردان ضمت تسعة وعشرين فرداً ، ووصلت طهران في نيسان عام 1807 . ينظر : علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 120-123 .

(194) J.A.Saldanha,OP.Cit.P.16; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1896; H. Busse, OP.Cit. P. 125.

(195) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 90.

وحيثما وصلت إلى الهند أنباء اخفاق بعثة مالكولم ، صدر تفويض من لورد مينتو لجونز الذي كان منتظراً في بومباي بالتحرك إلى إيران ، ثم صدرت له أوامر جديدة بعد يومين من وصول مالكولم إلى كلكتا ، في العشرين من آب من العام نفسه ، لكنها لم تصل بومباي إلا بعد رحيل جونز ، وكانت تأمره بالبقاء في بومباي ، وكانت حكومة الهند قد تبنت الخطة ، التي تقضي باحتلال جزيرة خرج ، خشيةً من تحرك روسيا أو فرنسا نحوها ، لاسيما ان معاهدة تيلست ، التي عقدت بينهما في تموز عام 1807 ، قد خلقت جواً من التفاهم السياسي ، بدلاً من الحرب التي كانت قائمة ، وضماناً لسلوك إيران تجاه بريطانيا ، مسلماً أكثر مما بدا في إيران في معاملة بعثة مالكولم السابقة (196) .

كان يتعين على جونز ان يثير مع الشاه كل حساسياته ضد روسيا ، وأن يوضح له أن الصداقة الروسية الفرنسية الجديدة ، ستعرض إيران لخطر اشد ، وأصدر كاننك في الثامن والعشرين من آب عام 1808 تعليماته النهائية لجونز ، ومؤداها ، أن يحصل جونز على تعهد من الشاه يلزمه بمعاهدة عام 1801 ، وإذا تعذر ذلك فعليه أن يقنعه بالوقوف على الحياد ، في الصراع القائم بين بريطانيا وفرنسا ، فإذا ما أظهر الشاه رغبة في قطع صلاته بفرنسا ، فقد فوض جونز بان يتعهد للشاه ، بمدته بالسلاح والمال والخبراء العسكريين (197) ، فضلاً عن دعم الأسطول البريطاني له في الخليج العربي ، مقابل اتفاقيات مفتوحة ، وعلى أن يتعهد بالوقوف إلى جانب بريطانيا ، في حالة تعرض الهند البريطانية لغزو من أي دولة أوربية ، سواء كانت روسيا أم فرنسا ، أما إذا لم يظهر الشاه استعداد له لعقد مثل هذا التحالف ، فلا بد من استخدام الضغط عليه ، بإثارة القبائل ضده داخل البلاد ، وكذلك يتعين على جونز ، أن يجس نبض والي بغداد بشأن استعداده للتعاون مع بريطانيا ، مقابل التعهد له بمساعدته ضد أي هجوم يقع عليه من الفرنسيين أو الإيرانيين ، وإذا رفض التعاون فيمكن لجونز الاتصال بالأمرير السعودي سعود بن عبد العزيز ، الذي كان حينذاك سيد الموقف في شبه الجزيرة العربية ، للحصول على تعاون منه ، ضد أي هجوم تقوم به فرنسا عن طريق البحر المتوسط (198) .

وصل جونز إلى بوشهر في الخليج العربي في الرابع عشر (199) من تشرين الأول عام 1808 ، ثم تقدم إلى شیراز ، وحيثما كان لا يزال هناك وجد نفسه في الخامس من كانون الثاني

(196) Ibid.P.82; J. A. Saldanha, OP.Cit. PP. 14, 16; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. PP. 175-176.

(197) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 82.

(198) J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 82-83.

(199) يشير خضير مظلوم فرحان البديري الى ، أن جونز وصل إلى بوشهر في الرابع عشر من تشرين الأول عام 1808. نقلاً عن سايكس فقط ، علماً بأن سايكس لم يشير إلى هذا التاريخ إطلاقاً . ينظر : خضير مظلوم فرحان البديري ، المصدر السابق ، ص 21 .

من العام التالي ، في موقف حرج ، بسبب رسالة وصلته من لورد مينتو الحاكم العام للهند ، مؤرخة في الحادي والثلاثين من تشرين الأول عام 1808 ، يخبره فيها أنه تقرر احتلال جزيرة خرج اجراءً احتياطياً ، وأن عليه أن ينسحب من إيران ، وكان الهدف من الاحتلال المقترح ، هو الحصول على قاعدة مناسبة ومؤمنة للأغراض العسكرية والسياسية والتجارية ، وامتلاكها بما يضمن تفوق النفوذ البريطاني ، على الدول الأوربية في الشرق الأوسط ، وأن التهديد الدائم لحكومات إيران والعراق الخاضع للسيطرة العثمانية ، سيمنع الشاه ووالي بغداد من التحالف مع أعداء بريطانيا من الأوروبيين (200) .

تجاهل جونز الأمر الصادر من لورد مينتو بقطع مهمته في إيران ، ناظراً إليه مجرد أمر شكلي، طالما أن مهمته تقترب من النجاح ، وكان مكلفاً بها من لندن وليس من الحاكم العام للهند (201) ، بينما وصل مالكولم الذي كانت في يديه الرقابة السياسية والقيادة العسكرية ، لحملة خرج المقررة من حكومة الهند إلى بومباي ، في الثلاثين من تشرين الثاني من العام 1808 (202) ، وكان مستعداً للتوجه إلى جزيرة خرج بقوة يبلغ تعدادها ألفي رجل ، كما قيل له انه بالإمكان تزويده بثلاثة أو أربعة آلاف رجل إذا احتاج اليهم . وفي التعليمات التي أرسلت إلى مالكولم في الشهر نفسه ، طلب إليه الا يستخدم قواته إلا في حالة الدفاع عن النفس فقط ، وأن يبذل أقصى ما في وسعه ، ليوضح للسلطات الإيرانية في بوشهر ، بأن الغرض من الحملة ، هو ضمان سلامة وحماية الهند، فأن رأى تغييراً في موقف الشاه من الفرنسيين ، فقد فوض بأن يعرض على الشاه ، تقديم قوة عسكرية صغيرة من نحو خمسة آلاف جندي ، لتساعد إيران في مقاومة أي غزو فرنسي - روسي مشترك على اراضيها ، فقد طلب إلى مالكولم أن يعرض تقديم تلك القوة إلى أمير شيراز ، كما كان عليه أن يتبع الأسلوب نفسه مع السلطات العثمانية في العراق ، كما فوض باجراء اتصالات مع السعوديين في شبه الجزيرة العربية ، ان هو رأى مصلحة في ذلك ، غير أن مالكولم اضطر إلى تأجيل سفره إلى الخليج العربي ، في انتظار وصول الأوامر إليه من كالكتا (203) .

وصلت أنباء من أوروبا في الوقت نفسه ، عن المصاعب التي كان يواجهها نابليون في أسبانيا ، الأمر الذي جعل لورد مينتو الحاكم العام للهند ، يعتقد أن خطر الفرنسيين في منطقة

P. Sykes, OP.Cit. P. 307.

(200) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP.1896- 1898; J. B. Kelly, OP.Cit.P. 92;

علي أكبر بيضا ، المصدر السابق ، ص 143.

(201) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I, Part. 1. P. 176.

(202) Ibid., Part. II. P. 1898; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 92.

(203) J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 16; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 92.

الخليج العربي بدأ ينحسر، لذلك فإن ضرورة احتلال جزيرة خرج ، غدت اقل إلزاماً عما كان يعتقد هو ومستشاروه حينذاك ، ومن ثم كتب إلى مالكولم في السابع والعشرين من كانون الثاني عام 1809 يحذره ، أنه قد تم صرف النظر عن الحملة إلى أجل غير مسمى ، وان رؤساء الشركة يفضلون المفاوضات للحصول على جزيرة خرج بدلاً من الغزو والاحتلال العسكري، وكانت الظروف قد تبدلت كثيراً لصالح بريطانيا ، ذلك أن الشاه قد أيقن أن فرنسا لن تقوم بأي عمل من شأنه كبح جماح حليفها روسيا ، التي يعيش حالة حرب معها ويخشها أعظم خشية من هجومها على بلاده ، وعلى هذا الأساس بدأ نفوذ الجنرال غاردان الفرنسي يقل في إيران (204) ، إذ أنه لم يتمكن من إرضاء الشاه ترصية حقيقية ، ففي عام 1808 حينما تقدم القائد الروسي جودوفيتش G. Gudovitch (205) ليحاصر أريفان أعطى الجنرال غاردان ضماناً للشاه ، أن الروس لن يبدأوا بالهجوم إلا إذا استقروا ، وارسل مساعده لاجار Lajarre ليحتج على القائد الروسي ، لكن هذه الإجراءات لم تحول دون تهديد الروس بالهجوم على الأراضي الإيرانية ، الأمر الذي أدى إلى تدهور مكانة الفرنسيين لدى الإيرانيين ، ومع ذلك كان غاردان يعمل بكل نشاط من أجل إقناع القوات الروسية بالانسحاب من جورجيا وقره باغ ، لكن محاولاته أيضاً لم يكتب لها النجاح ، وحينما طلب مهلة جديدة لأكمال تلك المهمة من الحكومة الإيرانية ، التي قررت إرسال علي محمد خان الأسترابادي من طهران إلى إقليم فارس ، لاستقبال السفير البريطاني جونز ، على أن يبقى الأخير هناك قبل توجهه إلى طهران ، فإذا كانت أعمال الجنرال غاردان ستستمر من دون نجاح ، فإن السفير البريطاني سيسمح له بالتوجه إلى طهران ، أما في حالة نجاح الجنرال غاردان في مهمته ، سيطلب من السفير البريطاني الرجوع إلى بلاده (206) 0

وعلى هذا الأساس بذل الشاه في الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام 1808 آخر محاولة ، للحصول على مساعدة ملموسة من نابليون ضد روسيا ، لذا أعطى الجنرال غاردان مهلة لمدة شهرين لمعرفة موقف نابليون النهائي بهذا الصدد ، وحينما لم يصل أي خبر من فرنسا بعد انقضاء تلك المدة ، قرر الشاه في نهاية كانون الثاني عام 1809 استقبال جونز، وحينما قدم الجنرال غاردان احتجاجاً إلى السلطات الإيرانية ، بسبب استقبالها جونز الذي كان في طريقه إلى طهران ، من أجل العمل على صد الأعمال التي يقوم بها غاردان ضد بريطانيا

(204) J.G.Lorimer, OP.Cit.Vol.I.Part.I.P.176; Part.II.PP.1898-1899; J.B.Kelly, OP.Cit.PP.92-93; M.E.Yapp.OP.Cit.P.92.

قائداً في خط دفاع القوقاز منذ عام Ivan Vasilevch Gudovitch (205) كان الجنرال أيفان فاسيليفتش جودوفيتش 1792، ثم أصبح الحاكم العام للقوقاز في عام 1806 خلفاً ليزانوف الذي قتل في باكو في العام السابق. ينظر:

H. Busse, OP.Cit. P. 120.

(206) Ibid. PP. 125- 126; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1883; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 93.

في إيران ، لم يكتثر للإحتجاج الذي قدمه غاردان لأن تأثير النفوذ الفرنسي في إيران غدا ضعيفاً ، لاسيما بعد ان أفصح جونز عن إستعداد بريطانيا للدفاع عن إيران ، ومذكراً في الوقت نفسه أن وساطة فرنسا لم تكن كافية لمنع الهجوم الروسي عليها ، ورغبة بريطانيا في التوصل إلى عقد اتفاقية للتعاون مع إيران ، ووعد بتقديم مائة وستين ألف تومان أي ما يعادل مائة وعشرين ألف جنيه إسترليني سنوياً لمساعدة إيران في حربها مع روسيا ، وان المبلغ سيدفع من شركة الهند ، فضلاً عن قيام ضباط بريطانيين بتدريب الجيش الإيراني على النمط الأوربي (207)

وصل جونز إلى طهران في الرابع عشر من شباط عام 1809 (208) ، وكان قد جلب معه رسالة من ملك بريطانيا وهدايا أوربية بضمنها هدية إلى الشاه الإيراني ، وهي قطعة من الجواهر الثمين بقيمة خمسة وعشرين ألف تومان ، وقد رحب الشاه به بشكل كبير وعامله بمنتهى الاحترام (209) ، وعقد في السابع عشر من الشهر نفسه اجتماعاً مع الشاه تمكن من خلاله من التوصل ، إلى عقد معاهدة تمهيدية في الثاني عشر من آذار عام 1809 بين بريطانيا وإيران ، كان الممثل الأساسي في المفاوضات ميرزا محمد شافي أو شفيع رئيس الوزراء الإيراني (210) .

(207) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1883, 1889; P. Sykes, OP.Cit. P. 307; J. B. Kelly, OP .Cit. PP. 93-94; H. Busse, OP.Cit. P. 128 ;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 144 .

يشير بوس إلى أن المبلغ الذي قررت بريطانيا أن تدفعه لإيران كان مقداره مائة وعشرين ألف تومان ، ينظر :

H. Busse, OP.Cit. P. 128.

(208) Ibid. PP. 126-128; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1900; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 93.

(209) H. Busse, OP.Cit. P. 126.

(210) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1900; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 94;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 144 .

معاهدة جونز في عام 1809 وأثرها في العلاقات البريطانية – الروسية لغاية عام 1814.

يمكن وصف المعاهدة التي وقعتها بريطانيا وإيران (معاهدة جونز)⁽²¹¹⁾ بأنها تمهيدية ، إذ التزم الطرفان المتعاقدان في مادتيها الأولى والثانية باستبدالها لاحقاً ، بمعاهدة محددة بالمبادئ نفسها لتنظيم الأمور بالتفصيل ، وتشير الشروط الأساسية في هذه المعاهدة إلى علاقات إيران بالدول الأوروبية ، أعلن بموجبها الشاه من جانبه إلغاء جميع المعاهدات ، التي كان قد عقدها قبل هذا التاريخ مع الدول الأوروبية الأخرى ، متعهداً بعدم السماح لأي جيش أوروبي بالتوجه إلى الهند من خلال أملاكه ، فيما تعهدت الحكومة البريطانية بالمقابل ، أنه في حالة وقوع حرب بين إيران ودولة أوروبية أخرى ، فستقوم بتزويد إيران بالقوات العسكرية الضرورية أو دفع تعويضات لها بدل ذلك ، وتزويدها بالضباط والأسلحة وفقاً للأعداد والكميات التي سينص عليها في المعاهدة النهائية ، وفي حالة صلح بريطانيا مع تلك الدولة الأوروبية ، فإن عليها أن تقوم بدور الوسيط بينها وبين إيران ، ولكن إذا أخفقت في ذلك فإن بريطانيا تكون ملزمة بتقديم المساعدات العسكرية الضرورية لإيران⁽²¹²⁾ .

أن تلك البنود المتعلقة بالدول الأوروبية وإن جاءت بصيغة التعميم ، إلا أنها كانت موجهة ضد تدخل فرنسا في إيران ، وكانت موجهة في الوقت نفسه ضد روسيا وتهدف إلى تحريض إيران لمواصلة حربها معها⁽²¹³⁾ .

أما فيما يتعلق بالشؤون الأفغانية ، فقد تم الاتفاق على عدم تدخل بريطانيا في حالة نشوب حرب بين إيران وأفغانستان ، إلا بطريق الوساطة بناءً على طلب الجانبين ، لكن إذا هاجمت أفغانستان المستعمرات البريطانية في الهند فيجب على الشاه القيام بمهاجمتها بطريقة تحدد في المعاهدة الثانية⁽²¹⁴⁾ ، وهذا يشير إلى مدى التأثير البريطاني في البلاط الإيراني ، الذي وضع نفسه بمثابة المدافع عن المصالح البريطانية في الهند ، من خلال منع تهديدها من الأفغان أو الروس ، في الوقت الذي لم تقف بريطانيا بشكل جدي ، في مساعدة إيران على الصعيدين العسكري والسياسي في حربها مع جارتها الشمالية .

⁽²¹¹⁾ عن نص المعاهدة ، ينظر :

C.U.Aitchison, , OP.Cit. Vol .XIII . PP. 53-55.

⁽²¹²⁾ Ibid ; J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 19; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1900 ; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 94.

⁽²¹³⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1900; Kelly, OP.Cit. P. 98;

كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 45 .

⁽⁴⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1900; Kelly, OP.Cit. P. 94.

أما بصدد جزيرة خرج التي كانت على وشك الاحتلال من قبل السلطات الهندية ، فقد اتفق على إن نزول قوات بريطانية من الهند في أي ميناء إيراني ، فإن وجودها يجب أن يعد احتياطياً يخضع إلى رغبة الشاه ، لا للحصول على حقوق وممتلكات ، وفيما إذا وافقت الحكومة الإيرانية على بقائها ، فيجب أن تعامل بطريقة ودية وأن يمكّنها الموظفون الإيرانيين المحليين من الحصول على التموين (215) .

وقد أخبر جونز حكومة الهند بنجاحه الذي ظهرت بوادره ، برحيل البعثة الفرنسية التي يرأسها الجنرال غاردان من إيران ، حينما انسحب من تبريز في الثالث عشر من شباط عام 1809، ويرجع نجاح جونز في تنفيذ معظم الأهداف التي جاء من أجلها ، إلى حاجة إيران الشديدة للمساعدات البريطانية ضد روسيا التي تخوض معها حرباً ، وإلى ثبوت عدم أهمية التحالف الفرنسي ، وإلى تحمس ومثابرة المبعوث البريطاني نفسه ، ويمكن أن يعزى بعض الفضل إلى الخوف من الاحتلال البريطاني لخرج (216) .

أُرسلت المعاهدة التمهيدية في السابع من مايس عام 1809 إلى لندن للتصديق عليها ، تحت رعاية مورير سكرتير بعثة جونز ، وقد رافقه في رحلته إلى لندن ميرزا أبو الحسن السفير الإيراني (217) في لندن، الذي كانت مهمته معرفة الكيفية التي سيتم بموجبها دفع المعونة البريطانية للشاه إذا ما أصبحت محققة ، وقد حصلت بريطانيا بموجب هذه المعاهدة على نفوذ سياسي واقتصادي في إيران ، وكانت سياسة بريطانيا على النقيض من سياسة روسيا ، فالجانب الاقتصادي هو الذي كان يهم بريطانيا لا توسعها الإقليمي الذي سارت عليه روسيا (218) .

لقد كان أشد ما يقلق الحكومة البريطانية هو أن تتمكن روسيا من إنهاء مشاكلها مع إيران، فتشكل مصدر خطر على مستعمراتها في الهند ، فأصبح العمل الأساسي للممثل البريطاني في طهران، هو الحدّ بقدر الامكان من نشاط روسيا ونفوذها المتزايد في إيران (219)، فقد كتب جونز

(1) J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 15; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. 1. Part. II, PP. 1900-1901.

(2) Ibid , PP. 15-18; Ibid., P. 1901; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 95.

(217) كان السفير الإيراني ابن أخت حجي إبراهيم رئيس الوزراء الإيراني وزوج ابنته ، وكان حاكماً على شستر حينما كانت السلطة بيد خاله ، مكث في الهند أكثر من عامين في كلكتا وأمكنة أخرى . ينظر:

J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1901-1902.

(218) Ibid ; J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 15; H. Busse, OP.Cit. P. 129;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 145-146 ؛ صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، ص 65 .

(219) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1884; J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 97-99;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 150 .

السفير البريطاني في طهران في أيلول عام 1809 ، إلى نظيره روبرت أدر R.Ader في اسطنبول الذي مارس بدوره نشاطاً واسعاً ، لمنع حصول أي تقارب روسي . إيراني، قال له ما نصه : "إذا تمكنت روسيا من عقد صلح مع إيران ، فأن ذلك سيتحول إلى ضربة توجه إلى نفوذ بريطانيا في كل من طهران واسطنبول" ⁽²²⁰⁾، وبهذا الاتجاه بذل جونز نشاطاً متشعباً على أكثر من صعيد ، فقد كان يؤكد هو ومساعديه في أكثر من مناسبة ، على أن الصلح مع روسيا ينتقص من سيادة إيران ، وبتحريض منه قامت القوات الإيرانية بعمليات عسكرية في الجبهة مع روسيا ، من دون أن تتمكن من تحقيق شيء من أهدافها ⁽²²¹⁾ .

وافقت حكومة الهند على المعاهدة وأرسلت في أوائل عام 1810 مالكولم إلى الخليج العربي ، لاستعادة هيبة حكومتها ، بعد أن عانت من طرد بعثتها السابقة (بعثة مالكولم الثانية) من إيران ، وما أعقبها من نجاح ساحق حققه مبعوث منافس وهو جونز ، الذي كان قد أرسل من حكومة لندن ، وان كانا يسعيان لتحقيق هدف واحد هو مصلحة بريطانيا في منطقة الخليج العربي ⁽²²²⁾، وليكون للحاكم العام في الهند ممثل في مكان الأحداث، مستعد للقيام بواجبات المبعوث الدائم لدى البلاط الإيراني ، إذا ما وافقت حكومة لندن على اقتراحه بأن يوكل له تعيين الممثل البريطاني في إيران ، وقد طلب من مالكولم بذل الجهد للقيام بدراسة جغرافية لإيران ومنطقة الخليج العربي ، وتمكيناً له من أداء مهمته ورغبة في إحاطة بعثته بكل ما يمكن من دواعي النجاح ، زود مالكولم بمجموعة كبيرة ⁽²²³⁾ من الضباط والمسؤولين اللامعين ، على الرغم من أن تأثير جونز السفير البريطاني على فتح علي شاه ، بلغ إلى حد إصدار الشاه في السادس عشر من آذار من العام نفسه ، فرماناً موجه إلى عباس ميرزا ولي العهد الإيراني ، يشير إلى ضرورة إشراك جونز معه أثناء مفاوضاته التي تجري مع الجنرال تورماسوف G.Tormasoff القائد الروسي العام في القوقاز وجورجيا ، في قلعة عسكريان في تبريز للتوصل إلى عقد صلح بين روسيا وإيران ⁽²²⁴⁾ ، الأمر الذي دفع جونز إلى استغلال ذلك بما يضمن

⁽²²⁰⁾ نقلاً عن علي أكبر بيضا ، المصدر السابق : ، ص 151 .

⁽²²¹⁾ المصدر نفسه ، ص 151-152 ؛ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 47 .

⁽²²²⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 177; P. Sykes, OP.Cit. P. 308.

⁽²²³⁾ للتفصيل عن أعضاء بعثة مالكولم . ينظر :

J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 19.

⁽²²⁴⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 177; J. B. Kelly, OP.Cit. P.95; P. Sykes, OP.Cit. P. 308;

علي أكبر بيضا ، المصدر السابق ، ص 152.

مصالح بريطانيا في إيران والعمل في الوقت نفسه ، على إطالة أمد الحرب بين روسيا وإيران ، لذا عرض على عباس ميرزا ولي العهد الإيراني ، مشروعاً للصلح مع روسيا يتضمن ستة بنود صاغها بشكل يضمن المصالح البريطانية في إيران ويجعل منها في الوقت نفسه مقترحات مرفوضة من الروس (225) ، واثّر ذلك انقطعت المفاوضات بين روسيا وإيران لإنهاء الحرب بينهما ، وسرعان ما أبرق جونز السفير البريطاني في طهران ، إلى نظيره في اسطنبول ستراتفورد كاننك Stratford-Canning يخبره بذلك الانجاز ، الذي حققه في المذكرة المؤرخة في الرابع والعشرين من آيار عام 1810 ، ومن جانبه بعث ستراتفورد كاننك ، ببرقية إلى جونز يهنئه فيها على نجاحه في عرقلة العلاقات الروسية الإيرانية إذ يقول : "قدمت أكبر خدمة ، حينما تمكنت من أن تجعل من الحرب بين روسيا وإيران مستمرة بشكل اشد ، لدرجة جعلت الكسندر بيأس من عقد الصلح بين روسيا وإيران" (226) .

لذلك أرسلت حكومة الهند مالكولم في الحادي والعشرين من حزيران عام 1810 إلى فتح علي شاه وقدم له هدية تنسجم مع روح المعاهدة التمهيدية ، التي لم تصدّق عليها حكومة لندن بعد ، وهي بطاريتان من المدافع ذات الخيول بمعدات كاملة وخمس وثلاثين ألف قطعة من الأسلحة الخفيفة (227) ، لتستخدمها إيران ضد جارتها الشمالية روسيا التي تخوض حرباً معها . إن حصول الروس على مكاسب إقليمية في شمال إيران ، قد يسهل لهم وصول نفوذهم إلى الخليج العربي ، الأمر الذي عدته بريطانيا خطراً يهدد مصالحها التجارية في الخليج العربي والمحيط الهندي ، لذا حرصت بريطانيا على مكافحة هذا الخطر عن طريق كسب إيران إلى جانبها (228) .

أحاط جونز السفير البريطاني في طهران ، في أوائل تموز عام 1810 مالكولم المبعوث من حكومة الهند علماً ، بقرار حكومة لندن في أن يكون تعيين الممثل البريطاني لدى البلاط الإيراني من صلاحيتها ، وإن اختيارها وقع على كور أوسلي Gore Ouseley (229) ، ليخلف

(225) المصدر نفسه ، ص 152، 154 . عن بنود الصلح ، ينظر : المصدر نفسه ، ص 154.

(226) نقلاً عن: علي أكبر بيينا ، المصدر السابق ، ص 155-156.

(227) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1904.

(228) قدرتي قلعي ، الخليج العربي ، بيروت ، 1965 ، ص 454 .

(229) كان كور أوسلي (1770-1844) قد ذهب إلى الهند في عام 1787 تاجراً ، فانكب على دراسة المعارف الشرقية فأصبح ضليعاً بعدة لغات تحدثاً وكتابةً ، منها الإنكليزية والروسية والفرنسية والعربية والفارسية والهندوستانية ، وكان مطلعاً على التاريخ العالمي ، صدر أمر تعيينه في العاشر من آذار عام 1810 سفيراً مفوضاً مطلق الصلاحيات لدى البلاط الإيراني ، وبقي في منصبه حتى عام 1814. ينظر :

H. Busse, OP.Cit. PP. 137-139, 147.

جونز الذي قبلت استقالته ، وكان هذا القرار ضربة قاضية لآمال مالكولم ، الذي كان يطمح في منصب السفير البريطاني الدائم في طهران ، وكانت الحكومة الإيرانية قد بذلت عن طريق جونز مجهوداً كبيراً ، لكنه أخفق في الحصول على خدمات مالكولم الشخصية في الحرب ضد روسيا ، وبناءً على طلب جونز فإن زملاءه الأكثر ولاءً له في إيران ، قد استمروا في الخدمة العامة فيها ، ومنهم الكابتن كريستي C.Christi والملازم لندسي Liut.Lindsay وآخرين (230) .

كانت بعثة مالكولم الثالثة والأخيرة له إلى إيران ، التي انتهت في تموز عام 1810 باهظة التكاليف ، ولم تكن نتائجها السياسية تتناسب مع المصروفات ، ربما قلل من قيمتها هي الكيفية التي انتهت بها (231) .

وأخيراً ترك جونز (232) ، أمر البعثة البريطانية في طهران إلى شريدان Sheridan ، لحين وصول أوغلي السفير المفوض في طهران من لندن ، الذي عهد إليه إتمام العمل الذي بدأه جونز ، لا سيما تعزيز التحالف بين بريطانيا وإيران عن طريق عقد معاهدة بينهما (233) ، للوقوف ضد الأعمال العدائية التي قد تقوم بها روسيا ، تجاه مصالحها في الهند ومنطقة الخليج العربي . كان الروس يضغطون على إيران بشدة في حربهم معها حينذاك ، وكان الشاه ينتظر بقلق شديد ليعرف فيما إذا كان باستطاعته الحصول على مساعدات عسكرية عاجلة من البريطانيين ، الذين حققوا نصراً كبيراً على الفرنسيين في كانون الأول عام 1810 باحتلال قلعته في الشرق إيل دي فرانس Ile de France المعروفة بموريشيوس ، الأمر الذي أدى إلى انتهاء خطر فرنسا في البحار الشرقية (234) ، وهذا أتاح لبريطانيا الفرصة لتتفرغ لمواجهة أخطار روسيا في منطقة الخليج العربي والمحافظة على مصالحها هناك .

وحينما وصل أوغلي إلى طهران في الرابع عشر من تشرين الثاني عام 1811 ، خُصص له جناح خاص في بيت حجي محمد حسين خان أمين الدولة (235) ، كان يرافقه في رحلته مورير

(230) J. A. Saldanha, OP.Cit. PP. 19-20; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1904-1905; P. Sykes, OP.Cit. PP. 308-309.

(231) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1905; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 596.

(232) H. M. حينما عاد جونز إلى بريطانيا في نهاية عام 1810 عن طريق اسطنبول ، تحطمت سفينة الحكومة البريطانية التي كانت تقله ، على الساحل البريطاني في تشرين الأول عام 1811 ، ومع أنه بقي على قيد الحياة S. Pomon حتى عام 1846 ، فإن هذا الحادث يعد نهاية لحياته الحافلة بالمتاعب والجهود ، على حد وصف لوريمر . ينظر :

J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1905; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 95.

(233) Ibid ; Ibid., P. 97.

(234) Ibid.PP.1905-1906; Ibid. P. 96.

(235) H. Busse, OP.Cit. P. 138.

سكرتير بعثة جونز السابقة في طهران ، وميرزا أبو الحسن السفير الإيراني في لندن ، والعقيدان دارسي Darcy وستون Ston من المدفعية الملكية البريطانية ، اللذان قدّر لهما أن يخدموا في الجيش الإيراني ، فضلاً عن سبعة وأربعين من ضباط الصف البريطانيين ليكونوا مدربين للمشاة الإيرانيين⁽²³⁶⁾، وقد جلب أوّسلي معه رسالة وهدايا بقيمة خمسة وعشرين ألف تومان من ملك بريطانيا إلى الشاه الإيراني⁽²³⁷⁾، وبعد وصوله إلى طهران مباشرة التحق أفراد البعثة العسكرية ، الذين جاءوا برفقته ، بعباس ميرزا ولي العهد الإيراني ، الذي كان معسكراً في إقليم أذربيجان على الحدود الروسية لتدريب الجيش الإيراني⁽²³⁸⁾ ، عسى أن يتمكن من صد الزحف الروسي داخل الأراضي الإيرانية.

وفعلاً تمكنت القوات الإيرانية التي يقودها الجنرال البريطاني دارسي ، في بداية عام 1812 ، من هزيمة قوة روسية في شيشة Shisheh القريبة من نهر آراس ، وتكبيدها مدفعين وثلاثمائة قتيل وأسر خمسمائة آخرون⁽²³⁹⁾ .

وفي ضوء النتائج العسكرية التي حققتها إيران في حربها ضد روسيا والدور البريطاني فيها، قررت حكومة الشاه التوقيع على المعاهدة النهائية البريطانية الإيرانية في الرابع عشر من آذار⁽²⁴⁰⁾ عام 1812 ، وعلى الرغم من إرسال بريطانيا السفير أوّسلي ليعقدها ، إلا أن المعاهدة لم يصدّق عليها ملك بريطانيا وحلت محلها معاهدات أخرى⁽²⁴¹⁾ .

وبتحريض بريطانيا ودعمها شنت إيران في أواخر آب من العام نفسه ، هجوماً مباغتاً على طالش ، ودمّرت قلعتها لنكران ونتيجة لهذه الانتصارات كتب عباس ميرزا ولي العهد

(6)J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1905-1906; P. Sykes, OP.Cit. PP. 308-309;

علي أكبر بيّنا ، المصدر السابق ، ص 146 .

(237)H. Busse, OP.Cit. P. 139.

(238) محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني-الروسي في فارس 1809-1839 ، مجلة الخليج العربي ، المجلد العشرون ، العدد 1 ، البصرة 1988 ، ص 56 .

(239)J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1875.

(240) يشير محمد عبد الله العزاوي سهواً إلى أن عقد المعاهدة كان في الرابع عشر من نيسان . ينظر :

محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني-الروسي في فارس ، ص 55 .

(241) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1906; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 97.

منها على سبيل المثال معاهدة طهران التي عقدت في عام 1814 بين بريطانيا وإيران ، التي تم شرحها في صفحة 66 .

الإيراني في الخامس عشر من أيلول من العام نفسه ، إلى صديقه جونز شكره على الدعم البريطاني ، قائلاً كان لمدفيعتكم العامل الحاسم في الإنتصار⁽²⁴²⁾ .

أما على صعيد القارة الأوروبية ، فقد أخفق الحصار القاري الذي فرضه نابليون على بريطانيا إخفاقاً تاماً ، فبعد أن تضررت منه روسيا ، لأن حجم تجارتها مع بريطانيا كان أكبر بكثير عما هو عليه الحال مع فرنسا من جهة ، وبسبب ضغط المجموعات التجارية الروسية على الحكومة من جهة أخرى ، قام الكسندر الأول في الحادي والثلاثين من كانون الأول عام 1810 بالخروج على ضوابط الحصار ، الأمر الذي وضع نهاية لمعاهدة تيلست وفصم عرى التحالف بين العاهلين الروسي والفرنسي ، وبدا واضحاً منذ نهاية عام 1811 بأنهما يقودان بلديهما نحو الحرب⁽²⁴³⁾ ، فعملت السياسة الخارجية البريطانية في العام التالي من جانبها ، على تخفيف الضغط على روسيا من لدن السويد والدولة العثمانية ، من أجل تفرغها لمواجهة خطر نابليون عدوها المشترك ، فبتأثير ستراتفورد كانك السفير البريطاني في اسطنبول تم التوصل إلى صلح بخارست في الثامن والعشرين من مايس عام 1812 بين بطرسبورغ والباب العالي⁽²⁴⁴⁾ ، مما ترك مرارة كبيرة في نفوس الإيرانيين لتأثيره في موقفهم من حربهم مع جارتهم الشمالية روسيا ، وذلك لأن إيران كانت قد أقامت في آب عام 1810 ، تحالفاً مع الدولة العثمانية ، موجهاً أساساً ضد روسيا ، وهذا يعني أن صلح بخارست ، قد وجه ضربة قوية لهذا التحالف ، فبدأت اتصالات سرية بين لندن وبيطرسبورغ ، للتباحث في أهم المسائل الدولية حينذاك ، فشككت الحرب الروسية - الإيرانية جانباً مهماً منها ، وسرعان ما تبددت غيوم الخلافات بين بريطانيا وروسيا ، الأمر الذي أدى إلى عودة العلاقات الى سبق عهدها بين الدولتين ، اثر توقيع الجانبان على معاهدة التحالف في السادس عشر من تموز من العام 1812 ، التي مهدت السبيل لحملة نابليون على روسيا واندحار قواته أمامها⁽²⁴⁵⁾ .

ومع ذلك لم تكف لندن عن مناوراتها حتى بعد توقيعها على معاهدة التحالف مع بطرسبورغ ، لأنها كانت ترغب في حصول روسيا ، على أقل ما يمكن من المكاسب من خلال

⁽²⁴²⁾ باسم خطاب حبش الطعمة ، العلاقات البريطانية - الإيرانية 1798-1857 ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1992 ، ص 125 .

⁽²⁴³⁾ I. Strakhovsky, Alexander 1 of Russia, New York, 1947, P. 72; I. Spector, OP.Cit. P. 105; A. G. Mazour, OP.Cit. PP. 202-203; R. B. Mowat, OP.Cit. P. 577.

(1) G.N.Curzon, Persia and the Persian Question, Vol.1. London, 1966. PP. 390, 392 ; H. Temperley, England and the Near East the Crimea, London, 1964. P. 51;

علي أكبر بيينا ، المصدر السابق ، ص 159 .

⁽²⁴⁵⁾ علي أكبر بيينا ، المصدر السابق ، ص 157-159 ، 162 ؛ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 49 .

انتصارها على إيران⁽²⁴⁶⁾ ، ففي صيف عام 1812 جرت مراسلات بين القائد دي ريتشيف Genral de Rtisheff القائد العام للجيش الروسي في جورجيا وبين السفير البريطاني في طهران ، لإنهاء الحرب الروسية الإيرانية ، وعلى الرغم من عدم التوصل إلى أي أساس للتسوية في الاجتماع ، الذي عقد بين المبعوثين الروس والإيرانيين ، في إسطنبول على نهر آراس⁽²⁴⁷⁾ ، إلا أن القيادة الروسية كانت متفائلة ، من موقف عباس ميرزا ولي العهد الإيراني وغيره من كبار المسؤولين ، لكن البريطانيين أسرعوا في تخريب جسور الثقة التي أقامها الجانبان ، الأمر الذي دفع الجنرال دي ريتشيف إلى بعث رسالة إلى وزير خارجيته في الثامن من آب عام 1812 ، عبر فيها عن تفائله من إخلاص عباس ميرزا في عقد الصلح ، لكنه كان يشك كثيراً في إخلاص البريطانيين ، ويخشى ألا يعيهم وتأثيرهم في الحكومة الإيرانية⁽²⁴⁸⁾ .

لكن تسوية بريطانيا وروسيا خلافتهما وتحالفهما في أوربا ضد نابليون ، جعل من غير الممكن استمرار اشتراك البريطانيين في الحرب الروسية . الإيرانية ، فقد كتب قائد السفن البحرية الروسية في بحر قزوين ، إلى دارسي قائد البعثة العسكرية البريطانية في إيران ، متذمراً من مشاركة بعض الضباط البريطانيين في القوات الإيرانية ، ضد روسيا التي أصبحت حليفة لبريطانيا في أوربا⁽²⁴⁹⁾ .

وحينما هزم الروس في نهاية تشرين الأول عام 1812 القوات الإيرانية هزيمة ساحقة ، اضطر على أثرها السفير البريطاني في طهران إلى إصدار أوامره ، إلى الضباط والجنود البريطانيين العاملين في صفوف القوات الإيرانية بالانسحاب ، وقد تخلف الكابتن كريستي والضابط لندسي مع ثلاثة عشر فرداً من المدربين البريطانيين ، بعد أن صرح لهم أن يفعلوا ما يروق لهم ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلت من كريستي ولندسي ، فقد هزمت قوات عباس ميرزا وتشتت ، مما اضطرها إلى الانسحاب ، بعد أن أنقذت مدفعين فقط من مجموع ثلاثة عشر مدفعاً ، تاركة كريستي جريحاً في ميدان المعركة ، والذي اعدم بأوامر من القائد الروسي ، بحجة أنه وصلته معلومات خاطئة ، بعدم وجود ضباط بريطانيين مشتركين في الحرب إلى جانب الإيرانيين ، ولم تتمكن القوات الروسية من إحراز أي تقدم عند نهر آراس ، لأن روسيا كانت مثقلة بمشكلات خطيرة في أوربا ، بسبب غزو نابليون عامي 1812 و 1813 للأراضي الروسية⁽²⁵⁰⁾ .

⁽²⁴⁶⁾ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 49 - 50 .

⁽²⁴⁷⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1906.

⁽²⁴⁸⁾ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 51 .

⁽²⁴⁹⁾ محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني . الروسي في فارس ، ص 56 .

⁽²⁵⁰⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1875, 1906; P. Sykes, OP.Cit. P. 314.

وبعد أن اقتنع أوّسلي بأنه لا فائدة من تأخير عقد الصلح ، وأن القوات الروسية بإمكانها تحقيق انتصارات حاسمة جديدة في حالة استمرار الحرب ، مما قد يؤدي إلى حصول روسيا على مكاسب كبيرة ، وهذا ما لا تتمناه بريطانيا لتعارضه مع تطلعاتها في المنطقة ، لذلك أقنع أوّسلي فتح علي شاه وكبار مسؤوليه في طهران ، بأن يباشروا في مفاوضات الصلح مع الروس ، وبما أن فتح علي شاه حوّل أوّسلي حق التفاوض مع روسيا باسمه ، لذا فإن الاتصالات الأخيرة بشأن مواضيع الصلح المهمة ، تمت أساساً بينه وبين المسؤولين الروس ، ولكي تتفرغ روسيا لمواجهة أخطار حملة نابليون على بلادها وافقت على قيام أوّسلي ، الذي كان يحضى بمكانة كبيرة لدى البلاط الإيراني ، بالوساطة بين الجانبين ، وقد بذل أوّسلي جهوداً كبيرة في تقريب وجهات النظر بينهما ، من أجل إيجاد تسوية تضع نهاية للحرب بين روسيا وإيران ، الأمر الذي دفع إيران إلى قبول الشروط المذلة لمعاهدة كلستان في الثاني عشر من تشرين الأول عام 1813، وقد وقعها عن الجانب الروسي الجنرال دي ريتشيف ، فيما وقعها عن الجانب الإيراني ميرزا أبو الحسن السياسي المعروف بموالاته للبريطانيين⁽²⁵¹⁾ .

تقرر بموجب بنود معاهدة كلستان التي تألفت من إحدى عشرة مادة⁽²⁵²⁾ ، منح روسيا السيادة على جميع السفوح الجبلية لمنطقة القوقاز ، وجعلت آسيا الصغرى والهند مفتوحتين أمام الروس . يتضح ذلك من خلال البنود الإقليمية التي احتوتها ، إذ تعهدت إيران بالتنازل لروسيا⁽²⁵³⁾ ، عن ولايات وخانيات قره باغ ، وكنجه وشيروان وشكي ودريند ، وباكو وكوبا وعن الجزء الشمالي لخانية طالش ، فضلاً عن تخلي إيران عن كل ادعاءاتها بجورجيا وداغستان ، وهذا يعني أن روسيا سيطرت بموجب المعاهدة ، على شرق جورجيا وترانسكوكاسيا Transcaucasia⁽²⁵⁴⁾ وباكو فائقة الأهمية ووصول حدودها إلى نهر كورا ، وإلى الشرق من نهر آراس الذي يؤدي إلى بحر قزوين ، ما عدا أريفان ونخشيوان Nakhshivan ، وترك الوضع النهائي للحدود

⁽²⁵¹⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1875, 1906; H. Busse, OP.Cit. P. 143; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 97;

علي أكبر بيضا ، المصدر السابق ، ص 175-176، 294؛ كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص 55 .

⁽²⁵²⁾ للمزيد من التفاصيل عن المعاهدة ، ينظر :

J. C. Hurewitz, OP.Cit. PP. 84-86.

⁽²⁵³⁾ محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني - الروسي في فارس ، ص 56-57 ؛ باسم خطاب حبش الطعمة ، المصدر السابق ، ص 127 .

⁽²⁵⁴⁾ تقع في الوقت الحاضر ضمن الجمهوريات الروسية تشمل جورجيا وأرمينيا و أذربيجان ، فتحت من لدن روسيا ما بين عامي 1801- 1828 . ينظر :

B. H. Sumner, OP.Cit. P. 2.

تقرره لجنة مشتركة ، يكون لها حق تعيين التقسيم المقترح للمنطقة ، في حالة ما إذا وجد منافياً لواقع الملكية السابقة ، ولم تجر أي محاولة لتحديد خط الحدود الجديد في منطقة طالش المجاورة لبحر قزوين ، وتركت المشكلة للمفاوضات في المستقبل ، ومنحت روسيا حقاً استثنائياً للإحتفاظ بسفنها في بحر قزوين ، فيما حرمت إيران أو أية دولة أخرى من حق مشابه⁽²⁵⁵⁾ .

فتحول بحر قزوين ، على حدّ وصف كيرزن ، إلى "بحيرة روسية" ، في الوقت الذي أصبحت فيه دربند وباكو ولنكورن تابعة إلى روسيا ، على الرغم من أنها كانت موانئ إيرانية⁽²⁵⁶⁾ ، ومن أغرب التبريرات الإيرانية بشأن التنازل عن بحر قزوين ، تلك التي صدرت عن فتح علي شاه ، حين قال : "هل نحن بط حتى نكون بحاجة إلى مياه قزوين المالحة"⁽²⁵⁷⁾

وفي مقابل ذلك تعهدت روسيا من جانبها ، بتأييد الأمير الذي يعينه الشاه وريثاً لعرش إيران ، وكانت هناك نية لتبادل السفراء وتعيين القناصل أو الوكلاء التجاريين ، على أن يكون لكل منهم السلطة نفسها ، التي تمنح لنظائرهم في البلد الآخر ، وحددت الضرائب المفروضة على

الواردات والصادرات للبضائع الروسية، بخمسة بالمائة تدفع مرة واحدة⁽²⁵⁸⁾ .

من جانب آخر كانت إيران تأمل في حصولها على ضباط بريطانيين لأعداد جيشها في جولة ثانية من الحرب ضد روسيا ، وذلك على أمل إسترجاع أراضيها ، التي خسرتها في جولاتها الأولى في حربها مع روسيا بين عامي 1804-1813⁽²⁵⁹⁾ .

أما موضوع المعاهدة البريطانية- الإيرانية المقترحة ، التي أرسل أوّسلي ليعقدها في الرابع عشر من آذار عام 1812 ، فقد طال أمدها لعدم تصديقها من الحكومة البريطانية ، بعد أن وجدتتها غير مرضية من بعض الجوانب ، لا سيما البند الخاص بالدعم المالي والمساعدات العسكرية ، في حالة تعرض إيران لهجوم من أي دولة أوربية ، حتى أن إيران لم تستفد منها شيئاً في حربها الأولى ضد روسيا ، وعاد أوّسلي في صيف عام 1814 إلى بريطانيا عن طريق

⁽²⁵⁵⁾ G. N. Curzon, Persia and the Persian, Vol. II. P. 393; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1876; P. Sykes, OP.Cit. P. 314; A. G. Mazour, OP.Cit. P. 212;

علي أكبر بيّنا ، المصدر السابق ، ص 291 .

⁽²⁵⁶⁾ G. N. Curzon. Persia and the Persian, Vol. II. PP. 393, 556.

⁽²⁵⁷⁾ نقلاً عن : كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 57 .

⁽²⁵⁸⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1876; P. Sykes, OP.Cit. P. 314;

علي أكبر بيّنا ، المصدر السابق ، ص 291 .

⁽²⁵⁹⁾ P. Sykes, OP.Cit. P. 314.

روسيا , تاركاً مورير ليقوم بواجبات السفير البريطاني في طهران⁽²⁶⁰⁾ . ولعقد معاهدة جديدة مع إيران.

معاهدة طهران البريطانية - الإيرانية في عام 1814 وأثرها في العلاقات البريطانية الروسية لغاية عام 1832 .

حاولت بريطانيا استغلال الآثار السلبية التي خلقتها بنود معاهدة كلستان في نفوس الإيرانيين , من أجل تثبيت موطئ قدم لها في إيران , فلم يمض على عقدها سوى ثلاثة عشر شهراً , حتى تم التوقيع على معاهدة جديدة بين بريطانيا وإيران , في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام 1814, التي سميت بمعاهدة طهران , وكان عقدها نتيجة للجهود التي بذلها هـ. اليس H. Ellis الذي رافق مالكولم في بعثته الثالثة إلى إيران , بعد تعيينه من لندن وزيراً مفوضاً في طهران , ومزوداً بتعليمات جديدة , وذلك بالتعاون مع مورير السفير البريطاني السابق في إيران⁽²⁶¹⁾ .

⁽²⁶⁰⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1906; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 97.

⁽²⁶¹⁾ J.A. Saldanha, OP.Cit. P. 21; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1906-1907; P. Sykes, OP.Cit. P. 309;

تألفت معاهدة طهران من إحدى عشرة مادة ⁽²⁶²⁾ ، ففي المادة الأولى أعلنت الحكومة الإيرانية، أنها ستلغي جميع محالفاتها المعقودة مع دولة أوربية أخرى ، في حالة عداها مع بريطانيا ، وارتبطت بعدم السماح لأي جيش أوربي ، من الدخول إلى الأراضي الإيرانية ، وألقت برأ أو بحراً تجاه الهند ، وتعهدت بأن لا تسمح لأفراد ينتمون إلى دولة أوربية ، بالتردد على إيران ، إذا كانت لهم خطط ضد الهند أو عدا مع بريطانيا ، وفي المادة نفسها تعهد فتح علي شاه باستخدام جميع الوسائل التي تحت تصرفه ، ليقنع دول آسيا الوسطى ⁽²⁶³⁾ بمنع أي غزو أوربي عن طريق أراضيها ، ونصت المادة الثانية على قيام صداقة بين لندن وطهران ، تلزم بريطانيا بالامتناع عن التدخل في الصراع الداخلي في إيران ، وأن تنشئ سلامة ممتلكاتها . وحددت المادة الثالثة بأنها دفاعية تماماً ، وقررت أن الحدود بين روسيا وإيران يجب أن تقبلها الدولتان وأن تقبلها بريطانيا . وتشير المادة الرابعة إلى الالتزامات التي فرضتها المعاهدة التمهيدية لعام 1809 على بريطانيا ، في حالة غزو إيران من دولة أوربية ، وحددت قيمة المنحة السنوية ، التي تدفعها بريطانيا لإيران ، بمائتي ألف تومان ما يقارب مائة وخمسين ألف جنيه ، على أن لا تدفع هذه المنحة ، في حالة نشوب حرب بينها وبين دولة أخرى ، تكون فيها إيران هي المعتدية ، ويجب أن يقدم برهان أيضاً ، على أن المنحة ستنتفك في المجالات العسكرية التي دفعت من أجلها فقط ، على أن تصرف باستشارة السفير البريطاني وبمعرفة ⁽²⁶⁴⁾ ، وسمحت المادة الخامسة للحكومة الإيرانية ، باستخدام ضباط أوربيين لتدريب جيشها ، بشرط أن لا ينتمي أمثال هؤلاء ، إلى دولة تكون في حالة حرب أو عدا مع بريطانيا ، وفي حالة وجود دولة أوربية ، في سلام مع بريطانيا وأعلنت الحرب على إيران ، فعلى الحكومة البريطانية أن تبذل وساطتها ، فإذا أخفقت في ذلك ، فإن الشرط الذي يقيد بريطانيا بمساعدة إيران إما بقوة عسكرية أو بمنحة مالية ، تدفع على شكل

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 280 ، 284 .

(2) للمزيد من التفصيل عن المعاهدة . ينظر :

C.U.Aitchison, OP.Cit. PP. 60-63; J. C. Hurewitz, OP.Cit. PP. 86-88; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1907;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 280-284 .

⁽²⁶³⁾ آسيا الوسطى في الوقت الحاضر ضمن أراضي الجمهوريات الروسية تشمل ، تركمانستان وأوزبكستان وكرغيزيا و طاجيكستان ، فتحت كلها بين عامي 1864-1885 وضمت إلى الأمبروطورية الروسية . ينظر :

B. H. Sumner, OP.Cit. P. 2.

⁽²⁶⁴⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1907; P. Sykes, OP.Cit. P. 309;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 281-283 .

أقساط عاجلة قدر الإمكان ، ونصت المادتان الثامنة والتاسعة، في حلة قيام حرب بين بريطانيا وأفغانستان ، فعلى الشاه أن يقوم بعمل عسكري ضد الأفغان ، على أن يتلقى من الحكومة البريطانية منحة مالية لتغطية نفقاته ، وفي حالة قيام حرب بين إيران وأفغانستان ، فعلى بريطانيا عدم التدخل ، وتكون وسيطاً بين الطرفين⁽²⁶⁵⁾ ، بينما كانت سياسة بريطانيا بين عامي 1800.1798 ، تقوم على تشجيع إيران على مهاجمة أفغانستان ، التي كانت تهدد الهند بقيادة زمان شاه حينذاك ، وهذا يشير إلى أن بريطانيا كانت تتاور في سياستها ، وفقاً لما تمليه عليها مصالحها في المنطقة .

وأخيراً في المادة الحادية عشرة تعهدت بريطانيا مساعدة الشاه في الخليج العربي، إذا كان ذلك ملائماً وممكناً ، بالسفن الحربية والقوات العسكرية ، على أن تدفع الحكومة الإيرانية نفقاتها ، فضلاً عن أن سفن بريطانيا يجب رسوها في الموانئ ، التي تعينها السلطات الإيرانية ولا ترسو في موانئ أخرى ، إلا إذا دعت الضرورة القصوى لذلك ، وقد خلت هذه المادة من الوضوح، التي طلبها الإيرانيون ، بلا شك ، ربما كان الدافع لها استمرار [القرصنة] في الخليج العربي ، وظهور خطر السعوديين على أطماع إيران في البحرين ، أو ربما بفعل بعض المشاكل التي تحدث من حين لآخر، بين حكومة شيراز وزعماء المشيخات المستقلين، على الساحل الشرقي من الخليج العربي⁽²⁶⁶⁾.

كانت تلك المعاهدة مفاجأة غير سارة للحكومة الروسية ، إلا إنها كانت تؤكد في تصريحاتها بأنها لا تعبرها أي اهتمام ، بعدّها معاهدة دفاعية في الوقت الذي ليست لديها أطماع إقليمية في إيران ، ولا تهدف إلا الى حماية الحقوق التي منحت لها ، بموجب معاهدة كلستان⁽²⁶⁷⁾ .

وقد ظلت معاهدة طهران لعام 1814 ، تنظم العلاقات السياسية البريطانية - الإيرانية ، لحقبة تزيد على أربعين عاماً بعد ذلك ، وجاءت على غرار المعاهدة التي نجح جونز في عقدها عام 1809 ، لكنها كانت هذه المرة موجهة ضد روسيا بدلاً من فرنسا ، بعد أن زال الخطر الفرنسي عام 1813⁽²⁶⁸⁾ .

⁽²⁶⁵⁾ Ibid., PP. 1907-1908; Ibid., PP. 309-310;

المصدر نفسه ، ص 282-284 .

⁽²⁶⁶⁾ Ibid. P. 1908; Ibid;

المصدر نفسه ، ص 283-284 .

⁽²⁶⁷⁾ خضير مظلوم فرحان البديري ، المصدر السابق ، ص 29 .

⁽²⁶⁸⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1908 .

لقد كان من الآثار المباشرة لمعاهدة طهران ، أنها قللت من الأهمية الإستراتيجية للخليج العربي في نظر بريطانيا ، وقد إتضح ذلك أثناء قيام جونز بمهمته في إيران ، فالعلاقات البريطانية الإيرانية كانت حتى عام 1798 تجارية بحتة ، وكان الخليج العربي ممراً لتلك العلاقات ، وحتى بعد عام 1798 حينما إكتسبت العلاقات البريطانية - الإيرانية طابعاً سياسياً أوضح ، ظل الخليج العربي محوراً للمصالح البريطانية⁽²⁶⁹⁾ ، ومن ثم فإن الشعارات التي دعا إليها ولزلي (الحاكم العام الأسبق للهند) ، أي منذ أن كان يعتقد بأن الجيش الأوربي الذي يريد غزو الهند من الشمال الغربي ، لا بد له من عبور الخليج العربي بعدّه الطريق البحري الوحيد ، بدلاً من التعرض لإخطار الطريق البري الوعر في أفغانستان ، غير أن المعاهدة التمهيدية التي عقدها جونز مع الحكومة الإيرانية عام 1809 ، قد صرفت الاهتمام عن الخليج العربي وركزته على إيران ، والسبب في ذلك واضح ، فبعد عام 1808 ، صارت روسيا لا فرنسا ، هي العدو الذي يمكن أن يفكر في غزو الهند ، ففي الوقت الذي سبق أن توقعت بريطانيا فيه ، أن يقوم الفرنسيون بمثل ذلك الهجوم من البحر في الأقل ، فإن روسيا لم يكن أمامها سوى الطريق البري ، إذ كانت حدودها متصلة مع إيران ، ومن ثم فقد كان عبور الجيش الروسي إلى الهند ، لا بد وأن يمر من شمال إيران ، ولم يكن من المتوقع بأي حال أن يسلك الروس طرق الخليج العربي الساحلية ، لأنهم بذلك سيعرضون قواتهم لتكون هدفاً للأسطول البريطاني ، الذي سيتمكن من صد الزحف ، بينما كان مالكولم والحالة هذه يصّر بقوة على عدّ الخليج العربي ، الطريق الوحيد لأي غزو ، في الوقت الذي كان يعرف ، مثل جونز وربما أكثر منه ، احتمال إستخدام الروس للطريق الشمالي من خلال إيران وأفغانستان ، ويمكن الرد على هذا السؤال في طموحات مالكولم الشخصية ، الذي كان يعدّ نفسه سيد الخليج العربي وسيد تلك الجزيرة المحصنة ، خرج ، والحاكم بأمره في مقدرات ومصير إيران وشبه الجزيرة العربية ، وقد كان هدفه من القاعدة في الخليج العربي انها ستكون خط الدفاع الأول عن إمبراطورية الهند⁽²⁷⁰⁾.

ويبدو أن السبب الذي عجل في عقد معاهدة طهران لعام 1814 ، إعتقاد الشاه بان بريطانيا هي وحدها القادرة على حمايته من الروس ، لا سيما إذا ما علمنا أن كلاً من روسيا و إيران ، لم تعدّ معاهدة كلستان بمثابة تسوية نهائية بينهما ، فاستمرت في عداوتهما طيلة أكثر من عقد من السنين ، ويعود ذلك إلى عدم إقتناع الطرفين بها ، فقد كان الشاه يشعر بان البنود التي احتوتها كانت نوع من الدّل والمهانة ، في الوقت الذي لم تكن المعاهدة نهاية المطاف ، لأطماع

⁽²⁶⁹⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 97.

⁽²⁷⁰⁾ Ibid. P. 98.

روسيا التوسعية في المنطقة⁽²⁷¹⁾ ، فقد أرسل الشاه بعدها مبعوثاً إلى بطرسبورغ ، ليطالب روسيا بالتخلي عن الأراضي التي حصلت عليها بموجب المعاهدة ، ورداً على ذلك قام الجنرال يرمالوف **General Yermaloff** القائد العام للقوات الروسية في جورجيا ، بزيارة طهران ، إذ زود بصلاحيّة الإدلاء بالتصريحات وفقاً للتعليمات التي كانت معه للضغط على البلاط الإيراني ، بطلبات جديدة متعددة تدعو للاستغفار ، لذلك لم يتم التوصل إلى نتيجة عن طريق تبادل البعثات ، لا سيما فيما يخص تخطيط الحدود بين البلدين⁽²⁷²⁾ .

ومن جانبها بذلت بريطانيا جهوداً كبيرة ، لإقناع روسيا أن تعيد النظر في مواد معاهدة كلستان ، وتعيد لإيران المناطق التي استحوذت عليها نتيجة حرب 1804-1813 ، الذي كان يتوافق كلياً مع مصالحها في المنطقة ، مما ولد قلقاً واضحاً للسلطة الروس ، الذين وقفوا بالمرصاد لمناورات لندن ومتابعاتها الدقيقة ، لكل ما يتعلق بين روسيا وإيران⁽²⁷³⁾ ، ثم أخذت المصالح البريطانية في إيران بعد عام 1815 تنقلص بدرجة سريعة ، لأن الأسباب التي أملت تلك العلاقة مع الحكومة الإيرانية قبل بضعة أعوام ، عندما كانت فرنسا تحتل مركزاً مهماً ، لدى حكومة الشاه ، وكان الروس يتوغلون داخل الأراضي الإيرانية بإقليم القوقاز ، هذه الأسباب قد زالت ، بعد هزيمة نابليون وتوقيع معاهدة كلستان بين روسيا وإيران عام 1813، وعلى الرغم من أن روسيا كانت في تلك الحقبة الدولة الكبرى ، التي يمكن أن ينطلق الخطر منها على الهند ، إلا أن هذا الخطر تلاشى بعد إبرام معاهدة طهران عام 1814 ، والتي ألزمت الشاه بالتصدي ، لأي جيش أوروبي يحاول العبور من بلاده لغزو الهند ، وفي مقابل هذا الشرط وعدت بريطانيا بمساعدة الشاه ، في حالة تعرض بلاده للهجوم من أي دولة أوروبية ، وقد تحسنت العلاقات البريطانية - الروسية بعد عام 1815 ، وأصبح الرأي السائد في الدوائر الهندية ، ان قيام الروس بمثل هذا الغزو ، لم يعد أمراً وارداً في تصوراتهم ، وحتى لو كان هذا الافتراض صحيحاً ، فقد كان بالامكان مواجهة ذلك الغزو عند نهر ستلج **Sutlej** شرق أفغانستان⁽²⁷⁴⁾ .

⁽²⁷¹⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P.1876; R. Kumar, OP.Cit. P. 15;

محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني - الروسي في فارس ، ص 57 .

⁽²⁷²⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1876; P. Sykes, OP.Cit. P. 315;

علي أكبر بيينا ، المصدر السابق ، ص 201-202 .

⁽²⁷³⁾ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 59 ؛

H. Busse, OP.Cit. PP. 146-147.

⁽²⁷⁴⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 260.

والواقع ان بريطانيا لم تكن ترغب في إنتهاج سياسة المواجهة مع روسيا ، عن طريق مد حدود الهند البريطانية إلى ما وراء نهر ستلج⁽²⁷⁵⁾ ، أي إلى حدود الهند الطبيعية عند سلسلة الجبال التي تحيط بالهند من الغرب والشمال (بلوچستان والبنجاب) ، كما انها لم تبذل جهوداً فعلية من جانب الحكومة البريطانية في الهند ، لتدعيم الأحلاف الدفاعية مع الدول الواقعة في منطقة شمال غرب نهر ستلج ، التي كانت على حد رأي ولزلي الحاكم العام الأسبق للهند ، تمثل المنطقة العازلة بين الهند وجاراتها ، وكانت إيران وهي أهم تلك الدول ، قد وصلت بسبب سياسة الإهمال إلى حالة من اليأس والتذمر ، وقد أخفقت البعثات التي أوفدها الشاه إلى بريطانيا ، في اقناعها بالمصلحة المشتركة التي تربط بين الدولتين في مقاومة الأطماع الروسية في القوقاز وبحر قزوين ، بسبب سياسة التهدة والاكتفاء التي تبنتها حكومة الهند في عام 1818 ، لخدمة مصالح الشركة البريطانية وأهدافها فضلاً عن كسبها للرأي العام ، بجانب تطبيق القوانين الدستورية وفقاً لما تقضي به حكومة الهند⁽²⁷⁶⁾ .

ومن الجدير بالذكر فقد ظلت مصالح البريطانيين لدى البلاط الإيراني تُراقب باستمرار ، منذ وصول جونز لإيران عام 1808 ، وكانت هذه المراقبة تتم بوساطة ممثلين خصوصيين من رتب مختلفة ، وكانوا يعيّنون من لندن لا من حكومة الهند⁽²⁷⁷⁾ .

وكشف قرار نقل مسؤولية رقابة المصالح البريطانية في طهران في عام 1823 من الحكومة البريطانية إلى حكومة الهند ، عن تقليل بريطانيا لأهمية مصالحها في إيران⁽²⁷⁸⁾ ، فعلى الرغم من الجهود التي بذلها البريطانيون ولمدة أكثر من عقد من السنين ، امتد بين عامي 1815 و 1826 لتحسين الجيش النظامي الإيراني ، عن طريق إعارة الشاه عدداً من الضباط البريطانيين لهذا الغرض ، لكن مساعيهم أخفقت في إيجاد قوات مقاتلة ذات كفاءة بحجة عدم ملائمة الإيرانيين لذلك⁽²⁷⁹⁾ . ويبدو ان البريطانيين لم يرغبو بتدريب الإيرانيين وسائل القتال الحديثة ، خشية ان يتحولوا الى قوة ضدهم يوماً ما .

الأمر الذي دفع مالكولم الى توجيه تحذيراً في السادس عشر من شباط عام 1826 إلى السلطات البريطانية - قبيل بدأ الحرب الروسية الإيرانية 1826-1828- ان سيطرة الروس على

⁽²⁷⁵⁾ غدت بريطانيا في العقد الثاني من القرن التاسع عشر ، سيّدة للهند من خليج البنغال في الجنوب الشرقي حتى نهر ستلج في الشمال الغربي . ينظر :

H. G. Rawlinson, OP.Cit. PP. 27, 49.

⁽²⁷⁶⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 260- 261.

⁽²⁷⁷⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1909.

⁽²⁷⁸⁾ Ibid., PP. 1908-1909; J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 21; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 261.

⁽²⁷⁹⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1909.

حكومة طهران سيعرض الحكم البريطاني في الهند إلى الخطر ، فإذا ما وقعت الحرب مع روسيا فإن إيران ستكون خطنا الدفاعي عن الهند ، لذا يجب أن نحتمي إستقلال إيران من روسيا ونستطيع أن نحقق ذلك ، لأننا نسيطر بالكامل على الخليج العربي وهو لنا كبحر قزوين للروس ، ولدينا رصيد محلي من الثقة يفوق كثيراً الرصيد المالي (280) .

وبذل الروس في الوقت نفسه جهوداً كبيرة ، من أجل تغلغل سياسي واقتصادي واسع في مختلف مرافق إيران ، فقد كسبوا عدداً كبيراً من العملاء الإيرانيين الذين أخذوا يعملون لحسابهم ويوصلون إليهم أدق التفاصيل عن أهم أحداث إيران ، وحاول الروس بأساليب شتى التغلغل في البلاط الإيراني نفسه ، ومحاولة كسب الأمراء القاجاريين إلى صفوفهم وتغذية الخلافات بينهم ، وقد تمكنوا بالفعل من كسب الأبن الأكبر للشاه محمد علي ميرزا الذي كان يطمح في ان يخلف والده في العرش (281) .

كان الغموض المتعمد من لدن الروس ، الذي وضع في أحد بنود معاهدة كلستان بصدد تحديد ثلاث أو أربع مناطق ، كان أهمها كوكجة Chokchih التي تقع بين البحيرة التي تحمل هذا الاسم وبين اريفان ، قد أثار بعض المشاكل بين وفود بطرسبورغ وطهران في صيف عام 1825 ، في التوصل إلى تسوية لمشكلة كوكجة لكنها أخفقت ، وعندها برهن الروس على عدم حُسن نواياهم، حينما أقدمت قواتهم على احتلال تلك المنطقة ، الأمر الذي ولدَ سخطاً شديداً لدى الشعب والمسؤولين الإيرانيين على حد سواء ، فوجد الشاه نفسه مضطراً للإصرار على جلاء الروس من كوكجة تلبية لمطالب الإيرانيين ، وإن كان الأمر مخالفاً لرأيه على حد وصف لوريمر (282) .

وفي هذا الموقف الحرج مات القيصر الكسندر الأول في الثامن عشر من كانون الأول عام 1825، وخلفه أخوه نقولا الأول Nicolas I (1825-1855)، الذي بعث الأمير منشيكوف Prince Menschikoff ليناقدش الوضع مع كبار المسؤولين في طهران ، لكن لم يرضخ أي من الجانبين للأخر في مسألة كوكجة (283) .

لقد علق عباس ميرزا ولي العهد الإيراني ، على انتفاضة الديكابريون (الديسمبريون) (284) ، التي حدثت في روسيا بعد وفاة الكسندر الأول آمالاً كبيرة ، بعد أن صورها له البريطانيون على

(280) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 262.

(281) كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 62 .

(282) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1876 – 1877.

(283) Ibid.,Part.1. P. 177; A. G. Mazour, OP.Cit. P. 213.

(284) للمزيد من التفاصيل عن الانتفاضة ، ينظر :

A. G. Mazour, OP.Cit. PP. 214-217; I. Spector, OP.Cit. PP. 114-116.

غير حقيقتها، بعد أن أكدوا له أن الانتفاضة هزّت الإمكانات الروسية ، وأن إيفاد الأمير منشيوكوف للتفاوض ليس إلا برهاناً على ضعف الروس، واضطرارهم للتراجع أمام إيران بسبب أوضاعهم الداخلية⁽²⁸⁵⁾ ، وما كاد المبعوث الروسي الأمير منشيوكوف يرحل من مكان المفاوضات، حتى نشبت الحرب من جديد بين الدولتين في المدة 1826-1828 ، بعد أقل من عام من حكم نقولا الأول ، حينما شن الجيش الإيراني في منتصف عام 1826 الحرب على روسيا، محققاً بعض النجاح في بعض الأراضي القزوينية⁽²⁸⁶⁾ .

كان البريطانيون يراقبون أحداث الحرب عن كثب منذ اندلاعها ، فلم يعملوا على إنهاؤها ، مادامت القوات الإيرانية قد تمكنت من إبعاد الروس عن سواحل بحر قزوين ومناطق قوقازية مهمة ، لكن ما إن تغير ميزان الحرب لصالح الروس حتى تتابعت مناورات الدبلوماسية البريطانية، من أجل وقف تسلل الروس المتزايد داخل الأراضي الإيرانية ، فجرى تبادل عشرات المذكرات⁽²⁸⁷⁾ بين حكومتي بريطانيا وروسيا ، واجتمع وزير الخارجية البريطاني عدة مرات بالوزير الروسي في لندن بشأن الموضوع ، لكن الموقف الحازم الذي اتخذته القيصر الروسي نقولا الأول لم يفسح المجال للبريطانيين، في تحقيق ما كانوا يصبون إليه من سياستهم فيما يخص الحرب الروسية الإيرانية⁽²⁸⁸⁾ ، التي تتمثل في محاولتهم إبعاد الخطر الروسي عن مناطق نفوذهم في الخليج العربي والمحيط الهندي .

لكن حينما أصبحت الحرب تهدد استقلال إيران ، وبدأ انسحاب القوات الإيرانية أمام قوات الجنرال الروسي باسكوفيتش G. Paskevitch ، الذي عبر نهر آراس واحتلاله أجزاء مهمة من يريفان، ومهدداً في الوقت نفسه طهران ، على الرغم من مشاركة الضباط البريطانيين في تلك الحرب⁽²⁸⁹⁾ ، وصل في هذه اللحظة الحرجة من الحرب الروسية . الإيرانية ، جون مكدونالد كينر

⁽²⁸⁵⁾ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 64 .

⁽²⁸⁶⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1877; P. Sykes, OP.Cit. P. 317; R. K. Ramazani, OP.Cit. PP. 46-47; I. Spector, OP.Cit. P. 125;

كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 66 ؛ علي أكبر بيضا ، المصدر السابق ، ص 202 .

⁽²⁸⁷⁾ للمزيد من التفاصيل عن المذكرات ، التي جرت بين الروس والإيرانيين بالاشتراك مع البريطانيين بشأن الحرب . ينظر :

علي أكبر بيضا ، المصدر السابق ، ص 235-242 .

⁽²⁸⁸⁾ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 66 .

⁽²⁸⁹⁾ I. Spector, OP.Cit. P. 125; H. Busse, OP.Cit. P. 184.

John Macdonald Kinner السفير البريطاني (1824-1830)⁽²⁹⁰⁾ في طهران إلى جبهة الحرب، فاخطر الجنرال باسكوفيتش إذا لم تسحب روسيا قواتها من أذربيجان ، فأن بريطانيا بالاشتراك مع القوى الأخرى ، ستدمر الإمبراطورية الروسية مثلما دمرت نابليون سابقاً ، بهذا التهديد تمكن السفير البريطاني من زعزعة موقف باسكوفيتش⁽²⁹¹⁾، مقترحاً في الوقت نفسه التوسط بين الجانبين وإنهاء الحرب ، بالشكل الذي لم تعترض عليه بطرسبورغ ، متعهداً بدفع مبلغ مائتي ألف تومان ، ما يقارب مائة وخمسين ألف جنيه إسترليني ، تعويضاً لطهران التي قبلت العرض⁽²⁹²⁾ . بدأت المفاوضات لإنهاء الحرب في قرية تركمانجاي Turkmanchai التي تبعد حوالي ثمانين ميلاً جنوب شرق تبريز ، بين وفدي روسيا وإيران باشتراك مكدونالد السفير البريطاني في طهران ، التي طال أمدها من تشرين الأول عام 1827 إلى شباط عام 1828 ، بسبب عناد الشاه وإصراره على عدم دفع التعويضات المالية للمنتصرين ، لخشيته من إمكانية استخدام تلك الأموال من الجنرال باسكوفيتش ، في تجهيز حملة عسكرية أخرى على إيران ، ولكن مكدونالد تمكن من تطمين الشاه بشأن هذه المسألة تحديداً ، وكذلك كان الشاه يأمل في قيام حرب بين روسيا والدولة العثمانية ، فضلاً عن رغبة البريطانيين في أن تبقى القوات الروسية داخل الأراضي الإيرانية ، أطول مدة ممكنة حتى تتمكن الدولة العثمانية ، من إعداد قواتها للحرب المتوقعة بصورة أفضل⁽²⁹³⁾ .

وأخيراً وقع في الثاني والعشرين من شباط عام 1828⁽²⁹⁴⁾ ، على معاهدة الصلح بين الجنرال باسكوفيتش وعباس ميرزا ولي العهد الإيراني ، اللذان كان لديهما تفويضاً مطلقاً من

⁽²⁹⁰⁾ حقق جون مكدونالد كينر نجاحاً كبيراً للجيش البريطاني في الهند ، الحق في بعثة مالكولم إلى إيران عامي 1808-1809 ثم عين سفيراً فيها خلال الحقبة (1824-1830) . ينظر :

H. Busse, OP.Cit. P. 184.

⁽²⁹¹⁾ Ibid.

⁽²⁹²⁾ كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 66 ؛ إبراهيم تيموري ، عصري خبري يا تاريخ امتيازات در إيران ، تهران ، 1332 هـ ، ص 237 .

⁽²⁹³⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1878; P. Sykes, OP.Cit. P. 320 ; H. Busse, OP.Cit. P. 185 ;

كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 72 .

ينظر : ⁽²⁹⁴⁾ للمزيد من التفاصيل عن المعاهدة

C.U. Aitchison, OP.Cit. Appendix, XXIII- XXXIV; J. C. Hurewitz, OP.Cit. PP. 93-106.

حكومتيهما ، تألفت المعاهدة من ست عشرة مادة ، وحلت محل معاهدة كلستان ضمت شروطاً أكثر قسوة منها ⁽²⁹⁵⁾ ، فبموجب المعاهدة الجديدة أصبح كل الأقليم شمالي نهر آراس وقلعة عباس آباد ومناطق طالش وموغان أرضاً روسية ، وبذلك حرمت إيران نهائياً من أريفان ونخشيوان ، وحددت تعويضات الحرب التي تدفعها إيران لروسيا ، بخمسة ملايين تومان ، أي ما يعادل ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف جنيه استرليني ، وهو مبلغ ضخم وفقاً للقوة الشرائية السائدة حينذاك ، وثبت الشرط الخاص بالحق الاستثنائي لروسيا ، في ان تحتفظ بسفن حربية في بحر قزوين كما جاء في معاهدة كلستان ، الأمر الذي جعل بحر قزوين بحيرة روسية ⁽²⁹⁶⁾ ، وتعهدت روسيا بأن تعترف سواءً أكان في الحال أم في المستقبل ، بحق عباس ميرزا ولي العهد بأن يخلف فتح علي شاه ، وتضمن أحد بنود المعاهدة الحث على تبادل السفراء الدائمين بين بطرسبورغ وطهران وأدخل شرط مقابل القناصل ، والحق بالمعاهدة السياسية معاهدة تجارية حددت فيها الضرائب على التجارة الروسية كما كانت من قبل خمسة بالمائة فقط ⁽²⁹⁷⁾ ، فكانت بذلك وفقاً لما يشير إليه علي أكبر بينا ، قد وجهت ضربة قوية لموقع التجارة البريطانية في إيران ، بعد تسلط روسيا بشكل كامل على مقدرات إيران التجارية حتى أواسط القرن التاسع عشر ⁽²⁹⁸⁾ .

لقد كانت سياسة روسيا في المنطقة تقوم بالدرجة الأولى على سياسة التوسع الإقليمي ، ومحاولتها الحصول على أكبر قدر من التنازلات الإقليمية ، بينما كان الخط العام للسياسة البريطانية في إيران ومنطقة الخليج العربي على العكس من ذلك ، وهي محاولة الحصول على المكاسب الاقتصادية والسياسية بالدرجة الأساس ، من دون التوسع الإقليمي في المنطقة ، مما قد يشكل عليها زيادة في النفقات المالية وهذا ما كانت تتحاشاه في سياستها ، فضلاً عما قد يشكله

⁽²⁹⁵⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1878; H. Busse, OP.Cit. P. 185; R. Kumar, OP.Cit. P. 15;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 303 .

⁽²⁹⁶⁾ G. N. Curzon, Persia and the Persian, Vol. II. PP. 393, 589; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1878.

⁽²⁹⁷⁾ G. N. Curzon, Persia and the Persian, Vol. II. P. 553; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1878. ; P. Sykes, OP.Cit. P. 320;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 260 .

⁽²⁹⁸⁾ المصدر نفسه ، ص 260 . وللمزيد من التفاصيل عن المعاهدة التجارية التي تألفت من تسعة بنود ، ينظر: المصدر نفسه ، ص 304-309 .

من مخاطر المجابهة العسكرية ، مع منافستها روسيا التي لا تتمناها في تلك الحقبة ، لأنها كانت مركزة كل جهودها في تعزيز نفوذها في الهند⁽²⁹⁹⁾ .

وفي غضون تلك الحقبة من عدم إكتراث السياسة البريطانية تجاه إيران ، كان النفوذ الروسي يتعزز في شمال إيران ، إذ بينما حصل الروس على مناطق حساسة هناك بموجب معاهدة تركمانجاي⁽³⁰⁰⁾ ، حاولت بريطانيا تعديل معاهدة طهران لعام 1814 التي عقدت بينها وبين إيران ، التي كانت تلزم إيران في أن تشترك في صدّ أي هجوم من جانب أية دولة أوربية ، فحينما نشبت الحرب الروسية - الإيرانية طالب الإيرانيون ، بموجب المعاهدة المساعدات البريطانية ، لكنها منعت على أساس أن الحرب لم يبدأها الروس باحتلال منطقة كوكجة المتنازع عليها ، بل بدأت بهجوم قام به الإيرانيون على الروس ، وقد لوحظ أن المعاهدة بذلك الوضع سببت تعقيدات خطيرة لبريطانيا ، فانتهزت الأخيرة ، بعد معاهدة تركمانجاي مباشرة ، فرصة الصعوبة التي تواجهها إيران في جمع تعويضات الحرب ، التي يجب أن تدفعها لروسيا ، من أجل تعديل بندين من بنود معاهدة طهران لعام 1814 المعقودة بين بريطانيا وإيران ، اللذين يضمنان التزاماً قد يورطها في الحرب ضد روسيا ، وقد نجحت بريطانيا في إقناع الحكومة الإيرانية ، مقابل دفع مبلغ مقداره مائتي ألف تومان، ما يقارب مئة وخمسين ألف جنيه استرليني ، لإلغاء المادتين الثالثة والرابعة اللتان كانتا تجبران بريطانيا ، على أن تنتظر في دعاوى الحدود بين روسيا وإيران ، وان تساعد الأخيرة بالأموال والمعدات العسكرية في حالة وقوع اعتداء على إيران من دولة أوربية ، وقد تم رسمياً في الرابع والعشرين من آب عام 1828 ، إلغاء تلك المادتين التي يسميهما لوريمر "البغيضتين" ⁽³⁰¹⁾.

لكن سرعان ما تبنت بريطانيا سياسة جديدة ، تقتضي العمل على تقوية إيران والمحافظة على استقلالها أمام جارتها الشمالية القوية ، بعد اقتناع مخططي السياسة البريطانية بأن روسيا هي العدو الحقيقي لهم ، ولابد من وضع الترتيبات اللازمة لمواجهتها عن طريق الحفاظ على أمن الهند وتعزيز النفوذ البريطاني في الدول المجاورة ⁽³⁰²⁾ ، لا سيما أن الصفقة التي فازت بها

⁽²⁹⁹⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 208.

⁽³⁰⁰⁾ P. Sykes, OP.Cit. P. 318;

عبد السلام عبد العزيز فهمي ، تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين ، الجيزة ، 1973 ، ص 10 ؛ صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، ص 106 .

⁽³⁰¹⁾ J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 21; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1909; P. Sykes, OP.Cit, P. 321; M. E. Yapp. OP.Cit. P. 103;

علي أكبر بيضا ، المصدر السابق ، ص 241 .

⁽³⁰²⁾ محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني - الروسي في فارس ، ص 63 .

روسيا بموجب معاهدة تركمانجاي كانت ضربة قاسية لإيران ، وما كادت أخبار تلك المعاهدة تصل إلى لندن في نهاية نيسان عام 1828 ، حتى أعلن القيصر الحرب ⁽³⁰³⁾ على الباب العالي بسبب المشكلة اليونانية، أي مساعدة الروس الثوار اليونان ضد الدولة العثمانية ، وقد أحييت هذه التطورات مخاوف لندن القديمة، من إحتمال إجتياح روسي للهند ، ولعل رأي الكولونيل دي لاسي إيفانز C. de Lacy Evans الذي ورد في مؤلفيه، "الأطماع الروسية" الذي طبع في لندن عام 1828 و"إحتمالات غزو الهند البريطانية" الصادر في العام التالي ، قد لقي رواجاً كبيراً في كل من بريطانيا والهند ، في أواخر العشرينيات ومستهل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، وعلى الرغم من ان إيفانز كان يشك في قدرة الروس ،على تسيير جيش إلى منطقة بعيدة عنهم مثل الهند ، فقد كان يعتقد أن هذه المحاولة لو تمت فأن الطريق المحتمل أن يسلكه الجيش ، هو طريق خيوه وبخاري ثم أالاندس ، أما الإحتمال الثاني فهو طريق إيران وهرات فقندهار ثم الوثوب على الهند⁽³⁰⁴⁾ ، لا سيما أن إحرار القيصر الروسي الحرب على إيران ، جعلها تخضع خضوعاً تاماً لنفوذ وسيطرة روسيا⁽³⁰⁵⁾ .

لقد وجدت آراء إيفانز صدىً لدى لورد الينبورو Lord Ellenborough الذي تولى رئاسة مجلس الهند في أيلول عام 1828 ، خلال وزارة ولنكتون Willington (1827-1830) ، وكان الروس في تقدمهم إلى نقطة لا تبعد أكثر من ثلاثمائة ميل من الموصل إذ يمتد نهر دجلة الى الخليج العربي ، أثار ذلك مخاوف ولنكتون من ألا يتوقف الزحف الروسي عند ذلك الحد ، وإزاء ذلك بعث الينبورو تعليمات إلى الحاكم العام للهند في آب عام 1829 ، بأن يقوم بتزويد شاه إيران باثنتي عشر ألف بندقية ، وإيفاد ضباط من الجيش البريطاني على نفقة الحكومة البريطانية ،إذا اقتضى الأمر لتدريب الجيش الإيراني ، وأعلن في الشهر التالي "أنه لو حاول الروس الزحف نحو الخليج العربي عن طريق ولاية بغداد ، فسوف يحتل جزيرة خرج وإغلاق حوض الرافدين في وجههم " ⁽³⁰⁶⁾ .

⁽³⁰³⁾ بدأت الحرب بين بطرسبورغ والباب العالي في نيسان عام 1828 ، وانتهت في الرابع عشر من أيلول من العام التالي ، التي منحت روسيا فرصة الاندفاع نحو آسيا . ينظر : Adrionople ، بعد التوصل إلى عقد معاهدة أدرنه

H. Temperley, OP.Cit. PP. 54, 56.

⁽³⁰⁴⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 261; E. Ingram, The Beginning of the Great Came in Asia 1828 – 1834, Oxford, 1979, PP. 62-63.

⁽³⁰⁵⁾ عبد السلام عبد العزيز فهمي ، المصدر السابق ، ص 10 .

⁽³⁰⁶⁾ Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 261–263; C. H. Phillips, The East India Company, 1784–1834, Manchster, 1940, P. 269.

ولم يكن يخامر الينبورو الشك ، في أن الروس واصلون في النهاية إلى كابل ، فبعد قراءته لكتاب إيفانز الثاني ، كتب في مذكراته في الثلاثين من تشرين الأول من العام نفسه : "أرى أن مسألة غزو الهند ليست ممكنة بل وسهلة أيضاً ، وعليه فعند وصول الروس إلى خيوه يجب علينا إحتلال لاهور وكابل ، لمواجهة أي إحتمال لاندفاع الروس إلى الهند ، لأن الروس إذا نجحوا في إحتلال كابل ، فإن وجودهم هناك يجعلهم أمام الاندس ، ريثما يتمكنون من تنظيم وحدات العمل وراء خطوطنا وإعادة تسليح قواتهم" (307) .

أما روسيا فقد قامت بينها وبين إيران أزمة خطيرة في شباط عام 1829 ، بسبب مقتل الكسندر سيرغيفتش غريبويدوف⁽³⁰⁸⁾ A. S. Griboyedov الوزير المفوض الروسي في طهران هو وأعضاء سفارته ، بإستثناء واحد منهم ، الذي كان خارج بناية السفارة وقت الحادث ، على أيدي جمهور ساخط ، لإعتقاده بأن الوزير الروسي أوجد مطالب قاسية في معاهدة تركمانجاي ضد إيران أثارت الناس ، فضلاً عن محاولة الوزير الروسي ترسيخ المشاعر الإيرانية المعادية للبريطانيين ، ولم يكن دور الأخيرين في تحريض الإيرانيين ضده قليلاً ، فقد كان يهم بريطانيا فتح جبهة جديدة ضد روسيا ، بهدف تخفيف ضغطها على الدولة العثمانية ، التي كانت مشتبكة بحرب مع روسيا حينذاك، كما لم يكن الساسة البريطانيون مرتاحين مما حققته روسيا من تعزيز لموقعها في إيران ،

وفقاً لما احتوته معاهدة تركمانجاي من بنود تشكل ضربة لنفوذهم في المنطقة (309) .

ولما كان القيصر الروسي نقولا الأول حريص على الاحتفاظ بالمكاسب ، التي حصلت عليها بلاده من إيران من جانب ، ولحرصه على عدم دفع إيران إلى الانحياز ، إلى جانب عدوته الدولة العثمانية من جانب آخر ، لذلك عدّ مذبحه السفارة الروسية في طهران حدثاً ثانوياً ، حتى أن القيصر لم يذكر مقتل غريبويدوف أمام الوفد الإيراني ، الذي حضر لتقديم اعتذار الشاه عن ذلك الحادث ، وقبل الاعتذار الرسمي ، الذي قدمه الشاه عن طريق خسرو ميرزا ابن ولي العهد الإيراني ، الذي أرسل إلى بطرسبورغ ممثلاً عن الشاه خصيصاً لذلك الحادث ، والأكثر من ذلك

⁽³⁰⁷⁾Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 261–262; E. Ingram,OP.Cit.P. 62.

⁽³⁰⁸⁾ للمزيد من التفاصيل عن حياته وأهم مؤلفاته الأدبية ونشاطه السياسي وكيفية مقتله . ينظر : الدراسة

التي أجراها الدكتور كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق ، ص 77 - 83 .

P. Sykes, OP.Cit. P. 321. يشير سايكس إلى أن الأزمة حدثت عام 1828 . ينظر :

⁽³⁰⁹⁾J. G. Lorimer, OP.Cit . Vol. I. Part. II. P. 1879; P. Sykes, OP.Cit. P. 321;

كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق، ص80-81؛ علي أكبر بينا، المصدر السابق، ص249.

، فقد تمكن خسرو من الحصول على تنازل روسي ، عن عشر تعويضات الحرب ، التي فرضت على إيران بموجب معاهدة تركمانجاي ، أي ما مقداره مليوني روبل روسي ، ما يقارب ثلاثمائة ألف جنيه استرليني ، فضلاً عن موافقة الحكومة الروسية ، على تأجيل أقساط التعويضات لمدة خمسة أعوام (310) .

وبعد هذا الحادث ظل نفوذ روسيا في البلاط الإيراني قوياً وبدأت سياسة إيران الخارجية ، لا سيما على الحدود الشمالية الشرقية تتأثر بخطط روسيا ، لذا أصبح الشغل الشاغل للسياسة البريطانيين ، هو العمل على إسترجاع النفوذ البريطاني في إيران ، بعد إعتقادهم أن روسيا هي العدو الحقيقي لمصالح بريطانيا ، ولا بد من الوقوف ضد خطرهما لأنها تمثل التهديد الحقيقي للسيادة البريطانية في منطقة الخليج العربي والهند (311) .

ووفقاً لما يشير إليه الدكتور زكي صالح إلى إن معاهدة تركمانجاي ، أنذرت في عام 1828 بحلول المنافسة البريطانية - الروسية في الشرق الأوسط ، لا سيما في منطقة الخليج العربي ، وإذا ما أضيفت إليها معاهدة أدنه التي عقدت بين بطرسبورغ والباب العالي في العام التالي ، حصل لدينا ما يحدد منشأ المنافسة البريطانية - الروسية ، في الشرق الأوسط بصورة عامة وفي منطقة الخليج العربي بصورة خاصة ، وهذا أقلق بريطانيا وأثار حفيظتها فكانت عندئذ البداية الفعلية للتنافس بينها وبين روسيا في تلك الربوع (312) 0

ومن أجل أن تقوي بريطانيا موقفها في وجه التوسع الروسي في منطقة الخليج العربي ، أقدمت في أواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، على القيام بمشاريع خطيرة تضمن لها أرجحية المصالح في المنطقة ، وهي جمع معلومات تفصيلية عن مجاري دجلة والفرات ، من أجل إيجاد طريق مختصر للمواصلات بين البحر المتوسط والخليج العربي (313) ، وهذا الإدراك لأهمية المشروع يعود في المقام الأول ، إلى جهود توماس لوف بيكوك T. L. Peacock المكلف بفحص بريد شركة الهند الشرقية ، حينما سلم في أواخر عام 1829 إلى الينبورو رئيس مجلس

(310) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1879; P. Sykes, OP.Cit . PP. 321-322; H. Busse, OP.Cit. PP. 187, 190;

كمال مظهر أحمد ، المصدر السابق، ص 83؛ علي أكبر بينا ، المصدر السابق، ص 254؛ علي خضير عباس المشايخي ، المصدر السابق ، ص 71-72.

(311) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1879; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 269;

علي أكبر بينا ، المصدر السابق ، ص 255-256 .

(312) Z. Saleh, Mesopotamia (Iraq) 1600-1914, Astudy in British Foreign Affairs, Baghdad 1957. PP. 146, 148.

(313) Ibid , PP. 148, 149, 151; J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 263, 266 .

الهند مذكرة مطولة تتناول موضوع الملاحة البخارية في نهر الفرات ، وحينما أبدت بعض الاعتراضات على قيام السلطات البريطانية بعمليات مسح للطريق المباشر ، كي لا يؤدي ذلك إلى إستفزاز الروس ، ودفعهم إلى الاهتمام بالعراق على حساب الوجود البريطاني في الهند ، أجاب بيكوك : "أن الروس يعرفون المزايا النسبية للطرق إلى الهند معرفة تامة ، حتى أنهم لا يحتاجون لمن يعلمهم ذلك " (314) وأن طريق خيوه ، على حد رأي بيكوك ، أكثر أغراءً للروس فيما لو فكروا في الوصول إلى الهند ، فما الذي يجعلهم يتآمرون بالزحف عبر الخليج العربي ومواجهة التفوق البريطاني هناك ، ومع ذلك لا يمكن تجاهل ذلك الإحتمال ، كما لا يمكن تجاهل التسهيلات المتاحة للروس في العراق ، فالمعدات العسكرية والبحرية يمكن نقلها بسهولة من الموانئ الجنوبية الشرقية للبحر الأسود ، إلى تلك المنطقة التي يلتقي فيها نهري دجلة والفرات ، وإذا نجح الروس في الاستيلاء عليها ، فإن كل المنطقة الممتدة من البحر الأسود إلى الخليج العربي ستكون تحت سيطرتهم ، وإذا نشبت حرب بين بريطانيا وروسيا ، ربما يكون إحتلال الروس لبغداد والبصرة ، هو الخطوة التمهيدية للهجوم على الهند ، وعلى أساس هذا الإقتراض يرى بيكوك ، أنه يتعين على بريطانيا ، ان تحتل العراق ، كذلك فإن اهتمام بريطانيا بالملاحة في نهر الفرات سيكون ذريعة لمقاومة أي تيارات قادمة ، على حد رأي بيكوك (315) .

وتأييداً لهذا الرأي ، أشار بيكوك إلى رسالة للكولونيل جون مكدونالد كينر السفير البريطاني في طهران (1824. 1830) ، الذي سبق له أن قطع نهر دجلة من الموصل إلى بغداد على أحد

الصنادل (316) قبل بضعة أعوام ، وقد أبدى كينر في تلك الرسالة مخاوفه من أن يفتن الروس إلى أهمية دجلة لنقل المؤن والجنود ، إذا ما فكروا في تحدي النفوذ البريطاني في الهند ، لا سيما أن نهر دجلة يصلح لسير القوارب الكبيرة ، من منطقة ديار بكر التي توجد فيها قلعة بنيت من الأحجار البركانية وتصلح قاعدة عسكرية ، لكن شارلس كرانت Charles Grant الذي خلف في عام 1830 الينبورو في رئاسة مجلس الهند ، وغيره من أعضاء المجلس ، كانوا واثقين من أن الزحف الروسي إلى الهند ، لو قدر له أن يتبلور ، فإنه سيأتي عن طريق إيران وليس عن طريق الخليج العربي (317) .

(314) Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 264 - 265.

(315) Ibid. P. 265; E. Ingram, OP.Cit. P. 62; C. H. Phillips, OP.Cit. P. 269.

(316) تصنع الصنادل من الجلود والأخشاب ، وفي إمكان هذه الصنادل ، أن تبحر بشحنات كبيرة فوق المناطق الضحلة ينظر :للنهر ، وقد يبني الصندل في أقل من اثنتى عشرة ساعة

J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 265-266.

(317) Ibid, PP. 265, 269; E. Ingram, OP.Cit. PP. 62 -63; C. H. Phillips, OP.Cit. P. 269.

ومن ثم برزت - حينذاك - فكرتان للحفاظ على أمن الهند من الخطر الروسي لدى الساسة البريطانيين ، الأولى مفادها أن الخطر الحقيقي على الهند لا يكمن في الضغط الروسي على إيران ، بقدر ما يكمن في أطماع الروس في استعمار المنطقة الواقعة شرق بحر قزوين ، ذلك ان احتلال تلك المنطقة يحرم إيران تماماً من التمكن من صد التوسع الروسي صوب الهند، ويتعين على بريطانيا أن لا تعلق أهمية كبرى على تحالفها مع الشاه ، وان تبحث عن إيجاد سبل لإثارة أفغانستان وحكامها لإنشاء خط دفاعي ضد الخطر الروسي ، أما الرأي الأرجح فهو الذي ينادي بدعم إيران من اجل الوقوف بوجه الخطر الروسي ، وقد ساند الملك وليام الرابع William IV (1830-1837) ذلك الرأي عندما صرح في السادس عشر من تموز عام 1832، "إنني من المؤيدين بشكل قاطع بتعزيز الاتصالات مع إيران، والحفاظ على الأسلوب الودي وسيلة لتقوية وتعزيز نفوذنا هناك، ولإحباط محاولات روسيا لفرض نفوذها على إيران " (318) ، وفي الوقت نفسه نجح الساسة الروس بذكاء بالغ، بتوجيه أنظار عباس ميرزا ولي العهد الإيراني إلى هرات Herat⁽³¹⁹⁾، وأقنعوه بأنها تعود للسيادة الإيرانية منذ العهد الصفوي ، ولا بد من إعادتها إلى تلك

السيادة ، وان بريطانيا تعارض ذلك لأنها تريد ترسيخ نفوذها في هرات ، عن طريق دعم حاكمها كامران خان مالياً وعسكرياً ، الأمر الذي أثار قلق الساسة البريطانيين الذين كانوا يهدفون في سياستهم ، إلى جعل أفغانستان بعيدة عن نفوذ كلاً من روسيا وإيران من أجل حماية الهند ، لذا تركزت العلاقات البريطانية الروسية خلال الحقبة 1832-1847، بشأن مسألة هرات والتهديد الروسي للهند (320).

⁽³¹⁸⁾Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. P. 269.

⁽³¹⁹⁾ كانت هرات جزءاً من أفغانستان نجحت إيران في السيطرة عليها ، في عهد الشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية ، وفقدت تلك السيطرة بعد اغتيال نادر شاه عام 1747 ، فأصبحت هرات جزءاً من دولة الأفغان ، التي ينظر : .أسسها أحمد شاه دوراني في العام نفسه . للمزيد من التفاصيل عن هرات

خليل الله خليلي ، هرات تاريخها ، آثارها ، رجالها ، بغداد ، 1974 .

⁽³²⁰⁾M. Volodarsky, Persian Foreign Policy Between the Two Herat Crises 1831-1856, Middle Eastern Studies, Vol. 21, No. 2, April, London, 1985, PP. III-112; P. Sykes, OP.Cit. P. 323.

العلاقات البريطانية – الروسية بشأن إيران وأفغانستان وأثرها في الخليج العربي 1832 – 1847.

لقد كانت خطة بريطانيا وروسيا في إيران وأفغانستان ، هي مواصلة الضغط على خصمها للاستئثار بالنفوذ السياسي ، ومحاولة إحباط خطط منافستها ، فبينما كان محور السياسة الروسية يتركز على محاولة كسر الحائط المتمثل في مملكتي إيران وأفغانستان المغلق ، لفتح الطرق من أراضيها إلى الهند البريطانية ، والحرص على عدم تنفيذ هذا بسرعة أو وضوح أكثر من اللازم ، فإن بريطانيا كانت تسعى لتحقيق أهدافها بوسائل دفاعية ، وبذل الجهود من أجل إبعاد إيران من روسيا ، لإفشال خططها بحبك المؤامرات ضد البريطانيين ، في مناطق الحدود بين أفغانستان والهند (321) .

(321) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 222.

كانت السياسة الروسية خلال تلك الحقبة تناصب بريطانيا العداء ، فقد نشرت صحيفة موسكو " Moscow " الواسعة الانتشار في روسيا في مطلع عام 1832 ، مقالاً في افتتاحيتها جاء فيه: "لن نكون بحاجة إلى أي تحالف ، مع أولئك الناس الفظيّن في كلكتا" (322) ، فشجعت روسيا المسؤولين الإيرانيين ، على استرجاع مدينة هرات ذات الموقع الإستراتيجي ، بهدف إبعادهم عن تنفيذ تطلعاتهم في مناطق القوقاز واسترجاع الأراضي الإيرانية التي خسرتها إيران لصالح روسيا في حربها الأخيرة من جانب ، ولصد التوسع البريطاني في مناطق آسيا الوسطى ، التي عدتها روسيا مجالها الحيوي ، ولا بد من منع بريطانيا من توسيع نفوذها هناك ، من جانب آخر (323) .

إن ولاية هرات الجبلية الواقعة في أقصى الطرف الغربي لأفغانستان ، تمثل ملتقى الطرق الشرقية المتجهة إلى كابل وقندهار ، وتمتد منها خطوط الغزو إلى الهند ، من هنا تبرز أهمية هرات بوصفها مركزاً استراتيجياً للدفاع عن الهند ، وقد شغلت فكرة الزحف الروسي باتجاه الهند أذهان الساسة البريطانيين ، الذين كانوا يطلقون على المدن الثلاث ، هرات و كابل وقندهار ، اسم مفاتيح الهند ، التي يجب وفقاً لإعتقادهم أن تكون في أيدي لندن لا في أيدي بطرسبورغ ، وكانوا يعتقدون أن الاحتلال الإيراني لأفغانستان سيعرض الحكم البريطاني في الهند للخطر ، لأنه إذا ما نجحت السياسة الإيرانية في تحقيق ذلك ، فأن الوكلاء الروس والنفوذ الروسي سيسمح له بالوجود في جنوب الهند ، بمقتضى بنود معاهدة تركمانجاي ، وعلى هذا الاساس ، كانت بريطانيا تعمل على جعل أفغانستان بعيدة عن نفوذ كل من روسيا وإيران (324) .

لقد كان الموضوع الرئيسي لإيران خلال الحقبة 1832 . 1847 هو ضرورة احتلال هرات ، وعلى هذا الاساس دبرّت حملة عليها من الإيرانيين في عام 1832 بتشجيع من روسيا ، مثلما كانت بريطانيا تشجعهم على ذلك سابقاً ، في أثناء حكم زمان شاه (1796 . 1801) الحاكم الأفغاني ، بسبب تغير الظروف وفقاً لوجهة نظر الساسة البريطانيين حينذاك ، لكن جون ماكنيل John McNill (1795-1883) (325) طبيب السفارة البريطانية في طهران ، حال مؤقتاً دون

(322) Quoted in: G. N. Curzon, Russia in Central Asia, P. 325.

(323) P. Sykes, OP.Cit. P. 323; M. Volodarsky, OP.Cit. PP. 112-113;

علي أكبر بيّن ، المصدر السابق ، ص 256 .

(324) G. N. Curzon, Russia in Central Asia, PP. 120-121; P. Sykes, OP.Cit. P. 323; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 292.

(325) خدم جون ماكنيل طبيباً في شركة الهند الشرقية منذ عام 1816 ، والحق خلال الحقبة 1824 . 1836 في بعثة الشركة ، إلى طهران طبيباً لها ومساعداً سياسياً للمبعوث البريطاني فيها ، وعين سكرتيراً في عام 1835 في بعثة ، لتهنئة محمد شاه بمناسبة تسنمه العرش ، أصبح في التاسع من H. Ellis أرسلت إلى طهران ، برئاسة هنري اليس شباط عام 1836 وزير مفوضاً مطلق الصلاحيات في طهران ، ولم يرجع إلى لندن حتى آب عام 1842 . ينظر :

تنفيذها⁽³²⁶⁾ , وفي العام التالي حاول عباس ميرزا ولي العهد الإيراني احتلال هرات , الأمر الذي دفع ماكنيل إلى معاودة جهوده السابقة , لإقناعه بالتخلي عن مهاجمتها إلا أنه أخفق في ذلك , وكان فتح علي شاه منشوقاً حينذاك لرؤية ابنه عباس ميرزا الذي يحبه كثيراً فدعاه إلى طهران , بعد أن آلت قيادة القوات والعمليات العسكرية في غيابه , فضلاً عن حكم خراسان آلت إلى ابنه محمد ميرزا , وحينما تقدم الأمير الصغير إلى غوريان⁽³²⁷⁾ , أخفق في الإستيلاء عليها لذا واصل تقدمه إلى هرات, التي حاصرها متبعاً في ذلك مشورة ضابط بولندي اسمه م. باروفسكي M. Baroffsky أو Beroviski لكن كامران خان حاكم هرات دافع عنها, وشنت قواته في الوقت نفسه هجوماً ناجحاً على الإيرانيين, وفي خريف عام 1833 وبسبب مرض وموت عباس ميرزا ولي العهد الذي كان قد عاد إلى مشهد , توقفت العمليات العسكرية قبل الوصول إلى نتيجة حاسمة , وبعد أن تلقى محمد ميرزا ابن ولي العهد وعد صريح من الحاكم الهراتي , بأنه سيدفع الجزية مستقبلاً إلى الشاه وأعطى تعهد بذلك انسحب ابن ولي العهد بقواته عائداً إلى إيران⁽³²⁸⁾ . وعلى الرغم من إخفاق الحملة الإيرانية ضد هرات , إستمر قلق حكومتا لندن والهند وخوفهما من امتداد النفوذ الروسي إلى الهند , الأمر الذي أدى إلى بذل الجهود لأبعاد إيران عن المخططات الروسية , وتمثل اهتمام حكومة الهند لإعادة ترسيخ النفوذ البريطاني في إيران, قيامها في عام 1834 بإرسال بعثة عسكرية لتدريب وتنظيم الجيش الإيراني⁽³²⁹⁾ , وحينما سافر ماكنيل طبيب السفارة البريطانية في طهران في العام نفسه إلى بريطانيا , بدأ هناك حملة صحفية كبيرة , عن خطط التوسع الروسي في آسيا , أثارت اهتماماً واسعاً , وقد عاونه في هذه الحملة رحالتان بريطانيان هما اركوهارت Urquhart وبيلي فريزر B. Fraser وكان الأخير قد نشر بحثاً بعنوان " تقدم روسيا في الشرق " أشار فيه , أن من مصلحة السياسة البريطانية المحافظة بأي ثمن على استقلال إيران وتكامل حدودها , وكان السبب الجوهري الذي طرح قضية روسيا على مستوى الرأي العام البريطاني , بعد أن كان وجودها مستتراً منذ عام 1828 بل حتى منذ عام 1804, تولى محمد شاه (1834.1848) عرش إيران , وكان سلوكه يوحى بتبعيته للسياسة الروسية⁽³³⁰⁾ .

H. Busse, OP.Cit. PP. 256, 259.

⁽³²⁶⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1869.

⁽³²⁷⁾ تقع مدينة غوريان إلى الغرب من هرات بحوالي أربعة وأربعين ميلاً . ينظر :

H. Busse, OP.Cit. P. 254.

⁽³²⁸⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1869; P. Sykes, OP.Cit. P. 325; M. Volodarsky, OP.Cit. P. 114.

⁽³²⁹⁾ P. Sykes, OP.Cit. PP. 325, 327.

⁽³³⁰⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. PP. 222-223.

أدى موت فتح علي شاه عام 1834 إلى انتشار الفوضى في إيران ، بسبب الحرب الأهلية ومحاولة إقصاء محمد ميرزا ابن عباس ميرزا عن العرش الإيراني ، على الرغم من اتفاق بريطانيا وروسيا على تأييد مطالب محمد ميرزا ، الذي عينه جده فتح علي شاه ولياً للعهد ، وكان هناك تفاهم بين الدولتين الغرض منه الاحتفاظ بسلامة واستقلال إيران ، وقد ظهر هذا التفاهم في عام 1834 بعد ان بعث اللورد بالمرستون Lord Palmerston وزير الخارجية البريطاني في الخامس من أيلول من العام نفسه ، رسالة الى سفيره في بطرسبورغ يحثه فيها التوصل إلى ذلك الاتفاق بصدد إيران بين الدولتين ، وبعد نجاح السفير البريطاني في ذلك تجدد هذا التفاهم بينهما في الأعوام اللاحقة عدة مرات⁽³³¹⁾ ، وكان هدف السياسة البريطانية من التفاهم مع الروس ، هو لمنعهم من الوصول إلى الخليج العربي⁽³³²⁾ .

وعلى الرغم من الدور الذي أداه السفير البريطاني في تولي محمد شاه الحكم ، والذي أمده بمبلغ سبعين ألف تومان ، ما يقارب خمسة وثلاثين ألف جنيه استرليني ، لصرف مرتبات القوات التي سترافقه من تبريز إلى طهران⁽³³³⁾ ، والحملات الناجحة التي خاضتها القوات الإيرانية بقيادة الضباط البريطانيين ضد منافسيه على الحكم ، فقد أعلن الشاه الجديد بوضوح أنه لا يهتم بنصائح بريطانيا⁽³³⁴⁾ ، ونظراً لكونه قد نشأ في منطقة أذربيجان فقد كان يحترم روسيا ويخشاه أكثر من خشيته بريطانيا ، كما أنه لم ينسأ اقدام بريطانيا على الغاء البنود الخاصة بمسألة الدفاع عن إيران في معاهدة طهران لعام 1814 ، (التي عدلت عام 1828)، كما لقيت أطماعه في الفتوحات والتوسع تساهلاً وتشجيعاً من الروس ، الذين كان يهتمهم ان تبقى إيران ضعيفة و مفككة ، وان ينصرف اهتمام الشاه عن التطلع لإسترجاع اقاليم القوقاز⁽³³⁵⁾ ، وان الاستقبال الحافل لأبناء عمومة الشاه في عام 1835 في بريطانيا - وهم من المنافسين للعرش - قد خلق

⁽³³¹⁾ جدت بريطانيا وروسيا تعهدهما ، باحترام سلامة واستقرار إيران في عام 1838 وعام 1888 . ينظر :

Ibid. Part. II. PP. 1959-1960; J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275; Iran Political Diaries, Vol.1, 1881-1900, General Editor Dr.R.M. Burrell, British Library Cataloguing in Publication Data Archive Editions 1977 .PP. 12, 16.

وسيرمز له بـ (I. P. D. Vol. I)

⁽³³²⁾ محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني - الروسي في فارس ، ص 65 .

⁽³³³⁾ H. Busse, OP.Cit. P. 232.

⁽³³⁴⁾ G. N. Curzon, Persia and the Persian, Vol. II. P. 63; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1960.

⁽³³⁵⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 287.

آثاراً سيئة في نفس الشاه مما اسهم في نفوره بصورة اكثر عن بريطانيا⁽³³⁶⁾ , نتج عن ذلك خضوع الحكومة الإيرانية خضوعاً تاماً للسيطرة والنفوذ الروسي, حتى ان الشاه لم يعد يستمع إلا لمشورة الكونت سيمونج Count Simonich الوزير المفوض الروسي في طهران, الذي ظل يحثه على العمل لاستعادة امبراطورية نادر شاه⁽³³⁷⁾ .

ومن جانب آخر ولدراء التطلع الروسي نحو بغداد ومنطقة الخليج العربي, حاولت بريطانيا الإفادة من نهر الفرات للملاحة من سوريا إلى الخليج العربي , فقد ظل ر. تايلر R.Taylor المقيم البريطاني في بغداد (1822. 1843), يوجه تحذيراته منذ اندلاع الحرب الروسية العثمانية (1828. 1829) إلى حكومة الهند , عن هجوم محتمل للقوات الروسية على العراق, يعقبه زحف روسي إلى الهند عن طريق البصرة وبوشهر , كما ظل جسني Chesney⁽³³⁸⁾ منذ عودته من منطقة الخليج العربي إلى لندن في ايلول عام 1832 يلح على هذا الموضوع , وكان يعتقد أن طريق الفرات هو الطريق الأسهل والمحتمل , ألذي ستسلكه القوات الروسية إذا ما فكرت في غزو الهند , فهناك غابات أرمينيا وإيران التي يمكن للروس أن يصنعوا من أخشابها الصنادل اللازمة لنقل الجنود والمعدات العسكرية , وان أربعة إلى خمسة أسابيع تكفي لنقل جيش بكامله إلى شط العرب , وهي منطقة تصلح لإقامة قاعدة بحرية , وان أي جيش يملك قاعدة في شط العرب, يمكنه ان يزحف عبر ساحل الخليج العربي حتى راس جاسك الواقعة على بعد 265 ميلاً عن حدود الهند, وعلى هذا الأساس فانه يمكن لأي قوة عسكرية روسية, أن تصل إلى حدود الهند في ظرف ثمانية أو عشرة أسابيع من خروجها من العراق⁽³³⁹⁾ , وقد أيد جسني⁽³⁴⁰⁾ في هذا الرأي عدد من أعضاء اللجنة التي شكلت في عام 1834 في البرلمان البريطاني والمختصة في

⁽³³⁶⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1961.

⁽³³⁷⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 287.

قدم إلى اسطنبول عام 1829, بقصد Lieut – Francis Rawdon Chesney⁽³³⁸⁾ هو الملازم فرنسيس راودن جسني الاشتراك مع القوات العثمانية في حربها مع روسيا , إلا انه وجد أن الحرب على وشك الانتهاء , ولأنه كان متردد في العودة إلى بريطانيا في تلك السرعة بعد وصوله إلى اسطنبول , فقد وافق على القيام بالمهمة التي كلفه بها روبرت السفير البريطاني في اسطنبول , أن يقوم بدراسة ومسح ومقارنة بين طريقي البحر الأحمر ونهر R.Cordon كوردين الفرات , وأيهما أصلح لنقل البريد البريطاني بين الهند وبريطانيا . ينظر :

S. Searight, The British in the Middle East, London, 1969, P. 121.

⁽³³⁹⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 278.

⁽³⁴⁰⁾ للمزيد من التفاصيل عن بعثة جسني في نهر الفرات . ينظر :

Lieut . Colonel Chesney, The Expedition of the Sarvy of the Rivers Euphrates and Tigris, 2. Vol. New York. 1969.

الموضوع ، ومن بين هؤلاء بيكوك (المختص بفحص بريد شركة الهند الشرقية) الذي لم يختلف رأيه هذه المرة عن رأيه في عام 1829، على الرغم من انه أصبح مقتنعاً بأن غزو الهند عن طريق الخليج العربي، لم يكن اقل احتمالاً من غزوها عن طريق بحر قزوين ، وبسؤاله عما إذا كان يعتقد بان هناك احتمالاً لهجوم الروس على الهند من بحر قزوين عبر نهر الاكسس أكثر منه عن طريق الفرات والخليج العربي ، إذ التفوق البحري البريطاني أمر لا جدال فيه فأجاب : "ولكن التفوق في البحر ليس طليماً ، فلا بد من الاحتفاظ برقابة مستمرة على المنطقة ، وتوفير وحدات كافية من القوات للرقابة" ، كما ذكر " أنه لا يجهل الخطر المحتمل من نهر الاكسس ، غير أن هناك خطراً محتملاً لهجوم من العراق ، ولو أتمكن لقمّت بإيقاف الخطرين معاً" ، ثم دعا بيكوك إلى البت بسرعة في مشروع طريق الفرات قبل أن تقوم روسيا بدعم نفوذها هناك ، وهو الحلم الذي كان يداعبها منذ زمن بعيد، واختتم بيكوك شهادته بان أكد على الأهمية البالغة لطريق الفرات لبريطانيا إذ قال : "إن جميع مصالحنا السياسية في هذه البلاد تتطلب أن تبقى روسيا بعيدة عن منطقة الخليج العربي ، أكثر مما تبقى بعيدة عن منطقة البحر الأحمر ، إذ لا مصلحة لنا هناك في إبعاد أي دولة عن منطقة البحر الأحمر" (341)

أما المعارضون لإنشاء طريق الفرات ، والذين أدلوا بشهاداتهم أمام اللجنة منهم هارفرد جونز المقيم الأسبق في بغداد والوزير المفوض الأسبق في إيران ، فقد استخف بفكرة احتمال قيام الروس بغزو الهند عن طريق الخليج العربي، وقال للجنة : "إنني على استعداد لأن أقدم لهم البصرة ، ولكن بأي طريق سيصلون إلى الهند ، وكيف يدخلون الخليج العربي إذا لم يكونوا يتمتعون بتفوق في القوة البحرية على الأسطول البريطاني ؟ وإذا كان لروسيا أسطول أقوى من الأسطول البريطاني في منطقة الرجاء الصالح ، فما الذي يضطرها إلى دخول الهند عن طريق الفرات ؟" (342) ، وقد أصدرت اللجنة في الرابع عشر من تموز عام 1834 توصياتها ، بإيفاد بعثة لاختبار صلاحية نهر الفرات للملاحة البخارية ، وتخصيص اعتماد مبلغ عشرين ألف جنيه إسترليني لتغطية مصاريفها ، وأضافت إليه شركة الهند الشرقية مبلغ خمسة آلاف جنيه أخرى (343) ، وصدر مرسوم ملكي في الثامن والعشرين من تشرين الثاني عام 1834، بتعيين جسني لتنظيم البعثة وقيادتها وتوجيهها (344) ، وبعد شهر حصلت بريطانيا في التاسع والعشرين من كانون الأول من العام نفسه ، على فرمان من الباب العالي يسمح لها باستخدام سفينتين في

(341) Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. P. 279.

(342) Ibid.

(343) Ibid. PP.279- 280; Z. Saleh, OP.Cit. P. 153.

(344) ج - ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، تعريب مكتب أمير دولة قطر ، ج 4 ، الطبعة الجديدة ، (د.ت) ، ص 1973 .

نهر الفرات لأهداف تجارية , وكان الكونت ميديم Count Medem الوزير الروسي في اسطنبول , قد بذل جهوداً مستميتة في الشهر نفسه , ليحول بين الحكومة العثمانية وإصدار ذلك الفرمان⁽³⁴⁵⁾ .

وحينما إتخذت الحكومة البريطانية هذه القرارات لم يغيب عن بالها البواعث السياسية , التي دفعتها بالدرجة الأولى إلى تشكيل بعثة الفرات , فقد كان شبح الأزمة يخيم على كل من شاه إيران ومحمد علي باشا والي مصر (1805-1845), وهما يعدان العدة للدخول في مغامرات جديدة للغزو والتوسع , الأول بتأييد مستتر من روسيا, والثاني بتأييد علني من فرنسا , ولتلك الأسباب - إن لم يكن لأسباب أخرى - كان من الأفضل أن تبقى البعثة في منطقة عملها , لتقوم بمراقبة نشاط الروس والمصريين في المنطقة من ناحية , وتدعيم خطوط المواصلات مع إيران من ناحية أخرى⁽³⁴⁶⁾ .

ان التغيير الذي طرأ على نظام الحكم في إيران والاضطرابات السياسية التي كان من المتوقع أن تصاحب ذلك التغيير , حملت مجلس الهند في نهاية عام 1834 إلى الاقتناع بضرورة نقل الإشراف على المفوضية البريطانية في طهران, من شركة الهند الشرقية إلى حكومة التاج⁽³⁴⁷⁾ , وذلك للمحافظة على المصالح البريطانية في إيران ومراقبة النشاطات الروسية فيها, ووافقت اللجنة السرية لمجلس الإدارة في كانون الثاني عام 1835 على هذا الاقتراح , واعربت عن رغبتها في أن يقوم الممثل البريطاني في طهران بتشكيل إجراءاته وفقاً لهذا النظام , وان تحدد إجراءاته منذ ذلك التاريخ فصاعداً في اطار العلاقات البريطانية - الروسية , ولهذه الحثثيات ارتأى مجلس الإدارة أن علاقات بريطانيا بإيران , كانت ترتبط بسياسة أوروبا أكثر منها بسياسة الهند , ويمكن توجيه هذه العلاقات بأسلوب أفضل من داخل بريطانيا بدلاً من الهند , وعند عودة بالمرستون إلى وزارة الخارجية في نيسان من العام نفسه⁽³⁴⁸⁾ , تم تنفيذ هذا الاقتراح فعين هنري اليس H. Ellis وزيراً مفوضاً وممثلاً للتاج البريطاني في طهران , وقد عهد إليه بالسفر إلى إيران وتقديم تهاني الحكومة البريطانية للشاه الجديد لمناسبة إعتلاءه العرش , كما

⁽³⁴⁵⁾ H. Hoskins, OP.Cit. PP. 161-162; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 281.

⁽³⁴⁶⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 286.

⁽³⁴⁷⁾ كانت حكومة الهند منذ عام 1823 حتى عام 1835, هي المسؤولة عن تعيين الممثل البريطاني في البلاط الإيراني .
ينظر :

J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275; G. N. Curzon, Persia and the Persian, Vol. II. P. 625.

⁽³⁴⁸⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 287.

عهد إليه بالإدلاء بآرائه بشأن أفضل السبل لتقدم العلاقات البريطانية- الإيرانية ، فتم استقبال اليس في تشرين الثاني عام 1835 من الشاه⁽³⁴⁹⁾ .

وقد أصبح بالمرستون هذه المرة أكثر إدراكاً بخطر قيام الروس باحتلال إيران مما كان في السابق، فبعث في تشرين الأول عام 1835 بمذكرة إلى لورد دورهام Lord Durham سفيره في بطرسبورغ أشار فيها : "إن استقلال إيران هدف من الأهداف الكبيرة للسياسة البريطانية لا لارتباط ذلك بالهند حسب ، إنما لارتباطه باستقلال الباب العالي أيضا ، لأن الروس يمارسون الاستراتيجية السياسية نفسها تجاه كل من إيران والباب العالي، فروسيا كانت تتوغل في منطقة البحر الأسود ، وتتوي أن تقوم بالشيء نفسه في منطقة قزوین ، بهدف الاستيلاء على كل من إيران والباب العالي"⁽³⁵⁰⁾، فضلاً عن إدراك بالمرستون ان عداء الشاه ، يعود إلى قيام بريطانيا بالغاء البنود الخاصة بالدفاع في معاهدة طهران ، وان ثقة الإيرانيين بتأييد بريطانيا ومناصرتها لهم ، قد حلّ محلها اليأس من مساعدة بريطانيا لهم ، في صراعهم للاحتفاظ باستقلال بلادهم ضد روسيا ، كما أن اعتقاد إيران بأنها لا تستطيع الصمود بوجه روسيا بغير مساعدة بريطانيا ، قد دفعها أكثر للانصياع لأطماع روسيا ، فإذا قام الروس في توسيع حدودهم شرقاً نحو أفغانستان ، فإن ذلك سيقرب الروس أكثر من حدود الهند ، لهذه الأسباب كان هدف بريطانيا ذا شقين ، تعديل معاهدة طهران لعام 1814 إذ تتعهد بريطانيا بمساعدة الشاه ، إذا تعرضت بلاده لأي هجوم من الخارج ، والثاني هو الحيلولة دون قيام الشاه بالهجوم على أي دولة أخرى ، والواقع أن الشق الثاني كان الأكثر أهمية في تلك المرحلة ، لا لمنع الشاه من التفكير في خلق صدام مع روسيا فحسب بل أن ذلك سيحول بينه وبين غزو أفغانستان ، وان خير ضمان لكلا الاحتمالين هو أن تتعهد بريطانيا للشاه بالدفاع عن بلاده ، بشرط ألا يقوم بالإعتداء على أي دولة قبل استشارة الحكومة البريطانية في ذلك⁽³⁵¹⁾ .

وقد إختير ماكنيل الطبيب السابق للمفوضية البريطانية في طهران والوزير المفوض الجديد، خلفاً لهنري أليس الذي رجع إلى لندن في آب عام 1836⁽³⁵²⁾ ، وقد طلب من ماكنيل أن يعرض على الشاه إبرام اتفاقية دفاعية جديدة وفقاً للصيغة التي اقترحها بالمرستون ، فضلاً عن إضافة فقرات جديدة للاتفاقية تنص بالمساعدة وتختلف عن الفقرات الواردة في الاتفاقية السابقة ، فإذا وافق الشاه على عقد اتفاقية جديدة فيتعين على ماكنيل أن يحذف منها البنود ، التي تحظر على الحكومة البريطانية التدخل في أي صراع قد ينشب بين إيران وأفغانستان ما لم يطلب إليها

⁽³⁴⁹⁾ J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275.

⁽³⁵⁰⁾ Palmerston to Lord Durham (H. B. M.Ambassador, St, Petersburg) 27Oct, 1835, Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 287-288 .

⁽³⁵¹⁾ Palmerston to Hobhouse, 6 May 1836, Qouted in: Ibid . P. 288.

⁽³⁵²⁾ J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275.

الطرفان المتنازعان ذلك⁽³⁵³⁾ , كما يتعين عليه إضافة ملحق للمعاهدة على شكل اتفاق تجاري جديد يمنح بريطانيا الامتيازات نفسها التي حصلت عليها روسيا بموجب معاهدة تركمانجاي , التي تنص على تعيين قناصل بريطانيين في أي جزء من الأراضي الإيرانية⁽³⁵⁴⁾ .

وكان فتح علي شاه حتى موته يعارض بإصرار عقد أي معاهدة تجارية , تمنح بريطانيا الحق في تعيين قناصل في إيران , زاعماً تحاشي غضب روسيا , علماً أنه منح هذا الحق إلى الأخيرة بموجب معاهدة تركمانجاي , وفي السياق نفسه كان محمد شاه عنيداً وكان كل ما أمكن الحصول عليه منه تصريحاً صدر في عام 1836, ضمن الحماية والمعاملة الحسنة للتجار البريطانيين في إيران , ومساواتهم في الضرائب التي يدفعها التجار الروس⁽³⁵⁵⁾ , والواقع أن أهداف ماكنيل على جانب كبير من الأهمية, وإذا كان لابد من تحقيقها فعليه التحرك بسرعة , لأن جميع القرائن في النصف الثاني من عام 1836 كانت تدل , على تحرك وشيك قد يقوم به الجيش الإيراني اتجاه هرات , وكان أحد الدلائل هو إبعاد الضباط البريطانيين في صيف العام نفسه من القصر الملكي, الأمر الذي عد مقدمة لإبعادهم عن الجيش الإيراني كلياً, وكان هذا يعني شيئاً واحداً , وهو أن الشاه أدرك أن وجودهم في إيران يشكل عائقاً للخطة التي كان ينوي القيام بها في غزو هرات⁽³⁵⁶⁾ .

لقد كان إقليم هرات خاضعاً للأمير كاميران خان من أسرة سادوزاي Saduzai التي هي فرع من أسرة الدورانية في أفغانستان , وقبل قيام الشاه بحملته على هرات كان قد عقد مفاوضات مع رؤساء أسرة الباراكزاي Barakzai الحاكمة , الأعداء التاريخيين لأسرة سادوزاي , وهما دوست محمد خان حاكم كابل , وكوهنديل خان Kuhandil Khan حاكم قندهار⁽³⁵⁷⁾ , وقد أسفرت تلك المفاوضات عن عقد اتفاقية مع حاكم قندهار, تنهي استقلال هرات تحت إشراف الكابتن فيتكوفج Captain Vitkavich الوكيل التجاري الروسي , الذي تزامن وصوله في عام 1836 مع وصول الكسندر بيرنز Alexander Burnes المبعوث البريطاني , الذي كلف من لورد أوكلاند Lord Auckland الحاكم العام للهند (1836-1842) وتحت ستار بعثة تجارية , بعقد تحالف مع دوست محمد حاكم كابل ضد حاكم قندهار, الذي ينوي شن هجوم على هرات بمساعدة

⁽³⁵³⁾ للمزيد من التفاصيل عن هذه النقطة ينظر, البند التاسع في :

C. U. Aitchison, OP.Cit. P. 63.

⁽³⁵⁴⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 288.

⁽³⁵⁵⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1973.

⁽³⁵⁶⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 288-289.

⁽³⁵⁷⁾ Ibid , P. 295.

الروس والإيرانيين ، إلا ان بيرنز لم يوفق في مهمته ⁽³⁵⁸⁾ ، فلم يكن دوست محمد ينظر إلى ضم هرات إلى إيران بشيء من الارتياح خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى اضعاف مركزه ، غير ان عداءه لكاميران خان حاكم هرات ورغبته في استعادة إقليم بيشاور من رانجيت سنج **Ranjit Singh** ⁽³⁵⁹⁾ حاكم البنجاب، الذي كان حليفاً لحكومة الهند البريطانية ، جعله يستقبل مبعوثي روسيا وإيران ، وقد كان احتمال عقد حلف بين أمراء أفغانستان وشاه إيران بتأييد من روسيا يشكل كابوساً لحكام الهند البريطانية، لذلك أصبحت مهمة لورد أوكلاند الحاكم العام للهند بعد عام 1837 العمل على إفشال قيام مثل ذلك الحلف ، والحفاظ على استقلال الدويلات الأفغانية ، مناطق عازلة للهند ⁽³⁶⁰⁾.

وعلى الرغم من احتجاجات ماكنيل الوزير المفوض البريطاني في طهران ، فقد قرر محمد شاه التحرك بقواته من طهران في صيف عام 1837 للهجوم على هرات ، ولم يكن من المستبعد ان يكون ذلك الهجوم قد تم بتحريض من الكونت سيمونج الوزير المفوض الروسي في طهران ، الذي جاء تعيينه في المنصب عام 1833 تماشياً مع السياسة الروسية ، التي كانت تتجه لتقويض القوة الصغيرة التي بقيت لإيران ، تجلى ذلك في القرض الذي قدمه الروس إلى إيران ، ومقداره خمسين ألف تومان ، ما يقارب خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني، لتغطية مصاريف حملة الشاه ، كما وعدوا الحكومة الإيرانية بإسقاط الديون الروسية عنها ، في حالة احتلالها هرات ، وكانت الديون قد تراكمت على إيران نتيجة للحرب الأخيرة بينها وبين روسيا ، فضلاً عن ذلك وعدت روسيا بأنها ستتغاضى عن مجموعة من الفارين الروس تحت قيادة الكولونيل سمسون **Colonel Samson** ووضعا في خدمة الجيش الإيراني ، ليفيد منها الشاه في حملته

⁽³⁵⁸⁾ G.N.Curzon, *Russia in Cetrnal Asia*, P.325; P.Sykes, *OP.Cit.PP.* 329–330; M. Volodarsky, *OP.Cit. P.* 118.

⁽³⁵⁹⁾ غدا رانجيت سنج زعيماً للسرخ في عمر التاسعة عشر ، أراد أن يجعل منهم أمة واحدة ، وبعد أن أصبح سيد البنجاب وكشمير ، أخذ يتطلع لمد حدود بلاده إلى الشرق من نهر ستلج . ينظر :

H. G. Rawlinson, *OP.Cit. P.* 48.

⁽³⁶⁰⁾ J. B. Kelly, *OP.Cit. P.* 295.

على هرات⁽³⁶¹⁾، التي فرض حصاره عليها في الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام 1837
(362).

لم يبق أمام ماكنيل بعد ذلك ، إلا ان يلجأ إلى أسلوب الحوار مع الشاه ، وإذا اخفق في ذلك فعليه استخدام أسلوب التهديد ليقتعه بعدم اللجوء إلى الحرب ، لذا غادر طهران في آذار عام 1838 إلى معسكر الشاه بالقرب من هرات ، ولكنه قبل ان يغادر طهران كتب إلى كل من أوكلاند الحاكم العام في الهند وبالمرستون وزير الخارجية البريطاني ، يذكر لهما بأن عملية استعراض القوة في إيران أصبحت أمراً ضرورياً لإرغام الشاه على الاحتكام إلى المنطق ، وفي الأسبوع الثاني من

الشهر نفسه ، تحديداً في الثاني عشر منه ، أعرب اللفتانت كولونيل جوستين شيل Lieut- Colonel Justin Sheil سكرتير المفوضية البريطانية في طهران عن الآراء نفسها تقريباً ، وذلك بعد عودته في إجازة إلى بريطانيا ، مؤكداً أن تدهور مركز بريطانيا في إيران لا يمكن معالجته بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران ، لأن الإيرانيين قوم لا يفهمون شيئاً اسمه الاعتدال ، ولا يمكن لغير القوة أن تزعمهم عن موقفهم ، مقترحاً ان تقوم الحكومة البريطانية باحتلال جزيرة خرج والاحتفاظ بها حتى يستجيب الشاه للمطالب البريطانية ، وتعزيزاً لهذا الإجراء اقترح شيل احتلال بريطانيا بوشهر ، والاحتفاظ بالمنطقتين أو باحدهما لأهميتهما التجارية والاستراتيجية ، وقد قال في هذا المعنى : " أن مداخل الفرات ستصبح بعد ذلك تحت اشرافنا ، كما ستكون منطقة شبه الجزيرة العربية وبغداد وجنوب إيران تحت نفوذنا" (363) ، لكن المشكلة الوحيدة في اقتراح شيل هو انه قد يشجع روسيا ، على القيام بخطوة مماثلة باحتلال بعض المناطق الشمالية من إيران ، وقد يدفع الشاه إلى توثيق علاقاته بروسيا ، لكن هذه الاحتمالات على حد رأي شيل ، كانت احتمالات بعيدة بينما سيؤدي اتخاذ موقف سلبي من إستقرازمات الشاه إلى نتائج عكسية على الفور (364) .

(361) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1962–1963.

(4) Ibid. P.1963;

جمال هاشم احمد الذويب ، سياسة بريطانيا تجاه افغانستان 1907- 1929 ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة بغداد 1994 ، ص 25 .

يشير سالدانا ويوس، إلى أن الشاه فرض حصاره على هرات في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ، ينظر:

J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275; H. Busse, OP.Cit. P. 254.

(363) [1.0] Board's Sec, and Pol, Gen, Corres .p, Vol. 8 . Memo, by Sheil, 12 Mar. 1838, Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. P. 293.

(364) Ibid , P. 294.

وصل ماكنيل في السادس من نيسان عام 1838 إلى مسكر الشاه بالقرب من هرات ، واحتج رسمياً على إجراءاته المتخذة ، معلناً أن غزو هرات يعد خرقاً لمعاهدة طهران عام 1814 المعقودة بين الدولتين ، وأن بريطانيا لها الحرية في اتخاذ الإجراءات اللازمة لإجبار القوات الإيرانية بالانسحاب من هرات ، وإنها تعتقد أن هذا المشروع قد أعد بالاشتراك مع روسيا التي قدمت كل المساعدات لتنفيذه ، وعليه فإن الحكومة البريطانية ترى ضرورة تخلي الشاه عن مشروعه هذا ، مادام يشكل تهديداً خطيراً على مستعمراتها في الهند ، كان الشاه ممتعضاً من إخفاقه في إرغام حامية هرات على الاستسلام ، ونظراً لتدهور روحه المعنوية فقد رحب الشاه باقتراح ماكنيل للتوسط بينه وبين سكان هرات ، لكن ما كاد ماكنيل يغادر المعسكر لمفاوضة أهل هرات على تسوية النزاع مع الشاه ، حتى وصل الكونت سيمونج الوزير المفوض الروسي في طهران إلى المعسكر واقنع الشاه أن يرفض وساطة ماكنيل ، ونتيجةً لذلك رفض الشاه مشروع الصلح المقترح ، وأخذ في الوقت نفسه يضاعف من عملياته لاحتلال المنطقة ، وقد أدى ذلك إلى ازدياد الموقف سوءاً بين ماكنيل والشاه وتوتر العلاقات بينهما ⁽³⁶⁵⁾.

ومع ذلك فقد شعر ماكنيل أنه لابد من بذل محاولة أخيرة ، مع الشاه للاستماع إلى صوت العقل ، ففضلاً عن موضوع هرات ، كانت هناك مسائل أخرى تهم ماكنيل للوصول إلى حل مرض بصدها ، ومن هذه المسائل ما حدث لساعي المفاوضات البريطانية في طهران في تشرين الأول عام 1837 ، الذي تعرض لاعتداء من المسؤولين والجنود الإيرانيين ، بينما كان في طريقه من هرات إلى طهران ، وقد استولى الجناة على البريد الذي كان يحمله ⁽³⁶⁶⁾ ، ثم بعد ذلك بشهرين في كانون الأول ، نشأ نزاع بين طبيب المقيمة البريطانية في بوشهر وأحد الدراويش ، وعلى أثر ذلك طلب حاكم بوشهر من المقيم البريطاني بالوكالة ، تسليم الطبيب للمحاكمة أمام محكمة البلدة ، غير أن المقيم رفض طلب السلطات الإيرانية التي أرسلت تهديدات ضمنية إلى المقيم ، بأنها ستنزل أشد العقاب بالمقيم واتباعه ، وأنهم سيلاقون المصير نفسه ، الذي سبق أن لقيه الوزير الروسي لدى إيران ، الذي هاجمه الأهالي هو وأعضاء سفارته ومزقوهم إربا في شباط عام 1829 في طهران ⁽³⁶⁷⁾ ، وقد رد ماكنيل بعنف على تهديدات السلطات الإيرانية ، وقد أوعز بالمرستون وزير الخارجية البريطاني في نيسان عام 1838 إليه ، الاتصال

⁽³⁶⁵⁾ Ibid , P. 295 ; J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1964; P. Sykes, OP.Cit. P. 331; H. Busse, OP.Cit. PP. 256–257.

⁽³⁶⁶⁾ J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1964; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 295.

⁽³⁶⁷⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 295–296.

بالصدر الأعظم وتحذيره بأن حكومة لندن تطالب وتتوقع الحماية للمقيم البريطاني في بوشهر ،
وأنها تعدّ الحكومة الإيرانية مسؤولة عن سلامته (368) .

كان كل من بالمرستون وزير الخارجية وزميله هوبهاوس Hobhouse رئيس مجلس الهند ،
على استعداد لانتهاج سياسة متشددة مع شاه إيران ، وان يتم تطبيقها على الساحل الشرقي
للخليج العربي ، فقد كتب هوبهاوس إلى أوكلاند الحاكم العام للهند في التاسع من حزيران عام
1838 قائلاً ، أنه في ضوء تصرفات الشاه الأخيرة ، فإن الأمر لا يحتمل التردد أو الانتظار ،
فمن الأفضل القيام باحتلال جزيرة خرج ، المكان الوحيد الذي يصلح قاعدة عسكرية ثم نفاوضه
في شرائها منه ، كما أن هذه الخطوة التي هي في رأيه خطوة حاسمة ، قد تدعم موقف ماكنيل
في مفاوضاته مع الشاه بصدد هرات (369) ، غير أن أوكلاند كان قد قرر قبل أن يصله هذا
الخطاب أن يتصرف ، ففي الأول من مايس من العام نفسه أصدر أوامره بإرسال حملة بحرية
إلى الخليج العربي ، لاستخدامها هناك بموجب توجيهات ماكنيل بما يضمن المصالح البريطانية
في منطقة الخليج العربي ، وقد عهد بقيادة الحملة إلى الكولونيل شريف Colonel Sheriff ، على
أن يكون خاضعاً للرقابة السياسية للكابتن هانيل Captain Hennel (370) المقيم السياسي
البريطاني في الخليج
العربي ، الذي نصح بأن يختار جزيرة خرج لذلك الغرض (371) .

وقد أبحرت الحملة البحرية في مساء الرابع من حزيران عام 1838 من ميناء بومباي إلى
منطقة الخليج العربي ، وكانت تتألف من الفرقاطة البخارية سميراميس Semiramis من الأسطول
الهندي ، بقيادة الكابتن بركس Captain Brucks ، وعلى متنها مدفعين عيار ستة أرتال ، فضلاً
عن خمسمائة جندي من بومباي تم نقلهم عليها وعلى سفينة نقل أخرى الحقت بالحملة (372) .

(368) Ibid. P. 296.

(369) [1.0] Home Misc, Vol. 838 Hobhouse to Auckland, 9 June, 1838, Quoted in : Ibid.

، التحق في جيش شركة الهند الشرقية عام 1819 بالفرقة 12 Birmngham (370) ولد هانيل عام 1800 في برمنكهام
من جيش بومباي ، عين في السادسة والعشرين من العمر مساعداً للمقيم في منطقة الخليج العربي ، تمكن على
بهدهوء أعصابه أن امتداد الأعوام الحرجة 1838 - 1841 حينما كان البريطانيون منشغلون بالحرب ضد إيران ،
يستخدم الامكانيات المحدودة بأحسن استخدام ، ومن ثم حافظ على سمعة حكومته وهيبتها = على امتداد المرحلة
الحرجة ، وعلى الرغم من كونه من المقيمين السياسيين البارعين الذين خدموا في منطقة الخليج العربي ، إلا أنه حينما
أحيل على التقاعد من عمله في الشركة في الثالث من تشرين الأول عام 1854 ، غادر المنطقة من دون تكريم
وثواب من حكومته ، توفي في الثالث عشر من أيلول عام 1880 عن عمر يناهز الثمانين عاماً . ينظر :

J. B. Kelly, OP.Cit. P. 409.

(371) J. A. Saldanha, OP.Cit. PP. 275-277; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1985.

(372) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1985; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 295.

وحيثما وجد ماكنيل أن مقابلته للشاه في الثلاثين من مايس عام 1838 لم تسفر عن نتائج أفضل من المقابلات السابقة ، أدرك أنه لا فائدة من البقاء في معسكر الشاه ، وبعد أن قام بتوجيه تحذير نهائي إليه ، من أن الحكومة البريطانية لن تبقى مكتوفة اليدين إزاء حصار الشاه لإقليم هرات ، عاد في السابع من حزيران من العام نفسه إلى طهران ⁽³⁷³⁾ .

بعد عشرة أيام على عودة ماكنيل وصلت الحملة البحرية القادمة من بومباي إلى ميناء بوشهر في السابع عشر من حزيران عام 1838، وبعد تسعة أيام أخرى احتلت القوات البريطانية جزيرة خرج ، أما ما هي الخطوات التي تخطوها بريطانيا بعد هذه العملية فأن ذلك أمر كان ينتظر البت فيه ، لقد كان أوكلاند الحاكم العام للهند منذ بداية الأمر يظهر حماساً شديداً لاتخاذ إجراء ما في الخليج العربي ، لكنه لا يميل إلى الأعمال العسكرية الصغيرة ، على الرغم من إعتقاده أن الاستعراض للقوة الصغيرة في الخليج العربي ، من المحتمل أن يؤدي إلى دعم موقف ماكنيل خلال مفاوضاته مع الحكومة الإيرانية ، وفي الوقت نفسه كان أوكلاند يرى أن أفضل عمل تقوم به بريطانيا لإرغام الإيرانيين على الانسحاب من إقليم هرات، واتقاء الأخطار التي تأتيها من تلك الجهة هو القيام بإجراء عسكري ضد أفغانستان ⁽³⁷⁴⁾، وفي غضون ذلك كتب ماكنيل في الخامس والعشرين من حزيران عام 1838 إلى بالمرستون وزير خارجيته من مشهد قائلاً ، أن جيش الشاه لا يزال يفرض حصاره على غوريان وهرات منذ سبعة أشهر ، وأن سقوط هرات سيشكل كارثة على الهند ⁽³⁷⁵⁾ ، لذلك أبدى بالمرستون ميلاً إلى تبني اقتراح أوكلاند بصدد أفغانستان، وصرح : " أن الخطوة السليمة أمامنا هي القيام بعملية عسكرية كبرى في أفغانستان، وبعدها نقوم باعادة تنظيم تلك الدولة تحت زعامة حاكم واحد ، على أن يتم تعويض رانجيت سنج (حاكم البنجاب الموالي لبريطانيا) بمنحه بيشاور وكشمير ، ومن ثم فأن وجود دولة صديقة مرتبطة بعلاقة مع حكومة الهند البريطانية في أفغانستان ، سيكون أفضل لنا من الحكومة الإيرانية ، لأن تلك الحكومة ستكون تحت سيطرتنا، وسوف يتيح لنا وجود مثل هذه الدولة مركزاً جغرافياً ، لا يقل عن المركز الجغرافي الذي تتمتع به روسيا في إيران." ⁽³⁷⁶⁾

ومن ناحية أخرى فقد كان ماكنيل يعتقد وجوب ممارسة ضغط على حكومة الشاه ، لدفعها على الانسحاب من إقليم هرات ، وقد كتب إلى أوكلاند وهو في تبريز إذ توقف هناك وهو في طريقه إلى الحدود العثمانية ، مقترحاً إرسال خمسة آلاف إلى ستة آلاف جندي إلى الخليج العربي للزحف على شيراز وطهران ، وحيثما إطلع بالمرستون على الاقتراح لم يرفضه رفضاً

⁽³⁷³⁾ J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 296; H. Busse, OP.Cit. P. 259 .

⁽³⁷⁴⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 296-297.

⁽³⁷⁵⁾ G. N. Curzon, Russia in Central Asia, PP. 268-269.

⁽³⁷⁶⁾ [1.0] Home Misc, Vol. 838, Palmerton to Hobhouse, 25 Aug. 1838, Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. P. 297.

مباشراً ، إلا انه أبدى إعتراضات مهمة عليه ذاكراً : " أن هدفنا بالطبع ليس الاحتفاظ بجنوب إيران ، إنما إرغام الشاه على التسليم بمطالبنا بصدد إقليم هرات وغيره من المسائل ، غير أن وجود قوات غزو في إيران قد يؤلب الرأي العام ضدنا ، كما قد يؤدي إلى انقسامات خطيرة بين الإيرانيين أنفسهم ، قد يضطر الشاه إلى الاعتماد أكثر وأكثر على الروس ، وهذا شيء لا نسعى إليه إطلاقاً ، أما القيام بعمليات عسكرية في أفغانستان ، فإنه يحقق لنا الهدف المنشود وسنتمكن من الاحتفاظ بها ، لهذا فلا ينبغي ان نسدد ضربة في منطقة ما ، لتحدث نتائج عكسية في منطقة أخرى " (377) .

وقد تسلم ماكنيل في تبريز في منتصف تموز عام 1838 مذكرة من بالمرستون أوعز إليه فيها ، أنه في حالة إخفاقه في إقناع الشاه برفع الحصار عن إقليم هرات ، يتعين عليه أن يوضح له الآتي : أن الحكومة البريطانية لا تستطيع بأي حال أن تصرف النظر عن مخطط الشاه لاحتلال أفغانستان ، وأن حكومة لندن لديها من الأسباب ما يجعلها تعتقد أن خطة الشاه هذه قد تمت بالاتفاق مع الروس ، ومن ثم يتوجب عليها تبعاً لذلك أن تتخذ من الخطوات ما تراه ضرورياً لتأمين مصلحتها ، والحفاظ على ممتلكات التاج البريطاني في الهند (378) .

وقد قرر ماكنيل تسليم هذا التحذير إلى حكومة الشاه ، لذلك أوفد أحد أعضاء هيئة المفوضية البريطانية الكولونيل ستودارت Colonel Stoddart في الأول من آب من العام نفسه ، ليقوم بتسليم التحذير إلى الشاه شخصياً في معسكره القريب من إقليم هرات (379) ، وقد شعر ماكنيل أن الشاه تلقى من الدروس ما فيه الكفاية من تطورات الأحداث ، التي مرت عليه منذ خروج ماكنيل من إيران ، فقد تحطم الهجوم الكبير الذي قام به الشاه في الثالث والعشرين من حزيران من العام نفسه ، على قلعة الإقليم وتكبد الإيرانيون من جراء ذلك خسائر جسيمة ، على الرغم من الإشراف الشخصي للكونت سيمونج الوزير المفوض الروسي في طهران ، كما أن الإنزال البريطاني في جزيرة خرج وحشد القوات البريطانية في الهند استعداداً للهجوم على أفغانستان ، لتأييد أسرة السادوزاي قد أشاع القلق في صفوف الإيرانيين ، مما أرغم الشاه على الاستماع إلى مبعوث ماكنيل ، وعلى موافقته بعد تردد على جميع المطالب التي سبق أن رفضها قبل ثلاثة أشهر ، وفي التاسع من أيلول عام 1838 انسحب الجيش الإيراني من إقليم هرات متجهاً إلى الغرب نحو الحدود الإيرانية ، من دون أن يتمكن الشاه من تحقيق أي من أهدافه

(377) Quoted in: Ibid.

(378) F.o.60/55, Palmerston to McNeill, 21 May 1838, Quoted in: Ibid. P. 299.

(379) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1965.

المهمة ، احتلال هرات أو إرغام حكومتها على دفع الجزية التي أراد أن يحققها ، لكن غوريان ظلت في حوزة الإيرانيين (380) .

وكان لإخفاق الشاه في حملته على هرات التي وضع الروس خططها ، أدى إلى فقدان التأثير الشخصي لسيمونج على الشاه (381) .

وقد ردّ الإيرانيون سبب إخفاقهم في احتلال هرات إلى بريطانيا ، كان يشاركونهم في تفكيرهم هذا هنري ويلوك H. Willock مدير شركة الهند في بريطانيا الذي احتج على بالمرستون وزير الخارجية البريطاني بصدد تصرف الحكومة في مسألة هرات ، واحتلال البريطانيين غير العادل لجزيرة خرج وكتب يقول : "نحن أعلننا أن نكون مدافعين عن فارس، والآن أصبحنا معتدين عليها بحجة سخيفة جداً" (382) .

ومن المؤكد أن الوزير المفوض الروسي في طهران ، كان يشجع الشاه على مواصلة خطته ضد هرات (383) ، وعلى الرغم من إنكار الحكومة الروسية أن تكون التعليمات التي لديه ، تخوله الحق في أن يفعل ذلك وقيامها باستدعائه لاحقاً ، فالحقيقة إن الحملة الإيرانية على هرات كانت تخدم المصالح الروسية خدمة أكيدة ، فنجاحها يمكّن روسيا من تعيين قنصل في هرات ، بموجب معاهدة تركمانجاي ، ولا يستبعد أن يكون وكيلاً سياسياً ، مما يهدد أمن الممتلكات البريطانية في الهند ، أما إذا أخفقت الحملة فأن إيران ستكون منهكة ، مما يجعلها أكثر خضوعاً للنفوذ الروسي ، وإذا عطلت الحملة أو منعت ، عن طريق التدخل البريطاني، فسينشأ العداء بين الطرفين ، وبذلك تجني روسيا الثمار (384) .

غير أن فكرة إرسال حملة إلى الخليج العربي للهجوم على طهران وخلع الشاه وتنصيب حاكم جديد مكانه موال للحكومة البريطانية ، ظلت تسيطر على ذهن بالمرستون الذي اعتقد أن هذه الحملة إذا ما تمكنت من تحدي الشاه وحلفاءه الروس ، فأنها تعد خطوة جريئة تستحق القيام بها ، وعلى الرغم من نجاح مثل هذه العملية سيكون نجاحاً عظيماً فإن إخفاقها سيكون إخفاقاً قاتلاً ، لذلك عارض هذه الفكرة عدد من الساسة البريطانيين (385) ، وتم إتخاذ القرار النهائي في هذا الموضوع في جلسة البرلمان المنعقد في السادس من تشرين الأول عام 1838 وقد تم إبلاغ

(380) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II.. PP. 1963, 1965; G. N. Curzon, Persia and the Persian, Vol. II. P. 406; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 299.

(381) P. Sykes, OP.Cit. P. 339.

(382) نقلاً عن: محمد عبد الله العزاوي ، الصراع البريطاني - الروسي في فارس ، ص 68 .

(383) G. N. Curzon, Russia in Central Asia, P. 325; J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275.

(384) Quoted in: J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1963.

(385) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 298.

أوكلاند الحاكم العام للهند به, بموجب المذكرة المؤرخة في الرابع والعشرين منه , التي تضمنت العدول عن القيام بأي عملية لغزو إيران من الخليج العربي لأنها ستعد حرباً سافرة , ولما كان من المتوقع أن ينضم عدد كبير من سكان المنطقة الجنوبية من إيران إلى القوات البريطانية , فسوف تظهر الحملة وكأنها محاولة لخلع الشاه , ومهما تكن هذه الخطوة مفيدة لخلع حاكم كان ولا يزال مستعداً لفتح بلاده لأي دولة تغذي فيه نزعات الفتح والتوسع , فإن هناك احتمالاً أن يدفع هذا الغزو حكومة الشاه إلى طلب العون من روسيا , مما يؤدي إلى نشوب حرب بين بريطانيا وروسيا في آسيا , لذلك ينبغي أن تنحصر المطالب في الحصول على تعويضات عن الأضرار التي لحقت بالمفوضية البريطانية في طهران , وتخلي الشاه عن أطماعه في أفغانستان , كما تقرر بقاء الحملة في جزيرة خرج حتى يتم الوصول إلى اتفاق بشأن الموضوع , وبعد أن يتحقق هذا المطلب يمكن أن يطلب من الشاه الموافقة على بقاء خراج قاعدة للأسطول البريطاني في الخليج العربي (386) .

لقد وقع الاحتلال البريطاني لجزيرة خرج والهجوم الإيراني الكبير على إقليم هرات بفارق بضعة أيام بين الهجومين , ومن ثم فمن المرجح أن يكون تأثيرهما على الشاه تأثيراً مشتركاً , فان كلتا النتيجتين كان يمكن ان تثير القلق والانزعاج لديه (387) , ومن المؤكد أن الحملة قد أحدثت ارتباكاً للروس , ففي الأول من تشرين الثاني عام 1838 قام الكونت بوزو دي بورجا Count Pozzo de Borgo السفير الروسي في لندن , بتسليم مذكرة من الكونت نسلرود Count Nesselrode وزير الخارجية الروسي (1816-1838) إلى بالمرستون , يحتج فيها بشدة على احتلال البريطانيين لجزيرة خرج , ويقول نسلرود في مذكرته أنه يتكلم باسم الشاه ويقدم الاحتجاج بالنيابة عنه , وان وجود القوات البريطانية في الجزيرة إنتهاك صريح لسيادة إيران , ويتعين سحبها فوراً هي والأسطول العامل في الخليج العربي , فإذا تم ذلك فإن روسيا سوف تؤيد بريطانيا , في جهودها لإقناع الشاه بالبقاء ضمن حدود بلاده , وعدم القيام بعمليات عسكرية جديدة مثل التي قام بها على إقليم هرات (388) , وقد ذكر بالمرستون لهوبهاوس رئيس مجلس الهند في الشهر نفسه , أن الروس تتتابهم الحساسية تجاه جزيرة خرج , فقد ركز السفير الروسي تركيزاً شديداً على هذا الموضوع , ربما لأنهم يدركون الأهمية التي تتميز بها هذه القاعدة , وقد قال بورجا , أنكم سوف تنسحبون منها , ولكن يمكنكم العودة إليها متى شئتم , والذي استنتجته

(386) Ibid ; M. E. Yapp, OP.Cit. PP. 284-285.

(387) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 300.

(388) [B.M] Add MS 36469, Nesselrode to Pozzo de Borgo, 20 Oct., 1838, Quoted in: Ibid . PP. 300-301.

بالمرستون من هذا القول هو أنه بمجرد انسحاب البريطانيين من هذه الجزيرة ، فإن الروس سوف يقنعون الشاه بوجوب تحصينها ليتعذر على البريطانيين الاستيلاء عليها مرة أخرى (389) .

كان فيكونت مالبورن Viscount Melbourne (1835.1841) رئيس الوزراء البريطاني على عكس رأي بالمرستون وزير خارجيته ، يبدي ضعفاً شديداً من النتائج غير المرضية التي تتمخض عن التمسك بجزيرة خرج على ضوء احتجاج نسلرود وزير الخارجية الروسي ، وقد قال لهوبهاوس رئيس مجلس الهند في نهاية تشرين الثاني عام 1838 ، طالما إن الحملة البريطانية في الخليج العربي ، قد حققت هدفها من غزو الشاه لإقليم هرات ، فهو يرفض مبدأ التمسك بجزيرة خرج بعد التطورات الأخيرة ، لأن بقاء القوات البريطانية في جزيرة خرج سيضفي على ذلك الإجراء الدفاعي طابع الغزو العدواني (390) .

وحيثما لم يظهر أمل كبير في نجاح مخططات روسيا ، بدأ الاتجاه العدائي من جانبها تجاه بريطانيا وإيران وأفغانستان في التراخي ، فجددت في عام 1838 تعهدها الذي قدمته للمرة الأولى في عام 1834 ، بعدم العدوان على إيران واحترام سيادتها واستقلالها ، وبعدها صرح أحد الوزراء الروس أن القيصر قدم نصيحة للشاه بإجابة مطالب بريطانيا بصدد التوصل إلى صلح معها (391) ، وكانت علاقات بريطانيا مع إيران في ذلك الوقت قد اتخذت طابعاً عدائياً ، يبدو أن الاحتلال البريطاني لجزيرة خرج ، أدى إلى انتهاكات محلية واهانات استقرازية ، أسفرت عن اعتداء أهالي بوشهر في السابع عشر من تشرين الثاني عام 1838 على صراف المقيمة البريطانية ، وقد أعقب هذا حادث آخر ، حينما حظر حاكم بوشهر شحن الحبوب من الأخيرة إلى الحامية البريطانية في جزيرة خرج ، بحجة وجود نقص في المحصول ، وعلى الرغم من المحادثات التي أجراها هانيل المقيم السياسي البريطاني في بوشهر مع حاكم الإقليم ، إلا أن الأخير رفض الرجوع عن قراره ، مما اضطر البريطانيين الحصول على التموين من البصرة (392) ، ثم جاء ما هو أسوأ فأتثناء قيام فريدريك ميتلاند F. Maitland نائب قائد الأسطول البريطاني في الهند العامل في الخليج العربي ، في الثالث والعشرين من آذار عام 1839 برد زيارة رسمية

(389) [1.0] Home Misc. Vol. 839, Palmerston to Hobhouse, 14 Nov., 1838, Quoted in: J. B. Kelly, OP.Cit. PP. 300-301.

(390) Ibid , P. 301.

(391) J. A. Saldanha, OP.Cit. P. 275; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. I. P. 225; I. P. D. Vol. I. OP.Cit. PP. 12-13.

(392) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1986-1987; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 306.

لميرزا أسد الله الحاكم الإيراني لبوشهر في مقره أخبره هذا الحاكم ⁽³⁹³⁾، أنه يتعين على جميع القادمين للبلاد من السفن الحربية البريطانية النزول على رصيف الكمرک ، لا على رصيف المقيمة كما كان يتم سابقا ، عندما كان الضباط البريطانيون وغيرهم من الزوار الرسميين يستخدمون في نزولهم رصيف المقيمة ، وقد عدّ ميتلاند طلب حاكم بوشهر النزول على رصيف الكمرک إهانة له ، وأصرّ على نزوله وصعوده إلى السفينة عن طريق رصيف المقيمة لا عن طريق الكمرک ، فبينما كان ميتلاند ومجموعة من الضباط البحريين واقفين على رصيف المقيمة، في انتظار القوارب التي ستقلهم إلى الطراد ولزلي Wellesley ⁽³⁹⁴⁾ في الخامس والعشرين من الشهر نفسه ، قام ميرزا أسد الله حاكم بوشهر بارسال ثلثة من حرسه الخاص لاحتلال مرسى المقيمة البريطانية لمنع ميتلاند من استخدامه للصعود إلى الطراد ، ما لبث أن تطور الموقف إلى صدام مسلح بسيط بين بحارة الأسطول المرافقين لميتلاند والحرس الإيراني ، وقد بدا لهانيل انه من غير المستحسن البقاء في بوشهر بعد وقوع الحادث ، إذ قرر نقل المقيمة في التاسع والعشرين على الثلاثين من آذار عام 1839 إلى جزيرة خرج ، وحينما جرت الأمور على هذا الشكل ، أعلن الإيرانيون انتصارهم وادعوا أنهم طردوا البريطانيين من بوشهر ، وهذا الحادث وان كان تافهاً إلا أن تأثيره كان سيئاً على هيبة بريطانيا في نظر سكان منطقة الخليج العربي ⁽³⁹⁵⁾ .

لم يظهر بالمرستون على امتداد عام 1839 أي رغبة في الوصول إلى تسوية مع الحكومة الإيرانية ، وكان يميل إلى ترك الأمور تأخذ مجراها في كل من إيران وأفغانستان ، فقد تم رفع الحصار عن إقليم هرات وغدا هناك جيش بريطاني يربط في كابل ، كما حصل بالمرستون على وعد من نسلرود وزير الخارجية الروسي باستدعاء سفير بلاده في طهران ⁽³⁹⁶⁾ ، ليثبت أن الحكومة الروسية لم يكن لديها أية مخططات للاعتداء على أمن وسلامة الممتلكات البريطانية في الهند ، وأنها نصحت الشاه بعدم مهاجمة هرات ⁽³⁹⁷⁾ ، وعندما بلغ بالمرستون في ربيع العام نفسه أن مبعوثاً من الشاه في طريقه إلى بريطانيا للاجتماع به كان رد فعله في البداية رفضه الاجتماع به ⁽³⁹⁸⁾ .

⁽³⁹³⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1988.

⁽³⁹⁴⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 308.

⁽³⁹⁵⁾ J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. PP. 1989–1991.

⁽³⁹⁶⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 343.

⁽³⁹⁷⁾ M. E. Yapp., OP.Cit. P. 294.

⁽³⁹⁸⁾ J. B. Kelly, OP.Cit. P. 343 .

وقد أمر الشاه المبعوث الإيراني أن يطلب من الحكومة البريطانية سحب ماكنيل الوزير المفوض البريطاني في طهران ، وزوده بمذكرة بشكاوى الشاه ضد ماكنيل والحكومة البريطانية ، وقدمت صورة من المذكرة إلى بطرسبورغ واسطنبول وباريس ، ومما جاء فيها أن هدف الشاه الأساسي من هجومه على هرات ، إنقاذ الرعايا الإيرانيين من العبودية ، وإن الاستقزاز الذي واجهه يبرر الإجراءات العسكرية التي اتخذها ضد كاميران خان حاكم هرات ، وأنه لم يتصرف بروح عدائية تجاه بريطانيا ، كما لم يكن في نيته أبداً أن يسهل للخطط الروسية ضد كابل ، وأن ماكنيل حرض أهالي هرات الاستمرار في دفاعهم عن المدينة ، وأمد حكومة هرات بمبلغ ثمانية آلاف تومان أي أربعة آلاف جنيه استرليني ، وأنه دعا حكاماً مختلفين ورؤساء قبائل للهجوم على معسكر الشاه لإحداث فزع في هذا المعسكر ، كما أغرى القوافل التي كانت في طريقها إليه بالعودة إلى مشهد ، واختتمت المذكرة بتهديد غامض "أنه إذا أنكرت بريطانيا تحقيق العدالة للشاه، فإنه سيبحث عن ملجأ في ظلال جبل كبير" ⁽³⁹⁹⁾، وقد أصبح معنى هذا التهديد واضحاً فيما بعد، عندما وجه الشاه نداءً لروسيا للحماية والمساعدة مشيراً في الوقت نفسه إلى هرات مقاطعة متمردة من ممتلكاته الخاصة (400) .

ويبدو ان الشاه قدم صورة من المذكرة بشكاويه ضد الحكومة البريطانية ، لاشعار روسيا والدولة العثمانية وفرنسا بامكان ايران اتخاذ أي اجراء تراه مناسباً ، تجاه اية دولة تحاول تجاهل مكانة ايران على الصعيد الدولي ، فضلاً عن محاولته الحصول على مساعدة روسيا للوقوف الى جانبه بوجه بريطانيا بصدد ضم هرات الى بلاده .

غير أن بالمرستون رفض التهديد ، وحينما قابل حسين خان في التاسع عشر من حزيران عام 1839 طلب بالمرستون منه النظر إلى خارطة كبيرة معلقة على الحائط ، وأشار إليها هنا الهند وهذه روسيا وهذه أفغانستان وهنا إيران ، وخاطبه ان توطيد العلاقات بين الحكومتين البريطانية والإيرانية تبني على أن لا تكون روسيا قريبة من الهند ⁽⁴⁰¹⁾، كما ابلغه أن خطوة ماكنيل قد تمت بموافقة الحكومة البريطانية ، وإن الهجوم على هرات كان في نظر بريطانيا تحريضاً من الروس ، ويمثل تهديداً للهند البريطانية ، ومن ثم كان الاحتلال البريطاني لجزيرة خرج دفاعاً عن النفس ، ضد ما كانت الحكومة الإيرانية تقوم به من إجراءات ضد مصالح بريطانيا في المناطق الأخرى ، وقد رد حسين خان على بالمرستون أن الاحتلال البريطاني كان عملاً من أعمال الغدر، لأنه لم يسبقه إعلان رسمي للحرب ضد إيران ، وربما كان في قوله

⁽³⁹⁹⁾Quoted in: J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1971.

⁽⁴⁰⁰⁾Ibid.

⁽⁴⁰¹⁾M. Volodarsky, OP.Cit. P. 122.

بعض الصحة وكاد بالمرستون أن يعترف به ، عندما قال أن أوكلاند الحاكم العام للهند ، قد تصرف على النحو الذي رآه مناسباً للموقف (402) .

وقد اشترط بالمرستون لعودة العلاقات الودية مع إيران ، أن تقدم الحكومة الإيرانية اعتذارها عن الإهانات التي لحقت بالاميرال ميتلاند ، وان تدفع تعويضاً عن الاعتداء على صرّاف المقيمة البريطانية في الخليج العربي وساعي المفوضية في طهران ، ومن ثم يتعين على الشاه ان يوافق على عقد اتفاق تجاري ، وان يتخلى عن أطماعه في أفغانستان ، وأن يقوم بسحب حاميته العسكرية من مدينة غوريان الواقعة في الأراضي الأفغانية بالقرب من هرات (403) ، وفي اجتماع آخر مع مبعوث الشاه في الثالث عشر من تموز عام 1839 ، كرر بالمرستون هذه المطالب مؤكداً على حوادث بوشهر ، مطالباً بأبعاد حاكمها بسبب سلوكه تجاه ميتلاند نائب قائد الأسطول البريطاني وهانيل المقيم البريطاني في بوشهر، بهذه المطالب عاد حسين خان المبعوث الإيراني إلى طهران، ويبدو ان كلاً من روسيا وفرنسا رفضتا تأييد احتجاج الشاه على تصرف الحكومة البريطانية (404) .

لقد أعرب أوكلاند في شباط عام 1840 عن أمله لبالمرستون في الا يتخلى عن جزيرة خرج بسرعة ، ثم بعث في آب برسالة إلى هوبهاوس رئيس مجلس الهند يطلب منه إقناع بالمرستون بضرورة التفكير في موضوع جزيرة خرج ، ولا بد من تحديد مدة محددة للحكومة الإيرانية ، تصبح بعدها الجزيرة إذا ما نكت الشاه بعهوده من ممتلكات بريطانيا ، ويا حبذا لو صدر هذا التصريح لتصبح هذه الجزيرة "سنغافورة الخليج" ، على حد وصف أوكلاند ، غير ان بالمرستون لم يوافق على إصدار التصريح المذكور في تلك الظروف ، وعلى الأخص بسبب تحفز روسيا لمراقبة ما يجري بين بريطانيا وإيران ، وحاجة بريطانيا إليها لتنسيق الجهود في الوقوف في وجه أطماع محمد علي باشا والي مصر (405) في منطقة الخليج العربي (406) .

(402) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 344.

(403) J. A. Saldanha, OP.Cit. PP. 287–288; J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1971; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 344.

(404) J. G. Lorimer, OP.Cit. Vol. I. Part. II. P. 1971; J. B. Kelly, OP.Cit. P. 344.

ينظر : (405) للمزيد من التفاصيل عن نشاط محمد علي باشا في الخليج العربي

M. Sabry, Lempire Egyption Sous Mohamed Ali La Question dOrient (1811 – 1849), Paris, 1930, PP. 55–190.

(406) J. B. Kelly, OP.Cit. P. 347.

جاءت استجابة الحكومة الإيرانية لشروط بريطانيا التي أصرت عليها تدريجيا ، فكان كل بند في المفاوضات موضوع نزاع بعناد كبير ، وصدرت الفرمانات في أيلول عام 1839 ونيسان عام ١٨٤٠ ، لتضمن مستقبلا معاملة حسنة لخدم وأتباع المفوضية البريطانية في طهران ، حتى وان كانوا رعايا إيرانيين وتكفل لهم حصانتهم من العقوبات على أيدي السلطات الإيرانية، من دون علم السفير البريطاني في طهران (407).

وعلى أية حال فان المشكلة الأساسية لم تكن المضايقات الصغيرة في بوشهر ، إنما استمرار الاحتلال الإيراني لغوريان ، مما حمل بالمرستون وزير الخارجية البريطاني ان يبعث في تشرين الثاني عام ١٨٤٠ بخطاب شديد اللهجة إلى حجي ميرزا اغاسي رئيس الوزراء الإيراني ، ذكر فيه " ان ما يهم بريطانيا ليس الجلاء عن القلعة إنما الجلاء نفسه " ، وأبدى بالمرستون بشأن بقية النقاط استعداد حكومته للتساهل ، وقبول بيان رئيس الوزراء الإيراني بنصه بصدد إبعاد حاكم بوشهرانه قد تم نزولا على رغبة الحكومة البريطانية ، وان الأخيرة مقتنعة بعزم الحكومة الإيرانية توقيع العقوبات على المسؤولين عن الاعتداء على صراف المقيمة (408) ، وقد استجاب الشاه للمطالب البريطانية ، فتم جلاء القوات الإيرانية عن غوريان ، في الحادي والثلاثين من آذار عام ١٨٤١ وحضر مراسيم تسليم المدينة ، إلى حاكم هرات الدكتور ريج Dr.Riach المندوب عن المفوضية البريطانية في طهران ، الذي قدم خصيصا لذلك من مقر البعثة البريطانية المؤقت في ارضروم العثمانية (409) .

وعلى الرغم من علم اوكلاند الحاكم العام للهند ، أن عودة جزيرة خرج إلى إيران مشروطة بانسحاب القوات الإيرانية من غوريان ، فقد واصل ضغوطه على هوبهاوس رئيس مجلس الهند للاحتفاظ بها بشكل أو بآخر ، وكان هوبهاوس نفسه شبه مقتنع بوجهة نظر اوكلاند في هذه المسألة، لاسيما بعد تأكيد هانيل المقيم البريطاني في الخليج العربي ، على صلاحية جزيرة خرج لإقامة قاعدة دائمة في الخليج العربي ، مما دفع هوبهاوس ان يقترح في آب عام ١٨٤١ على بالمرستون، الاستفسار من الشاه عما إذا كان على استعداد لبيع جزيرة خرج لبريطانيا ، غير ان إثارة هذا الموضوع مع الشاه في تلك المدة كان تصرف غير حكيم ، فقد كان ماكنيل في طريق عودته إلى طهران ، حاملا تعليمات بانسحاب الحامية البريطانية من جزيرة خرج ، فور التصديق على الاتفاقية التجارية التي كان من المزمع إبرامها مع الشاه (410) ، فلو عرض هانيل على الشاه طلب شراء الجزيرة لكان قد فسر، بأنه محاولة للتملص من الالتزام البريطاني بالانسحاب ، والانكى من ذلك هو ان يحاول الروس استغلال استمرار الاحتلال البريطاني لجزيرة خرج ،

(407) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 1972 .

(408) Palmerston to Hajji Mirza Aghasi, 24 Nov. 1840 .Quoted in: J.B.Kelly, OP.Cit. P. 346 .

(409) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . PP. 1971-1972 .

(410) J.B.Kelly, OP.Cit. P. 347; M.E.Chamberlain, British Foreign Policy in the Age Palmerston, London 1980, PP.46-47.

للحصول على امتيازات إقليمية في شمال إيران من الشاه ، وكانت إيران لا تزال مدينة لروسيا بجزء من التعويضات التي فرضتها عليها عام ١٨٢٨ ، ومن ثم فقد كانت روسيا تفضل الحصول على مناطق إقليمية في جيلان ذات الأهمية الاستراتيجية مقابل التعويضات⁽⁴¹¹⁾ ، لذا فإن فكرة شراء جزيرة خرج غير مرغوب فيها ، ومن الأفضل لبريطانيا أن لا يتم شيء يمكن أن يعرض سلامة إيران للخطر⁽⁴¹²⁾ .

وكان أقصى ما تطمح بريطانيا إليه وفقاً لوجهة نظر بالمرستون ، التي أفضى بها إلى هوبهاوس هو أن تسمح الحكومة الإيرانية بإقامة المقيمة البريطانية في جزيرة خرج ، متى شأنت بريطانيا ذلك ، فضلاً عن احتمال موافقة الشاه على إقامة مستودع للفحم هناك ، لتموين السفن التي تتردد منطقة الخليج العربي ، على أن تبقى الجزيرة تابعة إلى الشاه اسمياً ، وقد وافق هوبهاوس على ذلك الحل الوسط ، وكلف ماكنيل في أواخر آب عام ١٨٤١ ببذل قصارى جهده للحصول على موافقة الشاه على تلك المطالب⁽⁴¹³⁾ .

وعاد حينئذ ماكنيل المبعوث البريطاني إلى إيران ، وأعيد تأسيس المفوضية البريطانية في طهران في الحادي عشر من تشرين الأول عام ١٨٤١ ، فوجد الشاه في انتظاره لتوقيع الاتفاقية التجارية ، فجرى استقبال حار مفعم بالرياء ولم يشأ المبعوث أن تضيق منه هذه الفرصة ، فتم التوقيع على الاتفاقية في الثامن والعشرين من الشهر نفسه⁽⁴¹⁴⁾ ، نصت على حرية التبادل التجاري بين رجال الأعمال البريطانيين والإيرانيين ، وحرية تنقلاتهم في أراضي كل من الدولتين المتعاقبتين ، كما نصت الاتفاقية على حق القناصل البريطانيين الإقامة في طهران وتبريز ، مع أن هذا يعد أقل من الامتيازات التي حصلت عليها روسيا بموجب معاهدة تركمانجاي ، كما سمح للمقيم البريطاني في الخليج العربي بموجبها البقاء في مقره ببوشهر⁽⁴¹⁵⁾ ، كما حصل ماكنيل على تعهد خطي من الحكومة الإيرانية ، بعدم معاقبة أهالي جزيرة خرج على تعاونهم مع القوات البريطانية أثناء احتلالها للجزيرة ، وقد حصل على التعهد المذكور في اليوم نفسه الذي تم فيه توقيع الاتفاقية البريطانية- الإيرانية⁽⁴¹⁶⁾ . ويبدو أن تعاون أهالي جزيرة خرج مع القوات البريطانية أثناء احتلالها للجزيرة ، لإعتقادهم أن ذلك التعاون قد ينقذهم من تعسف وظلم السلطات المحلية الإيرانية التي تتولى حكم الجزيرة .

⁽⁴¹¹⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. P. 348 .

⁽⁴¹²⁾ J.A.Saldanh, OP.Cit. P. 289 ; J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 1993 .

⁽⁴¹³⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. P. 348.

ينظر: . الاتفاقية نص (2) عن

C.U.Aitchison, Vol. XIII , OP.Cit. PP. 67-69 ; J.C.Hurewitz, OP.Cit. PP. 123-124 .

ينظر: الأول تشرين من والعشرين السابع في كان الاتفاقية توقيع ان إلى سهوا العزاوي الله عبد محمد يشير

ص 69. ، فارس حول الروسي - البريطاني الصراع ، العزاوي الله عبد محمد

⁽⁴¹⁵⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. P. 347; M.E.Chamberlain, OP.Cit , PP.46-47.

⁽⁴¹⁶⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. P. 348 .

ولما كانت قد وضعت ترتيبات لإنهاء الاحتلال البريطاني لجزيرة خرج بمجرد عقد الاتفاقية ، فقد بات واجباً إنهاء ذلك الاحتلال ، فلم يعد أمام المبعوث البريطاني بعد ذلك ، إلا ان يطلب من قائد الحامية البريطانية في الجزيرة الانسحاب منها فوراً وتسليم شؤون الإدارة لمندوب الحكومة الإيرانية ، وقد بعث ماكنيل بهذه الأوامر إلى قائد الحامية في اليوم نفسه ، الذي وقعت فيه الاتفاقية التجارية ، طالبا إليه إبلاغ الممثل المنتدب من الحكومة الإيرانية عند تسليم الجزيرة ، بعزم الحكومة البريطانية الاحتفاظ بمستودعات الفحم فيها ، لتموين السفن البريطانية العاملة في الخليج العربي ، تحت إشراف مسؤول بريطاني وفقاً للاتفاق السابق الذي تم بين ماكنيل والحكومة الإيرانية⁽⁴¹⁷⁾ ، غير ان تعليمات اوكلاند الحاكم العام للهند بصدد الاحتفاظ بجزيرة خرج ، وصلت متأخرة إلى ماكنيل ، ففضلا عن عدم موافقة حكومة لندن عليها ، فقد سقطت حكومة ملبورن ولم يرغب لورد ابردين Lord Aberdeen وزير خارجية المحافظين التي تشكلت في عام ١٨٤١ ، في تعكير صفو العلاقات مع حكومة طهران ، أو ان يسيء إلى مركز الحكومة البريطانية عن طريق تمسكه بجزيرة خرج ، وليتقاضي لورد ابردين تردد اوكلاند في تنفيذ الانسحاب من الجزيرة ، بادر إلى إرسال تعليمات إلى بومباي في نهاية كانون الثاني عام ١٨٤٢ لتنفيذ عملية الانسحاب فوراً⁽⁴¹⁸⁾ .

انسحبت الحامية البريطانية من جزيرة خرج خلال شهري كانون الثاني وشباط من العام نفسه ، وطوى الرائد هـ . د . روبرتسون H.D.Robertson المقيم بالوكالة في مايس من العام نفسه العَلَم في جزيرة خرج ناقلا المقيمة إلى بوشهر ، لكنه عاد إلى جزيرة خرج إذ أقام اشهر الصيف هناك ، وقد احتجت الحكومة الإيرانية للوزير المفوض البريطاني في طهران من استمرار بقاء المقيم في جزيرة خرج ، ويبدو ان مشروع الاحتفاظ بالمقيمة هناك لم تبلغ به الحكومة الإيرانية أو يكون قد سحب مراعاة لاعتراضها ، وتم نقل المخازن البحرية للحامية البريطانية التي بقيت هناك ، في تشرين الأول أو تشرين الثاني عام ١٨٤٢ إلى بوشهر ، وهكذا أخلت بريطانيا جزيرة خرج بعد احتلال دام أربعة أعوام⁽⁴¹⁹⁾ .

وقد بعث سحب الحامية البريطانية من جزيرة خرج الارتياح في نفس لورد ابردين وزير الخارجية البريطاني ، فقد كان على غرار سلفه بالمرستون ، يخشى ان يؤدي استمرار احتلال بريطانيا للجزيرة إلى تشجيع الروس ، على احتلال مناطق ساحلية من إيران على بحر قزوين ، كما كان لابد من إدراك معارضة الشاه للاحتلال ، ولم يكن واضحاً إذا ماكانت معارضته

⁽⁴¹⁷⁾ Ibid. P.349; J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . PP. 1993-1994 .

⁽⁴¹⁸⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. P. 349 ; M.E.Chamberlain, OP.Cit. PP. 47-48 .

⁽⁴¹⁹⁾ J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 1994 ; J.B.Kelly, OP.Cit.P. 349.

عام ١٨٤٢ آذار من والعشرين السادس في خرج جزيرة من انسحابها أكملت البريطانية الحامية ان إلى كيلي يشير . نفسه الشهر إلى كيرزن ويشير ،

J.B.Kelly, OP.Cit. P. 349 ; G.N.Curzon, Persia and the Persian, Vol. 11 . P. 405

للاحتلال البريطاني لجزيرة خرج ناشئة ، عن الخوف من وجود قاعدة أجنبية بالقرب من سواحله ، أم من احتمال اضطرابه إلى منح الروس امتيازات مماثلة في شمال البلاد ، واستمر موقف الشاه الودي تجاه البريطانيين نحو أربعة أشهر ، أي حتى وقوع مذبحة البعثة البريطانية في كابل (420)، التي قدر لها ان تجعل لشهري تشرين الأول وتشرين الثاني عام ١٨٤١ ذكرى إلى الأبد في التاريخ العسكري للهند البريطانية (421)، فقد تقهقر الجيش البريطاني إلى داخل حدود الهند في شتاء 1٨٤1-1٨٤2 ، وانقلب موقف الشاه إلى العداء ، حتى ان لورد ابردين قد اضطرمنا للمزيد من التدهور الحاصل بالعلاقات ، إلى معارضة الاقتراحات التي وصلتته من إيرل أوف ريبون Earl of Ripon رئيس مجلس الهند ، الذي حل محل هوبهاوس بإبقاء المقيمة في جزيرة خرج بشكل دائم ، كما عارض انتقال المقيم إلى الجزيرة في اشهر الصيف (422) .

ما ان نجحت الحكومة البريطانية في تحسين علاقتها مع الشاه ، حتى شرع في حملة لإغلاق مستودع الوقود في جزيرة خرج ، خوفا من قيام الروس بإنشاء مستودع مماثل لهم بالقرب من استراباد ، إذ اضطر وزير الخارجية البريطاني في آذار عام ١٨٤٤ إلى تكليف حكومة الهند ، بالنظر في هذا الأمر واتخاذ التدابير اللازمة لإغلاق المستودع بأسرع ما يمكن (423) . وعلى الرغم من ان بريطانيا حققت بموجب معاهدة عام ١٨٤١ هدفين ، الأول الحصول على إمتيازات اقتصادية في إيران معترفا بها ، والثاني إضعاف العلاقات التي كانت قائمة بين روسيا وشمال إيران (424)، لكن الحكومة البريطانية لم تشعر بالارتياح من التسوية الشاملة مع الحكومة الإيرانية ، لان جذور الخلاف بين الدولتين لم تحسم ، كما لم يتخل الشاه عن أطماعه في إقليم هرات ، وقد حاول اوكلاند الحاكم العام للهند عبثا إقناع الشاه بالكف عن التدخل في أفغانستان ، وان الحكومة البريطانية لم تؤيده في تلك الخطوة ، ولم تتضح الأسباب التي منعت بالمرستون وزير الخارجية البريطاني من الإصرار على الحصول على تعهد رسمي من الشاه بصدد هذه النقطة، ولعل خوفه من الروس في آسيا قد خف نتيجة للخلافات التي دبت بين القيصر ومحمد علي باشا والي مصر (425)، لاسيما انتهاء العمل بمعاهدة انكيار سكلسي Unkiar

(420) J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 349-350 .

: ينظر ١٨٣٨. ١٨٤٢ لعامي الأفغانية . البريطانية الحرب عن التفاصيل من (421) للمزيد

P.Sykes, OP.Cit. PP. 333-335 ;

الأولى الأفغانية الحرب ، العيلة حسين ٣٥ ؛ محمد ٢٩- ص ، المصدر السابق ، النويب احمد هاشم جمال

، الدوحة (د.ت) . الأفغان وانتصار العظمى بريطانيا هزيمة ، ١٨٣٨. 18٤٢

(422) Aberdeen to Earl of Ripon, 16 Mar. 1844 . Quoted in : J.B.Kelly, OP.Cit. P. 350 .

Ibid. (423)

عشر التاسع القرن في العربي والخليج فارس حول وبريطانيا روسيا بين الصراع ، البخيت عبد (424) نوري

58 . ص ، ١٩٧٦ البصرة جامعة ، ٦ العدد ، العربي الخليج مجلة ، العشرين القرن وبداية

الروسي الخارجية وزير نسلرود دفع مما ، الروس قلق العثمانيين على باشا علي محمد انتصار أثار (425) لقد ، روسيا بمصالح يضر انقلاب وقوع إمكانية من اسطنبول إنقاذ ، وهو الروسي التدخل من الهدف يحدد ، ان

Skelessi⁽⁴²⁶⁾ والعودة إلى النظام القديم، الذي حددته معاهدة تموز عام ١٨٤١ فيما يتعلق بالمضائق العثمانية⁽⁴²⁷⁾، ومن ثم فلا يصح ان ننظر إلى تعليمات بالمرستون إلى ماكنيل في الشهر نفسه ، من زاوية تناقص شكوكه في نوايا الروس في آسيا من ناحية ، أو تغييراً في اعتقاده بأهمية التوصل إلى تسوية ما مع الحكومة الإيرانية ، لان بقاء الوضع على ما هو عليه قد يدفع الروس إلى استغلال توتر العلاقات البريطانية - الإيرانية ، لتوسيع قاعدة نفوذهم في إيران من ناحية أخرى ، فإذا كان الاحتمال الثاني هو الاحتمال الأصح ، فان قرار بالمرستون ، نظراً إلى الانتكاسة العسكرية البريطانية في أفغانستان التي جاءت بعد التسوية مباشرة ، يعد قراراً حكيماً ، غير ان هذا القرار أبقى على مشكلة هرات من دون حل وتطلب الأمر حروباً طويلة مع إيران قبل ان تحل هذه المشكلة⁽⁴²⁸⁾ .

لقد أعطت كارثة البريطانيين في عام ١٨٤١ في كابل فرصة لروسيا لاستئناف سياستها تجاه إيران وأفغانستان ، لكن روسيا كانت مرهقة حينذاك بعدد من المشاكل في آسيا الوسطى ، في القوقاز وخيوه⁽⁴²⁹⁾، كذلك في اشوردا Ashurdah الجزيرة التي تقع في الركن الجنوبي الشرقي من بحر قزوين قريباً من إقليم مازندران ، فحينما كانت سواحل هذا الإقليم تتعرض للقراصنة التركمان، طلبت حكومة الشاه في عام ١٨٣٦ المساعدة البحرية من القيصر للضرب على أيدي القراصنة ، أدركت روسيا بعد نجاحها في ذلك ، أهمية الجزيرة السوقية فاحتلتها عام ١٨٤٠ وأنشأت فيها قاعدة بحرية وفقاً لأحدى مواد معاهدة تركمانجاي ، التي بموجبها تمنع السفن الحربية الإيرانية من مياه بحر قزوين ، وحينما لجأت إيران إلى وساطة بريطانيا لم تنجح في إلغاء ذلك النص ، فاستمرت روسيا في احتلالها حتى العقد الثاني من القرن العشرين⁽⁴³⁰⁾، كما انشغلت روسيا حينذاك بتوسعها نحو الجنوب إلى خيوه في آسيا الوسطى ، وجاءت حملاتها العسكرية

، فرنسا قيادة تحت وهي ستصبح أقوى بدولة استبدالها والى ، صديقة أنها إلا ضعيفة دولة سقوط إلى ويؤدي : ينظر . لروسيا المصاعب لآلاف موردا

١٢٨ - 129. ١٩٧١، ص موسكو ، البستاني عفيفة ترجمة ، الحديث العربية الأقطار تاريخ ، لوتسكي. ف دفاعية معاهدة وهي ، ١٨٣٣ عام تموز من الثامن في والسلطان القيصر بين المعاهدة هذه (426) عقدت تنص سرية مادة احتوت وقد العالي، الباب عن الدفاع القيصر فيها تعهد ، أعوام لثمانية المفعول نافذة هجومية غلق الدردنيل القيصر ، لطلب وفقاً السلطان فعلى ، أخرى دولة وبين روسيا بين حرب نشوب حالة في انه على ينظر للمزيد . الأوروبية الحربية السفن جميع بوجه

:

J.C.Hurewitz, OP.Cit. PP. 115-116 ; H.Temperly, OP.Cit. PP. 70-74 ; M.Sabry, OP.Cit. PP.251-269 .

(427) J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 351-352 .

(428) Ibid. P.352.

(429) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . P. 225 .

(430) Ibid, Part. 11 . P. 1969 ; G.N.Curzon, Persia and the Persian, Vol. 11 . P. 393 ; P.Sykes. OP.Cit. PP. 344-345 .

بين عامي ١٨٣٩-١٨٤٢ بوصفها رد فعل على الاحتلال البريطاني لأفغانستان ، وحينما أخفقت في ذلك ظلت تتحين الفرص إلى ان تمكنت من احتلالها في سبعينيات القرن التاسع عشر ، فضلا عن ذلك انشغال روسيا في توسعها في القوقاز إلى الغرب من بحر قزوين منذ عام ١٨٣٨-١٨٣٩ ولم تنته حتى ستينيات القرن التاسع عشر. وحينها انشغلت بالتوسع باتجاه الشرق وصولا الى الحدود الصينية (431).

لذلك يمكن عد الحقبة التي تلت عام ١٨٤٢ حقبة التعاون البريطاني الروسي في آسيا الوسطى وإيران حتى عام ١٨٤٨ ، فبعد الكارثة التي حلت بالبريطانيين في أفغانستان في عام ١٨٤١ ، ترسخت رغبة لورد ابردين وزير الخارجية البريطاني بضرورة التعاون مع الروس في آسيا الوسطى وإيران وأفغانستان ، بدلا من سياسة المجابهة ، أملا في إقناع الحكومة الروسية بردع إيران من استغلال مصاعب بريطانيا في أفغانستان ، وزاد الانسحاب البريطاني من أفغانستان وجزيرة خرج ، السلطات البريطانية قناعة بأهمية الدور الذي يمكن ان تؤديه حكومة القيصر ، للمحافظة على استقلال هرات ومنع إيران من مهاجمتها مما قد يعرض الممتلكات البريطانية في الهند للخطر ، وقد تطابقت سياسة لورد ابردين مع وجهة نظر نسلرود القائمة على أساس المحافظة على استقلال الأقطار الواقعة بين مناطق نفوذيهما (432).

ولما كانت لبريطانيا وروسيا مصالح اقتصادية وسياسية في المنطقة، فقد انعكست سياسة التعاون بينهما في موافقة الدولتين على الاعتراف بابن محمد شاه الأكبر ناصر الدين ميرزا وريثا لعرش إيران ، وتدخل الدولتين بوصفهما وسيطتين بين اسطنبول وطهران ، في المفاوضات الجارية بينهما في عام ١٨٤٣ بسبب مشاكل الحدود ، والتي أسفرت بعد أربعة أعوام من الجهود إلى إبرام معاهدة ارضروم في عام 1847 (433).

لقد تبنت بريطانيا سياسة الفتور إزاء إيران ، على الرغم من عودة بالمرستون وهوبهاوس إلى السلطة في عام ١٨٤٦. وكان لتحسن العلاقات مع الروس واستبعاد بالمرستون وزير الخارجية البريطاني ، قيامهم بمهاجمة الهند له اثر في سياسة الفتور البريطاني ، على الرغم من ان وجهة نظر بالمرستون في إيران لم تتغير منذ عشرة أعوام ، فهو لا يزال يعد إيران قوة عازلة للهند البريطانية ، ولا يمكن التضحية بها لتكون خاضعة للسيطرة الروسية ، ومن ثم استخدامها قاعدة لحبك المؤامرات في الأقطار المجاورة للهند ، أو السماح لإيران بتوسيع حدودها باتجاه الشرق على حساب الدويلات الأفغانية ، لما يشكله من خطورة تقرب روسيا من حدود الهند ، فقد حصلت روسيا من إيران بموجب معاهدتي كلستان عام ١٨١٣ وتركمانجاي عام ١٨٢٨ امتيازًا

(431) P.Sykes. OP.Cit. PP. 355-358 .

(432) M.E.Yapp.OP.Cit. PP. 457-458 .

(433) G.N.Curzon, Persia and the Persian. Vol. 11 . P. 587 ; J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . PP. 229-230 ; Part. 11 . P. 1995 ; P.Sykes, OP.Cit. PP . 339 , 365 .

: ينظر .المعاهدة عن للتفاصيل

C.U.Aitchison. OP.Cit. Vol. XIII . PP. IX-IXI .

في تنصيب قناصلها ، في أي مكان ترغب فيه في الممتلكات الإيرانية ، وإنها الدولة الأوربية الوحيدة التي حصلت على هذا الامتياز ، وعلى الرغم من حصول بالمرستون على الاتفاقية التجارية عام ١٨٤١ من محمد شاه ، إلا أنه أخفق في اخذ تعهد منه بعدم مهاجمة هرات (434) .

وقد كتب هوبهاوس رئيس مجلس الهند في نيسان عام ١٨٤٧ إلى بالمرستون ، أنه سيكون من الأفضل لو صاغ سياسته وإجراءاته ضد إيران ، من دون الرجوع إلى حكومة الهند ، التي تبنت سياسة تخفيض النفقات الكبيرة للقوات الهندية ، وإذا كان لابد من استخدام القوة ينبغي أن يتم ذلك عن طريق الحكومة البريطانية وحدها ، فالحرب يجب أن تكون بين الملكين ، ولا يمكن توقع أي تعاون من حكومة الهند بهذا الصدد ، وعن كيفية ومكان استخدام السلاح البريطاني في حالة نشوب حرب مع إيران ، أكد هوبهاوس في رسالته نفسها أن أي عدوان من الشاه على هرات والتقدم نحو قندهار وكابل ، ينبغي الرد عليه بالهجوم فوراً على ممتلكاته في الخليج العربي ، والاستيلاء على جزيرة خرج لاتخاذها قاعدة بريطانية دائمة (435) .

لم تكن هناك مناسبة لشن الحرب على إيران ، وتوجيه تحذير إلى الشاه ، فالإشاعات التي راجت عام ١٨٤٧ في إيران ، عن نواياه في مهاجمة هرات لم تكن صحيحة ، لتظهر مشكلة هرات مرة أخرى ، بعد أربعة أعوام في عهد ناصر الدين شاه (436) ، وليستمر معها القلق البريطاني على مصير الممتلكات البريطانية في الهند ، من خطر روسيا التي كان نفوذها في إيران عظيماً ودائماً ، لكن اهتمامها لم يكن قد توجه بعد إلى الخليج العربي .

(434) J.B.Kelly, OP.Cit. P.452.

(435) Hobhouse to Palmerston 3 Apr. 1847 . Quoted in : J.B.Kelly, OP.Cit. P.453.

(436) Ibid.

الصراع البريطاني - الروسي في إيران وإنعكاسه على منطقة الخليج العربي 1848- 1857

حينما توفي محمد شاه في الرابع من أيلول عام 1848 ، عمل كل من الكولونيل فرانكيس فرانت C .F.Fareant (1847-1848) القائم بالإعمال البريطاني في طهران ، ونظيره الأمير دولكوروكي Prince Dolgoruky⁽⁴³⁷⁾ الوزير المفوض الروسي في طهران ، لضمان تبوء ناصر الدين ولي العهد العرش الإيراني ، الذي كان في تبريز حينذاك ، وقد تولت والدته مهد عليا أو ألام الوالدة كما كانوا يسمونها ، زمام الأمور لحين وصوله إلى طهران ، وحين وصلها في العشرين من تشرين الأول من العام نفسه توج في اليوم نفسه ، واستمر عهده لحين اغتياله في عام 1896 ، فغطى عهده معظم النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ومن أهم سمات عهده الصراع البريطاني . الروسي في إيران⁽⁴³⁸⁾.

كان لبريطانيا دور واضح في اعتلاء ناصر الدين شاه ، فقد اقتضت المصالح البريطانية المحافظة على العرش الإيراني بكل الوسائل ، أكد ذلك الشاه في حفلة تتويجه حينما عبر عن شكره لفرانت في مساعدته بتبوء العرش ، في حين أشار فرانت بقوله نحن سعداء بمساعدة الشاه ، وربما كان من المتعذر عليه من دون بريطانيا ان يصل العرش⁽⁴³⁹⁾ ، لذلك حاول البريطانيون الانتقام حول الشاه الجديد ، مستغلين حالة التفاهم مع الروس منذ عام 1842 بصدد إيران وآسيا الوسطى⁽⁴⁴⁰⁾ .

شرح ناصر الدين شاه بتأليف حكومته ، فوقع اختياره على كبير مستشاريه ميرزا تقي خان (1851-1848)، الذي اختار اللقب العسكري أمير نظام (أمير كبير) مفضلاً إياه على

شغل منصبه في المدة 1846.1854 ، سبق له ان جاء إلى إيران جاسوساً روسيا متستراً تحت اسم (437) الشيخ عيسى ، في بداية عهد محمد شاه . ينظر :

علي خضير عباس المشايخي ، المصدر السابق ، ص 80 .

(438) G.N.Curzon , Persia and the Persian , Vol.1. PP.394,406 ; J.B.Kelly,OP.Cit.P.453;

علي خضير عباس المشايخي ، المصدر السابق ، ص 79-80 .

خضير مظلوم فرحان البديري ، المصدر السابق ، ص 37-38 . (439)

باسم خطاب حبش الطعمة ، المصدر السابق ، ص 227 . (440)

لقب الصدر الأعظم أو رئيس الوزراء ، و كان من اكبر الأخطار التي تعرضت لها الحكومة الجديدة ، الثورة التي حدثت في خراسان في عام 1848 بقيادة سالار آصف الدولة ، ابن عم محمد شاه ، الذي حصل على تأييد معظم زعماء خراسان⁽⁴⁴¹⁾، فضلاً عن مساندة الحكومة البريطانية ، بتقديم المساعدات المالية للثوار لإضعاف حكومة طهران والنفوذ الروسي فيها ، وتقوية النفوذ البريطاني في هذه المقاطعة ، الواقعة على حدود هرات وأفغانستان وإمارات آسيا الوسطى ، واستخدامها رأس جسر للتسلل في آسيا الوسطى ومنافسة النفوذ الروسي هناك ، وقد ورد في احد تقارير الوزير المفوض الروسي في طهران ، بان أمير نظام علق على وساطة الحكومة البريطانية لإنقاذ سالار قائلاً : لا نسمح بأن تكون خراسان مصر ثانية ، ولا نسمح للحكومة البريطانية التدخل في شؤون إيران الداخلية ، بينما كانت الحكومة الروسية تدعم حكومة طهران ، من اجل القضاء على الثورة خدمة لمصالحها في المنطقة⁽⁴⁴²⁾.

تمكن سالار ان يجبر حمزة ميرزا عم الشاه وممثله في مشهد ، على الرغم من حصوله على مساندة يارمحمد خان حاكم هرات ، الذي كان يطمح إلى الافادة من الأوضاع في إيران ، على الجلاء عن المدينة والانسحاب إلى الحدود الأفغانية ، رفض أمير نظام جميع عروض الوساطة البريطانية والروسية لحل الأزمة ، لمعارضته بشدة كل تدخل أجنبي في شؤون إيران الداخلية ، وأرسل بدلاً من ذلك الإمدادات بقيادة سلطان مراد ميرزا عم الشاه للجيش الإيراني المحدث بمشهد ، وبعد حصار دام عام ونصف فتحت أبواب مشهد للقوات الملكية بقيادة سلطان مراد ميرزا ، واخذ سالار بالقوة من ضريح الإمام رضا الذي اتخذ منه ملجأ⁽⁴⁴³⁾، وفي نيسان عام 1850 نفذ فيه حكم الإعدام⁽⁴⁴⁴⁾ .

لقد كان أمير نظام في مسألة العلاقات الخارجية متشدداً ، إذ كان يطمح إلى إنقاذ إيران من موقف التبعية المذل لمصالح بريطانيا وروسيا ، رافضاً عروض التدخل الأجنبي بين الشاه وثور مشهد ، فأعطى إذناً صمماً للاقتراحات البريطانية ، بان عائلة سالار يجب ان تسترد

⁽⁴⁴¹⁾ J.G.Lorimer , oP cit .1 . Part . II .PP1990,1997; P.Sykes , OP.Cit,PP.339-341;

نوري عبد البخيت ، محاولات التوسع البريطاني شمالي الهند في منتصف القرن التاسع عشر، مجلة الخليج العربي ، السنة الثامنة عشرة ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد 1، جامعة البصرة .199 ، ص96 .

وثائق وزارة الخارجية الروسية ، بلاد فارس ، 849 وثيقة رقم 435 / 438 . نقلاً عن : (442)

نوري عبد البخيت ، محاولات التوسع البريطاني شمالي الهند، ص 97 .
قصد أمير نظام من تعليقه ، استغلال بريطانيا النزاع بين محمد علي باشا والي مصر والسلطان العثماني وتدخلهما في مصر ، وفرض سياستها هناك ، بمنعه من تكوين دولة كبيرة . ينظر :
المصدر والصفحة نفسيهما .

⁽⁴⁴³⁾ J.G.Lorimer,oP cit Vol.1.Part.II.P.1997; P.Sykes,OP.Cit.P .341.

نوري عبد البخيت، محاولات التوسع البريطاني شمالي الهند ، ص96 ؛ علي خضير عباس (444)
المشاخي،المصدر السابق ، ص97 .

نفوذها في خراسان (445) , كما تصدى لمحاولات بريطانيا استغلال موضوع تجارة الرقيق , للتدخل في شؤون الساحل الشرقي للخليج العربي , وتوضح مراسلاته مع شيل الوزير المفوض البريطاني في طهران معارضته الشديدة , لتفتيش السفن الإيرانية بحجة التأكد من عدم متاجرتها بالرقيق , وتمثل رد فعل السلطات البريطانية على ذلك , في الضغوط التي مارستها على الشاه وإجباره التوقيع , على اتفاق حظر بمقتضاه ممارسة تجارة الرقيق في الساحل الشرقي للخليج العربي , وسمح للسفن البحرية البريطانية بتفتيش السفن التجارية الإيرانية , ما عدا السفن التابعة للحكومة الإيرانية , وان يرافق عدد من المسؤولين الإيرانيين الطرادات البريطانية في جولاتها التفتيشية في الخليج العربي , لتنفيذ المرسوم الذي يبدأ العمل به ابتداءً من الأول من كانون الثاني عام 1851 , لم ينفذ المرسوم جدياً لنقص عدد السفن البحرية البريطانية العاملة في الخليج العربي , إذ لم يبق منها سوى طرادين في العام التالي بسبب إرسال معظم قطع البحرية الهندية في الحملة البريطانية على بورما (446) .

رفض أمير نظام كذلك المطالب الروسي في ان بهمان ميرزا عم الشاه , الذي هرب من مركزه واتخذ ملجأ له على الحدود الروسية , يجب ان يعود حاكماً عاماً لأذربيجان , واتباع أمير نظام سياسة حكيمة , بتركه جزيرة اشوردا في بحر قزوين للروس فأمن بذلك جانبهم , لا سيما بعد احتجاج الوزير المفوض الروسي في طهران , على إخفاق حاكم مازندران الذي كان أخ للشاه , في صد التركمان من الهجوم على المحطة البحرية الروسية في الجزيرة , فوقع عباً تحرير ساحل قزوین من القراصنة التركمان على الروس , ليضمن أمير نظام بذلك فائدة الشحن البحري بوجه عام وتجارة مقاطعات إيران الشمالية بوجه خاص (447) .

لقد نجح أمير نظام بأمانته واجتهاده , من الوصول إلى المصادر المالية والتجارية للدولة إلى درجة معينة من الكفاية , لكن ما كادت الأمور في إيران تتجه نحو الإصلاح حتى فقد ثقة الشاه فجأة , وربما بلغ الشاه خطأ , ان وزيره يقوم بوضع خطط للاستيلاء على العرش (448) , وربما كان ذلك من تدبير الممثل البريطاني في طهران , بسبب موقف أمير نظام المعارض للنفوذ البريطاني في إيران (449) , لذلك بعث الشاه في الثالث عشر من تشرين الثاني عام 1851, بعد ان اتخذ احتياطات غير عادي , من يخبر أمير نظام انه قد اعفي من منصب الصدارة عدا مهامه العسكرية وقد أطاع ذلك الأمر (450) , لقد حاول لوريمر تبرئة البريطانيين من تورطهم في عزل أمير نظام ومن ثم قتله , زاعماً ان السفارة البريطانية في طهران بذلت مجهوداتها لصالحه

(445) J.G.Lorimer,OP.Cit .Vol.1Part.II.P.1998;

علي خضير عباس المشايخي, المصدر السابق , ص 133.

(446) J.B.Kelly,OP.Cit.PP.208-209.

(447) Ibid. P. 209; J.G.Lorimer,OP.Cit .Vol.1 .Part.II.P.1998.; P.Sykes,OP.Cit. P . 345 .

(448) J.G.Lorimer,OP.Cit .Vol.1. Part.II.P.1999.

علي خضير عباس المشايخي , المصدر السابق , ص 98. (449)

(450) J.G.Lorimer,OP.Cit .Vol.1. Part.II.P.1999 ; H.Busse,OP.Cit.P.301.

عارضة عليه توسطها لدى الحكومة الإيرانية لتعيينه حاكماً على كاشان , لكنه تردد في قبول أية حكومة إقليمية معتقداً ان حياته ستكون في خطر بعد عزله من الاتصال بالشاه , الذي كان على علاقة وثيقة به , وألقى لوريمر تبعاً قتله على الروس , حينما تدخل دولكوروكي الوزير المفوض الروسي في طهران بشكل غير مدروس , أثار بذلك غضب الشاه ومستشاريه الجدد , فأرسل أمير نظام إلى كاشان معتقلاً سياسياً , وبقي هناك حوالي شهرين من دون ان يمسّه ضرر , حتى أدى إلحاح دولكوروكي إلى خوف الشاه من التدخل الأجنبي , فعجل في إنهاء مصير أمير نظام , حينما تم في التاسع من كانون الثاني عام 1852 إعدامه في قصر فرح بالقرب من كاشان على أيدي مبعوثين من طهران , أدرك الشاه ان الجريمة التي غرر فيها بفعل الوشاية والنميمة , كانت خطأً سياسياً كبيراً , وظهر علامات الندم, وذكرت مدة إدارته القصيرة في إيران التي دامت لثلاثة اعوام , بأنها كانت حقبة من العصر الذهبي (451).

كانت مشكلة هرات إنشاء المدة الأولى من حكم ناصر الدين شاه تتحكم في العلاقات الخارجية لإيران , وغدت السبب الرئيسي للخلافات بين بريطانيا وإيران , فقد استمر رجال الحكم البريطانيون ينظرون إلى هرات على إنها حجر الزاوية في الدفاع عن الهند , ومقاومة ضمها إلى إيران , مما يجعل الروس على مقربة من أبواب الهند , عن طريق إيجاد تمثيل قنصلي لهم في هرات , ولتلافي حدوث ذلك , أمرت الحكومة البريطانية شيل , السعي إلى إقناع الشاه بالابتعاد عن مهاجمة هرات (452) .

وكانت روسيا من جانبها تشجع أطماع الشاه التوسعية باتجاه الشرق نحو أفغانستان , ضناً منها ان ذلك سيساعد على وقف الزحف البريطاني باتجاه آسيا الوسطى , التي تعدّها مناطق نفوذ خاصة بها (453) .

لقد وجه ناصر الدين شاه اهتمامه في عام 1851 نحو هرات , إذ كانت أوضاع أفغانستان مشجعة فقد كانت مقسمة إلى ثلاثة مراكز قوى متنافسة , في كل من قندهار وكابل وهرات , وسرت إشاعات عديدة منذ منتصف العام نفسه , عن نية الحكومة الإيرانية إرسال قواتها إلى هرات , على اثر المفاوضات التي تمت بين حاكم هرات والحكومة الإيرانية , وكان رد الأخيرة على الاستفسارات التي كان شيل قدمها بهذا الصدد , قوبلت بتأكيدات ان إيران لن تتخذ أي إجراء إلا في حالة الاضطرار , لتتخذ هرات من الوقوع تحت سيادة حاكم كابل أو حاكم قندهار , وفي هذه المرحلة لم يعد يدير سياسة الحكومة الإيرانية أمير نظام , وغدت سياسة البلد مغلوطة ومتناقضة , فتم تعيين ميرزا آغا خان نوري (1851-1858) لمنصب الصدارة (454) ,

(451) J.G.Lorimer,OP.Cit .Vol.1 . Part.II.PP.1999-2000 ; P.Sykes,OP.Cit.P .346.

(452) Ibid,PP.2000-2006; Ibid; J.B.Kelly,OP.Cit.P.454.

فؤاد حمه خورشيد , أفغانستان في الاستراتيجية السوفيتية , أطروحة دكتوراه , كلية الآداب , جامعة بغداد (453) 1989 , ص 21-23 .

(454) J.G.Lorimer,OP.Cit .Vol.1 .Part.II.P.2006 ; P.Sykes,OP.Cit.P .346 .

الذي كان يحلم بتوليته منذ الشباب ، ولما لم تكن لديه مؤهلات سلفه للوصول إلى هذا المركز ، لذا كان يقوم بالتملق للأجانب وتقديم الخدمات لهم ، حتى غدا عميلاً للبريطانيين داخل السفارة الروسية في طهران التي عمل فيها مترجماً ، وليبعد الشائعات التي تتهمه بخضوعه للبريطانيين والروس وإثباته بأنه لم يكن أقل شأنًا من أمير نظام في الجوانب السياسية والعسكرية ، تحرك صوب هرات لاحتلالها ، في بداية عام 1852⁽⁴⁵⁵⁾ ، لاسيما بعد ان لاحظ ان حركة ما قامت من جانب حاكم قندهار ، ضد هرات واضطر حاكمها إلى طلب المساعدة من إيران ، لقاء اعترافه بتبعيته لها ، مما دفع الحكومة الإيرانية إلى إرسال قواتها إلى هرات واحتلالها ، فأصدر ناصر الدين شاه في تشرين الأول عام 1852 فرماناً نص على إلحاق هرات بإيران ، على ان يكون سعيد محمد خان حاكماً عليها بإسم الحكومة الإيرانية ، رفضت الحكومة البريطانية ذلك لتعارضها مع سياستها وتهديد مصالحها في الهند ، واحتمال مجيء الوكلاء الروس قرب الحدود الهندية ، مما حمل شيل في أوائل عام 1853 على التهديد بانسحاب البعثة البريطانية من طهران ، وإعادة احتلال بريطانيا لجزيرة خرج في الخليج العربي⁽⁴⁵⁶⁾ .

أذعنت الحكومة الإيرانية للتهديد البريطاني ، وتم التوصل إلى اتفاقية بين الجانبين بشأن هرات في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام 1853⁽⁴⁵⁷⁾ ، كانت أهم شروطها ، تعهد الشاه بعدم إرسال قوات عسكرية إلى هرات مستقبلاً ، إلا إذا كان لصد هجوم أجنبي ، وحتى في مثل هذه الحالة فان القوات الإيرانية لا يجب ان تدخل مدينة هرات ، بل تعود إلى إيران بمجرد زوال الخطر ، وان لا تحاول الحكومة الإيرانية إقامة حكم مباشر في هرات أو التدخل في شؤونها الداخلية ، ويجب ان لا يكون هناك أي أثر لتبعية هرات لإيران ، سك العملة أو إلقاء الخطبة باسم الشاه ، وان لا يكون هناك تمثيل دائم بين إيران وهرات ، وقد تم إبلاغ اتفاقية عام ١٨٥٣ إلى سعيد محمد خان حاكم هرات ، بوساطة شيل الوزير المفوض البريطاني في طهران بفرمان من الشاه في التاسع والعشرين من كانون الأول عام 1853 ، تضمن اعتراف إيران باستقلال هرات اعترافاً أكثر وضوحاً وتأكيذاً عما كان في الاتفاقية نفسها⁽⁴⁵⁸⁾ .

حاول الروس إستغلال الآثار السلبية التي خلقتها اتفاقية عام 1853 في نفوس الإيرانيين ، فقابل دولكوروكي ، في خريف العام نفسه ناصر الدين شاه ، عارضاً عليه مقترحات الحكومة

علي خضير عباس المشايخي، المصدر السابق ، ص 138-143 . (455)

(456) J.G.Lorimer, OP.Cit . Vol.1 . Part. II. PP. 2006-2007;

نوري عبد البخيت ، محاولات التوسع البريطاني شمالي الهند ، ص 95-96 ؛ باسم خطاب حبش الطعنة ، المصدر السابق ، ص 235 .

تشير بعض المصادر إلى حاكم هرات باسم صيد محمد خان، و سيد محمد خان .

عن نص الاتفاقية. ينظر: (457)

C.U.Aitchison , OP.Cit. Vol. XIII. PP. 77-79 ; J.C.Hurewitz , OP.Cit. PP. 141-143.

(458) Ibid ; Ibid.; J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . PP. 2006-2007 ; J. B. Kelly, OP. Cit. P. 454 .

الروسية بتعاون إيران معها في حالة اندلاع حرب ضد الدولة العثمانية ، ومن الإغراءات التي زينت له ذلك ، فكرة امتلاكه بغداد والمدن المقدسة - النجف وكربلاء - وغيرها من الأراضي ، ويبدو انه وعد بان روسيا ستساعده إما بإبقاء الأقاليم التي يفتحها له ، أو ان يطلب ثمناً باهظاً من المال نظير إعادتها إلى الدولة العثمانية ، وكان الإغراء الأكبر هو تنازل روسيا عن تعويضات حرب عام ١٨٢٨ ، التي مازالت مستحقة لها على إيران ، ومقدارها عشرة ملايين تومان. مايقارب خمسة ملايين جنيه إسترليني ، ومنح إيران عشرين مليون تومان إضافي ، مايقارب عشرة ملايين جنيه إسترليني ، إذا استمرت الحرب مع الدولة العثمانية ، وتزويد الجيش الإيراني بالمعدات العسكرية ، فنالت المقترحات الروسية موافقة الشاه (459)، غير ان بطرسبورغ حاولت التريث في مسألة التحالف مع إيران ويبدو ان دولكوروكي قدم عرضه هذا من دون تخويل من حكومته التي كانت مقتنعة بأن الحرب ستتحصر بينها وبين الدولة العثمانية ، مما يعني انتصارها ، وان دخول إيران الحرب سيؤدي إلى توتر العلاقات مع بريطانيا وفرنسا ، وربما يجبرهما إلى دخول الحرب ضدها ، فضلاً عن احتمال قيام البريطانيين باحتلال الجنوب الإيراني، مما يشكل تهديداً لمصالحها في إيران مستقبلاً (460).

راقب البريطانيون عن كثب تطور الأحداث في إيران ، منذ بداية النزاع الروسي العثماني ، وحينما اتضح لهم انحياز الشاه إلى جانب الروس ، علقوا العلاقات الدبلوماسية مع طهران في بداية تشرين الثاني عام 1853 (461)، وتوقع هنري راولنسون H.Rawlinson المقيم البريطاني في بغداد ، هجوماً واسعاً للإيرانيين على العراق التابع للدولة العثمانية ، وعبر عن مخاوفه في الرسالة التي بعث بها في نهاية الشهر نفسه إلى حكومة الهند ، ومما جاء فيها : "لقد تبنى الشاه بشكل قاطع جانب روسيا في صراعها مع الباب العالي ، وان بغداد مهددة بالغزو " وأضاف : "وتحت هذه الظروف فان العثمانيين سيتردون من هذه البلاد، بشكل شبه مؤكد والصدمة ستحل في أرجاء الدولة العثمانية ، لاسيما في آسيا مالم تقدم حكومة الهند المساعدة ". طالباً إرسال تعزيزات عسكرية من الهند مع إسناد بحري إلى الخليج العربي ، لاحتلال جزيرة خرج ، وتقف على أهبة الاستعداد ، إما للضغط على الشاه ليتخلى عن خطته العدائية تجاه بريطانيا ، أو للدفاع عن بغداد ، غير ان دلهوزي Dalhousie الحاكم العام للهند (1848-1856) لم يشاطره هذه المخاوف ، معتقداً أنه ليس من مصلحة حكومة الهند القيام بعمليات هجومية في الخليج

(459) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 2040 ; P.Sykes, OP.Cit. PP. 346-347 ; J.B.Kelly, OP.Cit. P. 456 .

(460) M.Volodarsky, OP.Cit. PP. 138-139 .

تشرين من والعشرين السادس إلى الرابع من ابتداءً الإيرانية . , البريطانية الدبلوماسية العلاقات توقفت (461)
: ينظر . ١٨٥٣ عام الثاني

J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 2664 .

العربي ولا في الممتلكات العثمانية ، وان إجراءات من هذا القبيل ، ستكون غير مرحبا بها من حكومة لندن وربما ستخرجها (462) .

وتزامناً مع الأخبار التي وصلت من طهران عن نية الشاه في الانحياز إلى جانب الروس ، بعثت حكومة لندن إلى دلهوزي في كانون الثاني عام ١٨٥٤ ، لإعداد حملة بحرية للتوجه إلى الخليج العربي ، فإذا أخفقت الجهود الدبلوماسية المبذولة مع طهران ، فعليه احتلال جزيرة خرج ، والانتظار لتلقي الأوامر الجديدة ، كما أوعز كلارندون Clarendon وزير الخارجية البريطاني في الشهر نفسه إلى وليم تومسون W.Thomson سكرتير البعثة البريطانية في طهران ، إبلاغ حكومة بومباي عن أي دليل على انحياز الشاه في الحرب إلى جانب روسيا ، أو استئناف مخططاته القديمة ضد هرات ، لإرسال حملة بحرية إلى الخليج العربي ، لم تدم القطيعة بين بريطانيا وإيران طويلاً ، ففي وقت صدور هذه الأوامر ، كانت العلاقات قد أعيدت إلى حالتها السابقة اثر نجاح أغا خان نوري الصدر الأعظم ، في إقناع الشاه بعدم التحالف مع روسيا ، ومع ذلك استمر القلق البريطاني من حقيقة الموقف الإيراني ، سواءً أكان في علاقاته مع روسيا أم تجدد المطامع في هرات ، لذلك لم يبلغ استئناف العلاقات هذه الأوامر ، بل قامت بريطانيا باستعراض للقوة البحرية بين شهري شباط وأيار عام ١٨٥٤ في مياه الخليج العربي (463) .

وعلى أثر إخفاق الجهود الدبلوماسية البريطانية والفرنسية في فيينا ، لاحتواء الأزمة الروسية . العثمانية ، اضطرت الدولتان في السابع والعشرين من آذار من العام نفسه ، إلى إعلان الحرب ضد روسيا ، فاتخذت حرب القرم طابعاً دولياً (464) ، لم تقتصر أهداف بريطانيا من اشتراكها في حرب القرم على حماية أقاليم الدولة العثمانية من التوسع الروسي ، وتحقيق سيطرتها البحرية على البحر الأسود فقط ، بل كانت تهدف إبعاد الروس عن القوقاز وسد طريقهم إلى آسيا الوسطى ، لتمارس بريطانيا نشاطها التجاري بحرية في تلك المناطق (465) ، ونتيجة لهذا الموقف الدولي تمكن الصدر الأعظم المعروف بميوله إلى جانب البريطانيين ضد الروس ، من التأثير على ناصر الدين شاه وتغيير موقفه من بطرسبورغ ، حينما أشار إلى ان التحالف مع بريطانيا وحلفائها ، التي تفوق قوتهم كثيراً قوة الروس أجدى نفعاً لإيران من تحالفها مع الروس ، لأنه سيؤدي إلى إلغاء الامتيازات التي منحتها معاهدة تركمانجاي إلى روسيا ، واستعادة المقاطعات القوقازية التي إغتصبها روسيا من إيران في حرب ١٨٢٨ ، التي هي أفضل بكثير من المقاطعات العثمانية ، التي وعده دلكوروكي بالحصول عليها ، وتأثراً بهذه

(462) Quoted in : J.B.Kelly, OP.Cit. P. 455 .

(463) Ibid. PP. 455-456 .

(464) H.Temperley, OP.Cit. P. 368 ; I.Spector, OP.Cit. P. 127 .

ينظر . القرم حرب عن

H.Temperley, OP.Cit. PP. 368-384 ; M.C.Wern, OP.Cit. PP. 400-405 .

٩٧ . ص ، الهند شمالي البريطاني التوسع محاولات ، البخيت عبد نوري (465)

الحجج أمر الشاه بانسحاب القوات المتجمعة في أذربيجان وكرمنشاه ، لمحاربة الدولة العثمانية ، مما جعل دلكوروكي في وضع محرج للغاية ، بعد ان أخبر حكومته سابقاً باستعداد الشاه التام ، للدخول بجانب روسيا ، مما أدى إلى إستدعاءه على أثر ذلك من طهران (466) .

لكن بريطانيا بإصرارها على حياد إيران لإبقاء الشرق بعيدا عن دائرة الصراع المحتدم في أوروبا خشية وصوله الهند ، حملت الشاه الذي كان يصر على استغلال تطورات حرب القرم ، للحصول على بعض المكاسب ، إلى الاتصال في أيار عام ١٨٥٤ بانجكوف Anichkov الوزير المفوض الروسي الجديد لدى طهران ، الذي أكد هو الآخر على ضرورة حياد إيران ، لخشيته من قيامها بالمطالبة بالامتيازات مستقبلا ، بحجة أنها ضحت بصادقتها مع الدول الأوروبية لأجل روسيا، وتوصل الجانبان بعد محادثات استمرت خمسة اشهر، إلى توقيع اتفاقية في التاسع والعشرين من أيلول من العام نفسه ، التزمت إيران بموجبها ، عدم تجهيز المواد الغذائية للقوات المعادية لروسيا ، أو السماح لها بعبور الأراضي الإيرانية لمهاجمة الممتلكات الروسية ، ووافقت روسيا من جانبها ، بالتنازل عن الغرامة التي لازالت بذمة إيران ، فضلا عن عدم إلزام إيران بدخول الحرب إلى جانبها (467) .

ظلت بريطانيا مصرة على ضرورة الحياد الإيراني ، فطلب كلارندون وزير خارجيتها من جارس موري Charles Murray (١٨٥٤-1858) الذي عين وزيراً مفوضاً في تشرين الثاني عام ١٨٥٤ لدى طهران ، تذكير الشاه بالتزام الحياد ضماناً لسلامة بلاده ، لان الإنحياز إلى جانب الروس سيعرض الجنوب الإيراني إلى خطر الاحتلال البريطاني ، وإمكانية بريطانيا من تحريك القبائل هناك ضد الأسرة القاجارية ، في الوقت الذي كان الشاه يأمل من إعلان عداؤه للروس في استمالة بريطانيا ، لمساعدته في استرداد الأقاليم الشمالية التي خسرها لصالح روسيا ، كما أكد كلارندون في تعليماته إلى موري ، بضرورة إخبار الشاه بأنه سيحصل على عداو بريطانيا ، في حالة توسيع حدوده إلى الشرق باتجاه الدويلات الأفغانية ، التي تشكل حاجزا مهما أمام الخطر الروسي ، لمهاجمة الممتلكات البريطانية في الهند (468) .

لقد خلقت اتفاقية عام ١٨٥٣ ، التي نفذتها الحكومة الإيرانية على كره منها ، المتاعب المستمرة بين بريطانيا وإيران ، ولموقف بريطانيا وتأثره بحرب القرم ، فكرت إيران ان تعقد معاهدة رباعية بينها وبين هرات وكابل وقندهار ، مما يمنحها نفوذا قويا في سياسة أفغانستان ، لكن معارضة دوست محمد خان حاكم كابل ، الذي كان يميل إلى محالفة بريطانيا ، أخفقت الخطة الإيرانية ، لذلك حاولت ان توجد الشقاق بين حكومتي هرات وقندهار ، مما يعطيها حجة التدخل بموجب اتفاقية عام ١٨٥٣ ، ولما انزعج دوست محمد خان من موقف إيران التهديدي تجاه أفغانستان عموما ، عقد معاهدة سلام وصداقة مع شركة الهند الشرقية البريطانية ، في الثلاثين

(466) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . PP. 2040-2041 ; P .Sykes, OP.Cit. P. 347 .

(467) M.Volodarsky, OP.Cit. PP. 141-142 .

(468) . J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 456-457 .

من آذار عام ١٨٥٥ ، محققا رغبة حكومة الهند ، في جعل أفغانستان حاجزاً أمام الخطر الروسي في تهديد الممتلكات البريطانية في الهند ، بتعهده ان يكون صديقاً لأصدقاء وعدواً لأعداء شركة الهند الشرقية (469) .

لكن مع ذلك بدأ الصدر الأعظم يفكر من جديد في فتح هرات ، وقد شاعت الأحداث ان تخدمه في تفكيره ، عندما عين موري في الرابع من تشرين الثاني عام ١٨٥٥ هاشم خان عدل الشاه ، مراسلاً إخبارياً للمفوضية البريطانية في شيراز ، مما حمل الصدر الأعظم إلى الاعتراض على هذا التعيين لتوسيع شقة الخلاف مع بريطانيا ، بحجة انه مستخدم لدى الحكومة الإيرانية ولم يفصل منها رسمياً ، وان الحكومة البريطانية بموجب معاهدة عام ١٨٤١ ، لا يحق لها تعيين وكلاء في شيراز ، وإنما في طهران و تبريز وبوشهر فقط (470) ، وبذلت مجهودات لتسوية الموضوع على هذا الأساس ، من السفيرين العثماني والفرنسي في طهران ، اللذين كانا يتحسبان من نتائج قطع العلاقات بين بريطانيا وإيران ، فيما تنهك بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية في الحرب ضد روسيا ، لكن جهودهما أخفقت ، وبعد إخفاق محاولة جديدة ، بذلت من اجل السلام بواسطة م . بوري M.Borree السفير الفرنسي ، أغلق موري في الخامس من كانون الأول عام 1855 المفاوضات البريطانية وغادر طهران إلى بغداد (471) .

لم تتخذ الحكومة البريطانية إجراءً سريعاً ضد سلوك الحكومة الإيرانية ، وانقطعت الاتصالات الدبلوماسية ، من الخامس من كانون الأول عام ١٨٥٥ إلى آذار عام ١٨٥٧ بين الجانبين ، فاعتقد الصدر الأعظم ، ان ذلك سيسهم في تنفيذ خطته في هرات ، لاسيما بعد نجاح محمد يوسف السادوزاي في نهاية عام ١٨٥٥ ، الذي عاش مدة ما تحت الحماية الإيرانية في مشهد ، من الاستيلاء على هرات برغبة سكانها ، الذين استأثروا من سياسة سعيد محمد خان . دام الاحتلال الإيراني لهرات بمساعدة محمد يوسف أسابيع قليلة ، بعد ان حدثت ثورة تمخض عنها طرد الإيرانيين من المدينة مما حمل يوسف ان يرفع العلم البريطاني ، طالباً من دوست محمد خان حاكم كابل المساعدة ضد الإيرانيين ، وحدثت في الوقت نفسه تقريباً ثورة داخلية في هرات ، وخلع محمد يوسف وسلم إلى الإيرانيين أسيراً ، وتسلم زمام هرات الضابط عيسى خان ، الذي كان عازماً على ما يبدو على الاحتفاظ باستقلال هرات مما حمل الإيرانيين على فرض الحصار على المدينة (472) .

حينما أوشكت حرب القرم على وضع أوزارها ، حاولت روسيا إرسال حملة لغزو الهند ، فقد كتب الجنرال خروليف G.Khruleff مذكرة إلى القيادة الروسية ، ذاكراً فيها ملخص عملي

(469) C.U.Aitchison, OP.Cit. Vol. XIII .P. 987; J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol.1.Part.11.P. 2008 ; H.G.Rawlinson, OP.Cit. P. 81 .

(2) J.B.Kelly, OP.Cit. P. 459

(3) Ibid . P. 460; J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol.1 .Part.11 . PP. 2013-2014 .

(472) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol.1 .Part.11 . PP. 2008-2009 , 2664 ; J.B.Kelly, OP.Cit. P. 461 ; P.Sykes, OP.Cit. P. 349 .

لخطة التقدم الروسي نحو الهند ، من خلال استرabad ، مشهد ، هرات ، لكن التعقيدات الأوروبية ، بسبب الضغط الذي تعرضت له روسيا من قوات التحالف بريطانية وفرنسا ، حالت دون تنفيذها (473) ، وقد منحت معاهدة باريس التي أنهت حرب القرم في الثلاثين من آذار عام ١٨٥٦ ، بريطانيا الفرصة لتولي مشاكلها في الشرق اهتماماً أكثر⁽⁴⁷⁴⁾ ، فعلى الرغم من أن روسيا كانت عاجزة عن دعم إيران ، لما تمخض عن حرب القرم⁽⁴⁷⁵⁾ ، إلا أن القلق البريطاني ومخاوفه على هرات إزداد بعد إنتهائها ، فبطرسبورغ ستحاول من دون ريب ، تعويض خسارتها في الحرب بإيجاد وسيلة جديدة في آسيا ، وهذا ما حمل معظم الساسة البريطانيين على الاعتقاد ، بأنها ستقف وراء إصرار إيران للاستيلاء على هرات ، على الرغم من إنكار الروس هذا الاتهام وتأكيد استعدادهم للتوسط لحل النزاع ، لذا ظلت الإستراتيجية البريطانية بعد الحرب إزاء أفغانستان ثابتة ، على أنها خط الدفاع الأول عن الهند ، بعد أن غدت إيران ، الحاجز السابق ، الوسيلة التي من خلالها تطمح روسيا الوصول إلى الهند⁽⁴⁷⁶⁾.

دفع القلق البريطاني المتنامي على مصير هرات مجلس الوزراء البريطاني ، إلى إصدار تعليمات ، في الحادي والعشرين من تموز عام ١٨٥٦ إلى حكومة الهند ، باتخاذ التدابير الفورية لإعداد حملة لاحتلال جزيرة خرج وبوشهر في الخليج العربي ، والإنتظار لحين ورود تعليمات جديدة من لندن ، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر في مجلس الوزراء بشأن إرسال الحملة ، إلا أنه تقرر في السادس والعشرين من أيلول من العام نفسه ، إصدار الأوامر إلى اللورد كاننك Lord Canning الحاكم العام للهند (1856-1858) ، بإرسال الحملة إلى الخليج العربي⁽⁴⁷⁷⁾ في الوقت الذي كانت هناك مفاوضات بريطانية إيرانية جارية في اسطنبول ، افتتحت منذ الثاني من كانون الثاني لغاية كانون الأول عام ١٨٥٦ ، لتسوية الخلافات المتعددة بين الطرفين ، سلم خلالها اللورد ستراتفورد دي ريكليف Lord Stratford de Redcliffe السفير البريطاني في اسطنبول ، في الثاني والعشرين من تشرين الثاني من العام نفسه ، إنذاراً إلى فروخ خان السفير الإيراني ، احتلت فيه مشكلة هرات - التي أصبحت حرجة - المركز الأول ، وقد ذكر أن الجيش الإيراني يجب أن ينسحب من هرات ، وأن تدفع إيران تعويضات عن التلف الذي حدث ،

⁽⁴⁷³⁾ G.N.Curzon, Persia and the Persian, Vol. 1 . P. 225 .

⁽⁴⁷⁴⁾ C.U.Hurewitz, OP.Cit. PP. 153-159 ; R.B.Mowat, OP.Cit. P. 648 ; A . G . Mazour, OP.Cit. P.250.

، ألف رجل وعشرين اثنان خسرت فقد بريطانيا أما ، قواتهم خيرة من رجل مليون ربع الحرب في الروس خسرو الوقت ، في أوروبا في للحملة الروسية النهاية بداية باريس معاهدة وكانت ، رجل ألف ثمانين فرنسا خسرت بينما : ينظر . جديدة حياة العثمانية الدولة القرم حرب منحت الذي

R.B.Mowat, OP.Cit. P. 648 ; I.Spector, OP.Cit. P. 129 .

155. ص ، السابق المصدر ، المشايخي عباس خضير علي (475)

⁽⁴⁷⁶⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. P. 464 ;

٢٥١. ص ، السابق المصدر ، الطعمة حبش حطاب باسم

⁽⁴⁷⁷⁾ J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 466 , 471 .

وأنها يجب ان تتصل من كل معاهداتها مع الأفغان ، وكل تدخل في المستقبل أكان خارجياً أم داخلياً في شؤون هرات وولايات أفغانستان الأخرى ، ويجب ان توافق على رجوع الوساطة البريطانية في الخلافات مع حكامها ، وعقد معاهدة تجارية جديدة بينهما ، على ان تمنح بريطانيا الحق في تعيين القناصل في أي جزء من إيران مساوية للقناصل الروس ، وان جميع الديون المستحقة للرعايا البريطانيين يجب ان تصفى ، والمطالب المتنازع عليها ان تناقش وتسوى ، وانه يجب ان يعمل ترتيب لاستئجار بندر عباس على ان يكون ملائماً لسلطان عمان ، وانه يجب عزل الصدر الأعظم لدوره في الخلافات التي قامت ، وقد ابدى المفاوض الإيراني تردده في قبول بعض الشروط ، لاسيما التي تطلب طرد الصدر الأعظم (478) .

قادت تخمينات الإيرانيين بان روسيا ستمنع بريطانيا من محاربتهم ، إلى اصطدامهم ببريطانيا لكن الروس لم يظهروا اهتماماً واضحاً بالنزاع البريطاني- الإيراني ، وأكد الأمير كورتجكوف Prince Gortchakov وزير الخارجية الروسي في تشرين الأول عام ١٨٥٦ ، للورد وودهاوس Lord Wodehouse السفير البريطاني في بطرسبورغ ، أنه طلب من سفيره في طهران على ان يقوم بنصح الشاه للانسحاب من هرات ، والاستجابة للشروط البريطانية لتسوية النزاع سلمياً ، وحذر الوزير المفاوض الروسي في طهران الشاه وصدره الأعظم ، من خطورة الاستمرار في محاصرة هرات ، فرد الشاه أنه لا يمكنه الانسحاب مالم تتعهد بريطانيا ، بعدم السماح لدوست محمد خان حاكم كابل ، بمد نفوذه إلى الغرب ، وإعادة قندهار إلى حكامها السابقين (479) .

ودخل الإيرانيون هرات مرة أخرى ، في السادس والعشرين من تشرين الأول عام 1856 مما دفع حكومة الهند في الأول من تشرين الثاني من العام نفسه ، الى اعلان الحرب على ايران (480) ، واصدر اللورد كاننك الحاكم العام للهند في اليوم نفسه بياناً أعلن فيه ، ان الحكومة الإيرانية أجبرت بريطانيا ، على استخدام وسيلة القوة العسكرية ، لإرغامها على احترام تعهداتها بصدد هرات ، وألا فإنها ستعرض للخطر الإيراني المدعوم من روسيا ، مما يشكل تهديداً لأمن الهند (481) ، وعند وصول نبأ إعلان بريطانيا الحرب في نهاية كانون الأول من العام نفسه ، إلى المفاوضين في اسطنبول ، قطع فروخ خان المفاوضات معلناً ان جميع الارتباطات باطلة ، وغادر اسطنبول إلى بلاده (482) .

لقد تم تنفيذ التعليمات الصادرة من لندن إلى بومباي ، بصدد إرسال الحملة البحرية بقيادة الجنرال ستالكر G.Stalker إلى الخليج العربي ، تمكنت الحملة من احتلال خرج في الرابع من

(478) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . PP. 2014-2015 .

(479) J.B.Kelly. OP.Cit .PP.476-477.

(480) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 2015 ; S.B. Miles, OP.Cit. P. 352 .

١٠٣ . ص ، الهند شمالي البريطاني التوسع محاولات ، البخيت عبد نوري (481)

(482) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 2015 .

كانون الأول عام 1856 من دون مقاومة ، وبعد ستة أيام استسلمت مدينة بوشهر (483) ، مما أثار فزع السلطات الإيرانية التي حاولت إضفاء الصبغة الدينية على النزاع ، بإعلان الجهاد ، غير ان ذلك لم يكن له تأثير كبير على السكان (484) .

أثناء سير العمليات الحربية في الخليج العربي ، وجدت الحكومة البريطانية انه من المناسب ضمان موقف دوست محمد خان حاكم كابل وقندهار ، لأحكام إجراءاتها الحربية ضد إيران ، فعقدت معه اتفاقية جديدة في السادس والعشرين من كانون الثاني عام ١٨٥٧ (485) . وفي غضون ذلك ، لاحت في الأفق بوادر انفراج الأزمة ، فبالمرستون (1855 . 1858) رئيس الحكومة البريطانية إضطر إزاء الانتقادات التي جوبه بها من بعض أعضاء حكومته ، على إرسال الحملة البحرية إلى الخليج العربي ، إلى تعديل موقفه من الشروط التي كان يصّر على فرضها على الحكومة الإيرانية ، لإعادة العلاقات بينهما (486)، بينما أدركت الحكومة الإيرانية اثر هزائمها المتلاحقة ، أنه لا يمكنها الصمود أمام القوات البريطانية ، فبعثت التعليمات إلى فروخ خان سفيرها في باريس ، تطلب منه الإسراع بإجراء المفاوضات مع اللورد كولي Lord Cowley السفير البريطاني هناك لإنهاء الحرب ، وفي اللقاء الذي تم في الأول من شباط عام ١٨٥٧ ، عرض فروخ خان استعداد الشاه لسحب قواته من هرات ، والتعهد بعدم مهاجمتها مستقبلا ، وإحالة الخلافات مع أفغانستان إلى الوساطة البريطانية ، بشرط ان تتعهد الحكومة البريطانية بمنع القبائل الأفغانية من مهاجمة الحدود الإيرانية ، وحق إيران في الرد على أي هجوم تتعرض له من جانبها ، كما أكد فروخ خان استعداده لمناقشة الشروط البريطانية الأخرى التي سبق له ان رفضها في محادثات اسطنبول في العام السابق ، بشرط التخلي عن مطلب إقالة الصدر الأعظم عن منصبه ، وانه يحمل طلبا خاصا من الشاه بهذا الصدد ، أما موضوع التمثيل القنصلي فأكد أن الشاه لا يمانع إقامة القناصل البريطانيين في المدن الإيرانية أسوة بالقناصل الروس (487).

حينما أوشك فروخ خان على الاتفاق تمكن ، كيسيليف Kissilev الوزير الروسي في باريس ، من إقناعه بالتريث في توقيع الاتفاقية ، ريثما تسقط حكومة بالمرستون التي تعرضت سياستها الخارجية في البرلمان لانتقادات عنيفة ، للحصول على أفضل الشروط لبلاده (488)، دفعت الانتقادات العنيفة في البرلمان لسياسة بالمرستون الخارجية ، إلى تمادي كورتجكوف وزير الخارجية الروسي ، إلى حد السخرية من وودهاوس السفير البريطاني في بطرسبورغ ، عند

(483) J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 472-473 ; P.Sykes, OP.Cit. P. 350 ; A.T.Wilson, OP.Cit. P.257.

(484) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 2017 ;

٢٦٠ ص ، السابق المصدر ، الطعمة حبش خطاب باسم

(485) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11. P. 2016.

(486) J.B.Kelly, OP.Cit. P. 471 .

(487) Cowely to Clarendon 1 Feb . 1857 . Quoted in J.B.Kelly, OP.Cit..P.485.

٢٦٢ ص ، السابق المصدر ، الطعمة حبش خطاب باسم (488)

لقائهما في شباط عام 1857 هناك ، من احتمال سقوط بالمرستون ، ولا بد لرئيس الحكومة الجديد ان يعجل في عقد الصلح مع إيران (489)، فلم تكن الحرب الإيرانية مقبولة في بريطانيا ، إذ لم يكن سببها معروفا ، كما ان الأوراق الخاصة بالنزاع الذي نشأت عنه ، لم تنتشر إلا بعد عقد السلام ، وقد قامت الحكومة بالحرب على مسؤوليتها ، فذمها البرلمان وذمتها الصحافة (490)، فاعتقد فروخ خان ان بإمكانه الافادة من حالة الضعف ، التي تعانيها حكومة بالمرستون ، فأصر إنشاء لقاءه بكولي في الثامن عشر من الشهر نفسه ، على وجوب تقديم بريطانيا تعهدا ، بعدم ضم هرات إلى كابل وقندهار ، يؤيده في ذلك كيسيليف الذي أكد لكولي في اليوم التالي ، ان حكومته لا تؤيد المطالب الإيرانية طالما احتوت على مادة تساوي بريطانيا بروسيا في التمثيل القنصلي ، مقترحاً حلاً وسطاً ، ان لا تعين حكومته قناصل في جنوب إيران ، مقابل عدم تعيين بريطانيا قناصلها في الشمال ، وعلى الرغم من عدم رفض كولي للمقترح مباشرة ، غير ان كلارندون وزير الخارجية البريطاني ، قال فيه بعد يومين أنه " : محض قلة تبصر " ، كرر كيسيليف بعد أيام آخر مقترحه معززا إياه هذه المرة ، بتلميحات عما سيحدث إذا لم تنته الحرب ضد إيران بسرعة ، وقد رد كولي عليه باختصار : " بريطانيا العظمى لا تبالي بعبادة روسيا " ، وعلق كلارندون : " ان كورتجكوف [وزير الخارجية الروسي] سيحرق أصابعه إذا لم يأخذ حذره " (491).

وكان كلارندون قبل ذلك قد أخبر وودهاوس سفيره في بطرسبورغ ، بأنه يخشى ان تؤدي الحرب الإيرانية ، إلى نشوب حرب مع الروس بسبب الهند ، التي يحرص الرأي العام البريطاني على تجنبها ، وان التقارير التي وصلت لندن ، أكدت قيام تفاهم روسي - إيراني لتزويد إيران بالمساعدات العسكرية ، في حالة استمرار الحرب (492)، فضلا عما يشاع عن احتلال الروس لاستراباد في الشمال الإيراني ، دفعت هذه المخاوف ، فضلا عما تعانيه حكومة بالمرستون من ضغوط في البرلمان بسبب الأزمة في الصين والحرب ضد إيران ، كلارندون إلى الكتابة إلى كولي سفيره في باريس ، وإلى دلهوزي الحاكم العام للهند وإلى حكومة الهند ، يؤكد فيها انه إذا لم تبعد الدويلات الأفغانية الثلاث عن النفوذ الروسي - الإيراني ، فالأفضل لبريطانيا ان تتحد في إدارة حاكم واحد ، والعمل على إنهاء الأزمة مع إيران (493).

وبما ان الأوضاع في الهند قد تأزمت ، بسبب الثورة الهندية ، وان السبب الذي أدى إلى نشوب الحرب انتهى برضوخ الإيرانيين للشروط البريطانية ، وافقت بريطانيا على إنهاء الحرب ، لتضمن استمرار الوجود الإيراني بوضعه الراهن ، بعده ضرورة عسكرية وسياسية ، لحماية الهند

(489) J.B.Kelly, OP.Cit. P. 492 .

(490) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . PP. 2015-2016 .

(491) Cowely to Clarendon 24 Feb. 1857 ; Clarendon to Wodehouse, 26 Feb. 1857 . Quoted in : J.B.Kelly, OP.Cit. P. 492 .

(492) Clarendon to Wodehouse 18 Feb. 1857 . Quoted in : Ibid..
(493) Ibid.

من الخطر الروسي (494)، لهذا كان كولي وفروخ خان اللذان كانا يتفاوضان في باريس ، تواقين لتسوية موضوع الحرب بأسرع ما يمكن ، وكانت القوات البريطانية بقيادة الجنرال وترام G.Outram الذي حل بدلا من الجنرال سنلكر ، في السابع والعشرين من شباط عام ١٨٥٧ قائدا عاما ، قد احتلت المحمرة في السادس والعشرين من آذار من العام نفسه ، وتكاد تسيطر على إقليم الاحواز بكامله، لولا وصول نبأ عقد معاهدة السلام في باريس في الرابع من آذار من العام نفسه ، وتمت المصادقة عليها من الشاه في الثالث عشر من نيسان ، ومن موري الوزير المفوض البريطاني في طهران ، في الثاني من أيار من العام نفسه ، الذي كان حينئذ في بغداد ، فوضعت بذلك حدًا لنهاية العمليات العسكرية البريطانية الناجحة في الخليج العربي (495) .

تألفت المعاهدة من أربعة عشر بندا ، كانت شروطها الأساسية، إقامة سلام دائم وصداقة بين بريطانيا وإيران ، من تاريخ تبادل تصديق المعاهدة في غضون ثلاثة اشهر ، وإطلاق سراح أسرى الحرب من الجانبين ، وان تسحب خلال ثلاثة اشهر من التصديق على المعاهدة ، القوات الإيرانية والموظفون الإيرانيون من هرات ، ومن كل جزء من أفغانستان ، وان تتخلى إيران عن كل حق بالسيادة على هرات ، أو طلب الولاء من أهلها، مع الامتناع التام من جانبها مستقبلا من التدخل في شؤون أفغانستان الداخلية، والخضوع في خلافاتها مع هرات وأفغانستان إلى الوساطة البريطانية ، كما نصت على تعيين القناصل بوساطة كل دولة في أملاك الدولة الأخرى ، على قدم المساواة مع الدول المفضلة [المقصود روسيا] والمعاملة المتبادلة على أسس مماثلة للرعايا والتجارة ، وان يكون للخدم والرعايا الذين توظفهم الحكومة البريطانية المزايا والحصانات نفسها ، التي يتمتع بها خدم ورعايا السلطات الأجنبية الصديقة ، [المقصود روسيا] وعودة البعثة البريطانية إلى طهران واستقبالها بشكل لائق ، وتجديد اتفاقية حظر تجارة الرقيق في الخليج العربي لعام ١٨٥١ ، لعشرة أعوام أخرى ابتداءً من تاريخ نفاذ المعاهدة الأولى في آب عام 1862 (496) .

ويمكن القول ان المعاهدة أوجدت نوعا من التوازن في المصالح ، بين بريطانيا وروسيا في إيران ، وهذا ما لاحظته العديد من المهتمين ، بما فيهم جريدة التايمز اللندنية ، التي علقت في عددها الصادر في الثاني عشر من حزيران عام ١٨٥٧ ، بان المعاهدة نجحت في تحقيق الهدف البريطاني في الحرب ، بإبقاء إيران في حالة سلام واحترام متبادلة مع جيرانها ، وتأكيد الوضع الراهن وترك الطموحات الوهمية وأضاف : "إننا لم نحتل إيران، ولم نخطط

156. ص ، السابق المصدر ، المشايخي عباس خضير علي (494)

(495) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . PP. 2018 , 2020-2021 , 2032 ; J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 480 , 492-493 .

(496) C.U.Hurewitz, OP.Cit. PP. 161-163 ; J.G. Lorimer, OP.Cit. Vol. 1. Part. 11 . PP. 2030-2031; J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 493 , 613 .

للسيادة عليها ، إنما فقط علمناها ان تترك الآخرين وشأنهم ، وان تكون مستقلة عن الآخرين" (497) .

بعد مرور أكثر من شهرين على تبادل وثائق المعاهدة ، عاد موري الوزير المفوض البريطاني في الثامن عشر من تموز من العام نفسه ، إذ نفذت جميع مطالب المعاهدة الخاصة باستقباله باحترام فتم انسحاب القوات الإيرانية في أيلول من العام نفسه من هرات ، بينما انسحبت الحامية البريطانية في أوائل الشهر نفسه من جزيرة خرج ، وتمت العملية نهائياً في الرابع عشر من شباط عام ١٨٥٨ ، وهو تاريخ خروج آخر جندي بريطاني من مياه الخليج العربي (498) ، وبذلك حققت بريطانيا هدفها من حربها ضد إيران إلى حد ما ، بإيقاف التسلل الروسي باتجاه أفغانستان ، مما يشكل تهديداً لأمن الهند.

٢٦٥. ص ، السابق المصدر ، الطعمة حبش خطاب باسم : عن نقلا (497)

(498) J.G.Lorimer, OP.Cit. Vol. 1 . Part. 11 . P. 2033 ; J.B.Kelly, OP.Cit. PP. 497-498 .

الفصل الثالث

**تضارب المصالح البريطانية - الروسية في إيران
وأفغانستان وإنعكاساتها على الخليج العربي**

1857 - 1901

الصراع البريطاني - الروسي بشأن المصالح في إيران وأفغانستان وانعكاسه على الخليج العربي 1857 - 1893

إتضح أهمية موقع إيران الجغرافي ، في الصراع البريطاني - الروسي ، فتمكنّت الدولتان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، من الحصول على امتيازات كثيرة من إيران ، نتيجة للحروب التي فرضت عليها وما أصابها من فقر ودمار وشعورها بالنقص أمامهما (499) ، ومن تضارب المصالح نشأ هذا الصراع ، للتدخل في شؤون إيران ، الذي سرعان ما انعكست آثاره على الخليج العربي ، حتى إذا ما حصلت إحدى الدولتين على امتياز ، سعت الأخرى للحصول على إمتياز مماثل ، أو قامت بالضغط على حكومة الشاه لإلغاء ذلك الامتياز .

وكان أول بوادر هذا الصراع ، تفكير بريطانيا بربط الخليج العربي بالبحر المتوسط ، عن طريق نهر الفرات، ظهرت هذه الفكرة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، في عهد بعثة جسني (1837 — 1835) الاستطلاعية في نهر الفرات ، الذي تتبأ بأهمية المواصلات مع الهند، بطريق اقصر مما هو موجود في طريق رأس الرجاء الصالح ، فلم يلفت اقتراحه النظر في بداية الأمر ، إلا بعد مرور عشرين عاما ، حينما أدرك فريق من المهتمين بمشاريع السكك الحديد أهميته حينذاك ، لدرء الخطر الروسي عن العراق والخليج العربي، لاسيما بعد حرب القرم ، وفي طليعتهم وليم أندرو W. Andrew ، الذي أسس شركة سكة حديد وادي الفرات Euphrates Valley Route to India عام 1856 ، وعين جسني رئيسا لهيئة المختصين الاستشاريين للمشروع ومندوبا للشركة في اسطنبول ، لمتابعة المباحثات والحصول على موافقة الباب العالي لمد السكة (500) ، تمكنت الشركة من الحصول على الموافقة في عام 1857 ، بمد السكة من ميناء السويدية أو الاسكندرونة في البحر المتوسط إلى البصرة في الخليج العربي (501) ، غير ان المشروع لم يتحقق، على الرغم من شدة تحريض محبيه ومهارتهم ، لافتقاره إلى تأييد الحكومة البريطانية ، التي أحجمت عن تأييده والمساهمة فيه ، فلقد رضخ اللورد بالمرستون رئيس الحكومة البريطانية لتأثير الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث (1848 - 1870) ، الذي عارض فكرة سكة حديد بريطانية عبر سوريا ، التي كانت أشبه بمنطقة نفوذ فرنسية ، ولم يرغب بالمرستون في تعكير الوثام بين بريطانيا وفرنسا ، من اجل مشروع نظري في اعتقاده ، فالصداقة بين الدولتين كانت قد تعززت إثناء حرب القرم، التي انتصرتا فيها على روسيا ، فصرح بالمرستون في العاشر من آب عام 1857 بهذا الصدد في مجلس العموم "اعتقد أن من واجبي ذكره - متكلما كرجل من عامة الناس- أن المشروع في نظري وهمي عملياً، وغير مريح تجارياً، وأعده فضلا عن ذلك

ص12. ، السابق المصدر ، فهمي العزيز عبد السلام (499) عبد

(500) W.Anderw, Op.Cit . p. 19 ; J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 1. p. 227 ; E.M.Earle, The

Great powers and the Baghdad Railway, A Study in Imperialism, New York, 1954 . p. 176.

(501) Notes Et Etudes Documentaries, Op.Cit. p. 31 .

عرضة لموانع سياسية قوية⁽⁵⁰²⁾ ، غير أن أندرو ، لم يتوقف منذ ذلك التاريخ وحتى ثمانينيات القرن التاسع عشر ، باللسان أو الكتابة عن إبراز الميزات والفوائد لخط الفرات طريقا بديلا ، عن الخط الذي يمر عبر البحر الأحمر⁽⁵⁰³⁾ ، وفي وصفه للخطر الروسي وأهمية التلغراف والسكك الحديد ، يقول أندرو " لقد رأينا في حرب القرم ، كيف ان قوات القيصر قد استسلمت ، ان التلغراف والسكة الحديد كانتا الحلقات المفقودة في سلاحه ، لقد بنى قلاع ذات أهمية إستراتيجية تثير الدهشة من كثرتها وضخامتها، وان جنرالاته مختارون بمهارة فائقة، وانه يمارس سيطرة كاملة على الأفراد وممتلكات رعاياه ، لكن لو كان القيصر قادراً على الهمس إلى قياداته بسرعة الضوء وتنفيذ أوامره بسرعة ، كم ستكون النتيجة هي مختلفة ؟ ، ان المعتدي العملاق تمت هزيمته وإهانته على ارض روسيا الطاهرة نفسها ، من حفنة من الغزاة معهم تلغراف سهل الاتصال بقواعد عملياتهم"⁽⁵⁰⁴⁾ .

ويكفي هنا أن نشير إلى أن أندرو، كان يأنس الاستشهاد برأي ذلك العسكري المحنك البارون كون فون كوهنفيلد **Baron Kuhn Von Kuhnenfeld** وزير حربية النمسا، الذي صرح في عام ١٨٥٨ ، ان الهدف الرئيسي لروسيا من توسعها في آسيا هو الوصول إلى الخليج العربي ، وإنها لن تتقدم نحو الخليج العربي بطفرة واحدة أو بحرب طاحنة ، إنما تخطو نحو الخليج خطوة أثر خطوة ، بفتح قطعة بعد أخرى من أرمينيا وبالسير على خيوه وبخارى وبلاستيلاء على بعض المقاطعات الإيرانية ، واهم الطرق التي ستتجه أنظار روسيا إليها في هذا الفتح برأيه هي: " الطريق من قارص إلى وادي الفرات وما بين النهرين، أو الطريق الممتد من اريفان باتجاه بحيرة وان فالموصل في وادي دجلة فما بين النهرين ، متصلا بالخط الأول إلى بغداد ، أو الطريق من تبريز إلى شوستر في وادي الكرخة، متصلا بالطريق من طهران باتجاه أصفهان إلى شوستر، ومن ثم إلى الخليج العربي " ⁽⁵⁰⁵⁾، فيجب أن تنحصر عندئذ أهداف روسيا السياسية والإستراتيجية في السيطرة على خط الفرات ، كما يجب ان تكون أهداف أعدائها الحيلولة من دون وقوع ذلك بكل الوسائل ، لذلك فان أهمية السكة الحديد الممتدة في هذه البلاد التي توصل إنطاكية بالخليج العربي ، أمر مفروغ منه إذ أنها ستكون الوسيلة الوحيدة لتعبئة الجيوش اللازمة في أي لحظة ، في وادي الفرات أو في القسم الشمالي من ارض الرافدين ، لمهاجمة طرف الجيش الروسي وصد تقدمه ، وقد يبدو لأول وهلة ، ان التقدم الروسي في الشرق لا يهدد غير الدولة العثمانية وإيران ، لكن لا الأولى ولا الثانية ولا كلاهما معا، تتمكان من دفع هذا الخطر ، من دون معونة أجنبية ، التي لا تتقدم بها غير بريطانيا التي لابد ان يقع الصدام بينها وبين روسيا على السيادة ، في هذه الجبهة الآن أو في المستقبل⁽⁵⁰⁶⁾، ويضيف كوهنفيلد : " سيكون لسكة حديد وادي الفرات في

⁽⁵⁰²⁾ Quoted in : Z.Saleh, Op.Cit. p. 167 .

⁽⁵⁰³⁾ W.Andrew, Op.Cit. p. 20 .

⁽⁵⁰⁴⁾ Quoted in : Ibid . p. 23 .

⁽⁵⁰⁵⁾ Ibid. p. 57.

(5) Ibid. p. 58 .

هذا الصراع العنيف من القيمة العسكرية ، ما لا يقدر بثمن ، وان إنشاءها يساعد على مقاومة سياسة روسيا في آسيا ، إذ ان هذه السكة ستعزز قوة بريطانيا في آسيا الصغرى وتزعم المكانة السياسية لروسيا فيها⁽⁵⁰⁷⁾ .

لذا كان أندرو رئيس شركة سكة حديد الفرات يعتقد ، ان السكة لا تقدر بثمن لبريطانيا ، لإحباط المساعي الروسية ، إن هي أخذت طابعاً عدائياً ويقول " :يمكن لنا ان نمشي متماسكين اليد باليد ، إذا كانت مهمتها هي إيصال الحضارة إلى البلدان البعيدة ، ونتنافس معها بأسلوب سلمي في الميدان التجاري"⁽⁵⁰⁸⁾ ، وكان قد لخص أهمية المشروع عام ١٨٥٧ بأنه يربط البحر المتوسط بالبصرة الواقعة في رأس الخليج العربي ، التي ترتبط بكراحي وبومباي بخط بواخر قوي ومنتظم ومدعوم من حكومة الهند، وأنه يقصر المسافة بين الهند وبريطانيا بألف ميل ، ويقلل المدة اللازمة لقطعها من عشرين يوماً إلى عشرة أيام ، وسيخفض هذا الخط حجم النفقات العسكرية اللازمة لحماية الهند ، لأنه ستكون الحاجة إلى عدد قليل من الوحدات العسكرية ، فيقلل تكاليف الخزانة ، ويمكن بريطانيا من إرسال قوة عسكرية كبيرة إلى الهند بصورة سريعة للدفاع عنها ، مما يكسبها نفوذاً ودعماً لقوتها وهيبتها في أوروبا ، ويسهل لها مسؤولية حماية آسيا الصغرى ، وينقذ هذا المشروع إيران من الضغط الذي تتعرض له من روسيا ، ويمكن ان يتيح لتجارتها مع أوروبا منفذاً إلى البحر المتوسط قريباً ورخيصاً ، بدلا من الطريق الطويل الباهظ التكاليف المار عبر البحر الأسود ، والذي يقع تحت رحمة روسيا ، ومن السهل على بريطانيا الدفاع عن هذا الخط ، نظراً لسيطرة أسطولها على نهايتيه في البحر المتوسط والخليج العربي⁽⁵⁰⁹⁾ .

أن تجارب حرب القرم والثورة التي قامت في الهند عامي ١٨٥٧—1858، جعلت المسؤولين البريطانيين يفكرون بوجوب امتلاكهم وسائل مواصلات ومخابرات تلغرافية أفضل ، عما تحققة السفن البخارية ، ليكونوا على علم بكل ما يجري في الشرق ، وعلى أتم الاستعداد لمجابهة الأخطار التي تهدد إمبراطوريتهم⁽⁵¹⁰⁾ ، كما ان تطور العلاقات التجارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بين بريطانيا من جهة والهند وإيران من جهة أخرى ، وازدياد المصالح البريطانية في المنطقة لاسيما في الخليج العربي ، جعل مسألة الاتصالات التلغرافية أمراً ضرورياً ، لحماية المصالح البريطانية في المنطقة، بعد تزايد النفوذ الروسي في إيران ، وخشية بريطانيا من امتداده إلى الخليج العربي ، حملت هذه العوامل حكومة لندن ، إلى أن تدخل في مفاوضات في ستينيات القرن التاسع عشر مع الدولتين العثمانية والإيرانية ، بمد أسلاك التلغراف عبر أراضيها ، ليسهل الاتصال بين أوروبا والهند عن طريق الخليج العربي⁽⁵¹¹⁾ ، وعلى

⁽⁵⁰⁷⁾ Quoted in :W. Andrew, Op.Cit. p. 58 .

⁽⁵⁰⁸⁾ Ibid, p. 22.

⁽⁵⁰⁹⁾ Ibid. pp. 52-54 .

⁽⁵¹⁰⁾ J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 11 . p. 2400 ; H.Hoskins . Op.Cit. p. 393 .

٣١٦ ص ، ١٩٨٠ بغداد ١٨٦٩ - 1914، التجاري البصرة دور ، القهواتي محمد حسين (511)

اثر نجاح مساعي الحكومة البريطانية مع الدولة العثمانية ، تحقق الاتصال التلغرافي عن طريق البر بين بغداد واسطنبول في حزيران عام ١٨٦١ ، وأظهرت الحكومة الإيرانية ميلاً للمشروع لكنها بدأت في أوائل عام ١٨٦٢ تتردد ، وأظهرت ميلاً ربما يكون راجعاً إلى تأثير النفوذ الروسي ، لإنشاء خط من طهران إلى رشت ، يتصل بعد ذلك بجهاز التلغراف في روسيا الأوروبية ، لكن البعثة البريطانية في طهران استمرت في بذل جهودها ، فتم التوصل إلى اتفاقية بريطانية - إيرانية في السادس من شباط عام 1863⁽⁵¹²⁾ ، لإنشاء خط من بوشهر في الخليج العربي إلى طهران عن طريق خانقين⁽⁵¹³⁾ ، ومن ثم مد خطين من بغداد أحدهما إلى خانقين ، إفتتح في تشرين الثاني عام ١٨٦٤ ، والآخر إلى الفاو ، نقطة الالتقاء مع شبكة تلغراف الخليج العربي ، وقد تم إفتتاحه في كانون الثاني عام ١٨٦٥ ، فأصبحت الفاو النهاية للكابل البحري القادم من كراچی عبر جاسك وبوشهر ، كما أصبحت نهاية للخطوط البرية القادمة من بغداد ، وغدت خطوط التلغراف التي مدت في العراق مرتبطة بخطوط الدولة العثمانية وإيران في خانقين ، والخليج العربي والهند في الفاو⁽⁵¹⁴⁾ .

ولما كانت الرسائل التلغرافية المرسلة ما بين أوربا والهند عن طريق الخطوط العثمانية ، تتأخر لمدد غير محدد ، فضلاً عن أنها تصل بشكل مشوه بعد استلامها وإعادة إرسالها ١٢ أو ١٤ مرة ، من موظفي الإشارات الذين ينتمون لجنسيات مختلفة ، حملت هذه الاعتبارات العقيد شامبين **Major Champain** مسؤول شركة التلغراف الهندو - أوربية ، على التوصية في عام ١٨٦٥ بتأسيس طريق رئيسي بديل يمر في إيران وروسيا ، أيدت شركة سيمنز وإخوانه البريطانية **Messrs Siemens Brother** في لندن ، مشروع الخط الروسي - الإيراني بين أوربا والهند ، وأعلنت استعدادها للمشاركة الفعالة فيه ، كما شجعت الحكومتان الروسية والإيرانية هذا المشروع ، وكانت الشبكة الروسية مرتبطة مع الشبكة الهندو - أوربية ، بوساطة خط بين جلفا على الحدود الروسية وطهران ، أنشأته إيران في نهاية عام ١٨٦٤ ، وأدخلت عليه بعض التحسينات بمساعدة الحكومة الروسية في العام 1866 ، وانتقل في العام نفسه طرف طهران من الخط الروسي - الإيراني من الروس إلى موظفين بريطانيين ، وخول العقيد شامبين في نيسان من العام التالي ، ان يناقش الأمور في بطرسبورغ مع المديرين العامين ، لشركتي التلغراف الروسية والإيرانية ومع ممثلي

: ينظر . الاتفاقية نص (512) عن

C.U.Aitchison, Op.Cit. Vol.X III . pp. 177-178 .

⁽⁵¹³⁾ J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 11 . p. 2405 .

⁽⁵¹⁴⁾ Ibid ; C.N.Curzon, Persia and the Persian, Vol. 11 . p. 463 ; Mesopotamia, Handbook

No. 63. Official, London 1920 .pp. 63-64 ;

ص ١٩٦٨ ، بغداد ، ٤ ط ، الخياط جعفر ترجمة ، الحديث العراق تاريخ من قرون أربعة ، س . هـ . لونكريك . ٣٥

الشركة الألمانية للتلغراف في برلين ، فحصل على امتياز في السادس والعشرين من آب عام 1867 من الحكومة البروسية ، بإنشاء وتشغيل خطوط تلغرافية من لندن إلى ساحل ألمانيا الشمالي ، ومن هناك إلى الحدود الروسية ، وامتيازاً من الحكومة الروسية في الأول من أيلول من العام نفسه للقسم الروسي ، وامتيازاً من الحكومة الإيرانية في الحادي عشر من كانون الثاني عام 1868 ، لإقامة وتشغيل خط تلغرافي بين جلفا على الحدود الروسية وطهران ، وافتتح الاتصال المباشر بين لندن وطهران بوساطة خط شركة التلغراف الهندو - أوربية ، في الحادي والثلاثين من كانون الأول عام 1870⁽⁵¹⁵⁾ ، فتمكنت بريطانيا بذلك من مد الخطوط البرية والبحرية ، التي تديرها وتسيطر عليها شركة التلغراف الهندو - أوربية ، بين أوروبا والهند ، فكان لها أكبر الأثر في توسيع مصالحها في منطقة الخليج العربي⁽⁵¹⁶⁾ .

ومع تنصيب ميرزا حسين خان في عام ١٨٧١ صدرأ أعظم ، بدعم البريطانيين ، تحقق التقارب بين بريطانيا وإيران ، فسياسته الخارجية كانت مبنية على ان إنقاذ إيران يكمن في أداء التزاماتها في معاهداتها تجاه روسيا ، على ان يعهد بتحديث البلاد إلى بريطانيا⁽⁵¹⁷⁾ وكان لاعتماده على بريطانيا في ميدان التحديث من دون روسيا ، مبني على أسس اقتصادية وسياسية ، فقبل كل شيء كانت بريطانيا متقدمة اقتصادياً أكثر من غيرها من الدول الأوربية ، مما جلبت أنظار أهل المنطقة ، ثم ان روسيا التي تفاقم خطرها في العقد السابع من القرن التاسع عشر ، في آسيا الوسطى وتجارب الماضي القريب ، ولدت حساسية مفرطة لدى قطاع واسع من المسؤولين الإيرانيين تجاهها ، فاستغل البريطانيون هذه النقطة لجعل روسيا ممقوتة في نظر هؤلاء المسؤولين ، فظن الصدر الأعظم ان حفظ إيران من الارتواء أكثر تحت الهيمنة الروسية ، يكمن في الاعتماد على بريطانيا في مهمة تطوير الاقتصاد الإيراني ، والمحافظة على توازن القوى المتصارعة في إيران والمنطقة ، انسجماً مع الخط العام لسياسة إيران الخارجية ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر⁽⁵¹⁸⁾ ، فمنح أحد رعايا بريطانيا البارون جوليوس دي رويتر Baron Julius de Reuter امتيازاً في الخامس والعشرين من تموز عام ١٨٧2⁽⁵¹⁹⁾ .

دشن هذا الإمتياز بداية خطيرة لسلسلة من الإمتيازات الطويلة ، التي منحتها إيران لبريطانيا ، تضمن اخطر ما في الامتياز إنشاء سكة حديد من بحر قزوين إلى الخليج العربي ، إنشاء الترام ، البحث عن جميع أنواع المعادن بصفة مطلقة باستثناء الذهب والفضة ، تشييد

⁽⁵¹⁵⁾ J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 11 . pp. 2420-2421 .

⁽⁵¹⁶⁾ A.T.Wilson, Op.Cit. p. 267 .

⁽⁵¹⁷⁾ P.Sykes, Op.Cit. p. 370 .

٢١١. ص ، السابق المصدر ، المشايخي عباس خضير (518) علي

١١٢. ص ، السابق المصدر ، تيموري (519) إبراهيم

السدود والقنوات ، إقامة بنك وطني، مد الطرق والقنوات والجسور ، مد خطوط البريد والتلغراف ، المعامل والورش ، إدارة الكمارك الإيرانية لمدة خمسة وعشرين عاما وغيرها (520) .

وكان المصدر الأعظم الذي خول صلاحية التفاوض مع الشركات الأجنبية ، يرى انه صان مصالح التاج الإيراني باشتراطه ، ان يكون ٢٠ % من صافي أرباح سكك الحديد و ١٥ % من صافي الأرباح الأخرى ، من نصيب الحكومة الإيرانية واشترط بصدد الكمارك زيادة العائدات الإجمالية لمدة خمسة أعوام مبلغ عشرين ألف جنيه إسترليني في العام ، و ٦٠ % من جميع واردات الكمارك في إيران من بداية العام السادس ، وحتى نهاية مدة الامتياز البالغة سبعين عاماً (521)، وقد اشترطت المادة الثامنة من الامتياز ، على ان يقوم رويتر بإيداع أربعين ألف جنيه إسترليني لدى بنك إنكلترا ، رهن ، على ان يحجز لصالح الحكومة الإيرانية ، ويلغى عقد الامتياز في حالة عدم شروع رويتر بالعمل في مدة خمسة عشر شهرا من تاريخ التوقيع (522) .

ناشد رويتر الحكومة البريطانية لضمان تطبيق شروط الامتياز ، بالموافقة على مشروعه وحمايته من الحكومة الإيرانية ، في حالة حدوث خلاف معها ، فضلا عن حمايته من روسيا التي سيثير الامتياز حفيظتها عاجلا أم آجلا ، لاسيما مد سكة الحديد من الخليج العربي إلى بحر قزوين ، إلا ان الحكومة البريطانية التي أيدت منح الامتياز لأحد رعاياها ، ومد خطوط السكك الحديد في إيران ، واستثمار الموارد الطبيعية فيها ، أحجمت عن منح حمايتها لخشيتها من ان يثير ذلك روسيا ، فتجد ذريعة للتدخل في أفغانستان التي طالما حاولت لندن صرف نظر بطرسبورغ عنها ، فالسياسة البريطانية كانت تقوم حينذاك ، على كسب الروس والحصول على تعهد منهم ، بعدم التقرب من الحدود الأفغانية ، وان ذلك أفضل لها بكثير من امتياز رويتر (523)، لاسيما ان عوامل التوتر بين الدولتين التي أثارته إشاعات عن نية الروس بغزو الهند ، وكان معظم المؤرخين المحدثين يعتقدون بوجهة النظر هذه ، فضلا عن التقدم الروسي المروع في تركستان بين عامي ١٨٦٠ . 1870 ، في عهد ألكسندر الثاني (1855-1881) ، ضد الخانيات الإسلامية فبعد الغزو الروسي الناجح للقوقاز عام ١٨٥٩ ، استمر اندفاع الجيش الروسي في تركستان، فاجتاح خوقند وطشقند في عام ١٨٦٥ ، وسمرقند وبخارى عاصمة الخانيات في عام ١٨٦٨، واحتل بعد خمسة أعوام خيوه ، في الوقت الذي شنت فيه القوات

: ينظر . الامتياز نص (520) عن

J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 11 . pp. 2034-2035 ; H.Algar, Mirza Malkum Khan A Study in the History of Iranian Modernism, London 1973 . P. 116 ; R.K.Ramazani, Op.Cit. pp. 66-67 ;

١٠8-113 ص ، السابق المصدر ، تيموري إبراهيم

(521) J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 11 . p. 2035 .

(522) H.Algar, Op.Cit. p. 116.

١٠٨-113 ص ، السابق المصدر ، تيموري إبراهيم (523)

الروسية حملة ضد القبائل التركمانية في المنطقة⁽⁵²⁴⁾، ولإمتصاص عوامل التوتر بين الدولتين ، افتتح اللورد كلارندون وزير الخارجية المباحثات في عام ١٨٦٩ مع الروس ، أسفرت بعد أربعة أعوام على توقيع اتفاقية كرانفيل . كراجكوف Granville – Gorchakov ووزير خارجية الدولتين في عام ١٨٧٣ ، التي تعهد فيها الوزير الروسي ، بان القيصر يعد أفغانستان خارج النطاق الذي يمكن ان تطالب به روسيا وفرض نفوذها عليه⁽⁵²⁵⁾ وكان الضغط الروسي على أفغانستان ، يجلب على الدوام إمكانية حدوث حرب وشيكة بين الدولتين ، إلا ان الوزير البريطاني تمكن في بطرسبورغ، من تخفيف حدة الميل الروسي للتوسع في آسيا الوسطى ، وان تكون حقوق الطرفين مصادرة في تلك المنطقة ، فظل الصراع بينهما دبلوماسياً فقط⁽⁵²⁶⁾ .

وفي السياق نفسه بذل الشاه مجهوداً في لندن مع صدره الأعظم ميرزا حسين خان ، للحصول على اعتراف من وزارة الخارجية البريطانية ، بأهمية إيران ، عاملاً للدفاع عن الهند ، وعلى وعد بالمعونة ، لكن السياسيين البريطانيين ، الذين أراد الشاه وصدره الأعظم تكليفهم الاتصال بروسيا من اجل المساعدات أيضا ، لم يجدوا من المناسب وروسيا على ماهي عليه من الغيظ والاستياء بسبب امتياز رويتر، الذي لم يكن الغي بعد ، للإفصاح عن تجديد التأكيدات البريطانية . الروسية المشتركة، بصدد استقلال وسيادة إيران ، وانتهت المفاوضات ، باتفاق على رغبة الاحتفاظ بعلاقات ودية بين بريطانيا وإيران⁽⁵²⁷⁾، وحينما اشتدت معارضة بطرسبورغ للامتياز وتصاعدت معها خطورة قيام إيران بفسخ العقد هدد رويتر حكومته، بأنه سيضطر إلى الخروج من تبعيتها والدخول في تبعية الروس ، ان لم تتعهد له بالحفاظ على امتيازها ، وعلى الرغم من المخاوف التي أبادها بعض المسؤولين البريطانيين ، من ان تهديد رويتر سيخلق لبريطانيا بعض المشاكل لو نفذها فعلاً ، فان كرانفيل وزملاءه في مجلس الوزراء البريطاني ، لم يصغوا لمثل هذا التهديد ، فلم تكن حكومة لندن ترغب في دخول حرب ضد روسيا ، للحفاظ على مصالح احد رعاياها من الرأسماليين⁽⁵²⁸⁾ .

وقد سبب ألامتياز عاصفة من الغضب في روسيا وفي إيران نفسها ، إذ بدأ بتشكيل حزب وطني ثائر ، ضد انتقال السيطرة المطلقة على جميع الموارد الصناعية في الدولة ، لمدة سبعين عاماً إلى الأجانب ، وعند عودة الشاه في خريف عام ١٨٧٣ من رحلته في أوروبا ، وللاستقبال الفاتر الذي قوبل به إثناء مروره بروسيا ، وجد انه من الضروري الغاء الامتياز برمته⁽⁵²⁹⁾، فحصلت الحكومة الإيرانية على حجة قانونية ، لفسخ العقد ومصادرة مبلغ الرهن البالغ أربعين

⁽⁵²⁴⁾ C.N.Curzon, Russia in Central Asia . p. 326 ; J.Gunther, Inside Russia Today, London 1958. pp.495- 496 ; A.G.Mazour, Op.Cit. p. 294 .

⁽⁵²⁵⁾ C.N.Curzon, Russia in Central Asia . p. 326 .

⁽⁵²⁶⁾ R.Charques, The Twilight of Imperial Russia, New York, 1965, p. 45 .

⁽⁵²⁷⁾ J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 11 . p. 2035 .

١٤٢ . ص ، السابق المصدر ، تيموري (528) إبراهيم

؛ نفسه (529) المصدر

J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part. 11 . p. 2035 ; P.Sykes, Op.Cit. p. 370 .

ألف جنيه إسترليني ، لإخفاق أصحاب الامتياز في تنفيذ ما عهد إليهم به ، خلال المدة البالغة خمسة عشر شهرا المحددة للامتياز ، ليستمر الخلاف بين رويتر والحكومة الإيرانية معلقاً لمدة ستة عشر عاماً (530) .

وفي المدة التي كان رويتر بواصل مساعيه ، لتنفيذ مشروعه في إيران ، اهتم أندرو صاحب مشروع سكة حديد وادي الفرات لعام ١٨٥٦ بين الخليج العربي والبحر المتوسط ، مجدداً في المشروع الذي رفع من أهميته ، ثورة الهند عامي 1857-1858 ، وفتح قناة السويس في عام ١٨٦٩ (531)، من جانب الفرنسيين لما يشكله من تهديد مباشر لمصالح بريطانيا وسياستها في الخليج العربي والهند ، والحيلولة دون تحقيق مطامع روسيا في إيران وتقدمها باتجاه الهند (532) .

عمدت السياسة البريطانية لمواجهة ذلك ، إلى الاهتمام مجدداً بمشروع الخط الحديدي لوادي الفرات، فتمت مناقشته في مجلس العموم البريطاني ، الذي شكل لجنة خاصة من المجلس نفسه في الرابع من تموز عام ١٨٧١، فقامت اللجنة بجمع المعلومات بشأن أهمية المشروع والأدلة التي تثبت الإمكانية العملية لمد خط السكة الحديد لوادي الفرات ، وقد اطلعت اللجنة على الأدلة والشهادات ، من أولئك اللذين ترجع تجاربهم واكتشافاتهم في المنطقة إلى مدة طويلة ، ومن بينهم جنسي ، الذي تم استدعائه أمام اللجنة العمومية الأولى المنعقدة في السابع عشر من الشهر نفسه ، ولقد استعرض أمامها جل عمليات المسح ، التي قام بها قبل أربعين عاماً ، وكرر اعتقاده بشأن إمكانية تنفيذ المشروع (533)، كما استدعت اللجنة أندرو في التاريخ نفسه، الذي أيد هو الآخر المشروع مركزاً على أهميته لدرء التقدم الروسي تجاه العراق والخليج العربي والذي نال موافقة موسوروس باشا Musurus السفير العثماني في لندن ، أعدت اللجنة تقريرها الذي وافقت عليه في الثاني والعشرين من تموز عام ١٨٧٢ ، أمام مجلس العموم البريطاني، لكنها تحفظت لطلب تمويله بضمان من الحكومة البريطانية ، الذي قدر بعشرة ملايين جنيه إسترليني (534)، كما أحجم أصحاب رؤوس الأموال عن شراء أسهم المشروع ، الذي كان في نظرهم محفوفاً بالمخاطر مجهول العاقبة (535)، في الوقت الذي كان فيه بعض أصحاب رؤوس الأموال البريطانيين ، يفكرون بمد خطوط السكك الحديد في الأراضي الإيرانية، ففي المدة ١٨٧١-١٨٧٣ ، قدم تاجر بريطاني من بوشهر إقتراحاً ، بإنشاء خط حديد من شوسترعن طريق أصفهان إلى طهران ، أو من ديزفول عن طريق خرم آباد إلى طهران ، بضمان الحكومة الإيرانية ،

(530) H.Algar . Op.Cit. p. 124 .

: ينظر . ١٨٦٩ عام الثاني تشرين من عشر السابع في فتحت (531) التي

P.Rossi , Op.Cit. p. 67.

(532) Ibid; W.Andrew, Op.Cit. pp. 52-54 .

(533) H.Hoskins, Op.Cit. pp. 430-431 .

(534) W.Andrew, Op.Cit. pp. 54 , 82-84 ; C.N.Curzon, Persia and the Persian, Vol. 11 . pp. 631- 632.

٧٣. ص ، السابق المصدر ، إبراهيم الفتاح (535)عبد

وارتبط بهذا المشروع أيضا اقتراح بريطاني بتأسيس خط ملاحى في نهر الكارون ، بعون من الحكومة الإيرانية ، غير ان الظروف الاقتصادية السيئة في جنوبي إيران ، حالت دون الموافقة عليه حينذاك⁽⁵³⁶⁾ .

ولما كانت السياسة الروسية تتأصب المصالح البريطانية اشد العداء في آسيا الوسطى ، وقيام روسيا بوضع خطط للتغلغل في جنوب إيران ، لمقاومة النفوذ البريطاني⁽⁵³⁷⁾، قامت بريطانيا بإيفاد عدد من الضباط من الهند إلى إيران وآسيا الوسطى ، منهم الكابتن نابيير C. Napier في عام ١٨٧٤ والكوننيل كريكور McGregor في العام التالي ، الذي ألف كتاب - " رحلة عبر خراسان "، لكتابة التقارير وجمع المعلومات - عن تحركات القوات الروسية في تلك المناطق ، واحتمال تهديدها لأفغانستان والهند ، وإعداد الخطط لمواجهة الطوارئ⁽⁵³⁸⁾، كما قدم طلبا باسم إحدى الشركات البريطانية في عام 1875.1876 إلى الحكومة الإيرانية ، للتصريح لها بالملاحة في نهر الكارون ، لمواجهة خطط روسيا، وكانت حكومة الهند تؤيد المشروع وتتهيا لدعمه ماليا ، لكن الحكومة الإيرانية لم تسمح بمنح الامتياز الخاص ولا حتى بفتح النهر للملاحة العامة ، على الرغم من أن هذا الاقتراح كانت تناقشه لجنة إيرانية ، شكلت خصيصا لدراسته ربما كانت بضغط من روسيا ، التي لم تبد بعد أية إهتمامات لمد نفوذها إلى الخليج العربي⁽⁵³⁹⁾.

وحينما أصبحت الحكومة الإيرانية ، بعد مدة رغبة في مساعدة الرأسماليين الأوروبيين في إنشاء شبكة خطوط حديدية داخلية ، قفز موضوع سكة الحديد بين الخليج العربي وطهران في عام 1876 إلى المقدمة ، ولما كانت للبارون رويتر مطالب معلقة لم يبت بها من الحكومة الإيرانية ، فقد قررت الحكومة البريطانية أن تسانده منافسا للحصول على امتياز خط سكة الحديد الجنوبي ، وكان الخط الذي أوصى به الوزير المفوض البريطاني في طهران ، هو الخط الممتد من طهران إلى شوستر عبر أصفهان ، لظنه انه يمكن أن يفيد الزوار إلى المراقد المقدسة في قم والعراق من كلا الجانبين ، فضلا عن حمل الحجاج الإيرانيين إلى الحجاز ، لكن الحكومة الإيرانية ، رفضت المشروع لاقتراحه بخط ملاحة نهر الكارون للمراكب الأجنبية الغير مرغوب فيها ، ومما لا شك فيه أن النشاطات الروسية كانت وراء معارضة الحكومة الإيرانية ، للمشروعات البريطانية المتمثلة بخط الكارون التجاري والطريق البري والسكك الحديد ، المرتبطة به ، وبالمثل بذلت بريطانيا مزيداً من الجهد لمنع روسيا ، من الحصول على أية فوائد للسكك الحديد في الشمال ، فقد عارض وليم تايلور تومسن W.T.Tomson الوزير المفوض البريطاني في

⁽⁵³⁶⁾ J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part.1 . p. 239 .

⁽⁵³⁷⁾ Ibid . p. 267.

⁽⁵³⁸⁾ G.N.Curzon,Russia in Central Asia.pp.101-102, 426.

⁽⁵³⁹⁾ J.G.Lorimer,op.ct.Vol.1.part.1.pp.267,269.

طهران⁽⁵⁴⁰⁾ في عام 1878 ، مشروعات السكك الحديدية الروسية بين رشت وطهران ، ومن الأخيرة إلى تبريز ، ولوان الوزير الروسي عارض الخط الأول أيضا ، وكانت وجهة النظر الروسية أن أية سكك حديد إيرانية يلزم مدها ، يجب أن تتصل بشبكة السكك الحديدية الروسية في جلفا ، وفقا لخطة روسية تقرر في عام 1874-1875 ، وقد برّر تومسن أن الخطر الروسي الذي تتعرض له إيران من الخطوط الحديدية في الشمال ، يجب أن لا يقارن بالطبيعة البريئة للاتصالات الحديدية مع الجنوب ، التي ترغب فيها بريطانيا ، بلا نتيجة ظاهرة⁽⁵⁴¹⁾.

كان موقف بريطانيا عموماً من إيران خلال سبعينيات القرن التاسع عشر ، يتسم بالإهمال واللامبالاة ، فأهملت أكثر من طلب للعون في تنظيم الجيش الإيراني من جانب حكومة الشاه ، إلى الحد الذي دفع احد المسؤولين الإيرانيين ، أن يصرح "بان النفوذ البريطاني غدا في إيران ميتاً" ، مما أدى إلى انتقال الأشراف على جيش الشاه إلى أيدي الحكومات الأخرى ، في الوقت الذي كان نفوذ روسيا في إيران متزايماً ، لكن اهتمامها لم يكون قد توجه بعد إلى الخليج العربي⁽⁵⁴²⁾ ، فقد صعدت روسيا من فعاليتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية في إيران فحصلت في عام 1876 على حق صيد الأسماك في بحر قزوين داخل المياه الإقليمية الإيرانية ، واستحوذت بعد مدة على مناجم مهمة وعلى صناعة الشخاط في إيران⁽⁵⁴³⁾ ، وحصلت روسيا على أهم امتياز من ناصر الدين شاه ، بإنشاء فرقة عسكرية إيرانية ، فرقة القوزاق ، بقيادة الضباط الروس وفي مقدمتهم الكولونيل دومنتوفيتش ، وتم تأسيس تلك الفرقة في كانون الثاني عام 1879 ، التي بدأت بثلاث كتائب تتشكل الواحدة منها من ستمائة ضابط وجندي ، تقيم في العاصمة طهران نفسها ، وسرعان ما أصبح لها مراكز فرعية في كل من تبريز وأصفهان ومشهد ورشت ، فضلا عن المركز الرئيس ومقر القيادة في طهران ، وقد استخدمت روسيا الفرقة لصالحها وتأييد امتيازاتها وتأكيد سيطرتها على إيران ، وان كان قادتها يخضعون في الظاهر لمشيئة الحكومة الإيرانية ويتقاضون رواتبهم السخية من خزانتها ، لكنهم كانوا في واقع الأمر تحت سيطرة قيادة القوزاق الروسية في بطرسبورغ ، ويتلقون أوامرهم منها بالاشتراك مع

⁽⁵⁴⁰⁾ شغل منصبه من الخامس عشر من تموز عام 1872 ، لغاية الحادي والثلاثين من آذار عام 1879 ينظر:

J.G.Lorimer,Op.Cit.vo.1.1.part.11.p. 2665 .

⁽⁵⁴¹⁾ Ibid .p. 1732.

⁽⁵⁴²⁾ J.G.Lorimer,Op.Cit.part.1.pp.241,247; G.N.Curzon, Persia and the Persian .Vo1.11.p.621

⁽⁵⁴³⁾ اسعد محمد زيدان الجواري ، سياسة إيران الخارجية في عهد احمد شاه 1909-1925 ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة بغداد 1987 ، ص 29-30.

المفوضية الروسية في طهران ، لمساندة نظام الشاه والوقوف بوجه كل من يناوئ السياسة الروسية في إيران (544).

ولما كانت المصالح السياسية البريطانية في إيران ، مرتبطة بشكل وثيق بمصالحها في أفغانستان أصبح من أهداف السياسة البريطانية ، أن تسعى إلى السيطرة على جنوب إيران ، لا سيما عن طريق إقليم عرستان ، لمناوأة روسيا في تلك المنطقة ، لخشيته من امتداد النفوذ الروسي إلى الخليج العربي ، فبذلت الحكومة البريطانية بين عامي 1877-1879 جهوداً كبيرة ، عن طريق الوزير المفوض البريطاني في طهران ، للحصول عن تصريح بفتح نهر الكارون للملاحة البخارية ، لكن موقف الشاه من المشروع كان المعارضة العنيدة ، ويبدو انه كان يخشى من ازدياد أهمية ميناء المحمرة ، مما يؤدي إلى استيلاء بريطانيا عليه ، ويرجع هذا الافتراض لدى الشاه ، للعلاقات الوثيقة بين شيخ المحمرة والممثل البريطاني في البصرة ، فضلاً عن بعض المقالات المغرضة التي كانت تنشر في الصحف الأوربية لاسيما الروسية منها (545)، وظلت المواصلات داخل منطقة الخليج العربي وبينها وبين الخارج تقريبا من دون تغيير ، ونوقش خلال عام 1878-1879 مشروع لمد سكة حديد بريطانية تربط الخليج العربي بأوروبا من الكويت عبر بغداد والموصل فديار بكر ، وقد أوصى بتنفيذه دوق سوزرلاند Duke of Sutherland بتأييد من أندرو ، الذي عرف بدفاعه القوي عن فكرة سكة حديد الفرات ، لكن لم يسفر عنه شيء شأنه شأن المشروع الذي سبقه ، لعدم إسناده بضمان مالي من الحكومة البريطانية (546).

تميزت الأعوام التالية لعام 1876 بانبعاث مشكلة أفغانستان انبعاثاً حاداً ، وبتوتر خطير في علاقات بريطانيا مع روسيا في آسيا الوسطى، فلدى موت دوست محمد خان ، موحد أفغانستان وحاكم كابل في عام 1863 ، انتفض إقليم هرات و قندهار مرة أخرى ، على السلطة المركزية في أفغانستان ، ولم يتمكن شير علي خان إلا بعد خمسة أعوام ، من استعادة ضم هذين الإقليمين إلى أملاكه بمعونة بريطانيا ، في الوقت الذي كانت فيه روسيا تدفع حدودها في آسيا الوسطى إلى الأمام خطوة اثر أخرى ، فاحتلت خيوه في شرق تركستان في عام 1873، وبعد ثلاثة أعوام احتلت خوقند ، وقام الاتصال السياسي بين طشقند وكابل (547)، حينما إستقبل شير

(544) M. S.Ivanov,Ocherk Istroii Irana,Moscow 1952.pp.188.-189 ;

إبراهيم تيموري ، المصدر السابق ، ص 310 ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي ، المصدر السابق ، ص 19-20؛ علي خضير عباس المشايخي ، المصدر السابق ص 246-247 .

(545) J.G. Lorimer, Op.Cit.Vol.1.part.1.p.274.

(546) Ibid. p.279.

(547) Ibid. pp. 272, 273 ; p .Sykes. Op .Cit. pp. 357-358 ; H.G.Rawlinson.Op.Cit.pp.124,136-140.

علي خان حاكم كابل , في الثاني والعشرين من تموز عام 1878, بعثة روسية برئاسة الجنرال ستوليتوف General Stolietoff أسفر عن عقد معاهدة سرية بين روسيا وكابل , موجهة أساساً ضد بريطانيا , تعهد فيها شير علي خان "بغلق باب كابل بوجه أولئك الذين يريدون الدخول من الشرق", وان يعلن الحرب ضد بريطانيا⁽⁵⁴⁸⁾ , مما أثار الذعر لدى السلطات البريطانية, بعد أن أعلن قطع العلاقات مع بريطانيا , ورفضه استقبال بعثة موفده إليه من الهند البريطانية, برئاسة الكولونيل لويس بيلي Col-Lewis pelly المقيم السياسي الأسبق في الخليج العربي, مما أدى إلى نشوب الحرب الأفغانية الثانية 1878-1879⁽⁵⁴⁹⁾ , حاول شير علي خان التصدي للغزو البريطاني بالاعتماد على مساعدة الروس , إلا أن الجنرال كوفمن Gen - Kaufman⁽⁵⁵⁰⁾ خيب أمله , وأمتنع عن تقديم المساعدة متذرعاً بأنه , من المستحيل إرسال القوات عبر ممرات جبال هندوكوش في الشتاء , مما اضطر شير علي خان إلى مغادرة كابل في الثاني والعشرين من كانون الأول عام 1878 , متوجهاً إلى بطرسبورغ لعرض قضية بلاده أمام القيصر , وحينما منعه الروس من الدخول إلى أراضيهم⁽⁵⁵¹⁾ , فرّ إلى شمال البلاد ومات في مزار الشريف في شباط عام 1879 , فحل مكانه ابنه يعقوب خان , الذي عقد معاهدة كانداماك Candamak مع بريطانيا في السادس والعشرين من أيار عام 1878⁽⁵⁵²⁾ , تضمنت فقراتها العشر , أقرار السلام بين البريطانيين والأفغان , وقيام الأمير الأفغاني بإصدار عفو شامل عن المتعاونين مع قوات الغزو , وإشراف بريطانيا على سياسة أفغانستان الخارجية , وإقامة مبعوث بريطاني في كابل , وان واجب حمايته والوكلاء البريطانيين الآخرين يقع على عاتق الأمير , والسماح للرعايا البريطانيين بالمتاجرة داخل الأراضي الأفغانية , وقيام الأمير بتحسين وحماية الطرق التجارية , ودفع إعانة سنوية مقدارها ستة لكات روبية⁽⁵⁵³⁾ , ما يقرب من ستين ألف روبية هندية .

⁽⁵⁴⁸⁾ G.N. Curzon, Russia in Central Asia, pp.327-328; H.G. Rawlinson, Op.Cit. pp.140-141;

H.Seton-Watson ,The Decline of Imperial Russia ,1855 -1914 . London 1956. p.89.

⁽⁵⁴⁹⁾ J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol.1. part.1. P.273.

⁽⁵⁵⁰⁾ الجنرال كوفمن الحاكم العام للممتلكات الروسية في آسيا الوسطى , للمدة من 1867 - 1883. ينظر: ⁽⁵⁵⁰⁾

, Op.Cit. p.88.

Watson -
H.Seton

⁽⁵⁵¹⁾ جمال هاشم احمد الذويب , المصدر السابق , ص43.

⁽⁵⁵²⁾ G.N.Curzon, Russia in Central Asia. p.425 ; J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol.1. part.1. p.273 ; H.G. Rawlinson, Op.Cit. pp.140- 141; H.Seton-Watson. Op.Cit. p.89.

⁽⁵⁵³⁾ جمال هاشم احمد الذويب , المصدر السابق , ص44.

إبتهج البريطانيون كثيراً بنصرهم السريع والسهل ، وبدأوا بسحب جزءاً من قواتهم ، وفي لندن وصف دزرائيلي⁽⁵⁵⁴⁾ رئيس الحكومة البريطانية (1874-1880) (اللورد بيكونسفيلد فيما بعد) ، في رسالة إلى الملكة فكتوريا (1837.1901) الانتصار البريطاني بأنه "إيقاف تام لروسيا"⁽⁵⁵⁵⁾ ، وأعقب ذلك وضع إقليمي كابل وقندهار تحت الإدارة البريطانية مؤقتاً ، ثم نصبت السلطات البريطانية في حزيران عام 1880 عبد الرحمن من عائلة بركازي، حاكماً على قندهار وهرات وما تبقى من أفغانستان⁽⁵⁵⁶⁾ ، لإبعاد أفغانستان عن النفوذ الروسي لما يشكله من تهديد لأمن ممتلكاتها في الهند.

أدت الحروب البريطانية - الأفغانية إلى زيادة النفوذ البريطاني في إيران زيادة متنامية ، حملت الحكومة الإيرانية على الاقتناع ، ان بريطانيا حليف أفضل لها من روسيا ، وفقاً لرأي الكولونيل أو. سانت . جون O. St . John المقيم السياسي البريطاني في قندهار، الذي كان يعتقد أن افتتاح طريق شوستر. أصفهان ، ومد السكك الحديد من بوشهر في الخليج العربي إلى طهران ، سيؤدي إلى جانب الانتعاش المادي لجنوب إيران ، إلى ثبات نسبي في العلاقات البريطانية - الإيرانية ، لأنه سيمكن الحكومة البريطانية من ممارسة نفوذها ، على حكومة طهران في منطقة الخليج العربي ، ويبدو أن روسيا كانت على وعي تام بكل احتمالات الموقف ، فعارضت مد سكة الحديد البريطانية في جنوب إيران بعنف ، بعنف معارضة بريطانيا لمد السكك الحديد الروسية في شمال إيران⁽⁵⁵⁷⁾.

وقدم "كيرزن"⁽⁵⁵⁸⁾ تقويماً للسياسة البريطانية والروسية في إيران جاء فيه ، أن بريطانيا لن تتحمل أية مسؤولية عن المقاطعات التي خسرتها إيران لروسيا ، لضعفها وعدم قدرتها على

(1880-1804) سياسي بريطاني ، رئيس الوزراء (1868) ، B.Disraeli⁽⁵⁵⁴⁾ بنيامين دزرائيلي (1880-1874)، اشترى حصة مصر من أسهم قناة السويس 1875.
(555) جمال هاشم احمد الذويب ، المصدر السابق ، ص44.

(556) G.N. Curzon, Russia in Central Asia,p.425 ; J.G.Lorimer .Op.Cit.Vol.1.part.1.p .273 ; H.G. Rawlinson ,Op.Cit.pp.140-141; H.Seton –Watson.Op.Cit.p.89.

(557) J.G.Lorimer,Op.Cit.Vol.1.part.1.pp. 274 -275 .

(558) ولد جورج ناثانيل كيرزن في الحادي عشر من حزيران عام 1859، وتوفي في العشرين من آذار عام 1925، عمل في عام 1891 مساعداً لسكرتير حكومة الهند ، ثم عين وكيلاً مساعداً في وزارة الخارجية من عام 1895، إلى 1898، ووصل إلى منصب نائباً للملك في الهند مرتين من كانون الثاني عام 1899 إلى تشرين الثاني عام 1905، تخللتهما مدة من نيسان إلى كانون الأول عام 1904، وكان اصغر نائباً للملك في الهند ، ويعد Lord Ampthill نياية لورد امبثيل صانعاً للسياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي . ينظر:

J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol.I. part.I.p .319; The New Encyclopedia Britannica, Vol.3. 15th, Edition, 1995.p.807.

الاحتفاظ بها , لأن مساومة بريطانيا روسيا , ستكون من طرف واحد والإفادة التي تحصل عليها بريطانيا, ستكون قليلة لكن من خلال تحالف إيران المخلص مع بريطانيا , وتقديم المشورة والنصح والتشجيع في تطوير البلد , وتثبيت الاستقرار لمواجهة المؤامرات والمخططات الروسية المحيطة بها , وإذا كان النفوذ البريطاني في الشمال ضعيفا , فان إيران ستكون قادرة على أن تقول للمحتل "أبقى بعيدا" حينما تقوم بريطانيا بتطوير القسم الجنوبي من إيران تجارياً وسياسياً⁽⁵⁵⁹⁾.

وأضاف أن بريطانيا لم تطمع بقدّم مربع واحد من الأرض الإيرانية , فالقوات البريطانية سيطرت لمدة قصيرة خلال حرب عامي 1856 - 1857 ضد إيران , على بوشهر وجزيرة خرج في الخليج العربي , والمحمرة والأحواز في الكارون , وكان من السهل على بريطانيا , ان تجد لها موطئ قدم في الخليج العربي , والاستقرار في الكارون , والاحتفاظ بهذه المواقع , إلا أنها تخلت عنها حتى ان الإيرانيين الذين توقعوا فقدانهم بوشهر , قد "اندهشوا باعتدالنا... وأنهم طردونا بواسطة قوتهم العظمى"⁽⁵⁶⁰⁾, فاستغلت روسيا وإلى مدى بعيد الموقع والقوة والسمعة في البلاط الإيراني, التي كانت تلك الميزات في الأعوام الأولى من القرن التاسع عشر حصرياً بيد البريطانيين , وأشار "كيرزن" إلى أن هذا التغير في الموقع بين القوتين المهمتين في إيران , والذي يهناً المتصارعون بعضهم البعض عليه , يمثل حالة مسؤولية عنها السياسة البريطانية الخاصة , التي هي ضعيفة بمفهومها , وكارثية بنتائجها , فالشيء الذي يفقد لا يعوض, "ويكفي أن نشير إلى ان الاحتلال المتتالية التي قامت بها روسيا وسياستها في إيران , قد وضعتها في مكانة تمتعت فيها بسيطرة قوية على الشؤون الإيرانية , ولا بد لبريطانيا من الرجوع إليها واستشارتها في إحداث اي تعديل في العلاقات السياسية الإيرانية⁽⁵⁶¹⁾ .

شجعت هذه الحالة السياسة الروسية في الحصول , على اكبر قدر من المكاسب في شمال إيران وآسيا الوسطى , وقد استغلت روسيا حجة تأديب القبائل التركمانية في الأقسام الشرقية من بحر قزوين , التي كانت تثير المشاكل على الحدود الروسية , وعجز السلطات الإيرانية عن مقاومتها , فاحتلت القوات الروسية بقيادة الجنرال "سكوبيليف" "Skobelev" أو "Skobeleff" حصن التركمان في جوك تبه Geok Teppe أو التل الأزرق , وواحة أخال, مما اضطر الحكومة الإيرانية إلى توقيع معاهدة أخال . خراسان , التي وقعت في طهران في الحادي والعشرين من كانون الأول عام 1881 , 29 محرم 1299 هـ , التي حددت خط الحدود بين الدولتين شرق بحر قزوين , فخسرت إيران بذلك واحة أخال وبلاد التركمان وخوارزم , التي كانت جزءاً

(559) G.N.Curzon, Persia and the Persian, Vol.11.p.619.

(560) Quoted in : Ibid. pp.619- 620.

(561) Ibid. p.588.

من ممتلكاتها الشمالية الشرقية , مما أدى إلى زيادة النفوذ الروسي على حساب ضعف النفوذ البريطاني في إيران .⁽⁵⁶²⁾

وعندها إنتقد ناصر الدين شاه بمرارة السياسة البريطانية في إيران وآسيا الوسطى , وعدّها السبب في توسع روسيا واحتلالها أجزاءً مهمة من بلاده , وأشار إلى أن السياسة البريطانية أهانت إيران في مسألة هرات مرات , بدلا من أن تجعل إيران سدا منيعا بينها وبين روسيا⁽⁵⁶³⁾ , التي بدأ يظهر نفوذها للمرة الأولى في منطقة الخليج العربي سياسياً , حينما أسست في عام 1881 قنصلية لها في بغداد , التي تولى الإشراف عليها " ل. إبيرهارد " L.Eberhard " في الرابع من كانون الثاني من العام نفسه⁽⁵⁶⁴⁾ , مما حفز بعض البريطانيين إلى الاهتمام مجددا بالمواصلات في منطقة الخليج العربي , حينما أعاد إلى الأذهان أندرو الذي سبق أن أسس , شركة سكة حديد وادي الفرات عام 1856 , الأمر الحيوي لإنشاء سكة حديد من البحر المتوسط , وعلى طول وادي الفرات إلى الخليج العربي , وذلك من خلال كلمته في السادس عشر من حزيران عام 1882 أمام النادي القومي في لندن , التي أشار فيها إلى خوفه ما يسببه سد قناة السويس , من الثوار المصريين بقيادة عرابي باشا , إذ بمقدور هؤلاء أن يعرقلوا الملاحة في القناة بإغراقهم سفينة واحدة فيها , أو أن يدمروا بعض الأجزاء من جسر القناة⁽⁵⁶⁵⁾ , أو أن ترسل روسيا عددا من سفنها القديمة فتغرقها عمداً⁽⁵⁶⁶⁾ , مما يجعل الممر المائي لسفن جميع الدول عديم الفائدة , أن هذه الحالة السياسية في مصر , مع ربطها بالتقدم المنتظم لروسيا باتجاه الهند عن طريق بنائها السكك الحديدية , تدعو بريطانيا إلى إحياء الطريق القديم عبر الفرات , لإحباط المساعي الروسية في حالة قيامها بتهديد الهند⁽⁵⁶⁷⁾ .

وكان فزع بريطانيا من روسيا يشتد , كلما اقتربت الخطوط الحديد الروسية في تركستان باتجاه الهند , وقد أشار " أندرو " إلى انه إذا كانت الحكومة الروسية , تبذل مساعي حثيثة لتتشيئ اتصالاً سريعاً ومباشراً بين بطرسبورغ وآسيا الوسطى , بهدف أن لا تترك هرات مدة طويلة تحت النفوذ البريطاني , وان تجعل إيران بالكامل تحت قدمها , لا سيما بعد الانتهاء من مد سكة الحديد من تفليس إلى باكو⁽⁵⁶⁸⁾ , إذ ان بطرسبورغ ستصبح على مسافة خمسة أيام من عشق آباد

⁽⁵⁶²⁾ G.N.Curzon,Russia in Central Asia .pp.436-439.

⁽⁵⁶³⁾ علي خضير عباس المشايخي , المصدر السابق , ص258.

⁽⁵⁶⁴⁾ J.G.Lorimer ,Op.Cit.Vol.1.part.1.p.283; part.II.p.2695.

⁽⁵⁶⁵⁾ W.Andrew,Op.Cit.pp.21-22.

⁽⁵⁶⁶⁾ عبد الفتاح إبراهيم , المصدر السابق , ص74.

⁽⁵⁶⁷⁾ W.Andrew,Op.Cit.p.22.

⁽⁵⁶⁸⁾ لقد تم فتح سكة حديد ترانسكسبيان إلى كيزل أرفات في كانون الأول عام 1881 , وتم أكمال مد سكة حديد ترانسكسبيان . تفليس إلى باكو في عام 1882 , وتم إيصال سكة حديد ترانسكسبيان . سمرقند إلى باطوم في العام التالي . ينظر

G.N.Curzon, Russia in Central Asia .pp.427-428 .

وستة أيام من مدينة كيزل أرفات Kizil Arvat الواقعة على الحدود العثمانية . الإيرانية , كما ان تنفيذ الاقتراح الذي تقدم به احد الحكام الروس في آسيا الوسطى , سيجعل العاصمة الروسية على مسافة ستة أيام ونصف من آسيا الوسطى , وقد بذلت روسيا ما في وسعها , لإنجاز سلسلة من خطوط الحديد في إيران وأفغانستان , لإيقاف تجارة آسيا الوسطى مع الهند وان تكسب لنفسها السيطرة على حدود هذه البلاد , وإذا ما أنجزت روسيا سكة حديد عبر القوقاز فأنها تكون قد اختصرت الوقت , إلى يوم واحد بواسطة السكك الحديدية , بدلا من الستة والعشرين يوماً مشياً على الإقدام , لقطع المسافة من البحر الأسود إلى بحر قزوين , وأصبح بمقدورها ان تؤمن نقل الوحدات العسكرية , من أوديسا إلى عشق آباد في اقل من اثني عشر يوماً , وبهذه الطريقة فان روسيا بعد انجازها مد سكة حديد القوقاز , ستصبح قادرة على إرسال وحدات عسكرية إلى أطراف ممتلكاتها في آسيا الوسطى في اقل من أسبوعين , بينما ما زال إرسال الوحدات العسكرية من بريطانيا إلى الهند , يستغرق ما يقرب الشهر حينذاك , ومع الأخذ بالحسبان أن عشق آباد تقع على مسافة مئتي ميل من هرات , مما يجعل اللعبة في الشرق وبدرجة كبيرة بيد روسيا , لذا فان البحث عن طريق أسرع من طريق قناة السويس أصبح حاجة ملحة لبريطانيا⁽⁵⁶⁹⁾, وكما قال أندرو أيضاً بصدد أهمية السكة الحديد لبريطانيا عبرالعراق , أن بغداد مثلاً هي مركز تجاري كبير ولها علاقات تجارية واسعة مع لندن , أن بغداد تقع على مسافة اقل من ستمائة ميل عن ميناء في البحر المتوسط في حالة بناء سكة حديد الفرات , بينما تقع على مسافة أكثر من ثلاثة آلاف ميل في حالة اتخاذ طريق قناة السويس , وان خط الفرات سيكون أسرع وسيغني بريطانيا عن الضمانات والاستحقاقات نحو قناة السويس , إذ أن المسافة ستصبح اقل بكثير من السدس , فضلاً عن ان تكاليف الترانسيت ستكون اقل⁽⁵⁷⁰⁾ , وان هذه الإمتيازات من شأنها ان تعوض مساوئ التفريغ والتحميل من السفينة إلى القطار وبالعكس⁽⁵⁷¹⁾.

ومن الجدير بالذكر ان اللورد "كيرزن" , أيد مشروع سكة حديد وادي الفرات ووصفه بأنه لا يعد عملاً مستحيلاً لبريطانيا , وذلك من اجل أحكام السيطرة على الخليج العربي , وكبح جماح خطط روسيا التي تبحث منذ مدة للوصول إلى المياه الدافئة , وان عينها ترنو إلى الخليج العربي , وان تغلغلها في شمال إيران وخراسان , ما هو إلا مرحلة أولى للتوجه جنوباً وستصبح بغداد عاصمة روسية جديدة في الجنوب , "وهل نبقي ننتظر حتى نرى أعدائنا , يصلون إلى

⁽⁵⁶⁹⁾ W.Andrew , Op.Cit.pp.5,7,10.

⁽⁵⁷⁰⁾ خلال الأعوام الأولى لافتتاح قناة السويس ,عبرها عدد من السفن وبحمولة تقدر بـ654/915 طن ارتفع هذا الرقم عام 1882 إلى حوالي 3,122,125طن , محملة على 3198 سفينة , وقد دفع مبلغ 2,422,000 جنيه إسترليني ضرائب عبور لهذه السفن , وكان على السفن ان تنتظر دورها على واحدة من حافتي القناة , أربعة أيام لعبورها القناة بينما لا تستطيع العديد من السفن الجديدة والواسعة , أن تعبر القناة بتاتا . ينظر :

H. Hoskins,Op.Cit.p.447.
⁽⁵⁷¹⁾ W.Andrew,Op.Cit.p.16.

كراجي في أيام معدودات ، ومن ثم تسقط بومباي بوساطة أسطول معادٍ⁽⁵⁷²⁾، ومع ذلك فإن مشروع سكة حديد وادي الفرات لم ير النور، لموقف الحكومة البريطانية، التي لم تهتم بما تم على أيدي مواطنيها من دراسات دقيقة ، وما قدموه من اقتراحات وجيهة ، واستمر الموقف هكذا حتى ظهور المشروع الألماني المتمثل بسكة حديد بغداد ، في مطلع القرن العشرين ، عندها استفاق المسؤولون وتنبهوا للأمر ولكن بعد فوات الأوان⁽⁵⁷³⁾.

بقيت روسيا تنتظر بلهفة إلى جنوب إيران ، وتسعى إلى إيجاد منفذ لها من خلال الخليج العربي والمحيط الهندي ، وإن تحركاتها على امتداد الحدود الجنوبية الشرقية لخراسان ، ونشاط وكلائها في مناطق بعيدة خلف نصف القطر الشرعي لنفوذها في شمال إيران ، وتحركاتها باتجاه سيستان ، ما هي إلا أشارات على تصميم روسي للاحتكاك بالنفوذ البريطاني في جنوب إيران والوصول إلى المحيط الهندي ، وتتمكن روسيا من تحقيق ذلك بطريقتين مباشرتين ، إما من خلال الحرب مع الدولة العثمانية واحتلال بغداد والوصول إلى الخليج العربي ، أو من خلال عبورها إيران ، عن طريق اندفاع روسي إلى خراسان يتبعه تقدم إلى ميناء بندرعباس في الخليج العربي ، وكان الطريق الثاني أكثر احتمالاً وظهوراً في المخططات الروسية⁽⁵⁷⁴⁾.

وإزاء ذلك ، وتزامناً مع استمرار الاندفاع الروسي في آسيا الوسطى ، غدا التنافس البريطاني الروسي على أشده في إيران وأفغانستان ، ففي شباط عام 1884 احتلت القوات الروسية بقيادة الجنرال "علي خانوف" "Alikhanoff" مرو في شمال خراسان ، وبعد ثلاثة أشهر اجتاحت واحة سرخس إلى الجنوب ، والتي تمثل المرحلة الرابعة والأخيرة في الاندفاع الروسي في آسيا الوسطى⁽⁵⁷⁵⁾، فأصبح الروس على مسافة مئة وسبعين ميلاً فقط من هرات بوابة الهند ، بينما القوات البريطانية كانت في كويتا Quta في مقاطعة بلوچستان جنوب أفغانستان ، التي تبعد ما يقرب خمسمائة ميل من هرات⁽⁵⁷⁶⁾، وحينما كان أمير الأفغان يقوم بزيارة إلى الهند ، قامت القوات الروسية بقيادة الجنرال "كوماروف" "Gen-komaroff" بهجوم عنيف في الثلاثين من آذار عام 1885، على الحدود الأفغانية في منطقة بنجده Penjdeh بالقرب من هرات ، مما وضع بريطانيا وروسيا على حافة الحرب ، وكان من نتائج تلك الأزمة زيادة ثلاثين ألف جندي إلى القوات الهندية ، وزيادة الميزانية العسكرية الهندية مليوني جنيه إسترليني في كل عام ، وتكوين قوات خدمة الإمبراطورية في الولايات الهندية ، وتعزيز خطوط الحديد ومد المزيد منها إلى ما وراء كويتا في بلوچستان⁽⁵⁷⁷⁾، أما في الجانب الروسي فقد أمر القيصر مسؤول السكك الحديدية

⁽⁵⁷²⁾ Quoted in, G.N. Curzon, Russia in Central Asia, pp.377-378.

⁽⁵⁷³⁾ Z-Saleh, Op. Cit. pp. 259-260.

⁽⁵⁷⁴⁾ G.N. Curzon, persia and the Persian, Vol.11, pp.597-598.

⁽⁵⁷⁵⁾ p. Sykes, Op. Cit. pp.359-360; H. Algar, Op. Cit. p.137.

⁽⁵⁷⁶⁾ G.N. Curzon, Russia in Central Asia, P.310.

⁽⁵⁷⁷⁾ G.N. Curzon, Russia in Central Asia, p.44 ; J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol.1.1. part.1. p.288;

H. Seton-Watson, Op. Cit. p.89.

في آسيا الوسطى " انانكوف " Annenkoff " بعد شهرين فقط من حادثة بنجدة , في الثاني من حزيران عام 1885 بمد الخط الحديد من الحدود الروسية باتجاه الحدود الأفغانية , في الوقت الذي وصلت فيه السكة الحديد في الثالث من تموز من العام نفسه إلى الحدود العثمانية . الإيرانية في كيزل أرفات , التي بدأ العمل بها بعد عشرة أيام⁽⁵⁷⁸⁾.

لقد اشتاطت بريطانيا غضبا , لاحتلال الروس بنجده , واحتمال تهديدهم هرات والهند البريطانية لاسيما بعد التعاون بين بطرسبورغ وتركستان , فأصبحت الحرب ضد روسيا وشيكة الوقوع , وكان الإنذار بالخطر , حمل بسمارك "المستشار الألماني " - بتأييد القوى الأوروبية الأخرى- العمل على المحافظة على بقاء المضائق مغلقة , لاحتمال قيام بريطانيا بضرب أية بقعة روسية يطالها الهجوم البريطاني , وبما إن القوى الأوروبية لا ترغب بالحرب - لاسيما ان السخط يعم أجزاء واسعة من بريطانيا لسياسية كلادستون المثقلة بمشاكل عديدة , في إيرلندا والترزفال والسودان- لذلك تم التوصل في مايس عام 1885 إلى طريقة التحكيم للتخوم المتنازع عليها , ثم تقرر عدم اللجوء إلى التحكيم , بل مناقشة التخوم بشكل مباشر بين بريطانيا وروسيا , وكان حلول "السبوري" Salisbury " (1885-1886) في رئاسة الحكومة في حزيران من العام نفسه , بدلا من "كلادستون"⁽⁵⁷⁹⁾ Gladstone " قد أطل أمد المباحثات إلى حد ما , ثم تقرر ضرورة التوصل إلى تسوية سلمية للأزمة مع روسيا , فتم التوصل في الخامس عشر من أيلول عام 1885 إلى توقيع اتفاقية بريطانية . روسية , بصدد تحديد الحدود بين روسيا وأفغانستان⁽⁵⁸⁰⁾ , بعد ان تمكن "السبوري" من أقناع الروس في تغيير وجهة نظرهم في التقدم باتجاه الهند وصولاً إلى الصين , فانزاح بذلك التوتر البريطاني - الروسي بصدد التخوم الروسية - الأفغانية⁽⁵⁸¹⁾ , التي تهم بريطانيا لحرصها المحافظة على الهند من التهديد الروسي.

لقد كانت السياسة البريطانية تنحصر في سلامة ممتلكاتها في الهند , وسلامة مواصلاتها البحرية والبرية إليها , لذلك قاومت ظهور أية قوة دولية يمكنها مزاحمتها في هذه المنطقة , لتضمن لسياستها الاستمرار والبقاء , وكان همها في إيران إبعاد الخطر الروسي عن المقاطعات الجنوبية المتاخمة لسواحل الخليج العربي , وتأمين قواعدها التي تحمي طريق الهند , بينما كانت السياسة الروسية تتمثل في شعورها بالاختناق لبعدها عن المياه الدافئة المفتوحة , التي يمكن من خلالها الخروج إلى مناطق العالم الأخرى , بحثاً وراء التوسع والتجارة .

وكانت بريطانيا تبالي في تصوير أطماع روسيا في منطقة الخليج العربي , فهي تظن ان الهدف من اهتمام الروس بالمنطقة , لمنافسة الأرجحية البريطانية هناك , وتوضح لها ذلك حينما

⁽⁵⁷⁸⁾ G.N.Curzon, Russia in Central Asia.p.44.

⁽⁵⁷⁹⁾ وليم إيوارت كلادستون سياسي بريطاني تولى رئاسة الوزارة عدة مرات (1868-1874) , (1880-1885) , (1886) , (1892-1894) .

⁽⁵⁸⁰⁾ H.G.Rawlinson, Op.Cit.p.154; H.Seton-Watson, Op.Cit.p.89.

⁽⁵⁸¹⁾ على خضير عباس ألمشاخي , المصدر السابق , ص262-263.

قام الكابتن الروسي "فونبومر" Captain Vonbumor, الذي كان يخدم في كتيبة قوزاق الشاه , في ربيع عام 1887 بزيارة لأصفهان وشيراز وبوشهر في الخليج العربي ضمن جولة تفتيشية , وظهر في بوشهر أيضا في شتاء 1887. 1888 ضابط روسي من القوزاق , وأحدث ظهوره حالة من الهياج في الدوائر الإيرانية , حينما ناقش صراحة سياسة بلاده المعادية للمصالح البريطانية , طالبا عقد اتفاقية روسية - إيرانية , لاتخاذ موقف موحد ضد المصالح البريطانية في منطقة الخليج العربي , وقد تزامن ظهوره في بوشهر في المدة التي كان فيها نشاط الحكومة الإيرانية , يتسم بالعداء للمصالح البريطانية في المنطقة , حينما أظهرت إيران والدولة العثمانية نشاطا للتدخل في شؤون البحرين وساحل عمان , فقد جدد الشاه مزاعمه بالسيادة على البحرين , بتحريض من روسيا⁽⁵⁸²⁾, واحتاطت بريطانيا فعمدت إلى إرسال سفينة حربية إلى ساحل البحرين , ومعها تعليمات بان تضرب أية محاولة للنزول على الجزر , سواء أكانت من إيران أم الدولة العثمانية أم القبائل العربية , ووجهت الحكومة البريطانية إنذاراً بهذا الصدد أيضا إلى الحكومة العثمانية , لكن إيران التي لم يكن لديها وسائل للتدخل مباشرة في المشيخات , لم تكن بحاجة لمثل ذلك الإنذار⁽⁵⁸³⁾.

وفي مضمار التنافس البريطاني - الروسي , كانت مشكلة مد السكك الحديد والمسائل الاقتصادية لاسيما الامتيازات التجارية في إيران , قد أشرت بداية لمرحلة جديدة في تاريخ منطقة الخليج العربي , فكانت الامتيازات تستغل أسباباً للقتال بين طرفي الصراع البريطاني - الروسي , الذي كان التفوق فيه . باستثناء مشكلة السكك الحديد . إلى جانب بريطانيا , فقد أدت غير روسيا من النفوذ البريطاني الذي كان طاغياً في منطقة الخليج العربي , إلى عرقلة تطوير المواصلات في منطقة جنوب إيران المتاخمة للخليج العربي , فبمجرد ان اقترحت بريطانيا في عام 1887 مد سكة حديد من الأحواز إلى طهران⁽⁵⁸⁴⁾, أجبر الأمير "دولكروكي" الوزير المفوض الروسي في طهران المدعوم من حكومته , الشاه على توقيع إتفاق في الثامن عشر من أيلول من العام نفسه , يقيد فيه نفسه ان لا يمنح حق إنشاء أية سكة حديد , أو أي ممر مائي في إيران , إلى شركة أجنبية من دون إستشارة مسبقة من القيصر الروسي , وقد تم إغتصاب ذلك الإرتباط بالتهديد , بأنه في حالة منح امتياز من دون إستشارة الحكومة الروسية , فان القيصر , ربما يسحب ضمانه لسلامة إيران⁽⁵⁸⁵⁾, ومن جانب آخر , كان "دولكروكي" يطالب حكومة طهران , منح روسيا مشاريع متعددة , لإنشاء خطوط السكك الحديد في إيران , وكان يسعى في الوقت نفسه إلى منع فتح نهر الكارون لملاحة السفن البريطانية , وان طريقته المعتمدة على الغطسة ,

⁽⁵⁸²⁾ J.G.Lorimer,Op.Cit,Vol.I.part.I.pp.291-293.

⁽⁵⁸³⁾ Ibid. p.292.

⁽⁵⁸⁴⁾ Ibid.p.297; A.T.Wilson,Op.Cit.p.258.

⁽⁵⁸⁵⁾ I.P.D.Vol.1.Op.Cit, No. 201, Persian assurances to Russia, Secret and Confidential, Oct.1. 1888.p. 64; J.G.Lorimer,Op.Cit.Vol.1.part.11.p. 2041.

جعلت الإيرانيين لا يدركون غاياته الحقيقية ، فروسيا لم يكن هدفها الحصول على فرص وفوائد تجارية ، بل كانت تهدف إلى الحصول على نفوذ سياسي (586) .

وكان رد فعل الشاه ورئيس وزراءه ، أمين السلطان ، هو البحث عن حماية بريطانية ، لذلك كان " هنري درموند وولف " H. Drumond Wolff " (587) . الوزير المفوض البريطاني في طهران ، محظوظاً بما فيه الكفاية ، ليجدهما متعاونين مع سياسته ، وكانت أروقة وزارة الخارجية البريطانية ، قد اختارته وزيراً مفوضاً ، ليكون نداً قوياً لدولكروكي صاحب النفوذ القوي في طهران ، وكان هدفه الرسمي هو تبني سياسة الدفاع عن المصالح البريطانية في إيران ، على أن لا يكون مهتماً بالحصول على موطئ قدم لبلاده في الجنوب ، بل لمحاربة النفوذ الروسي في العاصمة نفسها ، وإن الوسائل الجديدة لإثراء النفوذ البريطاني في إيران ، ينبغي أن تكون قبل كل شيء تجارية واقتصادية ، مع الأخذ بالمؤثرات السياسية ، ولتوظيف هذه الوسائل كان وولف مؤهلاً بشكل جيد لإرتباطه بعلاقات صداقة وثيقة بعدد كبير من المستثمرين البريطانيين ، " روتشيلد " Rthschild و "ساسون" Sassoon ، فضلاً عن البارون "جوليوس دي رويتر" وما أن وصل " وولف " في ربيع عام 1888 إلى طهران ، حتى تبعه تدفق المستثمرين للحصول على الامتيازات في إيران ، ومنهم "جورج رويتر" ابن البارون "رويتزر" صاحب الامتياز لعام 1872 المشهور (588) .

لقد تميزت المدة الأخيرة من حكم ناصر الدين شاه ، بتزايد النفوذ الروسي والضغط على شمال إيران ، فظل التنافس البريطاني الروسي في الميدان الإيراني سائداً ، بل أصبح شديداً ، ولكن الصفة التي اصطبغ بها كانت في ظاهرها اقتصادية ، على الرغم من أن التفاهم البريطاني - الروسي عام 1834 ، للمحافظة على وحدة إيران واستقلالها ظل باقياً ، بل أعيد في آذار عام 1888 تأكيده بين الجانبين (589) ، فتميزت المدة 1888 إلى 1892 ، بنشاط بريطاني شديد في إيران مالياً وتجارياً ، فقد شهدت منح امتيازات متنوعة للرعايا البريطانيين وإقامة عدد من المشروعات البريطانية ، كان بعضها قد ظل قيد الأخذ والردّ لأعوام عديدة (590) ، فكان فتح الكارون للملاحة عدّ خطوة نحو جعل وسط وشمال إيران في متناول التجارة البريطانية من

(586) H. Algar ,Op. Cit .pp. 163-164.

(587) وولف ابن واعظ يهودي من أصل ألماني ، عين وزيراً مفوضاً في طهران ، في الثالث من كانون الأول عام 1887 : لغاية الثالث والعشرين من تموز عام 1891 . ينظر :

J.G.Lorimer,Op.Cit.Vol.1.part.II.p.2665; H.Algar,Op.Cit p.163.

(588) H.Algar, Op. Cit .pp.163-164.

(589) I.P.D.Vol.1.Op. Cit, The Marquis of Salisbury to Sir .R.Morier ,Foreign Office, March 12, 1888. PP. 61-63.

(590) J.G.Lorimer,Op.Cit.Vol.1.part.II.p. 2036.

الخليج العربي , وكانت هذه الرغبة نفسها وراء الخطط المختلفة , لإنشاء طرق برية وسكك حديد بين حدود الملاحة في الكارون وشمال إيران , التي كان نموها , لمنافسة النشاط الروسي الشديد الذي هدد التجارة البريطانية في معظم أجزاء إيران⁽⁵⁹¹⁾.

وكانت المفاوضات البريطانية لافتتاح الكارون للملاحة , قد ظلت متوقفة لمدة أكثر من عقد من الأعوام , امتد من عام 1877 إلى عام 1888, حينما نشطت على يد وولف الذي وجه في الثامن عشر من أيلول عام 1888 مذكرة إلى الشاه , مشيراً إلى التأكيدات السابقة المشجعة , مؤكداً إلى أن إيران كانت ومازالت من الناحية العملية مغلقة في وجه تجارة العالم , وأن مواصلاتها الشمالية تتحكم فيها قوة أجنبية وحيدة "المراد بها روسيا" ومعللاً أن الحكومة البريطانية لا تطالب بأية امتيازات لها, لكنها تعطي النصيحة الصادقة للحكومة الإيرانية , بعد أن سبق لها أن ضمننت وحدة إيران واستقلالها, وانتهت المذكرة : "ولهذا فإن حكومة صاحبة الجلالة , صديقة وحليفة لإيران , قد أمرتني أن أسقهم عن متى يمكن أن تتوقع , بأن التأكيدات والوعود التي سبق إعطاؤها يمكن أن توضع موضع التنفيذ , علماً أنها على ثقة , أن الإجابة الرسمية التي تصلها يمكن أن تكون متفقة تماماً مع مشاعر الصداقة والتفاهم القلبي بين البلدين , مما تود حكومة صاحبة الجلالة الإحتفاظ به"⁽⁵⁹²⁾, ومما لا ريب فيه أن بريطانيا كانت تنظر من زاوية مصلحتها فقط , حينما ذكرت أن إيران كانت مغلقة في وجه تجارة العالم , وعليها فتح الكارون للملاحة الدولية.

ووجد أن الشاه غدا يميل حينذاك إلى فتح الكارون للملاحة , لكنه كان يرى عقبتين في الطريق: الأولى , وعده السابق في عام 1887, بأنه لن يسمح بإنشاء أية سكك حديد أو ممر مائي في إيران , لشركة أجنبية من دون استشارة قيصر روسيا , والثانية , خشيته من أن تنشئ الحكومات الأجنبية تحصينات على الكارون , أو أن تستغله للإغراض العسكرية , وأزيل أول هذه المخاوف بالإقناع , بأن فتح الكارون للملاحة هو إجراء وطني , وليس إمتيازاً لأية شركة أجنبية , وفيما يتعلق بالأمر الثاني فإن الحكومة الإيرانية لها سلطة إصدار لوائح , تحظر إنشاء تحصينات حربية أو استيراد الأسلحة أو أية عمليات خطيرة أخرى من الأجانب , وفي النهاية مال الشاه إلى الاستجابة لرغبات الحكومة البريطانية , بشرط إهداءه سفينتين , وتقديم بعض التأكيدات بالحماية ضد روسيا , في معارضتها لفتح الكارون للملاحة⁽⁵⁹³⁾, فمنحت الحكومة البريطانية الشاه في تشرين الأول عام 1888 تأكيدات تشير إلى "أنه في حالة قيام أية قوة بمهاجمة إيران من دون سبب عادل أو استقزاز , أو في حالة الإستحواذ على أي من الحدود الإيرانية من دون موافقة الحكومة الإيرانية على ذلك , ستقوم حكومة جلالته , باتخاذ إجراءات

⁽⁵⁹¹⁾ Ibid, pp. 1711-1712.

⁽⁵⁹²⁾ Quoted in: Ibid, p.1717 .
⁽⁵⁹³⁾ Ibid,

فورية ضرورية تجاه تلك الأعمال , لمنع أية خروقات لوحدة إيران وتكاملها , وينبغي أن يكون من المعلوم , لتتمكن الحكومة البريطانية من تنفيذ هذا الالتزام , أن تبلغ الحكومة الإيرانية فوراً الحكومة البريطانية , عن أية خروقات تهدد وحدة الأراضي الإيرانية تقوم بها أية قوة أجنبية"⁽⁵⁹⁴⁾

وبقبول شروط الشاه , أبلغت الحكومة الإيرانية في الخامس والعشرين من تشرين الأول عام 1888, الوزير المفوض البريطاني في طهران , بأنها وافقت على فتح النهر أسفل الاحواز للملاحة والتجارة الدولية , وظهر الإعلان الموعود من دون تأخير في الثلاثين من الشهر نفسه⁽⁵⁹⁵⁾ حينما , أعلن الشاه بحضور وولف , ان نهر الكارون افتتح للملاحة الدولية من مدخل المحمرة إلى سد الاحواز بطول يصل إلى ثمانين ميلاً , محتفظاً بالملاحة من سد الاحواز صعوداً للحكومة الإيرانية , التي ستنشئ خط ترام حول سد الاحواز لتسهيل النقل بين جزئي النهر الأسفل والأعلى , فضلاً عن إنشاء طريق للمركبات من ديزفول إلى أصفهان أو قم , الذي ينبغي ان ينجز خلال ثلاثة أو أربعة أعوام⁽⁵⁹⁶⁾ , وتضمن الإعلان لوائح الملاحة في الكارون التي تألفت من أربع وعشرين مادة , تختص بمسائل الشحن والتحميل والتفريغ والتمويل والسير والتأجير وطلب الحماية ومنع حمل الأسلحة , وغيرها من المسائل التي تدخل في السيطرة على الملاحة في النهر⁽⁵⁹⁷⁾.

أثار نجاح " وولف" في إنجاز مهمته ارتياحاً شديداً في نفسه , فقد عدّه انتصاراً له على خصمه "دولكروكي", فرفع بعد يوم واحد على منح الامتياز مذكرة إلى خارجية بلاده , للإطلاع على منجزاته التي تجسدت في رفض الشاه , الاحتجاجات الروسية الشديدة التي انصبت على الامتياز , وتأکید الشاه ان الامتياز تم إعلانه ولا يمكن إلغائه⁽⁵⁹⁸⁾.

ومن الجدير بالذكر ان إعلان فتح الكارون للملاحة الدولية , أصدرته بريطانيا لا الشاه⁽⁵⁹⁹⁾, ويعدّ انتصاراً للدبلوماسية البريطانية على المعارضة الروسية التي كانت تقف بوجه

⁽⁵⁹⁴⁾ I.P.D.Vol. I.Op. Cit, No.78, 204, English assurances to Persia 1888, Sir. H . D. Wolff, Telegraphic Oct 13, 25,1888. P.64.

⁽⁵⁹⁵⁾ J.G.Lorimer,Op.Cit.Vol.I.part.II. pp. 1717,1719.

⁽⁵⁹⁶⁾ I.p.D.Vol.I.Op.Cit, No. 216, Opening of the Karun 1888, Very Secret, Telegraphic Nov I, 1888 .p.66.

⁽⁵⁹⁷⁾ J.G.Lorimer, Op .Cit.Vol.I.part.II.pp. 1718-1719.

⁽⁵⁹⁸⁾ I.p.D.Vol.I. Op. Cit, No. 216, Opening of the Karun 1888, Very Secret, Telegraphic. Nov I, 1888, p.66.

⁽⁵⁹⁹⁾ إبراهيم خلف العبيدي , الأحواز أرض عربية سلبية , وزارة الثقافة والإعلام , السلسلة الإعلامية 105 , بغداد 1980, ص42.

فتحه للملاحة البريطانية⁽⁶⁰⁰⁾، لان بريطانيا كانت تهدف إلى جعل مرافق المحمرة تحت إشرافها المباشر، لتتخذها قاعدة لمواجهة التقدم الروسي في الخليج العربي⁽⁶⁰¹⁾.

وفور وصول معلومات برقية بان الملاحة في أسفل الاحواز غدت مفتوحة، أرسل زورق بخاري (الشنش) "عرب" التابع "للسادة جراي مكنزي وشركائهم" "Messrs Grey and McKenzie Co" فرع البصرة، من البصرة إلى الكارون رائداً يقرر الطريق الصحيح، لكن ما ان غطس في الماء خمسة أقدام، حتى تبعته مباشرة السفينة "بلوس لنج" "Bloss Lynch" التابعة لشركة لنج، التي استخدمت في عام 1890 سفينة أخرى هي "شوشان" "Shushan"، وبما ان البريطانيين سبق ان تعهدوا بتزويد الشاه بسفينتين، لذلك تقبل منهم بسرور بالغ في شباط من العام نفسه السفينة "شوشان"، لتشغيلها في نقل الركاب والبضائع بين الأحواز وشستر وديزفول، ونقلت "شوشان" في ربيع العام نفسه عبر شلالات الأحواز وسلمت للسلطات الإيرانية، وأما السفينة الثانية التي وعد بها الشاه فلم تسلم، ومن المحتمل انه تبين بعدم الحاجة لعمل سفينة ثالثة في النهر⁽⁶⁰²⁾، لاسيما ان شركة لنج التي احتكرت الملاحة فيه كانت أعمالها تمنى بالخسارة، لذلك قررت بريطانيا دعمها مادياً بعد ان وجدت ان الخط الملاحي، يعدّ امراً مرغوباً فيه لأسباب سياسية، وعليه دفعت منحة مقدارها ثلاثة آلاف جنيه إسترليني في العام، لمدة عامين لشركة لنج بأثر رجعي من عام 1889، على ان تدفع منحه أخرى مقدارها ألفي جنيه إسترليني، للأعوام الثلاث التالية، وقسمت قيمه المنحة بالتساوي بين وزارتي المالية البريطانية والهندية، ولرعاية المؤسسات البريطانية في المحمرة التي أخذت تشتغل بالتجارة هناك، عقب افتتاح الملاحة في الكارون، تم في الرابع عشر من حزيران عام 1890 تعيين "مكدوال" "McDoual" نائب قنصل بريطاني في المحمرة، الذي كان حينذاك كاتباً بقسم البرق الهندو-أوربي في الخليج العربي، والذي كان على إلمام جيد باللغة الفارسية وكفاية باللغة العربية، ووضع تحت رئاسة المقيم البريطاني في الخليج العربي، الذي عدلت سلطاته مقيماً عاماً ليشمل المحمرة⁽⁶⁰³⁾.

استمرت سياسة التنافس البريطاني-الروسي في إيران ومنطقة الخليج العربي، فكانت الدولتان تتعقبان المصالح والامتيازات لبعضهما البعض، بحيث ان حصلت أحدهما على امتياز، أسرع الأخرى، إلى الحصول على امتياز مشابه، لأن كل واحدة منهما لا تسمح ان يكون نفوذ عدوتها اكبر من نفوذها هناك، انعكس ذلك التنافس على حساب تطوير إيران وتحديثها، لاسيما فيما يتصل بمشاريع السكك الحديد فيها.

⁽⁶⁰⁰⁾ J.G.Lorimer, Op. Cit. Vol.I. part . I.p. 289.

⁽⁶⁰¹⁾ مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية 1897-1925، القاهرة 1971،

ص179.

⁽⁶⁰²⁾ J.G.Lorimer, Op. Cit. Vol.I part.II. pp. 1720-1721.

⁽⁶⁰³⁾ Ibid.pp. 1718-1719.

حصل وولف في آذار عام 1889 على امتياز مهم من الشاه , يمنح بريطانيا حقوقاً تفضيلية في إنشاء السكك الحديدية في جنوب إيران , وقد جاء على شكل خطاب من الشاه بخطه الأصلي, إلى الحكومة البريطانية , وكان مؤرخاً بتاريخ سابق هو السادس عشر من أيلول عام 1888, ليتجنب إثارة الروس , " جدد فيه الشاه وعداً سابقاً بصدد أولوية الحكومة البريطانية على سائر الشركات الأخرى , في إنشاء السكة الحديدية في الجنوب وصولاً إلى طهران , ومتعهداً إذا ما منحت امتيازات لإنشاء سكك حديد في الشمال إلى الآخرين , سيتم فوراً امتياز السكة الحديد من طهران إلى شوستر أو ما يشابهها إلى الشركات البريطانية , ولن يمنح حق إقامة سكة حديد في الجنوب إلى أية شركة , من دون التشاور مع الحكومة البريطانية" وتم التأكيد بشدة , على انه لا يمنح أية جهة تصريحاً بإنشاء سكة حديد إلا إذا كانت تجارية فقط⁽⁶⁰⁴⁾ .

ولكن ما ان حصل " وولف" على هذا الامتياز , حتى أسرع "دولكروكي" إلى توقيع اتفاق في الشهر نفسه مع الحكومة الإيرانية , بدلاً من الاتفاق الروسي - الإيراني الذي حصل في الثامن عشر من أيلول عام 1887, يؤكد موافقة الحكومة الإيرانية , ان منح شركة روسية غير معيّنه الحق في العطاء , لأي مشروع سكة حديد في إيران , يمكن أن يتقرر خلال الخمسة أعوام التالية من تاريخ الاتفاق , لا تمنح أثناء هذه المدة شركة أجنبية تصريحاً بإنشاء سكك حديد , وإذا لم تكن الشركة الروسية خلال الخمسة أعوام تلك راغبة في بناء السكك الحديدية , تكون الحكومة الإيرانية حرة من التزاماتها , ويحق لها منح ترخيص لأية شركة , لبناء سكة حديد في أي اتجاه من إيران , فضلاً عن ذلك أكد الاتفاق , حرية الملاحة للسفن الروسية في الأنهار الإيرانية التي تصب في بحر قزوين, مع الحق في تشييد الطرق بمحاذاة تلك الأنهار⁽⁶⁰⁵⁾ .

ولم تكتف روسيا بذلك بل حاولت محاربة المصالح البريطانية , ومنعها من الإفادة من مشاريع السكك الحديدية في إيران , فتمكن "دي بوتزو" de Butzow "الوزير المفوض الروسي الجديد في طهران , من الحصول في الحادي عشر من تشرين الثاني عام 1890, على اتفاق جديد مع الشاه, بدلاً من الاتفاق الذي حصل عليه "دولكروكي" في العام السابق , يلزم الحكومة الإيرانية بالامتناع عن إنشاء سكك حديد في الأراضي الإيرانية , طيلة العشرة أعوام التالية من تاريخ توقيع الاتفاق , وان التمديد بعد انتهاء تلك المدة , سيناقش مباشرة بين الجانبين , ينطبق الاتفاق على كل خطوط السكك الحديدية التي تشتعل بالبخار أو أية طاقة أخرى , باستثناء خطوط الترام التي تسحبها الخيول , والتي تقع في المدن أو بالقرب منها , ولكي يكون دي بوتزو كريماً مع الشاه , فقد استثنى سكة الحديد من طهران إلى مدينة شمران القريبة منها , حيث موقع سكن الشاه الصيفي من الاتفاق⁽⁶⁰⁶⁾ , وقد عكس اتفاق عام 1890 تصميم روسيا على منع إنشاء

⁽⁶⁰⁴⁾ I.P.D.Vol.I.Op.Cit, NO. 62, Persian assurances to England, Secret and Confidential. Mar 20, 1889 .p. 63; R. E. P. D. Vol. 5, Op.Cit.p.410.

⁽⁶⁰⁵⁾ Ibid, No. 68, Mar 27, 1889, No, 80, Apr 5, 1889, Sir. H. D. Wolff to F.O .pp. 64-65.

⁽⁶⁰⁶⁾ Ibid . No . 311, Nov II, 1890, Mr. Kennedy to F.O. p. 65.

السكك الحديدية من بريطانيا ، خوفاً من تواجد القوات البريطانية وتهديد نفوذها في إيران وآسيا الوسطى (607) .

ومن جراء سخط الحكومة البريطانية على الاتفاق الروسي - الإيراني الأخير، فإن الشاه، برهن على الصداقة الحميمة لبريطانيا ، من خلال ارتباطه كتابة في نهاية عام 1890، ان لا يمنح أي امتياز لإنشاء خطوط ترام في جنوب طهران ، من دون أعلام الحكومة البريطانية أولاً ، لأولويتها في حقوق إنشاء خطوط الترام في جنوب إيران ، ونتيجة للتنافس البريطاني - الروسي ، لم تنشأ سكة حديد في إيران حتى ذلك التاريخ ، ما عدا خط بلجيكي طوله ستة أميال ، فتح في تموز عام 1888 يربط طهران مع مدينة الشاه عبد العظيم (608)، مما أدى إلى حرمان إيران من السكك الحديدية على مدى عقود طوال ، في الوقت الذي كانت فيه بأمر الحاجة لها لمساحتها الشاسعة ، وبُعد معظم مدنها عن العاصمة ، ويمكن تقدير أهمية المناورات التي قامت بها روسيا ، من خلال عرقلة المشاريع التجارية بعدها أفضل سياسة تؤدي إلى الاحتفاظ بهيبتها ، لذلك كان التفوق في الصراع في مسألة السكك الحديدية إلى جانب روسيا ، وإن جاء على حساب تطوير إيران وازدهارها.

أما في المسائل التجارية الصرفة ، فقد كان نجاح بريطانيا كبيراً، ففي مطلع عام 1889، منح الشاه ، البارون "روبير" امتيازاً في إنشاء البنك الإمبراطوري الإيراني ، على أن يصرف "روبير" النظر عن حقوقه السابقة ، التي منحت له بموجب امتياز عام 1872، واحتكر البنك الإمبراطوري ، الذي هو مصلحة بريطانية ، إصدار أوراق العملة ، وبعض الحقوق المرتبطة بصناعة النقد الإيراني، بموجب امتياز مدته ستين عاماً، فضلاً عن الحقوق التي تتصل بالبحث عن المعادن خلال عشرة أعوام في إيران (609)، وحصل البنك في العام التالي ، على امتياز بشق واستغلال طريق بين طهران والاحواز ولمدة ستين عاماً أيضاً (610).

كما تمكن المواطن البريطاني الماجور "تالبوت" Major Talbot "من الحصول على امتياز التبغ في الثامن من آذار عام 1890، مع حق السيطرة الكاملة على شراء وبيع وتصدير التبغ في إيران ، وبذلك تمكن البريطانيون من السيطرة على أكبر قطاع اقتصادي في إيران ولمدة خمسين عاماً ، مقابل أن تدفع شركة تالبوت إلى الحكومة الإيرانية ، إيجارا سنوياً مقداره خمسة عشر ألف جنيه إسترليني، فضلاً عن ربع الأرباح السنوية بعد استخراج 5% منها لسد رأس مال الامتياز والبالغ 650,000 جنيه إسترليني ، ولإسكات المعارضة الروسية التي انصبت على منح

(607) R. Kumar, Op. Cit. p.216.

(608) J.G.Lorimer, Op. Cit. Vol.I. part.II. pp. 2038, 2042.

(609) I. p. D. Vol .I. Op. Cit, No. 28, Imperial Bank of Persia 1889.Sir.H.D.Wolff, Feb 2, 1889.p.67.

(610) J.G.Lorimer, Op.Cit.Vol.I . part.I . p.298.

الحكومة الإيرانية تلك الامتيازات للبريطانيين⁽⁶¹¹⁾، منحت الحكومة الإيرانية في الثالث من أيار عام 1890 الرأسمالي الروسي "بولياكوف" **Poliakoff** ، حق تأسيس بنك للقرض والرهن في طهران ، لتقديم القروض برهن لا يشمل الأموال الغير المنقولة في أنحاء إيران كافة ، وحددت مدة الامتياز بخمسة وسبعين عاماً ، وحدد رأس مال البنك بـ 600 ألف تومان فضة ، وأبدى البنك استعداداه للتعامل بالعملة الإيرانية الذهبية أو الفضية ، ومنح عملائه حق الصرف في كافة أنحاء العالم ، وحدد مدة القرض من ثلاثة إلى تسعة اشهر برهن أو بضمانة أخرى ، وبما ان الهدف الرئيسي للبنك كان توسيع نفوذ روسيا في إيران، لذلك ركز على تسليف الموالين للروس والمتعاطفين معهم قروضاً طويلة الأجل ، ولتحقيق ذلك ، منح البنك الإيرانيين حق الحصول على فوائد تزيد عن 20% من إيداعاتهم⁽⁶¹²⁾.

وعلى الرغم من حصول روسيا على بنك للقرض والرهن ، إلا ان السفارة الروسية في طهران إعتضت على منح الشاه امتياز التبغ للبريطانيين ، على أساس انه مخالف لما يتمتع به الروس من الأفضلية في منح الامتيازات ، لكن الشاه تجاهل ذلك وأعلن في آذار عام 1891 موافقته بإقامة إدارة " ريجي " **Reggie** للإشراف على أعمال استثمار التبغ في إيران ، لكن الوزير المفوض الروسي في طهران والوكلاء الروس في إيران ، أخذوا يحرضون علماء الدين بإصدار فتاوى بتحريم التبغ ، للضغط على الحكومة الإيرانية بإلغاء الامتياز ، وتحت الضغط الجماهيري الذي امتد في جميع أنحاء إيران ، اضطر الشاه في مطلع عام 1892 إلى إلغاء الامتياز ، على أن يدفع تعويض إلى شركة التبغ مقداره نصف مليون جنيه إسترليني ، مقابل ما صرفته الشركة على الأبنية والمكائن وتنقلات موظفيها في إيران ، ولتتمكن الحكومة الإيرانية من الوفاء بالتزاماتها لشركة التبغ، أعلم أمين السلطان " أف. لاسيلس " **F.Lascelles** ⁽⁶¹³⁾، الوزير المفوض البريطاني في طهران ، ان الشاه على وشك الانتهاء من توقيع عقد مع الروس بموجبه تمنح روسيا قرضاً إلى إيران ، بضمان واردات الكمارك في الموانئ الجنوبية لإيران⁽⁶¹⁴⁾، مما دفع الوزير المفوض البريطاني في طهران وتوجيهات من حكومته إلى إبلاغ الحكومة الإيرانية ، ان أي عمل قد يسلم الشاه به سلطته في الإشراف على واردات الكمارك في الموانئ

⁽⁶¹¹⁾ I.p.D.Vol.I.Op.Cit, No.72. Tobacco Corporation of Persia Sir .F. Lascelles ,Telegraphic May 3. 1892 . pp.67-99.

⁽⁶¹²⁾ علي خضير عباس المشايخي، المصدر السابق، ص221،219.

⁽⁶¹³⁾ شغل فرانك لاسيلس منصبه مبعوثاً فوق العادة ووزيراً مفوضاً في طهران، من الرابع والعشرين من تموز عام 1891 إلى التاسع من آذار عام 1894. ينظر:

J.G.Lorimer,Op.Cit.Vol.I.part.II.p2665.

⁽⁶¹⁴⁾ I .p. D .Vol.I Op. Cit, No.72. Tobacoo Corporation of Persia Sir .F.Lascelles,Telegraphic Mar 3. 1892.pp.67-69.

الجنوبية لإيران إلى دولة أجنبية , يحدّ تخلياً عن سلطاته الملكية , مما يبرّر معارضة الحكومة البريطانية, التي ستتقدم باحتجاج رسمي ضد أي إجراء من ذلك النوع⁽⁶¹⁵⁾, الأمر الذي اجبر الشاه على ان يدخل بمفاوضات مع البنك الإمبراطوري الإيراني , الخاضع للمصالح البريطانية , والتوصل إلى توقيع اتفاقية بين الجانبين , يحصل الشاه بموجبها على القرض المطلوب من البنك الإمبراطوري الإيراني⁽⁶¹⁶⁾.

وخلال هذه الحقبة أصبح نشاط الدول الأجنبية - إلى جانب بريطانيا . نشاطاً محموداً لاسيما من فرنسا وروسيا في منطقة الخليج العربي , ففي عام 1891 انتعش النشاط الفرنسي انتعاشاً كبيراً مفاجئاً , في سلطنة عمان , وكانت هناك بعض الإشارات على وجود سياسة مشتركة بين فرنسا وروسيا⁽⁶¹⁷⁾, مناهضة للمصالح البريطانية في المنطقة , وقد بدأت العلاقات الوثيقة تقوم بينهما ابتداءً من عام 1891, على الرغم ان هذا الاتجاه لم يوصف بأنه تحالف إلا بعد ثلاثة أعوام , وكان تنفيذ هذه الخطة المشتركة المفترضة بين الدولتين في منطقة الخليج العربي , عبئاً على فرنسا وحدها في بداية الأمر , ولم يزد التدخل الروسي المباشر أكثر من هذا الحد خلال تلك المدة , وكان إعفاء السفن الفرنسية من التفتيش الذي تجريه السفن الحربية البريطانية بحجة منع تجارة الرقيق , يدفع بأصحاب السفن إلى البحث المحموم عن العلم الفرنسي واستخدامه , مما أتاح لفرنسا فرصة ثمينة لتوسيع نفوذها في المنطقة⁽⁶¹⁸⁾, لذلك فكرت الحكومة البريطانية في إتخاذ الإجراءات الكفيلة , بمنع تسلل ذلك النفوذ الأجنبي المعادي إلى عمان, عن طريق جعل عمان محمية خاضعة للتاج البريطاني , لكن البيان البريطاني- الفرنسي لعام

⁽⁶¹⁵⁾ J.G.Lorimer,Op.Cit Vol.I.part.II.p. 2613.

⁽⁶¹⁶⁾ I.p.D.Vol.I.Op.Cit, No.72. Tobacco Corporation of Persia Sir .F.Lascelles, Telegraphic, Mar 3,1892.pp.67-99.

⁽⁶¹⁷⁾ تم توقيع اتفاقية روسية فرنسية في السابع والعشرين من آب عام 1891 , تحولت بعد عام إلى حلف عسكري بينهما في السابع عشر من آب عام 1892, فيه شرط ينص على, إذا هوجمت فرنسا من ألمانيا أو من إيطاليا بمساعدة ألمانيا , فان القوات الفرنسية تستخدم ضد ألمانيا , أما إذا هوجمت روسيا من ألمانيا , أو من النمسا بمساعدة ألمانيا, فان القوات الروسية تستخدم ضد ألمانيا , وتم تأكيده في كانون الثاني عام 1894, كما وضع جنرالات روسيا وفرنسا خطة حربية في الثاني من تموز عام 1900, وكذلك في الحادي والعشرين من شباط عام 1901 ضد بريطانيا بمفردها, أو ضد بريطانيا المدعومة من الحلف الثلاثي , على ان تقوم فرنسا بمهاجمة الجزر البريطانية بينما, تقوم روسيا بغزو الهند عن طريق اورينغ . طشقند. للمزيد من التفاصيل عن الفرنسي. ينظر : الحلف الروسي

H.Seton-Watson,Op.Cit.pp.179-184 .

⁽⁶¹⁸⁾ J.G .Lorimer, Op.Cit.Vol.I.part.I.p.300.

1862⁽⁶¹⁹⁾، كان يمنعها من اتخاذ تلك الخطوة ، وبدلاً من ذلك أعدت الحكومة البريطانية في العشرين من آذار عام 1891 اتفاقية وقعها سلطان عمان ، تنص على ان لا يسمح هو ولا من يخلفه بأية امتيازات في أرضه لأية دولة من الدول الأجنبية عدا بريطانيا⁽⁶²⁰⁾، ولا تتطوي الاتفاقية على مبدأ الحماية الرسمية ، لأنها لا تلغي المعاهدات المعقودة مع الدول الأخرى ، لاسيما ان فرنسا ظفرت بعقد معاهدة تجارية في عام 1844 تمنحها الامتيازات التجارية والقضائية نفسها ، التي نصت عليها معاهدة عام 1839 مع بريطانيا ، غير ان كيرزن عدّ اتفاقية عام 1891 خطوة لوضع عمان تحت الحماية البريطانية ، فصّرح في عام 1892 أن بريطانيا تعطي إمام مسقط راتبه السنوي وتملي عليه سياسته الخارجية ، لذلك فان أي تدخل أجنبي في شؤون مسقط يعدّ موجهاً ضد بريطانيا⁽⁶²¹⁾.

ولم يكتف "كيرزن" بذلك ، بل نشر في العام نفسه كتاباً بعنوان " إيران والمشكلة الإيرانية" شرح فيه آراءه في موضوع الخليج العربي ، وموقف بريطانيا من تسلل النفوذ الروسي هناك : " ان عمليات مسح الأنهار والقنوات والسواحل التي سهلت الملاحة لسفن العالم كله ، قد اضطلع بها ضباط البحرية الهندية ، ثم انتقلت هذه الخرائط ، من دون إقرار بفضل واضعيها ، إلى ملكية دول أخرى تمخر سفنها الآن عباب هذه البحار ، ان هذه الحثيثيات التي ألفت إليها نظراً خاصاً ، لاعتقادي أنها لا تحظى بالمعرفة اللازمة حتى في بريطانيا نفسها ، وضرورة إدراكها لفهم موقف بريطانيا من موضوع الإشراف على الخليج العربي ، ولمقاومتها لاحتمالات تسلل دولة عدوة إلى مياهه ، بعد ان أنفقت بريطانيا لتأمين الملاحة فيها الكثير من الدم والمال"⁽⁶²²⁾، ويدعي "كيرزن": " أن كل ادعاء تقدمه روسيا لتبرير سيطرتها المطلقة على بحر قزوين ، تستطيع بريطانيا ان تقدم مقابله عشر حجج بدل كل حجة لتبرير سيطرتها على الخليج العربي ، فقد ضاعت حياة مئات البريطانيين ، وأنفقت ملايين من أموالهم لحفظ السلم في تلك المياه المضطربة ، وحيث تمكنت روسيا في الشمال ان ترهب حفئات من اللصوص ، دمرت بريطانيا في الجنوب تجمعات أسطول كامل كان يستخدم في [القرصنة] ... ومع ذلك فان بريطانيا لا تتبجح بمثل المزاعم ، التي أعلنتها روسيا في حادثة بحيرة الشمال ، أنها لا تجعل

⁽⁶¹⁹⁾ وقعت بريطانيا وفرنسا في عام 1862 بياناً مشتركاً ، تلتزمان فيه باحترام استقلال سلطنتي عمان وزنجبار . للمزيد من التفاصيل . ينظر :

A.T.Wilson, Op. Cit pp. 231-235.

⁽⁶²⁰⁾ R.E.P.D., Vol. 5, Op.Cit. Memorandum, A. H. Oakes, F.O.3.Aug.1901, pp.9-16; J.G.Lorimer, Op. Cit.Vol.II, part.I, p.302.

⁽⁶²¹⁾ صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، ص 149-151.

⁽⁶²²⁾ Quoted in: G.N. Curzon, Persia and the Persian , Vol.II, p.464.

الخليج بحراً موصداً ، ثم هي أيضا لا تملي أية معاهدات مذلة على أتباعها...غير أن بريطانيا أخيراً تدعي لنفسها في مقابل التضحيات التي قدمتها ، ورأس المال الذي أنفقته ، ومن أجل السلام الذي تقوم على حمايته ، تدعي ان لا تسمح لنفوذ سياسي معادٍ لها ان يظهر قسماً وجهه الكريه هناك" ، ويضيف "أن وجود ميناء روسي في الخليج ، ذلك الحلم العزيز لكثير من الغيارى الوطنيين من سكان حوض النافا أو الفولغا ، لا ريب يتمكن ان يجلب إلى هذه المنطقة ، حتى في أوقات السلم ، عنصراً من الاضطراب يؤدي إلى أخلال التوازن الدقيق الذي قام على جهود مضنية ، كما انه يؤدي إلى تدمير تجارة تقدر بمئات الملايين من الجنيهات ، كما سيترك الحبل على الغارب للقوميات المتنازعة لتطبق كلاً على رقبة الأخرى ، ألا فلتنتقل بريطانيا وروسيا معركتهما أو تسويا صراعهما في مكان آخر ، ولا يغرسا الفوضى في منطقة أمنة ذات تجارة تحققت بشق الأنفس ، أنني أرى ان أي امتياز تحصل عليه روسيا من أي من دول الخليج ، لتقيم لها ميناءً عليه إهانة مقصودة لبريطانيا العظمى ، وإخلالاً طائشاً بحالة الأمر الواقع وتحريضاً صارخاً لقيام حرب دولية ، كذلك فاني اتهم أي وزير بريطاني ، الذي يستسلم لذلك الخذلان ويرضخ بأنه مذنب وخائن لوطنه"⁽⁶²³⁾.

لقد كان قلق "كيرزن" وحرصه الشديد على المصالح البريطانية ، من الأطماع الروسية في الخليج العربي سابق لأوانه ، لعدم وجود أشارات واضحة تؤكد على قيام أية نشاطات روسية في تلك المدة في منطقة الخليج العربي ، وكان مجرد ظهور أي شخص روسي أو سفينة روسية ، يكفي ليثير قلق بريطانيا من الأطماع الروسية في منطقة الخليج العربي .

كان بمثابة فاتحة لفصل جديد في العلاقات بين روسيا والخليج العربي ، الدخول العرضي للطراد الروسي "نجني نوفكوروود" "Nijni Novgorod" في أيلول عام 1893 إلى مسقط ، على الرغم من ان الطراد كان موجود في قوام ما يسمى بالأسطول الطوعي ، الذي كان يقوم برحلات تجارية لنقل البضائع والركاب من الموانئ الروسية الغربية إلى الشرق الأقصى ، فقد اضطر بسبب سوء الأحوال الجوية للانحراف عن خط سيره والانتظار في ميناء مسقط ، ريثما يتحسن الطقس ، وقد استقبل سلطان مسقط الضباط الروس بالحفاوة ، ويبدو ان مدة زيارة الطراد الروسي قد تزامنت بمحض الصدفة ، مع عودة النزاع البريطاني . الفرنسي بشأن مسقط ، وقد عدت هذه الحادثة العرضية في الأوساط البريطانية - الهندية بمثابة تظاهرة سياسية ضمن إطار الوفاق الروسي الفرنسي⁽⁶²⁴⁾ ، لاسيما ان هناك دلائل تشير إلى ذلك الوفاق ، بتشجيع مجلس النواب الفرنسي في عام 1893 الحكومة بفتح قنصلية لها في مسقط ، للتوسع في استخدام العلم

⁽⁶²³⁾Quoted in : Ibid.,pp.464-465.

⁽⁶²⁴⁾ A.T.Wilson,Op.Cit.p. 238 ;

المصدر السابق ، ص 418؛ بدر الدين عباس الخصوصي ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث ف . لوتسكي ، والمعاصر ، ج 2 ، الكويت ط 1988 ، ص 160؛ ي.ريزفان، المصدر السابق ص 8 ويشير ريزفان سهواً إلى ان زيارة الطراد لمسقط كان في عام 1883.

الفرنسي ، والتعاون مع سياسة روسيا في منطقة الخليج العربي . وقيام رحالة روسي في العام نفسه بزيارة لمسقط ، ويبدو ان روسيا اقتصعت بأنها لا تستطيع ان تقيم لها مصالح مزدهرة في مسقط ، ومن ثم تركت لحليفها فرنسا ، أن تمارس نشاطها السياسي هناك بتأييد منها.(625)

(625) J.G.Lorimer, Op.Cit.Vol.I.part.1.pp. 301,351.

مطالبة روسيا بقاعدة بحرية في الخليج العربي 1895-1900

كان لفرنسا خططها الخاصة غير المرتبطة بسياسة روسيا في منطقة الخليج العربي، لاسيما على ساحل عمان ما بين مسقط ورأس الحد، بهدف إنشاء محمية لها هناك، وإنها كانت تبحث عن موقع يصلح مخزناً بحرياً لتزويد سفنها، التي ترتاد منطقة الخليج العربي بالفحم⁽⁶²⁶⁾، فعدت مسقط ميداناً للصراع البريطاني الفرنسي، وكان يؤدي العمل المهم فيه "أوتافي" "Ottavi" نائب القنصل الفرنسي في مسقط⁽⁶²⁷⁾، منذ تأسيس القنصلية الفرنسية في عام 1894 هناك، وقد حاول أوتافي أن يستغل موهبته في إجادته اللغة العربية، وتجوّله بالزى العربي في عمان وتمكنه من كسب ثقة العديد من الشيوخ فيها، لتوظيفها لأمر سياسي، فقد نجح في ترسيخ المشاعر العدائية تجاه بريطانيا، لدى فيصل بن تركي سلطان مسقط (1888 - 1913)، في الوقت الذي كان يبذل فيه جهداً لإقناع فيصل بمنح فرنسا محطة للفحم في مملكاته، على الرغم من قلة المصالح الفرنسية فيها، وتم الإعلان في صحيفة "دي ديبا" الفرنسية "des Debats" في تشرين الثاني عام 1898 "أن فرنسا حصلت على محطة للفحم في بندر جصة، الذي يبعد خمسة أميال جنوب شرق مسقط، وأن أهميته تكمن في إمكانية تحويله إلى قاعدة بحرية، وأنه من المؤكد أن السلطان يفكر في تعزيز مكانته من خلال التنافس البريطاني الفرنسي"، لم تأخذ السلطات البريطانية ذلك على محمل الجد، لأنه حتى الوكالة السياسية البريطانية في مسقط، لم تكن تعلم شيئاً عن تلك الصفقة، وحينما استفسر السفير البريطاني في باريس من "ديلكاسيه" "Déclassé" وزير الخارجية الفرنسي، عن صحة الأنباء التي وردت في تلك الصحيفة، أنكر علمه بوجود أي شيء مما ورد فيها⁽⁶²⁸⁾.

أما النشاط الروسي في منطقة الخليج العربي فكان ما يزال نشاطاً تجريبياً، وظهر أول دليل على اهتمام روسيا الإستراتيجي بالمضائق الموصلة إلى مدخل الخليج العربي، بزيارة ضابط مهندس روسي لجزيرة هرمز عن طريق كرمان وبندرعباس في ربيع عام 1895، وقام خلال بقاءه لمدة يومين فيها، بمسح شامل للجزيرة، وصرّح قبل عودته أن روسيا ستقيم مخزناً للفحم فيها، لسفنها التي من المزمع وصولها إلى الخليج العربي⁽⁶²⁹⁾، وقد هيا انتشار مرض الطاعون الدملي في العام التالي في الهند، حجة تذرعت بها روسيا للوصول إلى الخليج العربي ومناطق أخرى

(626) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1. Part. 1. pp. 338 – 339.

(627) افتتح بي. أوتافي الوكالة القنصلية في مسقط، في الثامن من تشرين الثاني عام 1894 وتولى القيام بها،

Ibid. Part. 11. حتى السادس من تموز عام 1901. ينظر:

p. 2693.

(628) Quoted in: L- Frazer, India Under Curzon and After, London 1911. pp. 86 - 87.

(629) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1. Part. 1. p. 310.

من إيران ، لمعارضة النفوذ البريطاني هناك ، فأرسلت في عام 1897 طبيبان روسيان هما "أوست" "Ost" ومير "Mare" أو "مارك" ، وكان الأخير يشغل منصب طبيب البعثة الدبلوماسية الروسية في طهران ، لدراسة مرض الطاعون في بوشهر ، على الرغم من أن الوباء لم ينتشر فيها ، إلا بعد مرور عامين من وصولهما ، ولحق بهما في العام التالي طبيبان روسيان آخران ، هما "رودزيفيتش" "Rodzewitz" و "كورنوفسكي" "Kornajewski" ، ثم لحق بهما طبيب خامس هو "باشوفسكي" "Paschkowski" الذي كان قد اتخذ من بوشهر مقراً له خلال عامي 1898 و 1899 ، وقام بنشاط طبي كبير حينما انتشرت موجة خفيفة من الطاعون هناك ، ومن الحقائق المهمة المرتبطة بتخطيط روسيا لنشاطها في مدخل الخليج العربي ، إن كل هؤلاء الأطباء قاموا بزيارة بندر عباس وبوشهر ، كما قام "رودزيفيتش" و "كورنوفسكي" بزيارة البصرة ، وقد أثارت الاحتياطات الطبية ضد إنتشار مرض الطاعون في منطقة الخليج العربي رغبة الحكومة البريطانية ، إذ إن قصر المدة وقلة انتشار المرض في بوشهر⁽⁶³⁰⁾ ، وقيام الأطباء الروس بمعالجة السكان المحليين مجاناً ، قد رجح أن لهذه البعثة الروسية عمل آخر تؤديه وهو إيجاد موطئ قدم لروسيا في الخليج العربي⁽⁶³¹⁾.

ولتفويت الفرصة على وجود الأطباء الروس في موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي ، استغلت بريطانيا رغبة الحكومة الإيرانية ، حينما ظهر مرض الطاعون في الهند ، في اتخاذ الإجراءات الصحية في موانئها ، وعدم تمكّنها من فتح مراكز الحجر الصحي لوجود عدد من المصاعب منها: عدم توافر الأموال الكافية ، وعدم وجود أطباء فائضين من بين الإيرانيين ، وأن استدعاء أطباء أجانب من شأنه أن يكلف ثمناً مرتفعاً جداً ، فاقترحت على الحكومة الإيرانية إقامة مراكز الحجر الصحي على حسابها⁽⁶³²⁾ ، وحينما حصلت بريطانيا على الموافقة أسرع بفتح المراكز الطبية في بندر عباس و لنجة و المحمرة ، ولما كان في بوشهر ، من قبل ، مسؤول صحي مرخص ، فقد عهد إليه بإدارة الحجر الصحي في تلك المنطقة ، إلى جانب الإشراف على غيرها من الإجراءات الصحية ، التي تتخذ على الساحل الشرقي للخليج العربي ، أثارت البعثة الطبية البريطانية في بوشهر في عام 1899 بعض القلق لدى الأهالي ، وقد رفض سلطان عمان وشيخ البحرين في بداية الأمر عرض المساعدات الصحية من الحكومة البريطانية ، وحاولا أن يقيما مراكز حجر صحي خاصة بهما⁽⁶³³⁾ ، فأصبحت إدارة الحجر الصحي بأيدي البريطانيين ، وكان

(630) J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 310..

(631) ي. ريزفان، المصدر السابق ، ص 9 .

(632) وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي (الروسي) ، وسيرمز له بـ (و.أ.د.م.س.ب.ح.) ،

من تقرير قائد سفينة خفر السواحل ، " غيلياك " المقدم البحري "أندرينيوس" ، عن زيارة موانئ الخليج العربي (في عام 1900) ، الملف رقم 417 ، القائمة 1 ، الإضبارة رقم 2037 ، الناشر ، ي. ريزفان ، المصدر السابق ، ص 55. وسيشار له في الصفحات التالية ، بـ من تقرير قائد سفينة خفر السواحل " غيلياك " .

(633) J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 317.

طبيب الحجر الصحي ، الذي هو في الوقت نفسه طبيب الحامية البريطانية في موانئ الخليج العربي، يقصد السفينة للقيام بكشف دقيق على طاقمها ، وبعد ذلك يعطي براءة الحجر الصحي لمواصلة الملاحة في الخليج العربي⁽⁶³⁴⁾.

لقد دخل النفوذ الروسي في سياسات الخليج العربي عنصراً جديداً ، حينما عينت روسيا في عام 1898، ضابطاً كفاً يدعى " كروجلوف " Krougloff "قنصلاً روسياً في بغداد⁽⁶³⁵⁾، وكان ذلك مرتبطاً بخطة لإقامة ميناء روسي في الخليج العربي ، إذ طلبت روسيا من قنصلها الجديد في بغداد تقريراً عنه⁽⁶³⁶⁾، وتقدم الكونت " فلاديمير . أي . كابنست " Count Vladimir . . Kapnist " I ابن أخ السفير الروسي في فينا ، - الذي كان يحظى بدعم كبير من البلاط الروسي - بطلب في العام نفسه إلى الباب العالي، للحصول على امتياز مد سكة حديد من طرابلس في البحر المتوسط إلى الخليج العربي، على أن يكون لها فرعان يرتبطان ببغداد وخانقين ، إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني (1876.1909) لم يؤيد المشروع لخوفه من توسع النفوذ الروسي في بلاده ، وكان يشجعه في رأيه هذا ، سفيراً كل من بريطانيا وألمانيا في اسطنبول ، كما أن المشروع واجه معارضة " الكونت فيته " Count Witte "وزير المالية الروسي ، الذي كان يرى أن استثمار رؤوس الأموال في روسيا أفضل من استثمارها في الخارج ، مما أدى إلى إخفاق المشروع⁽⁶³⁷⁾.

وقد بدأت مدة حرجة من تاريخ الخليج العربي في عام 1899 واكبت تقريبا نيابة لورد كيرزن " للملك في الهند ، ومدته حاكماً عاماً للهند ، إذ استمر في المنصبين حتى اواخر عام 1905، ماعدا مدة انقطاع دامت أربعة أشهر في عام 1904، فزادت كل من روسيا وفرنسا

(634) (و.أ.د.م.س.ب.ح.)، بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ ، بشأن الرحلة

الأولى إلى الخليج العربي ، التي قامت بها السفينة "كورنيلوف" من 3 شباط (فبراير) إلى أيار (مايو) 1901، الملف رقم 417، القائمة 1، الإضبارة 2548، الناشر ي. ريزفان ، المصدر السابق ، ص 65. وسيشار له في الصفحات التالية ، ب بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ.

(635) تولى كروجلوف الإشراف على القنصلية الروسية في بغداد ، من الثالث من آذار عام 1898 إلى الحادي عشر من مايس عام 1901، ورفع تمثيل القنصلية في عام 1901 إلى قنصلية عامة فاستمر كروجلوف بالإشراف عليها ، إلى الحادي والثلاثين من آذار عام 1902، ثم قام بالإشراف عليها كل من ، و . من الأول من نيسان عام 1902 إلى الثامن والعشرين من شباط عام 1903، W. de Nauphal . نوفل من الأول من آذار عام 1903 إلى السابع عشر من مايس عام 1904، ثم ف. ماشكو Adamoff وأداموف في الثامن عشر من مايس عام 1904. ينظر: V. Maschkow

J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1 . Part. II . pp . 2695-6296.

(636) Ibid. Part. 1. pp . 309-310.

(637) E. M. Earle, Op. Cit . pp . 58-59.

وألمانيا ، من نشاطها الذي كان قد بدأ يشتد خلال الأعوام السابقة ، وأفاد من ارتباطك الدبلوماسية البريطانية ، وحروب بريطانيا المتعثرة 1899-1902⁽⁶³⁸⁾ في جنوب أفريقيا⁽⁶³⁹⁾.

شرح "كيرزن" حال توليه منصبه الجديد في الهند ، بمعالجة مشروع "كابنست" الروسي ، فبعد أن دارت إشاعات في عام 1898 ، بمد خط حديدي من سواحل البحر المتوسط إلى الخليج العربي، خشي "كيرزن" من أن تكون الكويت نهاية للخط ، مما يشكل خطراً جسيماً على المصالح البريطانية في الخليج العربي ، فتم إرسال المقيم البريطاني من بوشهر إلى الكويت ، الذي وقّع في الثالث والعشرين من كانون الثاني عام 1899 اتفاقاً مع الشيخ مبارك (1896-1915) ، يلزمه أن لا يتنازل عن أية أراضي من أراضي من دون موافقة بريطانيا على ذلك⁽⁶⁴⁰⁾.

ومن جانب آخر ، حينما تأكد كيرزن أن فيصل بن تركي سلطان مسقط قد منح بندر جصة إلى فرنسا ، اتخذ موقفاً متشدداً من الموضوع ، وأمر "الأدميرال دوكلاس" "Admiral Douglas" "أن يتوجه بالسفينة الحربية" "إيكليبس" "H. M. S. Eclipse" التابعة للأسطول الهندي ، إلى مسقط ، لدعم موقف الكولونيل ميد Col-Meade المقيم البريطاني في الخليج العربي ، الذي كان يفاوض سلطان مسقط ، منذ بداية شباط عام 1899 ، لإقناع السلطان بسحب الامتياز الذي منحه للفرنسيين ، وحينما وجد دوكلاس بأنه مصراً على موقفه بعدم الاستجابة لطلب المقيم البريطاني ، هدد السلطان "وبكلمة واحدة" بأن يتراجع عن منح الامتياز للفرنسيين ، وأن يلبي الأوامر والاتفاقيات مع بريطانيا ، وألا فإنه سيُدمر قصره الذي كان بالقرب من الساحل ، فأذعن السلطان للأوامر البريطانية المفروضة عليه⁽⁶⁴¹⁾ ، وألغى الامتياز الممنوح للفرنسيين في السادس عشر من شباط من العام نفسه ، فأعيدت العلاقات بين بريطانيا ومسقط⁽⁶⁴²⁾ ، وانتهت بذلك قصة

⁽⁶³⁸⁾ وقد حدثت الحرب بين بريطانيا وبين شعب البوير ، بشأن مقاطعة الترانسفال في جنوب أفريقيا ، التي تم اكتشاف مناجم من الذهب فيها ، حقق البوير في بداية الحرب انتصارات باهرة ، لكن أدى تدفق التعزيزات البريطانية إلى انتصار بريطانيا على البوير وفرضت في أيار عام 1902 شروطها عليهم. ينظر:

D. C. Somervill, *Modern Britain 1870-1909*. London 1944. pp . 47-55.

⁽⁶³⁹⁾ J.G. Lorimer, *Op. Cit.* Vol. 1 . Part. 1. pp . 319-320.

⁽⁶⁴⁰⁾ The Affairs of Kuwait, Vol. I. Edited by: Dr. Robin Bidwell, London 1971, Lieut-Col Meade to Gov of India, Jan 30, 1899, pp . 49-51.

وللمزيد من التفاصيل ينظر: حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، عصر الشيخ مبارك (1896-1915)، بيروت (د. ت.)، ص 128-129؛ عبد المجيد عبد الحميد العاني، السياسة البريطانية تجاه الكويت 1896-1915، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد، 1984، ملحق رقم (1) يتضمن نص المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية.

⁽⁶⁴¹⁾ L-Frazer, *Op. Cit.* pp . 87-88.

⁽⁶⁴²⁾ A. T. Wilson, *Op. Cit.* p. 240;

ف.لوتسكي ، المصدر السابق ، ص418.

التنازل عن بندر جصة لفرنسا ، وقد برّرت الحكومة البريطانية الإجراءات السريعة التي تمت بهذا الصدد إلى الحكومة الفرنسية ، في إبرامها معاهدة عام 1891 مع سلطان مسقط ، الذي تعهد أن لا يسمح ولا يعطي أي جزء من بلاده لأية قوة أجنبية ، وأن التنازل عن بندر جصة يعدّ مخالفة صريحة لهذا التعهد ، وأن ديلكاسيه وزير الخارجية الفرنسي تفوه بكلام غريب في المجلس الفرنسي حينما قال: "إن فرنسا لم ترغب في الحصول على مرفأً أبداً ، وأن التهديد بقصف مسقط ، هو ناتج عن التصرف التلقائي والغير مدروس للوكلاء المحليين" ⁽⁶⁴³⁾، وسويت المسألة في عام 1900 بقبول فرنسا لعرض بريطانيا بأخذ نصف المكان الذي يشغله من قبل مستودع الفحم البريطاني في مسقط ⁽⁶⁴⁴⁾.

وعلى الرغم من أن "كيرزن" تصرف في مشكلة مسقط مع فرنسا بسرعة شديدة ، فإن أهداف روسيا أقل سهولة في مجابتهها "لأنها أكثر مراوغة واحتياطاً" ⁽⁶⁴⁵⁾، وكانت أهداف السياسة الروسية هي خلق قاعدة بحرية لها في الخليج العربي، ومد سكة حديد من خلال إيران لنقل المعدات واللوازم العسكرية من روسيا ، لتعزيز مثل تلك القاعدة ، وكانت الامتيازات التي ستحققها لو حصلت على قاعدة قوية في المنطقة واضحة تماماً ، ففضلاً عن تعزيز نفوذها وفتح معبر لها إلى محيط جديد ، فإن ذلك كله سيسفر عن مدّ وتقوية نفوذها في منطقة الخليج العربي وإيران ، وزيادة قدرتها العسكرية ضد الإمبراطورية البريطانية في الشرق ، وكانت خطتها جريئة وجديدة تماماً ، خطة تمضي لتحقيق أهداف أبعد مما خطر ببال الروس من قبل في تاريخ روسيا كله ، وبدا أن الفرصة مناسبة لتنفيذ الخطة ، فقد كان وضع روسيا في منشوريا الصينية مأمناً ، وكانت بريطانيا في الوقت نفسه منهكة في حرب جنوب أفريقيا ، مما شدّ من عزيمة دعاة سياسة التقدم الروسي باتجاه منطقة الخليج العربي وإيران، وأعطاهم حججاً قوية للدعوة إلى سرعة العمل وانتهاز الفرصة ⁽⁶⁴⁶⁾.

وقد وصلت إلى الحكومة البريطانية في عام 1899 إنذارات بالخطر المحدق ببريطانيا من مصادر متنوعة ، وكان "مورتيمر دوراند" Mortimer Durand "الوزير المفوض البريطاني في طهران ، الذي سبق له أن شغل عدة وظائف مهمة في القسم الخارجي بحكومة الهند ، ومن خلال تفحصه لمركز بريطانيا في إيران ، بعث بمذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية في الثاني عشر من شباط عام 1899، أكد فيها أنه وجد ظاهرة تزايد النفوذ الروسي في إيران على حساب النفوذ البريطاني، إذ قامت روسيا منذ نهاية القرن التاسع عشر بإنشاء سكك حديد إستراتيجية خارج حدودها، وإعادة بناء الطريق من رشت إلى طهران الذي منحها تفوقاً اقتصادياً وعسكرياً ، ويعّد "دوراند" ظهور الوكلاء الروس من المسائل الأكثر خطورة في مناطق الساحل الشرقي

⁽⁶⁴³⁾ Quoted in: L. Frazer, Op. Cit. p. 88.

⁽⁶⁴⁴⁾ A. T. Wilson, Op. Cit. p. 240.

⁽⁶⁴⁵⁾ Quoted in: L. Frazer, Op. Cit. pp . 88-89, 91.

⁽⁶⁴⁶⁾ J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1. Part. 1 . p. 326.

للخليج العربي ، إذ يقومون بمسح الموانئ وإقامة علاقات مع الموظفين المحليين ، وعدّ الدخول إلى الخليج العربي العامل الأساس في سياسة روسيا ، ومن خلال تفحص " دوراند " لموقع بريطانيا في إيران ، أكد ضرورة اتخاذ سياسة بريطانية فعّالة في إيران ، إذ من خلال تفوق بريطانيا البحري في الخليج العربي ، فإنها تمتلك محور الضغط على حكام إيران ، الذين كانوا حساسين جداً منه ، لذلك فإن تحذيرهم بأن أي اعتداء روسي على شمال إيران سوف ينتج عنه حركات تعويضية من بريطانيا في الجنوب ، سوف ترسخ الموقف ، مؤكداً أن مثل هذا الإعلان لن يجرح طهران ، بل سوف يقوي موقفها في رفض أية طلبات روسية في الأقاليم الشمالية ، التي يجب على روسيا احترامها⁽⁶⁴⁷⁾.

وحيثما عرضت مذكرة " دوراند " على حكومة الهند وصفها " كيرزن " بأنها تعدّ التحليل الأكثر شمولاً في تحليل النص التاريخي لمركز بريطانيا في إيران في نهاية القرن " وأوضح " كيرزن " - في رده على مذكرة " دوراند " لتقويم النفوذ الذي تمارسه كل من بريطانيا وروسيا في الخليج العربي وإيران - أن روسيا استقرت في شمال إيران ، بينما تكمن قوة بريطانيا في سيطرتها البحرية على الخليج العربي ، الذي غدا بسبب موقعه الإستراتيجي ، بحراً مفتوحاً لكل الأمم ، ولكن الوضع الواقعي له مختلف تماماً ، فالخليج العربي تحت حماية بريطانية ويجب أن تملكه بريطانيا ، وأن القاعدة البحرية الروسية فيه ستفرض عبءاً يلحق الشلل بموارد الهند⁽⁶⁴⁸⁾.

ونشرت صحيفة " سيرفت " " Servet " في آذار عام 1899 في اسطنبول ، أن روسيا في طريقها لأن تسبق بريطانيا وتسيطر على جزيرة قشم ، لمجابهة النفوذ البريطاني في الخليج العربي ، مما حمل كيرزن إلى إيفاد بعثة لفحص موقع الجزيرة⁽⁶⁴⁹⁾ ، وحيثما ظهر في مياه الخليج العربي في ربيع العام نفسه ، الطراد الألماني " أركونا " " Arcona " ، أثار ذلك اضطراباً شديداً في نفوس ممثلي بريطانيا في الخليج العربي ، لظنهم في بداية الأمر ، أنه سفينة حربية روسية ، وإذ علم المبعوث الروسي في طهران بذلك ، راح يوصي حكومته بكل إلحاح بإرسال سفينة حربية روسية إلى الخليج العربي ، وبعد مراسلات طويلة نسبياً تمت الموافقة في العام التالي ، على إرسال سفينة واطئة المتن إلى الخليج العربي⁽⁶⁵⁰⁾.

وظهر أول دليل على اهتمام روسيا بشؤون عريستان في الجنوب الإيراني ، بزيارة " الأمير دابيجا " " Prince Dabija " القنصل الروسي العام في أصفهان في حزيران عام 1899 للمحمرة ، واعتقدت السلطات البريطانية أنه بذل مساعي جادة لاستمالة شيخ المحمرة إليه ، للحصول على مصالح لروسيا في إمارته ، وأبلغه أن روسيا ستقيم لها ميناءً في الخليج العربي ، وتدخل في منافسة مع بريطانيا في ذلك الجزء من العالم ، وتحدث تقرير الوزير المفوض البريطاني في

⁽⁶⁴⁷⁾ Quoted in: R- Kumar, Op. Cit. pp . 217-218.

⁽⁶⁴⁸⁾ Ibid.

⁽⁶⁴⁹⁾ J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp . 326-327 ; B. C. Busch, Britain and the P. Gulf 1894-1914, Los Angles, 1967, p. 121.

⁽⁶⁵⁰⁾ ي. ريزقان، المصدر السابق، ص9.

طهران في الشهر نفسه ، عن وجود أسباب تدعو للظن أن روسيا قد حصلت على بعض الإمتيازات ، بشأن خطتها لإقامة ميناء في الخليج العربي ، لكنها لا تجد الوقت مناسباً لاستخدامها فور الحصول عليها ، وأبلغ وزير الخارجية العثماني في تشرين الأول من العام نفسه السفير البريطاني في اسطنبول ، أنه واثق من أن مفاوضات تدور بين الحكومتين الروسية والإيرانية ، بشأن حصول روسيا على ميناء في الخليج العربي ، يصبح نهاية لخط حديدي روسي- إيراني ، بل هو واثق أيضاً أن الحكومتين قد تفاهمتا بشأن الموضوع⁽⁶⁵¹⁾.

وظهرت في الوقت نفسه تقريباً مقالة مهمة في صحيفة "فيدومستي" "Viedomosti" ⁽⁶⁵²⁾ التي تصدر في بطرسبورغ ، بقلم "الأمير أختومسكي" "Prince Ukhtomski" ، تطالب صراحة بالحصول على ميناء بندرعباس ، فضلاً عن جزر قشم وهنجام ولارك وهرمز ، وأن بندر عباس يجب أن يكون نهاية لخط حديدي من روسيا عبر إيران ، وأشار كاتب المقال بشكل خاص إلى المزايا الكامنة في مرسى ممتاز غير معروف خارج لافت Laft على جزيرة قشم ، مما يكشف عن أن المقال كان يستند إلى معلومات محلية جيدة ، وأنكرت الحكومة الإيرانية وجود أية مفاوضات بينها وبين الحكومة الروسية ، بشأن موضوع ميناء في الخليج العربي⁽⁶⁵³⁾ ، استمرت التقارير التي ترد إلى الحكومة البريطانية عن النشاط الروسي بصورة أكثر تشاؤماً من قبل ، فقد حثت الصحافة الروسية الحكومة القيصريّة لاستغلال صعوبات بريطانيا في جنوب أفريقيا للحصول على قاعدة في الخليج العربي ، فقد أشارت صحيفة "بطرسبورغ" "St.Petersburg" في الرابع من شباط عام 1900 ، إلى انتصار الدبلوماسية الروسية ونضالها في إيران ، وتؤكد "لقد حطمت سياستنا مقاومة بريطانيا في شرق آسيا ، وإننا لو استطعنا فقط ، امتلاك مبادرة كافية ، فمن المؤكد لنا اكتساب ميناء في الخليج العربي ، سيثير الكثير من المشاكل لبريطانيا" وغدت حكومة الهند في حالة إنذار ، حينما علمت في السابع من شباط عام 1900 أن السفينة الحربية الروسية "غيلياك" "Gilyak" ، أبحرت باتجاه الخليج العربي⁽⁶⁵⁴⁾.

إن استعراض زيارات السفن الروسية تتيح إعطاء صورة عن الطموحات الروسية ، التي امتدت بين عامي 1900. 1903 ، وان ظهور السفن الروسية في مياه الخليج العربي الدافئة ، يشير إلى أن روسيا قد حققت جزءاً من السياسة التي خطط لها بطرس الكبير في الربع الأول من القرن

(651) J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp . 327, 363; Part . II. p.1756.

(2) أول ما ظهرت في موسكو في الثاني من شباط عام 1703 (في عهد بطرس الكبير). ينظر :

A.G. Mazour, Op.Cit. p.932.

(3) J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1 . Part. 1. p. 327; L-Frazer, Op. Cit. p. 91.

(654) Quoted in: R. Kumar, Op. Cit .pp . 323-324.

الثامن عشر ، على الرغم من أنها لم تستطع من تحقيق هدفها في إيجاد قاعدة دائمة لها ، لتزويد سفنها التي تترتد الخليج العربي بالوقود ، الذي كانت بريطانيا تعدّه بحراً مغلقاً يقع في دائرة نفوذها فقط ، ولا تسمح لروسيا أو لغيرها من الدول الأخرى أن تشاركها السيادة فيه.

إن اهتمام الدبلوماسيين والساسة الروس بالخليج العربي نشأ - بادئ الأمر - بفعل تغلغل روسيا الناجح في إيران عند تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين ، وتصادم المصالح الاستعمارية البريطانية والروسية في هذه المنطقة ، وقد أدت هزائم بريطانيا في المرحلة الأولى من حرب البوير ، إلى إصابة مواقعها السياسية الخارجية بضعف شديد في الشرق ، الأمر الذي حاول خصوم بريطانيا الإفادة منه ، كما أدى دوراً معيناً في اهتمام الساسة الروس بهذه المنطقة ، كون المشيخات العربية في الساحل الغربي للخليج العربي ، موجودة من الناحية الشكلية ضمن أراضي الخصم التقليدي لروسيا القيصريّة في منطقة الشرق ، الدولة العثمانية ، وكانت الخطط الألمانية لمد خط سكة حديد بغداد ، الذي كان ينبغي له اجتياز أراضي الدولة العثمانية وربط البحر المتوسط بالخليج العربي ، تناقض المصالح الاقتصادية والعسكرية والسياسية البريطانية والروسية على السواء ، وهذا أيضاً كان يحفز اهتمام روسيا بالخليج العربي ، لاسيما بالكويت بعدّها المحطة النهائية المحتملة لهذا الخط ، وكانت إحدى الوسائل الأساسية للسياسة الروسية في الخليج العربي إرسال سفن حربية إلى هناك⁽⁶⁵⁵⁾ ، فكانت السفينة الحربية " غيلياك " أول السفن الروسية ، التي أبحرت في الخليج العربي لأهداف سياسية وتحديداً للهيمنة البريطانية فيه.

المناورات البحرية الروسية في الخليج العربي 1900-1901.

(655) ي. ريزفان، المصدر السابق ، ص6.

كان بندرعباس أول ميناء في الخليج العربي ، دخلته السفينة الحربية الروسية "غيلياك" ، في الثاني من شباط (15 شباط) ⁽⁶⁵⁶⁾ عام 1900 ، وقد أبلغ "أندرينيوس" قائد السفينة في اليوم نفسه ، حاكم بندرعباس ، أنه جاء بناءً على أوامر الحكومة الروسية للقيام بزيارة مجاملة ، وبما أن احتياطي الوقود للسفينة لا يكفي للتجول بموانئ الخليج العربي ، فسوف تصل إلى هنا قريباً السفينة "وادن" "Waddon" محملة بـ 300 طن من الفحم ، سيتم أخذ جزءاً منه إلى "غيلياك" ، أما الجزء الباقي فقد طلب "أندرينيوس" من الحاكم السماح له أن يتركه مؤقتاً على الساحل ، لأنه لا تستطيع "غيلياك" أن تأخذه على متنها ، وذلك لتتمكن من أخذه لدى عودتها من الجولة في الخليج العربي ، وجواباً على هذا أعلن الحاكم الذي كان على حد وصف "أندرينيوس" بسيطاً وغير متعلم "أنه مسرور جداً ونظراً للعلاقات الودية بين الحكومتين الروسية والإيرانية، يعد نفسه ملزماً بتقديم كل عون للروس ، وقد جرى الحديث مع الحاكم بوساطة مترجم أرمني ، يشغل وكيلاً لشركة الملاحة الإيرانية - البريطانية، التي تتولى سفنها نقل الحمولات بين موانئ الخليج العربي ⁽⁶⁵⁷⁾ .

لكن حاكم بندرعباس رفض طلب "أندرينيوس" في اليوم التالي متذرعاً ، بعدم وجود تعليمات لديه من الحاكم العام في بوشهر ، وأنه رفض طلباً من قائد الطراد البريطاني "بومون" "Pomone" ، بإسكان نائب القنصل البريطاني في بندرعباس ، ورفع علم القنصلية البريطانية على مبناه ، فاعترض "أندرينيوس" على ذلك لوجود فرقاً هائلاً بين طلبه وطلب قائد الطراد "بومون" فطلب الأخير يتسم بطابع سياسي تبت فيه ، عادة ، السلطات العليا في البلاد ، وفي النهاية إضطر "أندرينيوس" لتحميل الفحم كله من السفينة "وادن" التي وصلت إلى بندرعباس بعد يومين من وصول "غيلياك" ، وقد قام بذلك لمدة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً من دون توقف ، الأمر الذي أثر ذلك على قدرة السفينة على الإبحار ⁽⁶⁵⁸⁾ .

وهنا يحاول لوريمر أن يضع اللوم على الروس ، ويعزو تصرفهم بصدد الفحم إلى محاولتهم الحصول على محطة للفحم في بندرعباس ، فقد كانت السفينة "وادن" تحمل فحم أكثر مما يستطيع مخزن "غيلياك" أن يتسع له ، وأن كمية الفحم الفائضة عن حاجة السفينة "غيلياك" كانت كافية لتبرير طلب من قائد السفينة ، من حاكم بندرعباس السماح له بإنزالها في البر ، وحال السماح له ، تكون روسيا وفقاً لوصف لوريمر ، قد أنشأت نواة مخزن فحم لها في بندرعباس ، لكن الحكومة البريطانية وقد كانت تعرف نوايا السفينة الروسية "غيلياك" من قبل ، أعدت عدتها

⁽⁶⁵⁶⁾ الفرق بين الحسابين الغربي والشرقي الميلاديين هو (13) يوماً.

يشير لوريمر إلى أن وصول "غيلياك" إلى بندرعباس كأف في الرابع عشر من شباط. ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit.Vol.1. part. 1. p. 327.

⁽⁶⁵⁷⁾ من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك"، المصدر السابق ، ص35.

⁽⁶⁵⁸⁾ المصدر نفسه.

للأمر، فأمرت أن تسبق السفينة الروسية ، سفينة حربية بريطانية أقوى منها إلى أي مكان تذهب إليه في الخليج العربي ، ثم تسير أمامها من دون استفزاز أو عداوة⁽⁶⁵⁹⁾، وصدرت الأوامر للسفينة الحربية "بومون" بتنفيذ تلك المهمة، فرست في بندرعباس قبل وصول "غيلياك" وظلت بها حتى أفلعت السفينة الروسية ، وكانت الأدميرالية الملكية قد أصدرت أيضاً أوامرها السرية ، إلى قائد الأسطول البريطاني في منطقة الخليج العربي ، عن كيفية التصرف لو حدثت الأزمة التي كانت محتملة الوقوع ، وهي إذا حاولت "غيلياك" احتلال بندرعباس ، فإن قائد الأسطول البريطاني يحتج رسمياً في بداية الأمر على هذا العمل ، وفي حالة عدم الاستجابة ، فإنه يحتل جزيرة قريبة من بندرعباس ، هرمز أو هنجام أو قشم لغرض تأسيس قاعدة بريطانية في الخليج العربي⁽⁶⁶⁰⁾، لمجابهة الوجود الروسي هناك.

توجهت "غيلياك" إلى بوشهر، فدخلت الميناء في الساعة العاشرة صباحاً ليوم الثاني عشر من شباط (25 شباط) عام 1900⁽⁶⁶¹⁾، فأنتهت أوامر تتبعها من السفن الحربية البريطانية ، وأكد "مورافيف" " Muravieff "وزير الخارجية الروسي في الثالث والعشرين من شباط عام 1900 للسفير البريطاني في بطرسبورغ ، انه لم يكن لدى الحكومة الروسية النية أو الرغبة ، في أن تكون لها قاعدة فحم أو غيرها في الخليج العربي ، وأضاف أن تحذيراً كان قد صدر لقائد "غيلياك" أن لا يحاول تنفيذ خطة من ذلك القبيل ، وبشير لوريمر "إلى أن هذه الملاحظة كشفت عن وجود خطة مسبقة في الموضوع ، وأننا لا نستطيع أن نعلق أهمية كبيرة على تلك التأكيدات ، التي صدرت عقب إحباط خطة الفحم في بندرعباس" ⁽⁶⁶²⁾.

ثم وصل "أندرينيوس" في الثامن عشر من شباط (3 آذار) عام 1900 إلى الحصن العثماني في الفاو ، وهناك استقبله "أوفسينكو" " Ovseenko "سكرتير القنصلية الروسية في بغداد ، الذي أبلغه أن القنصل "كروجلوف" سيستقبل السفينة الروسية "غيلياك" في المحمرة ، التي سرعان ما وصل إليها "كروجلوف" فتم اللقاء بينه وبين "أندرينيوس" في مساء اليوم نفسه هناك ، ثم اتجهت "غيلياك" في صباح التاسع عشر من شباط (4 آذار) نحو البصرة ، التي أعد الوالي فيها استقبلاً للسفينة ، ومن بين السفن الأجنبية التي صادفتها "غيلياك" في البصرة ، السفينتين البريطانييتين "سفينكس" "Sphinx" وسفينة المراقبة البغدادية "كوميت" "Comita"⁽⁶⁶³⁾، التي أتت

(659) J.G. Lorimer, Op .Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp . 327-328.

(660) R. Kumar, Op. Cit. p. 224.

(661) من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك"، المصدر السابق ، ص42.

(662) Quoted in: J. G. Lorimer, Op. Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 328.

(663) "كوميت" وهي سفينة البحرية الهندية الملكية ، ذات عجلات تجديف من الصلب ، دشنت في عام 1884، ومرسأها في بغداد تحت تصرف المقيم السياسي في بغداد ، أقصى حمولتها 182 طناً ، سرعتها 9 عقد في الساعة ، تسليحها مدفعان عيار 45 بوصة ، الطاقم العامل عليها : 1 ضابط ، 4 وكلاء ، 33 ضابط صف و جندي ينظر:

إلى البصرة خصيصاً بمناسبة وصول "غيلياك"، و"كوميت" سفينة نهريّة فقط ، وتوجد دائماً في بغداد تحت تصرف القنصل البريطاني العام⁽⁶⁶⁴⁾.

توجهت "غيلياك" إلى الكويت التي وصلتها في الرابع من آذار (17 آذار) عام 1900 ، ومنها توجهت إلى بوشهر مرةً أخرى ، التي وصلتها في اليوم السادس من آذار (19 آذار) من العام نفسه ، وبعد ان أمضت يومين هناك أبحرت باتجاه كولومبو⁽⁶⁶⁵⁾، وبذلك خرجت "غيلياك" من مياه الخليج العربي بعد زيارة دامت أكثر من شهر.

وسارع الكولونيل "ميد" المقيم البريطاني العام في الخليج العربي إلى رفع تقريراً في آذار عام 1900، إلى حكومة الهند يشير فيه ، إلى قيام "غيلياك" بزيارة أهم موانئ الخليج العربي ، وهي بندرعباس وبوشهر والمحمرة والبصرة والكويت ، ومؤكداً أنها كانت تمثل أول ظهور للسفن الحربية الروسية في هذه المياه⁽⁶⁶⁶⁾.

وقد أعطى "أندرينيوس" قائد "غيلياك" في تقريره الذي رفعه إلى حكومته ، وصفاً دقيقاً للوضع السياسي العام في الخليج العربي ، وعن حالة الإبحار في مياهه ومما جاء فيه: إن تزويد السفن الروسية بالوقود في الخليج العربي مضموناً تماماً في المستقبل ، شرط اتخاذ بعض التدابير قبل شهر أو شهرين من قدوم السفينة إلى الخليج العربي، ففي البصرة توجد أربع شركات تجارية تملك دائماً مخزوناً من الفحم في هذه المدينة وفي بوشهر على السواء ، ومن الضروري أن يتم توقيع عقد عن طريق القنصل الروسي في بغداد مع هذه الشركات ، وألا فان دسائس البريطانيين ، الذين لا يتورعون عن بذل كل شيء لعرقلة ملاحه سفينة أجنبية في هذه المياه ، يمكنها أن تضع السفينة الروسية في حالة عصبية ، إن المعطيات الواردة تستند إلى معلومات مستقاة من أشخاص مختلفين يوحون بالثقة بدرجة معينة ، مثل السلطات المحلية والقناصل والتجار ، فضلاً عن تحقق "أندرينيوس" ، قدر الإمكان، من مصادر مختلفة عن صحة المعطيات التي حصل عليها ، فحينما علمت المقيمة البريطانية العامة في بوشهر، المقر العام ، أن "غيلياك" تتجه نحو الخليج العربي⁽⁶⁶⁷⁾، وأن مركباً محملاً بالفحم سيأتي إلى بندرعباس ، بدأت نشاطاً محموماً بهدف عرقلة سيرها ، فقد أرسلت الطراد "بومون" إلى بندرعباس، الذي لم يكف قائده عن محاولة إقناع الحاكم ، الذي اعترف بذلك فيما بعد لـ "أندرينيوس" ، بأن تفريغ الفحم على الساحل لأجل السفينة الحربية الروسية ، هو بداية فقط لاحتلال بندرعباس ، وقد ساعده على

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1. pp . 395-396 .

⁽⁶⁶⁴⁾ من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك"، المصدر السابق ، ص 45-47.

⁽⁶⁶⁵⁾ المصدر نفسه ، ص 48-50.

⁽⁶⁶⁶⁾ Selections from the Records of the Government of India Foreign Department Administration Report on the P.Gulf political Residency and Maskat political Agency , Vol.V.(1899-1905), British Library Cataloguing in publication Data , Archie Editions , London 1986, Administration Report by M. J. Meade, Lieut-Col, Political Resident, P.

وسيرمز له بـ (S.R.G. I. F. D). p. 7. Gulf to Gov of India, Bushire, March 27, 1900.

⁽⁶⁶⁷⁾ من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك" ، المصدر السابق، ص 50-52.

ذلك أيضاً مقتطفات مأخوذة من الصحف البريطانية والإيرانية فضلا عن الروسية ، بشأن سعي روسيا لاحتلال بندرعباس ، وقد اقترح المقيم البريطاني على الشركات الأجنبية في بوشهر والبصرة ، عدم تقديم أي شيء للروس⁽⁶⁶⁸⁾ ، ويضيف "أندرينيوس" أن البريطانيين لم يحاولوا خلق المصاعب للروس في تجهيز مادة الفحم ، بل أو أي مادة أخرى ، وخوفاً من أن لا يكفي "غيلياك" زيت المحركات ، أراد "أندرينيوس" أن يشتريه من بوشهر أو البصرة ، لكن لم يكن ممكناً الحصول عليه من الشركات البريطانية ، وهي الشركات الوحيدة التي تملكه ، فاضطر لشرائه بوساطة قائد "برسبوليس" "Persepolis" سفينة خفر السواحل الإيرانية الوحيدة في الأسطول الإيراني ، وقد طلب أهالي البصرة المحليون العاملون على سفينة "برسبوليس" الذين كانوا لطاقم "غيلياك" سماسرة تجاريين وموردي بضائع ، طلبوا الحماية من القنصل الروسي معلنين ان القنصل البريطاني في البصرة ، كان يهددهم بالطرد الإداري حالما تغادر "غيلياك" ويسافر القنصل الروسي إلى بغداد ، وما أن أصبح معلوماً أن "غيلياك" متجهة إلى الكويت حتى اتجهت السفينة البريطانية "سفينكس" إلى هناك ، وغادرت الميناء بعد يوم من مغادرة "غيلياك" له ، وأثناء وجود الطاقم الروسي في الكويت، فإن الشيخ ، الذي جاء خصيصاً عشية وصولهم ، من مقره في الصحراء لاستقبالهم ، قال، كما أكد ذلك مقربوه ، ان قائد "سفينكس" وسكرتير القنصل البريطاني في البصرة حاولا مراراً إقناعه ، بعدم تنظيم أية احتفالات بمناسبة وصولهم ، وأن يبقى هو نفسه في الصحراء ، ويشير "أندرينيوس" أن وضع الحجر الصحي في الخليج العربي يمكن أن يعطي هو الآخر انطباعاً ، عن سياسة ومطامع البريطانيين هناك ، ان الحجر الصحي لا لأجل تقادي انتشار الوباء ، بل وسيلة بيد البريطانيين للتمكّن من تقوية نفوذهم في هذه الموانئ ، وخلق المتاعب بوجه السفن والأشخاص ، الذين يشكّل وجودهم في موانئ الخليج العربي أمراً غير مرغوب فيه لهم ، ففي عام 1899 مثلاً ، فرض على السفينة التي كان يوجد على متنها القنصل الألماني العام في بوشهر ، الذي كان يقوم بجولة عبر إيران ، حجر صحي في المحمّرة لمدة "21" يوماً، في حين ان رئيس مصلحة البرق البريطانية ، لدى عودته في الوقت نفسه من بومباي، حيث ينتشر الطاعون منذ زمن بعيد ، نزل على الفور على الساحل لدى وصول السفينة إلى بوشهر ، وليس لدى دوائر الحجر الصحي أطباء ولا صيدليات ولا مبانٍ مقبولة ، إلا أكواخاً مصنوعة من سعف النخيل وخالية من أية أسباب للراحة ، يوجد طبيب واحد لجميع دوائر الحجر الصحي ، وهو أيضاً طبيب للمقيمة البريطانية في بوشهر ، أما في الموانئ الأخرى فيوجد مساعد أطباء ، ويساعد ويساند النفوذ البريطاني المهيمن في الخليج العربي ، وجود العملاء في جميع الموانئ، في شخص القناصل ونوابهم والعملاء السريين ، ويقف على رأسهم المقيم البريطاني العام في بوشهر ، في الوقت الذي لا يوجد عملياً تقريباً ممثلون لدول

(668) المصدر نفسه .

أخرى ، وإذا وجدوا كالقنصلية الفرنسية في بوشهر مثلاً ، فإن هذا المكان شاغر دائماً تقريباً⁽⁶⁶⁹⁾، ويدير القنصلية الترجمان الإيراني "حاجي ميرزا حسين"⁽⁶⁷⁰⁾، الذي ليس له تلك الأهمية التي يتسم بها قنصل فعلي من السلك الدبلوماسي، وبسبب ذلك فإن السلطات المحلية، ذات الوضع المتقفل جداً في الدولة العثمانية وفي إيران على السواء ، غدت في تبعية شديدة للممثلين البريطانيين، وهي محرومة من إمكانية الحصول على مساندة ممثل دولة أخرى ، إذ لا وجود لهؤلاء، لذلك فإن الحاكمين العامين في بوشهر والبصرة ، مضطران في أفضل الأحوال وخوفاً من الإطاحة بهما أن يأخذا بالحسبان متطلبات الممثلين البريطانيين⁽⁶⁷¹⁾ .

ويضيف "أندرينيوس" ، أنه إذا كان إضعاف النفوذ البريطاني في الخليج العربي وارداً في حسابان الحكومة الروسية ، فإن تعيين قنصلين في البصرة وبوشهر يُعدُّ أمراً مفيداً ومرغوباً فيه للغاية ، فضلاً عن الاستمرار في إرسال السفن الروسية إلى الخليج العربي طوال العام ، فإذا إقتصرت الأمر على زيارة السفينة الحربية "غيليك" هذه ، أو على إرسال السفن خلال فواصل مديدة من الزمن ، فإن ذلك سيجلب ضرراً بدلاً من الفائدة ، لأن البريطانيين سوف يفسرونه بأن الروس صادفوا مصاعب كبيرة ، لدرجة أنهم لا يرغبون في تكرار المحاولة ، وقد ظهرت في الصحف البريطانية ، لاسيما في صحيفة "التايمز" في الهند "Times of India" مقالات أعربت بكل ثقة عن مثل هذا الأمل، فضلاً عن ذلك ، لا يمكن الاعتماد على المعلومات المستقاة من البريطانيين الموجودين في الخليج العربي ، لأنهم يرون في كل شخص روسي يظهر في أي من أماكن الخليج العربي ، جاسوساً ، وهم على العموم يقفون موقفاً عدائياً من كل شيء روسي⁽⁶⁷²⁾. وينوّه "أندرينيوس" أيضاً ، إلى أن البريطانيين قد سيطروا على التجارة في الخليج العربي ، منذ أمد بعيد ، وعملوا الشيء الكثير لأجل الملاحة فيه ، فهم بطبيعة الحال ، يجهدون بكل الوسائل، ليبقى الخليج العربي وكأنه بحر بريطاني داخلي يستخدمونه وحدهم ، ولهذا الهدف عقدوا مع سلطان مسقط معاهدة⁽⁶⁷³⁾، لا يستطيع السلطان بموجبها أن يفعل شيئاً من دون علم الحكومة البريطانية ، التي يقيم ممثلها الدائم في مسقط ، وعقدوا معاهدات مماثلة مع مشايخ الساحل

من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيليك"، المصدر السابق ، ص 52-55.⁽⁶⁶⁹⁾

وقد عمل الترجمان "حاجي ميرزا حسين" نائباً للقنصل الفرنسي خلال الأعوام 1885-1893، ومرة أخرى⁽⁶⁷⁰⁾ خلال عام 1894-1895، فضلاً عن العام 1896-1897، ومن العام 1899 حتى عام 1901، ثم تولى الإشراف على القنصلية الفرنسية أكثر من مرة خلال المدة من 1901 إلى 1905. ينظر:

S.R.G. I. F. D. Vol. V, Administration Report by C. A. Kemball, Lieut-Col, Political Resident, P. Gulf , Bushire April ,1901. p. 6 ; J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II . p. 2691.

من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيليك"، المصدر السابق ، ص 55-56.⁽⁶⁷¹⁾

المصدر نفسه .⁽⁶⁷²⁾

وهي معاهدة عام 1891.⁽⁶⁷³⁾

الغربي للخليج العربي حتى شبه جزيرة قطر، وكذلك مع شيخ البحرين⁽⁶⁷⁴⁾، علماً أن المقيم البريطاني العام في بوشهر، يعد مرجع تحكيم في حال نشوء خلاف بين المشايخ، فهم لا يحق لهم أن يقاتل أحدهم الآخر كما كانوا يفعلون سابقاً، إذ تراقب ذلك بعين ثاقبة السفن البريطانية المرابطة في الخليج العربي، التي لا تتورع عن اتخاذ أقصى الإجراءات لإجبار المشايخ على الطاعة، وقد رضخ المشايخ لهذه المطالب لدرجة أنهم غالباً ما يسافرون بأنفسهم إلى بوشهر طلباً للوساطة، والشيخان الوحيدان في الساحل الغربي للخليج العربي، اللذان ما يزالان قويين لدرجة أنهما لم يقعا كلياً تحت النفوذ البريطاني، هما شيخ قطر وشيخ الكويت⁽⁶⁷⁵⁾، اللذان يعدان نفسيهما تابعين للسلطان العثماني الذي يدفعان له إتاوة، لكن بريطانيا أخذت تحت تأثير أن دولاً أخرى أخذت تولي الخليج العربي اهتماماً [لأسيما روسيا وفرنسا وألمانيا] تصر على الاستقلال التام لهذين الشخصين، وتجري معهما مباحثات مباشرة، وتحاول بالأموال والهدايا إقناعهما بالاستقلال وكسب مودتهما، لكن لم يتسن لبريطانيا إخضاع هذين الشيخين كلياً حينذاك، فالشيخان يصغيان لنصائح ممثلي بريطانيا ويعملان بهذه النصائح أحياناً، إذا كان ذلك مفيداً لهما، كالعامل على تخفيض مقدار الإتاوة مثلاً، ولكنهما يخافان من التخلي عن التبعية العثمانية تماماً⁽⁶⁷⁶⁾، فعلى الرغم من أن سيادة السلطان العثماني على الكويت لم تكن "إلا وهماً مؤدباً" وفقاً لوصف "كيرزن"، إلا أن الحكام ينظرون إلى السلطان بنوع من الاحترام، لأنه يتمتع باحترام لدى المسلمين، بوصفه سلطان أكبر دولة إسلامية، وإن الشيخ مبارك يدرك أن المزيد من الخلافات مع السلطان، تحمل له ضرراً في أعين المسلمين جميعاً، فهو يحاول أن يحافظ على علاقاته مع الدولة العثمانية، لأنه يمتلك غابات من النخيل في الفاو، الأرض العثمانية، التي يحصل منها على أربعمئة ألف جنيه إسترليني سنوياً، لهذا يعتقد إن السياسة الفضلى أن يكون له موضع قدم في كل مكان، فيبحث عن مساعدة من السفن البريطانية عندما تكون عاصمته مهددة، ويترك العلم العثماني مرفوعاً فوق سفنه، لا لأنه يمثل شعار العقيدة الإسلامية فحسب، بل لأن سفنه تبحر إلى موانئ أجنبية ومن المفيد لها أن تحمل علم دولة معروفة⁽⁶⁷⁷⁾.

⁽⁶⁷⁴⁾ كُتِلت بريطانيا المشايخ المتصالحين والبحرين في الساحل الغربي للخليج العربي بعدد من المعاهدات، التي أعطتها نفوذاً شديداً في الخليج العربي، منها معاهدة السلم العام لعام 1820 ومعاهدة السلم الدائم لعام 1853، ومعاهدة عام 1879 ومعاهدة عام 1892، ومعاهدة عام 1902. للمزيد عن هذه المعاهدات بنصها العربي والإنكليزي. ينظر:

R. E. P. D. Vol. 5., Op. Cit. pp. 145-176.

⁽⁶⁷⁵⁾ ظلت معاهدة عام 1899 التي عقدت بين بريطانيا والكويت سرية، لأن بريطانيا لم ترغب في إثارة الدولة العثمانية وسيادتها على الكويت في تلك المرحلة، لذلك لم تعلم روسيا بعقدها إلا في عام 1901.

⁽⁶⁷⁶⁾ من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غليك"، المصدر السابق، ص 53-54.

⁽⁶⁷⁷⁾ L-Frazer, Op. Cit. PP. 98-99.

ويضيف "أندرينيوس" ، لم يكن لدى والي البصرة الذي يخضع له شيخي قطر والكويت الوسائل لإبداء المقاومة ضد المكائد البريطانية ، ولا التغلب على الشيخين في حال عدم امتثالهما ، وهذا ما يحدث في الغالب ، أما بريطانيا فهي في هذه الأحوال تتصرف بوساطة ممثليها في هذه المنطقة ، وهم الأوروبيون الوحيدون هنا ، وبوساطة السفارة البريطانية في اسطنبول يتم تحويل أي خلاف قليل الشأن - إذا لزمها ذلك - إلى حادث ضخم يلحق الأذى ، على حد زعمها ، بالمصالح البريطانية والكرامة البريطانية ، ونتيجةً لذلك يجري استبدال والي ، لقد جرى استبدال أكثر من والٍ بهذه الطريقة ، فقبل وصول "غيلياك" إلى منطقة الخليج العربي ، بما لا يزيد عن خمسة أسابيع تم استبدال والي البصرة على يد بريطانيا بسبب الكويت ، وإن مطامع الحكومة البريطانية لاحقاً ترمي إلى جعل موانئ هذين الشيخين ، لاسيما الكويت ، مغلقين والحلول محل الدولة العثمانية ، ولذلك فهي تحاول جهدها لعزلهما عن التعامل مع أية دولة أخرى ، وبين ممتلكات هذين الشيخين يمتد شريط ساحلي ، يوجد عملياً في أيدي الإدارة العثمانية ، فلو استوطن البريطانيون في قطر والكويت ، لأدى انتقال هذا الشريط إليهم ، وعند ذلك يغدو كل الساحل الغربي للخليج العربي بريطانياً ، وتزداد الهيمنة البريطانية ثباتاً⁽⁶⁷⁸⁾.

وفي ختام تقريره يضيف "أندرينيوس" قائلاً: "في الختام لي الشرف أن اعرض على سموكم الإمبراطوري⁽⁶⁷⁹⁾ ، نظراً لتلك الحفاوة والترحاب اللذين استقبلتنا بهما السلطات ولتلك البشاشة والاهتمام بنا من جانب السكان المحليين في إيران ، وفي تركيا على السواء ، فإنني على ثقة أن ظهور السفينة الحربية الروسية في مياه الخليج العربي ، لم يثر سوى عند البريطانيين ، شبهات في وجود أية نوايا لدى روسيا ، بل على العكس أحدث انطباعاً ملائماً ويعد أمراً مرغوباً فيه في المستقبل ، وإنني إذ آخذ بعين الاعتبار أن السلطات الإيرانية والتركية على السواء ، قدمت مساعدتها بمجاملة خاصة لدى ملاحه السفينة الموكلة إليّ ، أرى من المفيد جداً منح أوسمة روسية للحاكمين في بوشهر والبصرة ،

أحمد خان ومحمد محسن باشا⁽⁶⁸⁰⁾ ، وكذلك لترجمان القنصلية الفرنسية في بوشهر "حاجي ميرزا حسين" ، إن مكافأة كهذه تشجع هذين الحاكمين ، وخليفتهما في حال استبدالهما ، في تقديم العون في المستقبل أيضاً لسفنتنا ، كما أرى واجباً عليّ أن ابلغ سموكم الإمبراطوري أن قنصلنا

⁽⁶⁷⁸⁾ من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك" ، المصدر السابق ، ص 55.

⁽⁶⁷⁹⁾ وهو قائد أسطول المحيط الهادئ الأمير الكبير "الكسي الكسندروفيتش" . ينظر:

الملاحظات من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك" ، المصدر السابق ، ص 55.

⁽⁶⁸⁰⁾ بفضل مساعي "كروجلوف" القنصل الروسي في بغداد ، تلقى "محسن باشا" والي البصرة في أيلول عام 1900 نبأ منحه مكافأة ، وقد أثارت هذه الخطوة اهتمام الدبلوماسيين الأجانب في بغداد ، فأسرع قنصلا فرنسا وألمانيا في تقديم اقتراحين مماثلين إلى حكومتيهما . ينظر: و.أ.د.م.س.ب.ح.، ملف السفارة في القسطنطينية، الإضبارة 1244، بلاغ "كروجلوف" إلى القسطنطينية بتاريخ 1900/9/10 رقم 282، المصدر السابق، ص 58.

المستشار "كروجلوف" ، وسكرتيره الموظف من الدرجة التاسعة "أوفسييسنكو" لم يقوما فقط بالناحية الشكلية لواجباتهما في الخدمة ، بل قدما مساعدة حازمة للسفينة بكل طيبة خاطر وتفضل ، وهما يعدان، بوصفهما مطلعين تماماً على المنطقة ، والتقاليد المحلية وعادات المعيشة واللغات التركية والفارسية والعربية ، يعدان مفيدين جداً لقائد السفينة ومعاونين لطيفين في هذه الحالة ، من جراء ميزات "كروجلوف" الشخصية ، في قيام السفينة بالمهمة المعهودة إليها. لذلك فمن المرغوب فيه للغاية في المستقبل أيضاً، إذا أرسلت سفننا إلى الخليج العربي ، أن يسافر القنصل من بغداد لملاقاة قائد سفينتنا"⁽⁶⁸¹⁾.

وقدم "فيتة" وزير المالية الروسي في نيسان عام 1900 مذكرة إلى القيصر الروسي ، تتعلق بضرورة إقامة ملاحه تجارية مباشرة ، بين الموانئ الروسية في البحر الأسود وموانئ الخليج العربي⁽⁶⁸²⁾، فقررت الحكومة القيصرية دعم المشروعات التجارية مدفوعة ، بالرغبة في خلق مصالح ثابتة ومستقرة في الخليج العربي ، وربما أيضاً بهدف إقامة أسس مختلفة للتدخل السياسي هناك ، وجاءت أول إشارة إلى بدء تنفيذ العمليات التجارية الروسية المدعومة بالعون الحكومي الرسمي ، في خطاب طبيب روسي في بوشهر في حزيران عام 1900، ذكر فيه أن خطأً روسياً من السفن الملاحية سيبدأ الملاحه في الخليج العربي ابتداءً من الخريف التالي⁽⁶⁸³⁾. ولدراسة موانئ الخليج العربي والأسواق المحاذية لها ، أرسلت إلى هناك بعثة سرية روسية تتألف من "سيروميانتنيكوف" "Siromiatenikoff"⁽⁶⁸⁴⁾ و "بيلينبرج" "Pellenberg" نقيب فوج الخيالة في منطقة بافلوفسك⁽⁶⁸⁵⁾، اللذان وصلا من بومباي إلى بوشهر في التاسع عشر من حزيران عام 1900، وربما استمد منهما الطبيب الروسي في بوشهر تلك التصريحات التي أدلى بها ، وتبين فيما بعد ان "سيروميانتنيكوف" كان احد المسؤولين عن تحرير صحيفة "توفو فرميا" التي تصدر في بطرسبورغ، وقد واصل "بيلينبرج" سفره من بوشهر عن طريق فلاحية إلى المحمرة ، التي وصلها في الثامن عشر من تموز من العام نفسه ، ثم سار منها إلى الأحواز، وكان "سيروميانتنيكوف" في الوقت نفسه قد زار البصرة وبغداد ، وأجهد نفسه في البحث التجاري الخالص ، وأثناء زيارته للكويت عرض خدماته على الشيخ "مبارك"، في مقابل الحصول على

⁽⁶⁸¹⁾ مقتبس من: تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك"، المصدر السابق ، ص57-58.

⁽⁶⁸²⁾ ي. ريزفان، المصدر السابق ، ص14.

⁽⁶⁸³⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp . 331-332.

" صاحب مشروع قصر خزل شيخ المحمرة ، وكان مرشح في الحقوق في جامعة ⁽⁶⁸⁴⁾ كان "سيروميانتنيكوف بطرسبورغ وصحفيًا بارزاً ، نشر مقالات بالاسم المستعار سيغما ، وكان ذو طبيعة مغامرة ، وله علاقات واسعة في أوساط البلاط الروسي ، وكلف غير مرة بتنفيذ أمور سرية في كوريا مثلاً، وبوصفه صنيعة للأوساط الأكثر مغامرة ورجعية ، أثار بسلوكه في موانئ الخليج العربي استياءً حاداً لدى الدبلوماسيين الروس. ينظر: ي. ريزفان ، المصدر السابق ، ص15-16.

⁽⁶⁸⁵⁾ ي. ريزفان، المصدر السابق، ص14.

امتياز باسم روسيا ، غير أن خطته أخفقت ، وفي نهاية آب من العام نفسه التقى الرحالتان مرة أخرى في بوشهر ، ثم قضيا أسبوعاً في بندرعباس ثم سارا إلى لنجة وأبحرا منها إلى بلديهما في نهاية أيلول عام 1900⁽⁶⁸⁶⁾.

ولدى عودة "سيروميانتيكوف" في تشرين الثاني من العام نفسه إلى "بطرسبورغ" ، حظي بمقابلة "فيتة" وزير المالية الروسي وتم مناقشة تقريره الذي ذكر فيه⁽⁶⁸⁷⁾ ، إمكانية تصريف المنتجات الروسية في جنوب إيران ومنطقة الخليج العربي لاسيما السكر ، وبمدى أقل لتصريف البضائع الصوفية والحبوب والمشروبات ، ولكن كان من رأيه إن مثل تلك التجارة بحاجة إلى خط سفن روسي ، ويجب أن يكون معاناً رسمياً من الحكومة ليستطيع منافسة التجارة البريطانية المزدهرة ، كما يمكن رجوع السفن إلى روسيا محملة بالرز والتمر ، وقد عين وزير المالية الروسي لجنة خاصة لدراسة التقرير ، تضم اقتراحات "سيروميانتيكوف" من دون أن تعدل فيها شيئاً ، فأوصت اللجنة بأن يبدأ خط ملاحي بخاري تقدم له الدولة إعانة ، وأن يشغل على فترات شهرين من ميناء أوديسا إلى بوشهر والبصرة ، وأن يعهد إلى شركة البحر الأسود الروسية للملاحة البخارية الإشراف عليه ، ويجب أن تشرع هذه الشركة في إقامة مستودعات فحم لها في بوشهر والبصرة ، كما يجب خفض الضرائب الكمركية الروسية ، على الرز المستورد من إيران عن طريق الخليج العربي ، وكذلك افتتاح بنك روسي وقنصلية روسية في بوشهر ووكالة قنصلية في البصرة. وأخيراً على وزير الحربية الروسي أن يقدم حرساً عسكرياً إلى كل من هذين الميناءين ، لحماية القنصلية والوكالة ، وعلى وزير البحرية أيضاً أن يخصص سفينة حربية للخدمة في منطقة الخليج العربي بشكل دائم. ويبدو أن توصيات هذه اللجنة قد لقيت موافقة مباشرة وإن كانت جزئية فقط ، إذ أعلن في نشرة صحيفة "التبادل" "Exchange" الروسية الصادرة في الخامس عشر (28) من كانون الأول عام 1900 ، أن سفينة تابعة للشركة الروسية للملاحة والتجارة ستقوم برحلة تجريبية من ميناء أوديسا إلى الخليج العربي في الشهر التالي ، وأن أسعاراً مخفضة تقررت لنقل البضائع إلى الخط الجديد عند نقلها بالسكك الحديدية ، من مختلف مراكز الإنتاج في روسيا إلى أوديسا⁽⁶⁸⁸⁾ . على البحر الأسود.

كانت السفينة "كورنيلوف" "Korniloff" هي أول سفينة عاملة على الخط الجديد تزور الخليج العربي ، إذ قامت برحلتها الأولى في الثالث من شباط (16 شباط) إلى الأول من أيار (14 أيار) عام 1901 ، وحتى هذا التاريخ لم تقم سفن تجارية روسية بزيارة الخليج العربي ، وكان الهدف من هذا الخط الجديد إقامة علاقات تجارية مباشرة بين روسيا وجنوب إيران ومنطقة الخليج العربي ، ولهذه الغاية جرى في روسيا تحميل بضائع متنوعة من المنسوجات والأواني

(686) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 332.

(687) ي. ريزفان، المصدر السابق ، ص15.

(688) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 .pp. 332 – 333.

والمصنوعات الزجاجية والمعدنية وغيرها التي بلغ وزنها 2496 بوداً⁽⁶⁸⁹⁾، (أي أكثر من أربعين طناً)، فضلاً عن 12500 صفيحة من النفط من خمس شركات روسية، ورافق هذه البضائع ممثلين عن تلك الشركات، بصفة مسافر إلى مدينة بوشهر في الخليج العربي، وكان على متن السفينة ممثل الشركة التجارية الهولندية في بوشهر "Hotz and Son" موسمان مع زوجته وأبنه، وكان طاقم السفينة يتألف من 57 شخصاً، وبعد المرور بمسقط وجاسك وبندرعباس ولنجة وصلت "كورنيلوف" في الثامن من آذار (21 آذار) عام 1901 إلى بوشهر، وبما أن الأخيرة اختيرت مدينة رئيسية للعلاقات التجارية مع المناطق الداخلية في إيران، عن طريق مدينتي شيراز وأصفهان، فإن جميع ممثلي الشركات التجارية الروسية بقوا هناك، واستقبلت السفينة في بوشهر الأمير دابيجا القنصل الروسي في أصفهان الذي جاء خصيصاً لهذه الغاية، وبعد أن أعطى ممثلو الشركات التجارية الروسية التعليمات والنصائح اللازمة، سافر بعد أسبوع بحكم وظيفته إلى شيراز ليقوم فيها وفي أصفهان أيضاً بالترويج للبضائع الروسية⁽⁶⁹⁰⁾، وسرعان ما أخطر الكولونيل "كامبل" "Lieu-Col . C. A. Kemball" (1900-1904) -المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي - حكومة الهند عن وصول الأمير دابيجا إلى بوشهر⁽⁶⁹¹⁾.

وقامت الشركة الهولندية في بداية نيسان من العام نفسه، التي يمتلكها هوتز وولده في بوشهر، التي كانت تحت الحماية البريطانية لمدة خمسة عشر عاماً، بنقل نفسها إلى الحماية الروسية، فأصبح أصحابها هم وكلاء الخط الروسي الجديد⁽⁶⁹²⁾، وذلك إستناداً إلى اتفاقيات متبادلة بين المكتب الرئيسي للشركة الروسية وشركة هوتز وولده⁽⁶⁹³⁾.

وقد أشار "كلاسينغ" "Klassing" الوكيل التجاري للشركة الروسية للملاحة التجارية في بلاغه إلى حكومته بأن سلطان مسقط، بسبب شحت أمواله الخاصة، كان يتلقى جزءاً من الإعانة من حكومة الهند، مما يضطره الخضوع إلى النفوذ البريطاني، وأنه ينظر بعين الرضا الشديد للمشروع الروسي الجديد، ورداً على التحية المدفعية من السفينة "كورنيلوف"، أطلقت قلعة مسقط تحية جوابية، ورفرف عليها لأول مرة العلم التجاري الروسي، وكان الشخص الوحيد غير البريطاني، هو أحد التجار المحليين المدعو "أنتوني جوجوير" "Antoine Goguyer" الفرنسي التبعية، الذي عرض خدماته بأن يكون في المستقبل وكيلاً للشركة الروسية، التي ليس لديها آنذاك خياراً آخر، وأن القنصل الفرنسي "أوتافي" في بوشهر مهتم اهتماماً شديداً بنجاح هذا

⁽⁶⁸⁹⁾ البود يساوي 16.38 كيلو غراماً. ي. ريزفان، المصدر السابق، ص 60.

⁽⁶⁹⁰⁾ بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ، المصدر السابق، ص 60-63، 68.

⁽⁶⁹¹⁾ S.R.I.F.D. Vol. V. Administration Report by C. A. Kemball. Lieut-Col Political Resident, P. Gulf to Gov of India, Bushire, April, 1901, p. 6.

⁽⁶⁹²⁾ J.G. Lorimer, Op .Cit. Vol. 1 . Part. 1.pp . 332 – 333.

⁽⁶⁹³⁾ بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ، المصدر السابق، ص 68.

المشروع الجديد في الخليج العربي ، ووعده ببذل كل ما في وسعه لمساندة المصالح التجارية الروسية على هذا الخط ، وأن الحجر الصحي في بوشهر بيد المقيم البريطاني⁽⁶⁹⁴⁾ .

ويضيف "كلاسينغ" في بلاغه ، أنه في مدة وقوف السفينة في مسقط ، كان لا يزال يوجد عند أحد التجار المحليين احتياط يبلغ زهاء 5000 صفيحة من النفط الروسي ، ووضعت "كورنيلوف" التي وصلت في الثاني والعشرين من آذار (4 نيسان) عام 1901 في التاسعة صباحاً إلى البصرة ، في حجر صحي لمدة عشرة أيام ، ولكن تم الحصول بوساطة سكرتير القنصلية الروسية في بغداد "أوفسينكو" ، الذي جاء خصيصاً لاستقبال السفينة ، على إذن من اسطنبول بتخفيض مدة الحجر الصحي لخمس أيام ، وفي البصرة كان السكان لا يزالون يتذكرون زيارة السفينة الحربية "غيلياك" لميناء البصرة ، وأثار ظهور سفينة تجارية روسية اهتماماً شديداً لديهم، وأصبح "هاملتون" "Hamilton" الممثل للشركة الهولندية "هوتز وهاملتون" "Hotz and Hammilton" في إيران ، وكيلاً مؤقتاً للشركة الروسية للملاحة والتجارة في البصرة ، وذلك على أساس الاتفاقيات نفسها التي عقدت في بوشهر⁽⁶⁹⁵⁾ ، وقد أشار "أوفسينكو" إلى أن التجار في البصرة كانوا يرحبون بإمكانية إقامة روابط تجارية وثيقة مع روسيا ، وأن الشخصيات المتنفذة المحلية أعلنت له "أن أكثر ما يخيف الإنجليز هو مؤهلات مواطنكم وموهبتهم الطبيعية ، في إقامة علاقات ودية وكسب مودة السكان المحليين الذين يتواجدون بينهم ، إن الإنجليز يعيشون بيننا منذ عشرات السنين ولكنهم يبقون غريباً تماماً عن السكان المحليين ، بينما أفلح بحارتكم ، وبزيارة قصيرة جداً لنا ، في كسب كل عواطفنا"⁽⁶⁹⁶⁾ .

أنزلت السفينة "كورنيلوف" في البصرة حوالي 5000 صفيحة من النفط ، وخشياً يكفي لصناعة خمسين ألف صندوق من التمر ، كما أنزلت سكرّاً وبضائع مختلفة ، لكنها لم تلق رواجاً ، وكان في وسع "كورنيلوف" أن تأخذ حمولة العودة من قمح البصرة شحنة إلى جدة ، لكنها نظراً لغطاسها الضخم ، منعت بذلك من الإبحار في شط العرب⁽⁶⁹⁷⁾ .

وأشار "كلاسينغ" في بلاغه ، إلى أنه ينبغي للبضائع الروسية بغية أن تلقى نجاحاً في المستقبل ، أن تكون وفقاً لاحتياجات البلد ، لتتمكن من منافسة البضاعة الأجنبية وهي البريطانية في الغالب ، وقد عرض على البضاعة الروسية المجلوبة على متن "كورنيلوف" التي هي أفضل بكثير من البضاعة البريطانية الموجودة في موانئ الخليج العربي ، ثمناً رخيصاً من جراء المكائد البريطانية⁽⁶⁹⁸⁾ ، فقد كان خطأ كبيراً اختيار وكيل مؤقت للشركة الروسية للملاحة والتجارة في البصرة شخصاً بريطانياً ، وهو أحد أصحاب شركة "هوتز وهاملتون" أما في بغداد فشركة "بليكي

⁽⁶⁹⁴⁾ بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ، المصدر السابق ، ص 63-64 ، 71.

⁽⁶⁹⁵⁾ المصدر نفسه .

⁽⁶⁹⁶⁾ نقلاً عن: ي. ريزفان، المصدر السابق ، ص 15.

⁽⁶⁹⁷⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 334.

⁽⁶⁹⁸⁾ بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ، المصدر السابق ، ص 71.

وهوترز " المرتبطة بالبريطانيين أوثق الارتباط ، الذين كانوا يسعون لخلق التجارة الروسية في الخليج العربي ، ونورد ، على سبيل المثال، مقطوعاً من بلاغ القنصل العام في بغداد "كروجلوف" "يكفي المرء إلقاء نظرة على بضاعتنا في مكتب البيت التجاري البريطاني "بليكي وهوترز" التي اختارها عميل شركتنا ، لكي يفتتح بذلك الضرر الذي سيلحقه بنا منذ البداية هؤلاء المعادون الاقحاح لروسيا ، فأن التجار المحليين لن يرغبوا ، على الأرجح ، في عدم الشراء وحسب بل وفي مشاهدة قطع البضاعة المانيفاتورية المكسرة والمدعوكة ، والملوثة ، والمرمية في كومة بالمستودع ، فضلاً عن التباطؤ: فقد وصلت البضاعة منذ الرحلة الأولى لسفينة "كورنيلوف" أي منذ 7-8 أشهر، وهي حتى الآن لم تعرض"⁽⁶⁹⁹⁾.

فضلاً عن ذلك فبعد ظهور "كورنيلوف" عمدت شركات النقل البريطانية ، العاملة في الخليج العربي، بغية تقويض المنافسة الروسية ، إلى تخفيض قيمة الشحن كثيراً على خطوطها⁽⁷⁰⁰⁾، وبغية إحراز نجاحات منشودة للمصالح التجارية الروسية في الخليج العربي ، من الضروري في بوشهر وفي البصرة على السواء ، تعيين قنصلين روسيين بأسرع ما يمكن، مخلصين كلياً لهذه القضية ، فضلاً عن تعيين وكلاء تجاريين لتمهيد الأوضاع أمام المصنعين الروس ، ومن المرغوب فيه أيضاً ان يكون وكلاء الشركة الروسية أشخاص مخلصون تماماً للقضية الروسية ، بحيث تمارس تحت إشرافهم التجارة في المحمرة ولنجة وبندرعباس ، ومن الممكن القيام بها فقط ، لدى وجود هيئة معينة، فإذا ما شارك القناصل المحليون مشاركة نشطة ، يصبح بالامكان - تحت إشرافهم - تعيين وكيل من التجار الميسورين المحليين والتخلص تماماً من خدمات أي بيت تجاري أجنبي الذي يوجد وبدرجة معينة تحت النفوذ البريطاني⁽⁷⁰¹⁾.

ويؤكد "كلاسينغ"، انه من بين كبار التجار المحليين العرب ، يوجد أشخاص يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة ، وهم على استعداد للقيام بوظائف وكلاء تجاريين للشركة الروسية ، لا حياً بالمنافع التجارية فقط ، بل ليصبحوا تحت حماية الحكومة الروسية من خلال القناصل الروس ، واحد هؤلاء الأشخاص هو "قاسم الخضير" الذي يتقبل تعييناً كهذا بطيب خاطر إذا عرضت عليه ، وينوه "كلاسينغ" إلى أن تعيين "أوفسينكو" قنصلاً في البصرة من شأنه ان يجلب فائدة كبيرة ، لأنه روسي وسكرتيراً للقنصلية العامة في بغداد ، طوال بضعة أعوام ، وهو مطلع جيد على الشؤون التجارية لبلاد الرافدين وإيران، ويتمتع بشعبية واسعة وسط السكان المحليين ، بوصفه جذاباً إلى أقصى حد وممثلًا عزمًا ونشاطاً، ومخلصاً إخلاصاً شديداً للمصالح التجارية الروسية في الشرق ، ويضيف ، ان احد الشروط الرئيسية لتوسيع التجارة الروسية والنفوذ الروسي

⁽⁶⁹⁹⁾ نقلاً عن: ي. ريزفان، المصدر السابق، ص16.

⁽⁷⁰⁰⁾ الملاحظة رقم "5" من بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ، المصدر السابق،

ص 76.

⁽⁷⁰¹⁾ بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ ، المصدر نفسه ، ص73.

في الخليج العربي , هو مواصلة القيام بزيارات بحرية إلى هناك , لدعم ذلك الانطباع الملائم , الذي على ما يبدو , ان أحد آثاره في الخليج العربي , ظهور سفينة "كورنيلوف" على الرغم من جميع مكائد البريطانيين , وإذا لم تتوافر الكمية الكافية من البضاعة الروسية , فيمكن لدى توجه السفن الروسية إلى الخليج العربي , استخدام بضائع أجنبية , ريثما يزداد الطلب على البضاعة الروسية , وأثناء تجوال السفينة "كورنيلوف" في موانئ الخليج العربي , كانت ترافقها بصورة استعراضية سفن حربية بريطانية من مسقط حتى البصرة , وفي طريق العودة حتى لنجة , ويضيف "كلاسينغ" أنه لا ينبغي التعويل على وجود فحم للسفن الروسية في الخليج العربي , فعلى الرغم من أن وكلاء بعض الشركات في البصرة وبوشهر , يعدون بتدبير الاحتياطي اللازم من الفحم , فمن المستبعد ان يكون ذلك لصالح الشركة الروسية للملاحة والتجارة , لأنه يمكن توقع الدسائس من البريطانيين في هذا الصدد⁽⁷⁰²⁾.

أقلعت السفينة "كورنيلوف" في الرابع من نيسان (17 نيسان) عام 1901 من البصرة , وعرجت في طريق العودة بالتتابع على جميع الموانئ المقصودة , ما عدا مينائي "جاسك" و "جيبوتي" اللذين لم يكن لديها أمر من الحكومة الروسية لدخولهما في هذه المرة , فخرجت من مياه الخليج العربي في الأول من أيار (14 أيار) من العام نفسه , ووصلت بعد عشرة أيام من الإبحار إلى ميناء "أوديسا" في البحر الأسود⁽⁷⁰³⁾, بعد ان تجولت في الخليج العربي وزارت أهم الموانئ فيه لمدة ناهزت الثلاثة أشهر , امتدت من السادس عشر من شباط حتى الرابع عشر من أيار عام 1901, وبذلك تكون "كورنيلوف" أول سفينة تجارية روسية تقوم بهذه المهمة في تاريخ البحرية الروسية , وفي عهد الحكومة القيصريّة.

وإذا كانت زيارة "كورنيلوف" الأولى قد جرت بنجاح من الناحية السياسية , فان نتائجها من الناحية الاقتصادية لم تكن مدعاة للسرور الشديد , وقد برزت في ذلك الأخطاء لدى اختيار السفينة , فقد كان الغطاس الضخم يعسر على "كورنيلوف" الملاحة في موانئ الخليج العربي ذات المياه الضحلة , فضلاً عن سوء ترتيب الحمولات , وكان خطأ كبيراً اختيار وكيل مؤقت للشركة الروسية للملاحة والتجارة في البصرة , وهو احد أصحاب شركة "هوتز وهاملتون", أما في بغداد فشركة "بليكي وهوتز" المرتبطة بالبريطانيين أوثق الارتباط , والذين كانوا يسعون لخنق التجارة الروسية في الخليج العربي , أثار اختيار "هاملتون" وكيلاً تجارياً حيرة لدى التجار المحليين , الذين عدوا هذا الاختيار مظهر لضعف روسيا , ونقلت "كورنيلوف" كمية كبيرة من السكر الروسي , مما شكل تهديداً خطيراً للمصالح الفرنسية , وبما إن السكر المكرر الفرنسي كان يشغل وضعاً مهيماً في السوق المحلية طوال عشرات الأعوام , فقد أشار نائب القنصل الفرنسي في

(702) المصدر نفسه , ص 73-74.

(703) المصدر نفسه , ص 74-75.

بغداد ، في تقريره ، إلى ضرورة اتخاذ تدابير فعالة لخلق تجارة السكر الروسية في المهد⁽⁷⁰⁴⁾ ، وهذا يوضح مدى هشاشة التحالف الروسي . الفرنسي ، وعدم جدّيته في اتخاذ موقف موحد للنيل من نفوذ وهيمنة عدوهما المشترك ، بريطانيا في منطقة الخليج العربي .

وأبحرت السفينة "كورنيلوف" للمرة الثانية من ميناء "أوديسا" في البحر الأسود في الحادي عشر من أيلول عام 1901 إلى الخليج العربي ، وكانت تحمل ستة مسافرين ، فضلاً عن حمولتها التي بلغت 1650 طناً من البضائع المتنوعة إلى جانب النفط ، فوصلت مسقط في الرابع من تشرين الأول من العام نفسه من دون أن تفرغ فيها أي حمولة ، ثم رست في بندرعباس ولنجة وبوشهر والبصرة والفلاحية بالقرب من المحمّرة ، ثم غادرت لنجة في الثالث والعشرين من تشرين الثاني من العام نفسه في طريقها إلى بلادها ، وكان قد تم في بوشهر افتتاح قنصلية روسية في أيلول من العام نفسه⁽⁷⁰⁵⁾ ، لتمدّد العون للسفينة في عملياتها التجارية في الخليج العربي⁽⁷⁰⁶⁾ ، وقد أثار قلق البريطانيين النشاط التجاري الروسي الذي تقوم به السفينة "كورنيلوف" في أثناء رحلتها في الخليج العربي ، فحينما كانت السفينة الروسية راسية في ميناء بوشهر ، حاول ضباط الطراد البريطاني "ماراثون" "Marathon" القيام باستجواب طاقمها⁽⁷⁰⁷⁾ .

وقد أفرغت "كورنيلوف" في بندرعباس حوالي 5000 صفيحة من النفط ، وفي لنجة كمية من البضائع القطنية ، وأفرغت في بوشهر 12000 صفيحة من النفط و 100 صندوق من الأواني الزجاجية ، وأفرغت في البصرة 16500 صفيحة من النفط⁽⁷⁰⁸⁾ ، وكان معدل سعر الصفيحة من النفط في عام 1900 يتراوح بين أربع إلى ثمان روبيات ، وبسبب ما جلبته كورنيلوف من كميات كبيرة من النفط ، انخفض سعر الصفيحة في عام 1902 إلى ثلاث روبيات فقط⁽⁷⁰⁹⁾ ، وأفرغت كورنيلوف في البصرة ما قيمته حوالي 1500 جنيه إسترليني من

(704) ي. ريزفان، المصدر السابق ، ص 16-17.

(705) افتتح ج. "أوفسينكو" القنصلية الروسية العامة في بوشهر في السابع عشر من أيلول عام 1901، وقام "بمهمة القنصل العام في Passek بالخدمة فيها حتى الثاني والعشرين من تموز عام 1903، وقد قام "باسك بوشهر في السابع والعشرين من نيسان عام 1904 حتى مايس عام 1906، وقد قام بالخدمة مكانه "أندري ميلر Andre Miller: ينظر: "

J.G. Lorimer, Op .Cit. Vol. 1 . Part. II . p. 2692.
(706) Ibid. Part. I. pp . 334-335.

(707) الملاحظة رقم 6، ملف الأرشيف السياسي، الإضبارة 564، نسخة بلاغ أداموف إلى زينوفييف بتاريخ 1901/11/1، رقم 4، المصدر السابق، ص 76. ومن الجدير بالذكر يشار سهواً إلى ان اسم الطراد البريطاني "مارافون" والصحيح هو "ماراثون". وفقاً لما ورد في تقرير الكولونيل كامبل المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي. ينظر:

S.R.G.I.F.D. Vol. V. Administration Report by C. A. Kemball, Lieut-Col Political Resident, P. Gulf to Gov of India, Bushire, April, 21, 1902, p. 6.

(708) J.G. Lorimer, Op .Cit. Vol. 1 . Part. I.p.335.

(709) S.R.G.I.F.D. Vol. V. Administration Report by C. A. Kemball, Lieut-Col Political Resident, P. Gulf to Gov of India, Bushire, March 31. 1902. p. 15.

الأخشاب , لاسيما الأعمدة الخشبية المستعملة في الإنشاءات , بهدف منافسة الأخشاب الجاوية التي كانت تستورد لأغراض البناء , من سنغافورة إلى البصرة التي تقوم بها الشركات البريطانية , وحملت السفينة حمولة جيدة من البصرة لرحلة عودتها, كانت مكونة من التمر المعبأ في الأكياس والصناديق , المعدة للتصدير إلى الشام واسطنبول فضلاً عن ذلك , استطاعت أن تحمل بضائع مختلفة من التبغ والصمغ والأفيون والسجاد الإيراني , من موانئ الخليج العربي الأخرى إلى بيروت وأديسا ولندن , وحملت السفينة من البصرة الرسائل التي تكدست هناك , متجهة إلى جدة ومصر واسطنبول , وبلغ دخل السفينة من الرسائل وحدها 230 جنيهاً, كما نقلت أكثر من ثلاثين حاجاً مسلماً من لنجة , وربما لم يصل دخل السفينة "كورنيلوف" من رحلتها الثانية ما يغطي تكاليفها, لكن معونة الحكومة الروسية التي تحدت حينذاك بمبلغ خمسين ألف روبل عن كل رحلة , كانت تمثل ربحاً لا بأس به لأصحاب السفينة , وهكذا كانت الرحلة مربحة , لكن مدة طويلة جداً ضاعت ما بين شحن الحمولات وتفريغها⁽⁷¹⁰⁾, ان دعم الحكومة الروسية الشركة مالياً كان بهدف منافسة التجارة البريطانية المزدهرة في الخليج العربي.

وحيثما كانت السفينة الروسية "كورنيلوف" تقوم برحلتها الثانية في الخليج العربي, كانت ثمة سفينة روسية أخرى , يبدو انه لاعلاقة لها بالشركة الروسية للملاحة والتجارة , منهكة أيضاً في العمل للقيام برحلات من باطوم إلى الخليج العربي , وهي سفينة "سيجريد" "Sigrid" التي حمولتها 1300 طن, وكان مفهوماً أنها لشركة تملك ثلاث عشرة سفينة مثلها , لا تتلقى معونة من الحكومة الروسية وان كانت الحكومة تدفع عنها رسوم المرور في قناة السويس , وأفرغت السفينة "سيجريد" 18000 صفيحة من النفط في بوشهر و 45000 في البصرة , وقد نقلت حوالي 300 طن من الحبوب من البصرة بأجر منخفض , وحمولة أخرى اقل من هذه حملتها من بوشهر بأجر أفضل , وأكملت حمولتها بحمولة قدرها 620 طناً من الأكسيد حملتها من جزيرة أبوموسى إلى لندن , لكن أياً من سفن هذه الشركة لم تقم بزيارة أخرى للخليج العربي⁽⁷¹¹⁾.

لكن رحلات "كورنيلوف" التالية, هي والسفن "آزوف" "Azoff" و "تروفور" "Truvor" التي تبعتها كلها, لم تكن على جانب كبير من الأهمية , ومع ذلك أمّن هذا الخط الجديد نقل التمور والمسافرين , بين موانئ الخليج وموانئ البحر المتوسط والبحر الأسود من دون صعوبة , لأنه لم يكن له منافس من أية شركة أخرى , لكن التجارة فيه بشكل عام كانت محدودة وقاصرة على فصول معينة من العام , أما في تجارة النقل العام بين أوروبا والخليج العربي فلم يحقق هذا الخط تقدماً يذكر, بعد أن وضحت صعوبة تجميع حمولات كاملة للرحلات الخارجية , وظل أهم ما نقلته السفن الروسية الأخشاب والنفط والسكر, وكان البيع قليلاً بالنسبة لهذه الحمولات , فالمصنوعات القطنية الروسية تفوقها الصناعة الهندية (وهي بريطانية) في الرخص والجودة ,

⁽⁷¹⁰⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 335.

⁽⁷¹¹⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 335.

والشيت الملون الذي كانت تجلبه معها كانت هناك أصناف كثيرة أفضل منه ، وعليه لم تستطع هذه السفن من أن تشكل منافسة جدية للتجارة البريطانية المزدهرة في الخليج العربي⁽⁷¹²⁾ .

وقد وقّع في نهاية آذار عام 1903 عقداً محدداً يحدد العلاقة بين الشركة الروسية للملاحة والتجارة والحكومة الروسية ، تدفع الأخيرة بموجبه مبلغ من ألف روبل روسي ، ما يقارب واحد وعشرين ألف جنيه إسترليني في كل عام ، ولمدة اثني عشر عاماً ، في مقابل تسيير الشركة أربع سفن كل عام إلى الخليج العربي ، على أن تتحمل الحكومة الروسية الرسوم المستحقة ، عن عبور سفن الشركة في قناة السويس ، وعلى أن تحتفظ لنفسها بحق الإشراف على اختيار كبار ممثلي الشركة في الخليج العربي ، وبعد أن وافق المجلس الإمبراطوري على ذلك العقد ، صدّق عليه القيصر الروسي في نيسان عام 1903⁽⁷¹³⁾ ، ووصلت مذكرة من الضابط المسؤول عن الشركة الروسية في حزينان من العام نفسه إلى بوشهر ، توضح التنظيم المحلي للشركة وطريقة عملها ، فعين مركزها الرئيس لمنطقة الخليج العربي في بوشهر ، وعهد به إلى "بافلوف" "Pavloff" ، وفتحت وكالات مساعدة في كل من مسقط وجاسك وبندر عباس ولنجة والمحمرة والبصرة ، وكان المسافرون والبضائع ينقلون عن طريق هذا الخط من وإلى تلك الموانئ ، فضلاً عن الموانئ في البحر المتوسط والبحر الأسود ، ونتيجة لهذه التنظيمات فقدت شركة هوتز وأبنائه ، المكانة كوكلاء للشركة في بوشهر التي كانت لها في الخليج العربي⁽⁷¹⁴⁾ .

وتعزيزاً لعمليات الشركة قررت الحكومة الروسية في نهاية عام 1904 اتخاذ بعض الإجراءات ، فأعلنت إلغاء الحظر على المتاجرة بين أوروبا وإيران عن طريق باطوم - باكو بأنواع معينة من التجارة البريطانية ، لاسيما الشاي الهندي شريطة نقل هذه البضائع ، على سفن الشركة الروسية للملاحة والتجارة من أوديسا إلى باطوم ، كما أصدرت أوامرها أيضاً بتخفيض بعض الرسوم الكمركية لمصلحة الشركة ، وقدمت الحكومة الروسية عوناً آخر للتجارة الروسية في جنوب إيران ، بأن أرسلت بعثتين تجاريتين في عامي 1904 و 1905 ، كانت الأولى تضم خمسة أعضاء ، وكان يرأس كلا البعثتين "الأمير انتوني" "Prince Anatouni" - وهو أرمني قوقازي من عائلة طيبة - وأرسل أعضاء البعثة الأولى إلى شيراز وبوشهر والمحمرة وشيستان وغيرها من الأماكن ، وزار الأمير بنفسه المينائين الأخيرين في آب عام 1904 ، وكان الهدف الرئيسي هو العمل على إنشاء بنك روسية في بوشهر وشيراز ، وفي البعثة الثانية أيضاً وصف الأمير أنتوني بأنه "سكرتير البنك الروسي" فضلاً عن أنه كان مكلفاً بتفقد ومتابعة العاملين في الشركة الروسية للملاحة والتجارة ، التي كان جهاز موظفيها ، مكوناً من رئيس وسبعة مساعدين منتشرين في مختلف موانئ الخليج العربي منذ عام 1903 ، ولم يستطع الأمير أن يؤدي هذه المهمة بدقة ، فقد وصل إلى بوشهر في السابع والعشرين من أيلول عام 1905 ، على سفينة

(712) Ibid .pp. 335-336 .

(713) Ibid .

(714) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp. 336 – 337.

الشركة "تروفور" وغادرها في بداية تشرين الأول من العام نفسه إلى شيراز , وظل بها إلى نهاية الشهر ثم رحل إلى أصفهان وطهران⁽⁷¹⁵⁾.

بعد مجيء "غيلياك" مر أكثر من عام ونصف , قبل أن تظهر في مياه الخليج العربي من جديد سفينة حربية روسية , وقد افلح البريطانيون خلال هذه المدة في ترويج إشاعة تزعم أنهم منعوا السفن الحربية الروسية من ارتياد الخليج العربي , فجرت الاستعدادات في روسيا لإرسال الطراد الحربي الثقيل "قارياغ" "Varyage" إلى الخليج العربي⁽⁷¹⁶⁾.

أما الأهمية التي كانت الحكومة الروسية ترجوها من زيارة الطراد "قارياغ", فتتمثل في أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري "أفيلان" في الثاني والعشرين من أيلول (5 تشرين الأول) عام 1901, إلى قائد الطراد بصدد زيارة موانئ الخليج العربي , ومما جاء فيه: امتثالاً للإرادة العليا ينبغي للطراد الموكل إليكم , في طريقه إلى المحيط الهادئ, أن يعرج إلى الخليج العربي, لزيارة الموانئ فيه والإطلاع على وضع الأمور في هذه المياه , وإن الهدف من إرسال الطراد إلى الخليج العربي , يقتصر أساساً , على أن تبين الحكومة الروسية للسلطات البريطانية والمحلية على السواء , أن ظهور العلم الروسي في هذه المياه هو سهل المنال أمام ملاحه جميع الأمم, خلافاً لمطامع الحكومة البريطانية في تحويل الخليج العربي إلى بحر مغلق يقع في دائرة نفوذها فقط , وتوخياً لهذا الهدف من الضروري , التحلي بالحذر والحصافة الشديدين لدى زيارة موانئ الخليج العربي, لكي لا تعطوا بتصرفاتكم ذريعة للاستنتاج , أن الظهور غير الاعتيادي للعلم الحربي الروسي يخفي وراءه أية مآرب عدوانية , أو السعي لإحراز مكاسب إقليمية , ويترتب على قائد الطراد أن يأخذ في الحسبان, أن بضعة تغييرات طرأت على الظروف المحلية في الخليج العربي خلال العامين الأخيرين , إذ أن الممتلكات العثمانية المحاذية لهذا الخليج , اكتسبت أهمية خاصة , لأنه ينبغي أن يصل إليها عما قريب خط سكة الحديد الذي تخطط له ألمانيا, من قونيا عبر بغداد وأن انسب محطة نهائية لهذا الخط ستكون -على ما يبدو- الكويت, أن هذه الافتراضات لا بد وأن تثير اهتماماً شديداً من البريطانيين , الذين كانوا دائماً على استعداد لعدّ الخليج العربي داخلاً في دائرة نفوذهم فقط , وكانوا ينوون كما يبدو, استغلال الاشتباك الذي وقع بين شيخي الكويت ونجد⁽⁷¹⁷⁾, لتأمين مصالحهم في الخليج العربي بواسطة سفنهم التي

(715) Ibid.

(716) ميلينكوف, "قارياغ", ليننغراد, 1983, نقلاً عن: ي. ريزفان, المصدر السابق , ص 17.

(717) هزم جيش عبد العزيز ابن رشيد أمير حائل (1897-1906) المدعوم من الدولة العثمانية في شباط عام 1901, قوات عبد العزيز ابن الأمير عبد الرحمن ابن سعود أمير نجد , وقوات مبارك شيخ الكويت بقيادة الأخير شرّاً هزيمة, مما أدى إلى انسحاب جيش القوتين إلى الكويت. للمزيد من التفاصيل ينظر:

A.K.Vol Two. 1902-1905. Inclosure in No 159 Lieut-Commander Armstrong to Rear-Admiral Bosanquet. " Lapwing" at Buchire. May 27.1902.PP.96-97; J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp. 357; ف. لوتسكي , المصدر السابق , ص 426.

أرسلوها من بومباي إلى الكويت⁽⁷¹⁸⁾ , وان الحكومة العثمانية وجدت , بدورها , فرصة سانحة لتعزيز حقها في أراضي الكويت , ووجهت لهذا الهدف قوات من البصرة , إلا

إنها توقفت في منتصف الطريق , بعد مفاوضات مع بريطانيا⁽⁷¹⁹⁾ , انتهت بالاتفاق الذي أكد الحفاظ على الوضع الراهن⁽⁷²⁰⁾.

لم ترد إلى الحكومة الروسية أنباء عن مدى تطابق تصرفات البريطانيين اللاحقة , بصدد الاتفاق الذي تم التوصل إليه مع الحكومة العثمانية , وهل أنهم سحبوا السفن جميعها مع القوات؟ حال إصدار الأمر إلى قائد الطراد "قارياغ" لذا طلب منه , التحقق من الوضع الذي تشغله بريطانيا في سواحل الخليج العربي , لاسيما في الكويت , واستطلاع مقاصدها اللاحقة أيضاً قدر الإمكان⁽⁷²¹⁾.

ومما جاء أيضاً في أوامر الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد , أن وزارة الخارجية أنشأت ابتداءً من العام 1901 , قنصليتين جديدتين في بوشهر والبصرة , وباشرت أعمالهما مؤخراً , وقد ألفت وزارة الخارجية سواءً أكان على القنصل الروسي العام في بوشهر , الموظف من

(718) و.أ.د.م.س.ب.ح , أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري "أفيلان" إلى قائد الطراد الثقيل "قارياغ" بشأن زيارة موانئ الخليج العربي , بتاريخ 22 أيلول (سبتمبر) 1901 , رقم 3085 , الملف رقم 417 , القائمة 1 , الإضارة رقم 2436 , المصدر السابق , ص 77-78 . وسيشار له بـ أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل "قارياغ".

(719) وقعت بريطانيا اتفاقية في السادس من أيلول عام 1901 مع الدولة العثمانية , حول قضية الكويت , اعترفت بريطانيا بموجبها بسيادة الدولة العثمانية على الكويت , على شرط أن لا ترسل الأخيرة قوات إليها , مقابل اعتراف الدولة العثمانية بمصالح بريطانيا الخاصة في الكويت , وبالاتفاقية البريطانية . الكويتية لعام 1899 , فأرضت الاتفاقية غرور الدولة العثمانية بعد أن ظلت الكويت شكلياً تحت سيادتها , ولتت مطالب بريطانيا إذ أصبحت الكويت فعلياً تحت سيطرتها . ينظر : ف. لوتسكي , المصدر السابق , ص 423 .

(720) أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل "قارياغ". المصدر السابق , ص 77-78 .

(721) المصدر نفسه , ص 78-80 .

الدرجة التاسعة "أوفسيينكو"، أم على القنصل في البصرة مساعد المستشار "أداموف" (722)، اللذين سبق لهما ان زارا الخليج العربي، واجب مراقبة دسائس الأجانب هناك بكل اهتمام، وأعطيت لكلا الشخصين تعليمات إضافية بشأن هذا الموضوع، وكلاهما سيقدمان كل العون والمساعدة في أداء المهام الملقاة على طاقم الطراد، فضلاً عن ذلك سوف تطلب وزارة الخارجية من القنصل في البصرة، الاستعداد لاستقبال الطراد للتوجه على متنه إلى الكويت الداخلة ضمن دائرة هذا القنصل، لذلك يترتب على طاقم الطراد في تصرفاتهم وعلاقاتهم مع السلطات المحلية والسكان، ان يراعوا نصائح كلا الشخصين المحنكين والمطلعين على الظروف المحلية (723).

وطبقاً للتعليمات فان المدة الكاملة لوجود الطراد في مياه الخليج العربي، يجب أن تكون بحدود ثلاثة أسابيع، وعلى قائد الطراد رسم خط السير المقترح لملاحة الطراد في الخليج العربي وعند سواحل الجزيرة العربية، وتبليغ ذلك لأركان البحرية العامة ببرقية مشفرة مع الإشارة إلى الزمن التقريبي للوصول إلى الميناء، وذلك بغية إبلاغ خط السير هذا، عبر وزارة الخارجية، إلى السفارتين الروسييتين في إيران والدولة العثمانية، ولدى الانتهاء من التجوال المعد من الطاقم يجب على الطراد ان يواصل السير إلى المحيط الهادئ، ويجب اخذ التدابير اللازمة كي لا تتسرب إلى الصحافة أية معلومات عن المهمة المقبلة الملقاة على الطراد، ولا يبلغ ضباط الطراد عن الرحلة المزمعة إلى الخليج العربي قبل الخروج من عدن، وذلك بغية إبعاد إمكانية ظهور أية معلومات عن ذلك مستقاة من الرسائل الخاصة، يجب جمع مختلف المعلومات التي يمكن ان تكون معلومات مفيدة في زمن السلم والحرب على السواء في إنشاء الملاحة، وان جميع المعلومات التي يجمعها طاقم الطراد يجب أن تبقى طي الكتمان، ويشير أمر رئيس الأركان البحرية العامة أيضاً: "بلاغتكم الخطية أثناء الملاحة المقبلة للطراد في تلك المياه أرسلوها في الحال أو فيما بعد على سفن روسية أو - إذا كان ذلك أمراً ممكناً - من خلال ممثلينا الدبلوماسيين، والبرقيات التي تتضمن أية معلومات مستحصلة "ما عدا المعلومات العادية عن الوصول إلى الموانئ" أرسلوها بالشفرة، نضع تحت تصرفكم، على هذا الكتاب، مقتطفات من بلاغ قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك" عن زيارة السفينة لموانئ الخليج العربي، عام 1900،

(722) افتتحت القنصلية الروسية في البصرة عام 1901، تحت إشراف أداموف الذي بقي بها حتى عام 1902، سكرتير القنصلية، من عام 1902 حتى عام 1904، وعُيّن بوبوف Savinow وقام بالأعمال بعد ذلك سافينو سكرتيراً ابتداءً من عام 1904. ينظر: Popoff.

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II . p. 2699.

(723) أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل "فاريغ". المصدر السابق، ص 78-80.

وكذلك نشرة عن معاينات الرصد الجوي , التي أجريت في السفينة خلال ذلك الوقت ابرقوا لنا عن استلامكم لهذا الكتاب⁽⁷²⁴⁾.

وتتسم زيارة الطراد "فارياغ" لموانئ الخليج العربي بأهمية خاصة , إذ ان البرقية المتعلقة بإبلاغ إقلاع الطراد , قد أرسلها نيقولا الثاني القيصر الروسي شخصياً , ولكن على الرغم من أن خط سير الطراد ظل طي الكتمان الشديد , فقد أصيب قبطان الطراد "بير" ونائبه "كرافت" , اللذان كانا وحدهما يعرفان خط السير , أصيبا بدهشة شديدة عندما أتضح في ميناء بيريه في اليونان , أن مُسلمي البضائع كانوا يعلمون أن الطراد يتجه إلى الخليج العربي⁽⁷²⁵⁾.

قام الطراد "فارياغ" بالمناورة البحرية الحربية الروسية الثانية في الخليج العربي , وهو حسن التسليح ومن الطراز الأول , صنع في أمريكا وبلغت حمولته 6460 طناً , وفي طريقه إلى الخليج العربي رسى في عدن فأثار الاضطراب بأنواره الكاشفة في الميناء بطريقة غير عادية⁽⁷²⁶⁾ , وقد وصل إلى مسقط في الساعة العاشرة من مساء السابع والعشرين من تشرين الثاني (10 كانون الأول) عام 1901 , وفي اليوم التالي جاء رسل السلطان فيصل بن تركي , لتقديم الشكر باسم السلطان , على تأدية الطراد تحية من إحدى وعشرين طلقة وعلى مجئ الطراد إلى بلاده , ثم قام السلطان والحاشية المرافقة له بصحبة القنصل الفرنسي "لارونس" "Laronce" بزيارة الطراد الروسي "فارياغ" لمشاهدته⁽⁷²⁷⁾ , وقد انبهر السلطان برؤيته وصّرح أنه أعظم سفينة حربية رآها في الخليج العربي⁽⁷²⁸⁾ , وأثناء وجود بير قائد "فارياغ" في مسقط , تسنى له جمع المعلومات عنها , فوصف في تقريره , تبعية مسقط سياسياً ومالياً لبريطانيا , إذ يوجد لديها في مسقط قنصل هو "كوكس" "Cox"⁽⁷²⁹⁾ , وبمعيته طبيب , وكذلك سفينة خفر سواحل ترابط هناك بصورة دائمة , تراقب بكل صرامة جميع الأحداث لاسيما المركز الاستراتيجي المهم الواقع عند مدخل الخليج العربي , ولكن على الرغم من شدة النفوذ البريطاني على السلطان فان رعاياه , على ما يبدو , لا ينصاعون له كلياً , ويمكن أن يصلح مثلاً دماغاً على ذلك , الحادث الذي وقع في الأيام الأخيرة

⁽⁷²⁴⁾ أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل "فارياغ". المصدر السابق , ص 78-80.

⁽⁷²⁵⁾ ي. ريزقان , المصدر السابق , ص 17.

⁽⁷²⁶⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 .Part. 1 . p. 329.

⁽⁷²⁷⁾ و.أ.د.م.س.ب.ح , من تقرير قائد الطراد الثقيل "فارياغ" العقيد البحري بير , بشأن زيارة موانئ الخليج العربي , الملف رقم 417 , القائمة 1 , الإضبارة رقم 2436 , المصدر السابق , ص 81-83 . وسيشار له في الصفحات التالية بـ من تقرير قائد الطراد الثقيل "فارياغ".

⁽⁷²⁸⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 .Part. 1 . p. 352.

الذي أصبح فيما بعد السير بيرسي كوكس , تولى منصبه من Percy Cox⁽⁷²⁹⁾ وهو الكولونيل بيرسي كوكس الأول من تشرين الأول عام 1899 إلى الثاني من كانون الثاني عام 1904 . ينظر :

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 .Part. II . p. 2677.

عشية وصول الطراد الروسي "فارياغ" إلى مسقط، ففي مكان يقع إلى الجنوب من الموضع الساحلي صور، جنوب مسقط، توجد وفقاً للروايات، مناجم فحم يزعم البريطانيون مباشرة استثمارها، فأرسلوا إلى هناك الطراد "بيرسيوس" "Perseus" وسفينة خفر السواحل "آساي" "Assay" وعلى متن إحدى هاتين السفينتين كان يوجد القنصل البريطاني بصحبة سلطان مسقط، فضلاً عن المهندسون والعمال، إلا أنه لم يتسن تحقيق الخطة المرسومة، لأن العرب قاوموا ذلك ومنعوا العمال من الوصول إلى المناجم، ولم يرَ البريطانيون من الملائم استخدام القوة حتى لا ينتهكوا، المعاهدة القائمة بين بريطانيا وفرنسا، التي بموجبها لا يجوز لأي من الدولتين اتخاذ أي إجراء في مسقط من دون اتفاق متبادل على ذلك⁽⁷³⁰⁾.

وبعد أن غادر الطراد الروسي "فارياغ" مسقط في الثاني عشر من كانون الأول عام 1901، ضاع خط تتبعه من السفن البريطانية مؤقتاً، وقيل أنه عاد إلى عدن، لكنه حينما ترك مسقط اتجه شمالاً⁽⁷³¹⁾، فوصل إلى بوشهر في الثاني من كانون الأول (15 كانون الأول) من العام نفسه، وقد صادف الطراد الروسي سفينة خفر السواحل البريطانية "لابونك" "Lapwing" هناك، وفي اليوم التالي توجه "بير" قائد الطراد بصحبة ضابطين في زيارة "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر، ويشير "بير" إلى أن القنصلية الروسية قائمة هناك منذ ما يقرب شهرين فقط، وهي تقع في مبنى مؤقت، إلا أنه من المفترض فيما بعد استئجار دار الحاكم العام السابق، ويبدو أنها ستكون من حيث منظرها الخارجي، أحد أنسب المباني بالنسبة للقنصلية إذ لا تضاهيها في ذلك سوى دار القنصلية البريطانية، ونظراً لأن القنصلية بدأت تتأسس لتوها حينذاك، فقد طلب "أوفسينكو" من بير قائد الطراد، وبغية تعزيز مكانته وسط سكان الخليج العربي، البقاء عدة أيام في بوشهر والاشتراك في الاحتفالات القادمة بعيد ميلاد القيصر الروسي، وبما أنه لم يكن لديه مُسوّغ لرفض طلب "أوفسينكو"، ونظراً لأن أداموف القنصل الروسي في البصرة، لم يأت لاستقباله خلافاً لما ورد في كتاب الأركان البحرية العامة، فقد بقي في بوشهر وابرق بهذا الصدد إلى الأمين العام لوزارة البحرية الروسية⁽⁷³²⁾، الأمر الذي يشهد باهتمام روسيا الشديد بهذه المنطقة.

ويشير "بير" أيضاً إلى أن النفوذ البريطاني في بوشهر شديد جداً من جراء تواجد البريطانيين القديم، وبسبب شراء الذمم المنتشر هناك، وهم على ما يبدو لا يخلون بالأموال من أجله، أما فيما يتصل بالسكان أنفسهم، فهم كما يظهر، غير متضامنين في الآراء مع سلطاتهم، ولا يتعاطفون كثيراً مع هذا النفوذ، ولا يجوز عدم الإشارة أيضاً إلى وجود فرع للبنك البريطاني - الإيراني في بوشهر، على الرغم من أنه في جوهر الأمر لا يحتوي على أي رصيد إيراني، وحتى

⁽⁷³⁰⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "فارياغ"، المصدر السابق، ص 83-85.

⁽⁷³¹⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 .Part. 1 . p. 329.

⁽⁷³²⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "فارياغ"، المصدر السابق، ص 86-90.

انه لا توجد في البنك صورة للشاه الإيراني ، ما عدا صورة للملكة فكتوريا ، وان نشاط البنك يتركز في شراء وبيع الحوالات ، الداخلية والخارجية (بنكنوت) ، وإذا ما أخذنا في الحسبان ، ان مركز البريد والبرق المحلي يوجد أيضاً في أيدي الحكومة البريطانية ، عندها يغدو مفهوماً ان هذه الحكومة سوف تعمل في ظل نظام كهذا ، على تقديم حماية اكبر لمواطنيها ، ولكن مهما تكن واضحة للعيان صعوبة المنافسة في ظل الظروف هذه في موانئ الخليج العربي ، فان ظروف التجارة الروسية الإيرانية ، في رأي القنصل الروسي تبعث على الأمل ، بأنها ستكون ظروفًا ملائمة إذا تسنى للنفوذ التجاري الدبلوماسي الروسي ، إيقاف نجاحات بريطانيا المتعاضمة في جنوب إيران ، كما لا يجوز عدم ذكر مركز تجاري آخر يقع على ساحل الخليج العربي ويوجد ضمن دائرة النفوذ البريطاني ، وهو ميناء المحمرة الواقع عند مصب نهر الكارون الصالح للملاحة ، والذي يتسم بأهمية كبيرة من الناحية التجارية ، إذ تنطلق من هذه المدينة آمن الطرق نحو مركز أسواق إيران التجارية ، يدير مدينة المحمرة شيخ تابع إلى إيران ، ان هذا الشيخ الذي يتملقه البريطانيون بالهدايا السخية وبالوعود وبمساندته ، يبدي مقاومة في دفع الإتاوات لإيران ، فيما تقف الحكومة البريطانية في حالة ترقب وانتظار لتقديم حمايتها له في حال مضايقته من الإيرانيين⁽⁷³³⁾.

ولدى وصول "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر إلى الطراد ، في الثامن من كانون الأول (21 كانون الأول) عام 1901 ، انطلق نحو الكويت التي وصلها في اليوم نفسه ، ورسا بجانب الساحل ، وبعد يوم من وصول الطراد الروسي إلى الكويت ، جاء في زيارة له "جابر" النجل الأكبر لشيخ الكويت ، الذي يدير شؤون البلاد في غياب والده الشيخ مبارك ، وجلب معه إلى طاقم الطراد هدية من عشرة خراف باسم الشيخ مبارك ، وبعد أن زار "أوفسينكو" بصحبة "كرافت" نائب القبطان وخمسة ضباط روس في التاسع من كانون الأول (22 كانون الأول) من العام نفسه ، لنجل الشيخ الكويتي ، سافروا على ظهور الجياد إلى الجهرة ، حيث استقبلهم الشيخ مبارك بالحفاوة والترحاب البالغين ، واستعرض لهم قواته في المعسكر ، وأقام بمناسبة مجئ الضيوف الروس رقصات وألعاب بالفروسية العسكرية ، فضلاً عن ذلك طلب منهم ان ينقلوا عن لسانه للحكومة الروسية ، انه سيكون مسروراً جداً ، إذا صارت السفن الروسية تزور ممتلكاته بتكرار قدر الإمكان ، وانه يفضل إذا حلت أوقات عصيبة بالكويت ، طلب المساعدة من الروس وليس من أي بلد آخر ، وانه ضد فكرة مد سكة حديد إلى بلاده ، وفيما يتعلق بالعلامات الظاهرة المنظورة ، لوجود البريطانيين على الساحل ، فان "بير" قائد "قارياغ" لم يلاحظ ذلك شخصياً باستثناء ان واحداً من السكان المحليين ، وهو شخص إيراني ، أقام بمساعدة البريطانيين فرناً للخبز الذي يقدم إلى السفن الحربية البريطانية ، كما كان يوجد وكيل تجاري "للشركة البحرية الهندية البريطانية" "British India S.N.C" التي تقوم سفنها برحلات منظمة إلى الكويت كل

⁽⁷³³⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "قارياغ" ، المصدر السابق ، ص 86-90.

أسبوعين ، على الرغم من أنها لا تتلقى حمولات حينذاك ، نظراً للوضع المقلق في البلاد، كما حدث لسفينة الشركة المذكورة ، في العاشر من كانون الأول (23 كانون الأول) عام 1901 أثناء رسو الطراد الروسي، ووفقاً للمعلومات التي جمعها "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر، ان وكيل الشركة المذكورة نصب سارية في فناء الوكالة البريطانية، لإجراء المحادثات مع السفن القادمة التابعة لهذه الشركة ، ولكن السارية قطعت ، كما لو كان الأمر من الشيخ⁽⁷³⁴⁾، على الرغم من انه لم يعترف بذلك للبريطانيين ، فألقى الذنب على البدو الرحّل ، ومع ذلك فقد أعيد نصب السارية ، ولكن في فناء دار الشيخ هذه المرة لتجري المحادثات تحت إشرافه⁽⁷³⁵⁾، لقد وقع هذا الحادث بعد ثلاثة أشهر، من عقد اتفاقية السادس من أيلول عام 1901 البريطانية العثمانية ذات الحلول الوسطية ، وان هذا الحادث أدى إلى تفاقم التناقضات البريطانية الروسية ، وإلى سخط كبير في الصحافة الروسية ، حتى ان "زينوفييف" ، السفير الروسي في اسطنبول أشار إلى الباب العالي بمراجعة محكمة لاهاي الدولية ، وقام القنصل الروسي العام في بغداد بزيارة الشيخ مبارك و قدّم له ميدالية روسيّة وهدايا، وتحت الضغط الروسي إستكثرت بريطانيا عمليات ضابطها البحري ، وأعلنت أنها تنوي التمسك التام بالاتفاقية مع الدولة العثمانية والمحافظة على الوضع الراهن⁽⁷³⁶⁾.

عاد إلى الطراد الروسي "فاريغ" من الجهرة في العاشر من كانون الأول (23 كانون الأول) عام 1901 ، نائب القبطان والضباط الروس ، أما "أوفسينكو" الذي كان بحجة رؤية نجل الشيخ مرة أخرى، فقد بات ليلته على الساحل لدراسته ، ولدى عودته إلى الطراد في اليوم التالي عند الظهر، اتجه الطراد إلى لنجة ، وتمنى له الطراد البريطاني "بومون" الراسي في الميناء سفراً ميموناً بوساطة الإشارات الدولية ، فأجابه الطراد الروسي على ذلك بالتمنيات بعيد الميلاد ورأس السنة السعيد ، وبعد زيارة لنجة اتجه الطراد الروسي إلى بندرعباس الذي وصله في الخامس عشر من كانون الأول (28 كانون الأول) من العام نفسه بعد الظهر، ورسا على مسافة ميلين من الساحل، وفي صباح اليوم التالي قام الحاكم المحلي بصحبة موظف في وزارة الخارجية الإيرانية، بزيارة قائد الطراد الذي قام في اليوم نفسه بزيارة جوابيه لهما، وروجت الصحافة البريطانية شائعات مفادها ، عزم الحكومة الروسية على جعل بندرعباس ، أو إحدى الجزر المحاذية له ، نقطة استناد في الخليج العربي ، لذلك قام قائد الطراد الروسي ، بالإطلاع على هذا

⁽⁷³⁴⁾ وسرت إشاعة في الخليج العربي تقول، إن حديث بيرو "أوفسينكو" مع الشيخ مبارك، الذي رفض إبلاغ

البريطانيين عن مضمونه ، قد حدا به إلى التصميم على إنزال العلم البريطاني في رأس الأرض ورفع العلم العثماني عليه. نقلاً عن: ي. ريزفان، المصدر السابق، ص19. و يذكر لوريمر، أن شيخ الكويت اتصل بممثل روسيا في بغداد في أمر ظل مجهولاً. ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 361.

⁽⁷³⁵⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "فاريغ"، المصدر السابق، ص90-93.

⁽⁷³⁶⁾ ف.لوتسكي ؛ المصدر السابق، ص423-424.

الميناء بصورة أكثر تفصيلاً، فيصف منظر المدينة بالغير جميل إطلاقاً ، بيوتها نصف مهدمة وقبيحة ، وشوارعها ضيقة ووسخة وتجري فيها القاذورات ، وإذا أضيف إلى ذلك أيضاً المناخ غير الصحي على ساحل الخليج العربي، والقيظ الذي لا يطاق من آذار حتى تشرين الثاني، والذي لا يتحملة حتى السكان الأصليون، فإن الحياة فيها ليست سهلة على الإطلاق، فضلاً عن أن وقوف السفن غير مريح ، لأن السفن ذات الغاطس العميق لا تستطيع الاقتراب أكثر من 3-4 أميال من الساحل ، وينوء بير قائد الطراد إلى أن مواد التصدير الأساسية في بندرعباس ، هي الصوف المستوردة من أفغانستان فضلاً عن القطن ومختلف أنواع المنسوجات ، وأثناء مروره في السوق لاحظ في جميع الحوانيت تقريباً وجود الشيت الروسي، الذي نقلته السفينة الروسية "كورنيلوف"⁽⁷³⁷⁾، وعلى بعد 12 ميلاً من بندرعباس تقع جزيرة هرمز المشهورة بحقول استخراج الملح، وحينما رغب في التعرف ولو على واحدة من الجزر الكبيرة القريبة من بندرعباس توجه إلى جزيرة هرمز ، على زورق بخاري بصحبة القنصل الروسي العام في بوشهر ورئيس ضباط الملاحة في الطراد ، فينوء بير إلى أن السواحل الصخرية للجزيرة عمودية الانحدار، لدرجة تتيح للسفن التي يبلغ غاطسها 18 قدماً الاقتراب تماماً من الجزيرة ، ويضيف بير في تقريره، أنه لا يجوز القول ان الحياة في جزيرة هرمز باتت مقبولة جداً ، ذلك لأن السكان يضطرون لجلب الماء من بندرعباس ، وان مادة الغذاء الوحيدة هي السمك ويقول: "والأمر الغريب أنني شاهدت بنفسي كيف أن الحيوانات . الماعز والحمير . تأكل سمكاً شبيهاً بالرنكة ، وذلك بسبب عدم وجود علف آخر"، وأثناء موسم الأمطار، الذي تأخر كثيراً هذا العام، يزرعون القمح في بعض الأماكن من الجزيرة ، وابتداء من شهر آذار يصبح من المستحيل القيام بأية أعمال لأن جميع السكان، بلا استثناء، يغادرون الجزيرة بسبب القيظ الشديد وعدم وجود الماء، وان كل ما قيل أعلاه يدفع إلى التفكير أن المناخ في جزيرة هرمز كان في السابق يختلف عما هو عليه في أثناء زيارة الطراد "فارياغ"، لأنه على ما يبدو، كان في استطاعة الأوربيين [منذ أيام البرتغاليين في القرن السادس عشر]، أن يعيشوا في الجزيرة على مدار العام ، أما في هذا العام 1901 فلا يستطيع ذلك حتى السكان الأصليون⁽⁷³⁸⁾.

وفي أثناء زيارة الطراد "فارياغ" لموانئ الخليج العربي، استخلص قائده بير عدداً من الاستنتاجات منها: أن الملاحة في الخليج العربي أثناء أشهر الشتاء من تشرين الثاني حتى نهاية شباط لا تشكل مصاعب لاسيما لسفينة بخارية قوية ، ولكن عدم وجود الفحم والماء في الموانئ يشكل كابحاً للملاحة ، على الرغم من أن ذلك يمكن تحاشيه بسهولة ، إذا أخطرت القنصلية الروسية في بوشهر قبل شهرين من قدوم السفينة ، وعند ذلك يمكن الحصول على الفحم في أي مكان من الخليج ، وفي حال اعتزام إنشاء مستودع للفحم يكون من المناسب ، على الأرجح ،

⁽⁷³⁷⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "فارياغ"، المصدر السابق، ص 93-95.

⁽⁷³⁸⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "فارياغ"، المصدر السابق ، ص 95-96.

اختيار بوشهر, وعلى الرغم من أن ميناءها غير مريح للسفن تماماً , إلا أنه ينبغي التوقف فيه نظراً لأن هذه المدينة مركز إداري رئيسي بوصفها مكاناً لإقامة الحاكم العام وجميع القناصل على السواء , وإذا ما بدا امتلاك مستودع للفحم خاص للسفن الروسية في مسقط , أو الحصول على إذن من الحكومة الفرنسية باستخدام مستودع الفحم الموجود هناك , تحت تصرف نائب القنصل الفرنسي, فإن الملاحة في الخليج العربي يمكن عدّها مضمونة تماماً من ناحية الحصول على الوقود , وإذا كان من اللازم لروسيا, من الناحية السياسية, امتلاك نفوذ في الخليج العربي, فينبغي, وفقاً لرأي بير , لا الاقتصار على إرسال سفن حربية كل عام لمدة قصيرة إلى موانئ هذا الخليج في طريقها إلى الشرق أو لدى عودتها منه , بل ينبغي أن توضع تحت تصرف القنصلية العامة في بوشهر, سفينة معدّة خصيصاً للملاحة في المناخ الحار, وذات غاطس لا يزيد عن 14 قدماً , ومسلحة بمدفعية خفيفة , فبوضع هذه السفينة تحت تصرف القنصل العام في بوشهر, تظهر إمكانية دوام معاينة ومراقبة جميع الموانئ القائمة في الساحل الشرقي في الخليج العربي⁽⁷³⁹⁾, مشيراً إلى أن لدى الحكومة البريطانية في بوشهر بضع سفن مرابطة باستمرار هناك, وهي الطراد "بومون" وسفینتا خفر السواحل "ريد بريست" و"لابونك" وكذلك سفن البريد "سفينكس" و"لاورنس" "Lawrence" و"آساي", السفينتان الأخيرتان تعودان للأسطول الهندي , وتوجدان تحت تصرف الكامل للمقيمة العامة في بوشهر, وفقاً للمعلومات التي استقاها بير قائد الطراد الروسي , من قادة سفن المرابطة البريطانية , ففي أشهر الصيف يجري استئجار عمال من زنجبار , أو من العرب للقيام بأعمال خارجية على متن هذه السفن وإشعال النار في مراجلها⁽⁷⁴⁰⁾.

وينوّه "بير" انه لا بد من وضع الأموال تحت تصرف القنصل الروسي العام في بوشهر, ليتسنى له جمع شتى المعلومات , بوساطة الوكلاء الموجودين في خدمته , بغية الحصول على إمكانية اتخاذ تدابير وقائية في الوقت المناسب , أن القنصلية الروسية العامة في بوشهر, قد قام بافتتاحها وبرأسها سكرتير القنصلية السابق في بغداد "أوفسينكو" الذي ضمن لها مستواً يليق بها , وذلك بأمواله الخاصة على ما يبدو, لأن المعونة النقدية غير الكبيرة نسبياً التي يتلقاها لا تسمح له وحدها , بتمثيل روسيا , أما بصدد العلائم الخارجية لهيمنة الحكومة البريطانية , في أي من الموانئ التي زارها "بير", فإنه لم يلاحظ شيئاً من ذلك القبيل , باستثناء التواجد الدائم للسفن المرابطة في الكويت وبوشهر ومسقط , ويمكن أن يشكل دليلاً لا بأس به على ما عرضه أعلاه , واقع تسليم إيران كماركها مؤخراً في كل الساحل الشرقي للخليج العربي للبلجيكيين⁽⁷⁴¹⁾, ويضيف

⁽⁷³⁹⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "قارياغ", المصدر السابق, ص 96-97.

⁽⁷⁴⁰⁾ المصدر نفسه, ص 97.

الخبر البلجيكي, الذي كان برفقته اثنان من Naus⁽⁷⁴¹⁾ حصل الشاه في أوائل عام 1898, على خدمات نوس , وفي غضون الأعوام التالية , أخرجت Tbeunis و تنيس Priem موظفي الكمارك البلجيكية الفنيين, هما بريم

بير" بأنه وفقاً للعادة المتبعة في الخليج العربي أرسل المشايخ والحكام ، على السواء ، لضباط الطراد الروسي، هدايا ، أبقاراً ، وأغناماً ، ودجاجاً، وخضاراً، أما في بوشهر فحتى سجاداً صغيرة أيضاً، لم يكن من الجائز عدم قبول هذه الهدايا، وفي غضون ذلك لم تكن لدى الضباط الروس إمكانية لتقديم هدايا جوابية لاثقة ، وعليه يبدو " لبير"، انه ينبغي على الحكومة الروسية ، لدى إرسالها سفن إلى موانئ الخليج العربي، بهدف إمكانية إقامة علاقات ودية ، أن تضع تحت تصرف قائد السفينة هدايا مثل ، مصابيح جميلة وساعات بمنبهات وأواني قهوة وشاي، وما شابه من الأشياء ، فان قائدي السفن البريطانية يقدمون دائماً ، بتكليف من حكومتهم هدايا جوابية لهؤلاء الأشخاص في الحالات المناسبة⁽⁷⁴²⁾.

ويضيف " بير" بناء على رأي القنصل الروسي العام في بوشهر، فان السلطات الإيرانية والحكام المستقلين في مسقط والكويت على حد سواء ، وعلى الرغم من أنهم كانوا ينتقون معونة من البريطانيين قصداً ، استقبلوا الروس استقبلاً أكثر حفاوة وترحاباً من البريطانيين أنفسهم ، الأمر الذي يمكن تفسيره ، بتعريض السفن الروسية بصورة نادرة على هذه الموانئ أو بالمودة ويضيف " بير" "أسمح لنفسي أن أبلغ ، من دون المساس بسبب الإرسال السري للطراد إلى موانئ الخليج العربي، انه إذا كنا لا نعد الخليج العربي داخلاً في دائرة نفوذ الحكومة البريطانية وحدها ، كما هو في واقع الأمر، فان بعثة سرية كهذه تبعث على التفكير بأننا نشق طريقنا إلى الخليج بشكل خفي توخياً لهدف ما خاص، أو إننا نتخوف من أنه لن يؤذن لنا إطلاقاً بالوصول إلى هناك ، ان ذلك كله يشكل بالدرجة الرئيسية مادة مغذية للجرائد لتروج لشتى أنواع الشائعات السخيفة"⁽⁷⁴³⁾. وفي ختام تقريره التمس " بير" من السلطات الروسية ، أن تمنح وساماً أو تقدم هدية لنائب القنصل الفرنسي في مسقط "لارونس"، الذي قدم له الخدمات الجليلة أثناء رسو الطراد المعهود إليه في مسقط ، وبعد أن ترك الطراد "قارياغ" في بندرعباس "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر في الثامن عشر من كانون الأول (31 كانون الأول) عام 1901، أبحر إلى كراتشي التي وصلها بعد خمسة أيام⁽⁷⁴⁴⁾، لكن "أوفسينكو" ظل في بندرعباس

كل دائرة كمركية من نظام الالتزام ، ووضعت تحت الإدارة المباشرة للكمارك الإيرانية الإمبراطورية الجديدة ، التي احتل البلجيكيون المراكز العليا بها، وفي الحادي والعشرين من آذار عام 1900 ، صارت كمارك بوشهر تحت الإدارة الجديدة ، وكانت كمارك بوشهر تدار من حاكم موانئ الخليج إدارة سيئة مستأجراً لها ، وكذلك فعلت ، الذي كان قبل ذلك ملحقاً Simais كمارك لنجة وبندرعباس ، وقد كان أول مدير عام لكمارك بوشهر هو سيمس تجارياً في المفوضية البلجيكية في طهران، ولم تمض مدة طويلة حتى عُرف نوس بأنه وزير الكمارك في طهران. ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II .pp . 2595-2596.

⁽⁷⁴²⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "قارياغ"، المصدر السابق، ص97-98.

⁽⁷⁴³⁾ نقلاً عن: المصدر نفسه

⁽⁷⁴⁴⁾ المصدر نفسه، ص98-99.

وانشغل بزيارة جزيرة قشم , وجمع المعلومات عن عوائد بندرعباس , حتى جاءت سفينة البريد البريطانية فمكنته من العودة إلى مقر عمله في بوشهر⁽⁷⁴⁵⁾.

وبعد أن أمضى الطراد واحداً وعشرين يوماً في الخليج العربي , أصبح لدى السلطات الروسية , من خلال مختلف المعلومات التي جمعها الضباط الروس , رؤيا واضحة عن الوضع الذي كان يشغله البريطانيون في الخليج العربي , ويمكنها على ضوء ذلك أن تخطط بشكل مناسب لما تقتضيه مصالحها هناك مستقبلاً.

وفي التقرير عن زيارة الطراد الروسي "فارياغ" لموانئ الخليج العربي, أشار "أوفسينكو" انه لدى ظهور الطراد في مختلف موانئ الخليج العربي , كان يلفت انتباه الجميع ويغدو في الحال موضع الاهتمام الشديد, ومظاهر الودّ الصادق من السكان المحليين, فان المقاييس المهيبة للطراد ومنظره الفخم , والأبهة , والنظافة والترتيب في الداخل , والإضاءة الكهربائية القوية , ومدافعه الضخمة, وأوركسترا الآلات النحاسية, التي لم يسبق لأهالي الخليج أن شاهدوا مثلها, ومختلف الأجهزة التكنيكية الحديثة , وتعداد الطاقم , وبناءً على نصيحة "أوفسينكو" بفتح أبواب الطراد أمام الراغبين في مشاهدته, وأخيراً بشاشة ولطف البحارة الروس, كانت تثير الدهشة والإعجاب في نفوس جميع زائري الطراد, وتشكل موضوعات لأحاديث لا نهاية لها في مختلف موانئ الخليج العربي, لا أثناء وجود الطراد هناك وحسب, بل بعد مغادرته أيضاً, وتحدثوا كثيراً عن الطراد الروسي, لا في موانئ الخليج العربي وحسب , بل وفي سواحل الجزيرة العربية أيضاً , ووصلت الشائعات عن وصول الطراد الروسي إلى الخليج العربي إلى شيراز وأصفهان⁽⁷⁴⁶⁾, كما أشار "أوفسينكو" في تقريره المرفوع إلى وزارة الخارجية الروسية , في معرض وصفه الزيارة التي قامت بها السفينة الفرنسية "كاتين", لموانئ الخليج العربي في شباط عام 1902, التي وصلت إلى هناك بعد زيارة "فارياغ" بقليل, إلى أن الانطباع الذي تركته زيارة هذه السفينة الحربية الفرنسية في نفوس السكان المحليين للخليج العربي, كان انطباع قليل الأهمية , وكانوا لدى مقارنتهم السفينة الفرنسية بالطراد الروسي "فارياغ", يعلنون انه من المستبعد أن يتسنى لهم مرة أخرى , مشاهدة سفينة غاية في التصميم والتجهيز في الخليج العربي, مثل "فارياغ", وكان شيخ الكويت مبارك , في أحاديثه مع قائد السفينة "كاتين" يكرّس معظم حديثه عن زيارة "فارياغ" للكويت⁽⁷⁴⁷⁾.

وما كاد الطراد "فارياغ" يغادر الخليج العربي ويتنفس البريطانيون الصعداء , حتى وصلت إلى عدن سفينة روسية أخرى هي سفينة النقل "ينيسي" , كان الدخول العادي للسفينة الروسية

⁽⁷⁴⁵⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 365.

⁽⁷⁴⁶⁾ أرشيف سياسة روسيا الخارجية , "ملف الأرشيف السياسي" الاضبارة 365, بلاغ "أوفسينكو" في طهران

بتاريخ 1902/1/11 رقم 9. نقلاً عن: ي. ريزقان, المصدر السابق, ص19.

⁽⁷⁴⁷⁾ و.أ.د.م.س.ب.ج., رسالة من وزارة الخارجية إلى وزارة البحرية , بشأن زيارة الطراد الفرنسي "كاتين",

لموانئ الخليج العربي, الملف 417, القائمة 1, الاضبارة 2436, المصدر السابق, ص 100.

إلى هذا الميناء في طريقها إلى الشرق الأقصى، يثير لدى البريطانيين توتراً عصبياً شديداً، فأخذ قباطنة السفن البريطانية يظهرون على متن "ينيسي" الواحد تلو الآخر ويطرحون السؤال نفسه: أليست السفينة متجهة إلى الخليج العربي؟ وعلى الرغم من تأكيد القبطان على أنه متجه مباشرة إلى كولومبو، فقد راقبوا "ينيسي" حتى مغادرتها ميناء عدن⁽⁷⁴⁸⁾، وعدم توجهها إلى منطقة الخليج العربي.

لقد كانت زيارات السفن الروسية لموانئ الخليج العربي ، محاولة روسية لجس نبض ردود

الأفعال البريطانية والمحلية على السواء ، وعلى الرغم من ان النفوذ البريطاني جعل من بريطانيا سيدة الموقف في الخليج العربي ، إلا ان النشاطات الروسية المتنوعة قد أثارت الاضطراب والقلق لديها على مصير نفوذها في الخليج العربي ، وقد أوضحت بكل جلاء سبب اضطراب البريطانيين هذا ، نسخ رسائل الاختصاص بعلم الحيوانات "بوغويافلنسكي" ، التي أرسلها في حزيران وتموز عام 1902 إلى القنصلية الروسية العامة في بوشهر.

⁽⁷⁴⁸⁾ ي. ريزفان، المصدر السابق، ص 20.

الفصل الرابع

النشاط الروسي في الخليج العربي وردود الأفعال

البريطانية 1902 – 1907

**إستنتاجات بوغويا فلنسكي عن علاقات سكان الخليج العربي ببريطانيا وروسيا
في عام 1902**

أرسلت الجمعية المسكوفية الإمبراطورية لهواة العلوم الطبيعية ، العالم "بوغويافلنسكي" "Bogoyavlenski" إلى منطقة الخليج العربي للقيام بأبحاث علمية ، وتوجه في الثلاثين من نيسان (13 أيار) عام 1902 إلى جزيرة البحرين ، حاملاً رسالة توصية من أوفسينكو القنصل الروسي العام في بوشهر ، إلى الشخصية المعروفة في ساحل الجزيرة العربية ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي يعيش بصورة دائمة في درهنة القريبة من البحرين ، وغالباً ما يسافر إلى البحرين، وصادف وصول العالم الروسي وجود الشيخ المذكور في البحرين ، الذي استقبله بحفاوة بالغة ، وحينما أمر "جون كالكويت جاسكين" "J. K. Gaskin" (749) نائب القنصل البريطاني في البحرين ، الموظف الهندي من التبعية البريطانية ، الذي كان يدير الكمارك بتفتيش أمتعة العالم الروسي، عارض الشيخ ذلك بكل حزم ، ووضعت تحت تصرف "بوغويافلنسكي" في البداية ، غرفة في خان مبيت القوافل العائدة للشيخ ، لكن الشيخ حاول أن يستأجر له ، لمدة ثلاثة أسابيع - وهي مدة بقاء العالم الروسي في البحرين - بيتاً كان يملكه شخص إيراني ، يعمل وكيلاً " للشركة البريطانية - الهندية للملاحة البخارية "British Indian Steam Navigation Co." وتحت دسائس الممثل البريطاني في البحرين ، رفض بشكل قاطع تأجير البيت للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي حسم المسألة أن اشترى هذا البيت من حسابه الخاص، بعد أن دفع ثمن أعلى من سعره الأصلي (750) .

وبعد أن سكن فيه قال له الشيخ ، أن هذا البيت سيكون بعد إصلاحه ، جاهزاً دائماً لاستقبال الروس الذين يزورون البحرين ، وسأله الشيخ، عما إذا كان يرغب في مقابلة عيسى ابن علي(1871-1923) شيخ البحرين ، وبعث الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالة إلى الشيخ عيسى يعلمه برغبة "بوغويافلنسكي" في مقابلته ، لكنه لم يحصل على جواب طيلة ثلاثة أيام، وقد تبين انه يتعذر على الشيخ عيسى - عملاً بنصيحة نائب القنصل البريطاني في البحرين - استقباله ، وفي اليوم الرابع وبناءً على إصرار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بعث الشيخ عيسى بوزيره إلى "بوغويافلنسكي" لينقل له التحية باسم الشيخ عيسى ورغبته في تقديم المعونة لإعماله في البحرين ، لكن محمد بن عبد الوهاب عدّ ذلك غير كاف ، وحاول شلّ النفوذ البريطاني وتدبير لقاء له مع الشيخ عيسى ، فقد كان محمد بن عبد الوهاب يرى أن لقاء "بوغويافلنسكي" الشخصي مع الشيخ عيسى ، الذي لا يكن شخصياً أي عداً للروس ، سيفتح ثغرة كبيرة في

(749) شغل جون كالكويت جاسكين منصبه من شباط عام 1900 إلى تشرين الأول عام 1904. ينظر:

ج. ج. لوريمر، دليل الخليج ، المصدر السابق ، ج 7، ص 3932.

(750) و.أ.د.م.س.ب.ح.، نسخة من رسالة "بوغويافلنسكي" ، إلى عميد القنصلية العامة في بوشهر بتاريخ 14

حزيران (يونيو) 1902، ملف رقم 417، قائمة 1، اضبارة رقم 2512، المصدر السابق، ص 103-106، و

سيشار له في الصفحات التالية: من رسالة "بوغويافلنسكي" .

هيمنة النفوذ البريطاني على الشيخ عيسى ، ويتيح للروس الذين سيفدون إلى البحرين من بعده ، أن يكونوا أكثر استقلالاً عن موقف السلطات البريطانية⁽⁷⁵¹⁾

وكان يسهل مهمة "بوغويافلنسكي" سببين ، أولهما مغادرة نائب القنصل البريطاني البحرين ، وثانيهما حصوله على رسالة توصية من القنصل الروسي العام في بوشهر أوفسينكو إلى الشيخ عيسى، بعد هذا حدث لقاءه مع الشيخ عيسى الذي خصه بأقصى حد من التبجيل الذي يقدّم أثناء الاستقبال، لقد كان الاهتمام الشخصي من الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتجلى في حالات عديدة ، فعلى الرغم من أن شؤونه كانت تضطره للتواجد في درهنة فقد بقي في البحرين خصيصاً إكراماً للضيف الروسي، وكان يزوره يومياً ، وأحياناً مرتين في اليوم ، ويسأله عما إذا كان كل شيء على ما يرام ، ويشير "بوغويافلنسكي" إلى الضيافة الخارقة للعادة " المساعدة في تسهيل الشكليات الجمركية ، شراء بيت بكامله لأجل إقامتي فيه ثلاثة أسابيع⁽⁷⁵²⁾، تسهيل اللقاء مع الشيخ عيسى على الرغم من المقاومة الصريحة من جانب البريطانيين المتنفذين في البحرين ، وتقديم مساعدة لجميع أعمالي ، قدمت لا لي شخصياً، وأنا واثق من ذلك ، بل بفعل جاذبية سمعة تلك الدولة التي انتمي إليها ، وبما أن هذه الضيافة قد قدمت لي وسط المقاومة الصريحة والشديدة من جانب السلطات البريطانية في الجزيرة ، هذه المقاومة التي بقيت من دون نتيجة ، وإن هذه الضيافة قدمت لأول شخص روسي عاش في البحرين ، فإنني أدركت أنه من واجبي أن أبلغ ذلك كله إلى القنصلية العامة الروسية في الخليج العربي ، في مدينة بوشهر"⁽⁷⁵³⁾.

أما في رسالة "بوغويافلنسكي" الثانية في السادس عشر من حزيران (29 حزيران) عام 1902 إلى القنصل الروسي العام في بوشهر ، فإنها مثيرة للاهتمام الأسئلة التي طرحها الشيخ محمد بن عبد الوهاب على "بوغويافلنسكي" ، فقد كانت تساؤلاته عن روسيا دقيقة ومسببة ، فقد سأل الشيخ عن عدد السفن الحربية الروسية ، وما سبب عدم وجود سفن حربية روسية في الخليج العربي؟ ولماذا لا توجد سفن تجارية روسية في البحرين؟ وطلب منه أن ينقل رجاءه إلى القنصل الروسي العام في بوشهر، بالرغبة في أن تُعرج السفن التجارية الروسية على البحرين⁽⁷⁵⁴⁾.

فضلاً عن هذه الأسئلة ، فقد أبدى اهتماماً شديداً بمعرفة مواقف روسيا من الدولة العثمانية ، وعدد المسلمين في روسيا ، وهل يعيش المسلمون في موسكو أيضاً؟. وهل لديهم

(751) من رسالة "بوغويافلنسكي" بتاريخ 14 حزيران 1902، المصدر السابق ، ص 103-106 .

" كان بالفعل عالماً Bogoyavlevski⁽⁷⁵²⁾ يشير لوريمر إلى أن العالم الروسي ، الذي اسماه "بوجويافلنسكي" " متخصصاً في الأحياء المائية ، لا شأن له بالمصالح السياسية ، وقضى أسبوعين من شهر مايس عام 1902 في البحرين يجمع منها العينات ، والتقى بشيخ البحرين في زيارة عادية قبل رحيله. ينظر:

J.G.Lorimer, Op.Cit. Vol.1. Part. 1 . p. 356 .

(753) نقلاً عن رسالة "بوغويافلنسكي" بتاريخ 14 حزيران 1902، المصدر السابق، ص 106-107.

(754) من رسالة "بوغويافلنسكي" بتاريخ 16 حزيران (يونيو) 1902، المصدر السابق، ص 107-111.

جوامع؟ وتبين أن البريطانيين كانوا يروجون لإشاعات انتشرت في البحرين تزعم أن الروس يرغمون المسلمين على اعتناق المسيحية، بينما يقوم البريطانيون ببناء الجوامع الجديدة في بلادهم ، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ليس ثمة ما يدعو للدهشة فان العرب يخشون البريطانيين ، فهم موجودين في الخليج العربي منذ ما يقرب المائة عام ، ولديهم فيه مدافع وسفن حربية ، أما الأوروبيون الآخرون فلا وجود لهم في الخليج العربي، ولو وجدوا لأدى ذلك إلى مساعدة العرب في حالة رفضهم التصرف كما يرغب البريطانيون، وأضاف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لو أن الروس اخذوا يرتادون منطقة الخليج العربي ، لكف العرب شيئاً فشيئاً عن الخوف من البريطانيين ، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب دائماً يطرح أسئلة عديدة عن روسيا، لماذا أرسل الروس السفينة الحربية "فارياغ" إلى الخليج العربي ، ولم يبقوها فيه بشكل دائم؟ وان روسيا بعيدة عن الخليج العربي الذي لا توجد فيه لا قوات ولا سفن روسية، وإذا ما تصرف شيخ ضد إرادة البريطانيين فان باستطاعتهم أن يفعلوا به ما يريدونه في الحال ، بينما لا يستطيع الروس تقديم المساعدة ، حتى لو أرادوا ذلك لأن قواتهم بعيدة جداً⁽⁷⁵⁵⁾.

إبان رحلات "بوغويافلنسكي" في أرجاء الخليج العربي عام 1902، زار ثلاثة شيوخ عرب ، الشيخ خزعل شيخ المحمرة ، والشيخ مبارك شيخ الكويت ، والشيخ عيسى شيخ البحرين ، وعلى الرغم من أن مهمات رحلاته كانت بعيدة عن أية أهداف سياسية ، فقد كان مضطراً شاء أم أبى لدى احتكاكه باتباع هؤلاء الشيوخ ، وأثناء أحاديثه مع الشيوخ أنفسهم ، للإجابة على العديد من الأسئلة ، التي من شأنها أن تمس الممثلين السياسيين الروس في الخليج العربي، أكثر مما تمس علماء موفدين إلى هناك ، وبما إن هذه الأسئلة والأحاديث كانت تتعلق بالأمور التي تعني سكان الأماكن التي زارها ، وبما يرغبون فيه وكيفية تصورهم عن روسيا ، فانه لا يُعدّ أمراً زائداً أن يحيط القنصلية الروسية العامة في الخليج العربي علماً ، بكل ما تسنى له أن يسمعه ، أو ما اضطر للإجابة عنه في الأماكن التي زارها ، في البدء سيصف ذلك الاستقبال الذي لقيه ، إذ استناداً إليه سيمكن الحكم على كيفية معاملة الروس من جانب الحكام في مختلف بقاع الخليج العربي، وعند زيارته للمحمرة حاملاً رسالة من أوفسينكو القنصل الروسي العام في بوشهر إلى شيخ المحمرة، وفور استلام الرسالة وبعد عبارات المجاملة المألوفة ، تحدث الشيخ كثيراً، أنه صديق كبير للروس الذين هم جيران طبيون لإيران ، وانه مستعد لتحقيق كل ما يحتاج إليه "بوغويافلنسكي" ، وذكر سكرتير الشيخ وهو ينوّه بالعطف الشديد الذي يكنّه الشيخ خزعل للروس ، وبمثابة دليل على ذلك ، القصر الجديد الذي بناه الشيخ وفقاً لتصميم المهندس الروسي "سيروميانتنيكوف" ، وان كل شيء في هذا القصر مجلوب من روسيا ، وكانت مجاملة الشيخ خزعل تمتد إلى ابعد من ذلك ، فمن اجل إيصاله إلى الكويت زوّده بشخصين حتى الفاو،

(755) المصدر نفسه .

وبخمسة أشخاص بعدها, وفي الكويت قال الشيخ مبارك له: "إنني أعدّ الروس إخواناً ليّ وأغتنب كثيراً عندما يزوروني, وأنا على استعداد دائم لأن أقدم لهم كل ما أستطيعه , بلغو "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر, الذي أعدّه أخاً ليّ سلامي ورغبتي في التراسل معه " لدى الوداع قال للشيخ مبارك , وهو يشكره على اهتمامه به , انه لا يدري كيف يرد له الجميل على حسن ضيافته له , وجواباً على ذلك قال الشيخ " شيء واحد إفعله ليّ إذا استطعت: "بلغ جلاله الإمبراطور في بطرسبورغ إنني صديق للروس واعدهم إخواناً ليّ " (756).

ولا بد من الحديث عن ذلك الانطباع الشديد الذي أحدثه في نفس الشيخ مبارك , كبر مساحة روسيا على خريطة الكرة الأرضية التي كانت مع "بوغويافلنسكي" , الذي طلب منه الشيخ عدة مرات أن يريه حدود روسيا , وبريطانيا , وفرنسا , فأحدث الامتداد الهائل لمساحة روسيا , التي تشغل نصف مساحة أوربا وآسيا , انطباعاً صاعقاً في نفس الشيخ مبارك , ومن قبل في نفس الشيخ محمد بن عبدالوهاب , وقد اتفق له أن عرض الخريطة على الشيخ مبارك بصدد استفساراته عن سكة حديد بغداد , فقد كان مبارك يريد أن يعلم تحديداً المدة التي سيستغرقها - بعد الانتهاء من مدّ السكة- الانتقال من اسطنبول إلى البصرة , وهل تشارك روسيا في بناء السكة؟ وحينما قال له "بوغويافلنسكي" أن ثمة افتراضاً أن تكون الكويت محطتها الأخيرة, تتهدّد الشيخ مبارك وقال: "ربما قد لا يسمح الله بحلول مصيبة كهذه" كما طرح الشيخ أسئلة عديدة بشأن المدة التي يستغرقها شق طريق من روسيا إلى بندر عباس في الخليج العربي , وأين ترابط السفن الحربية الروسية ؟ وكم يلزمها من الوقت للوصول إلى الكويت من مكان تواجدها الحالي , إذا أصدرت الحكومة الروسية أمراً بذلك ؟(757), يمكن صياغة ذلك بالشكل التالي , كم يوماً يمكن أن يستغرقه وصول القوات الروسية إلى الكويت ؟ إذا ما تلقّت أوامر من الحكومة الروسية بذلك , لمساعدة شيخ الكويت في حالة حدوث أزمة بينه وبين الدولة العثمانية , بصدد سكة حديد بغداد , ويبدوا أن الشيخ كان يناور بمهارة بين موقف كل من بريطانيا وروسيا , ومحاولة استغلال قوتها في الوقوف إلى جانبه ضد الدولة العثمانية بصدد سكة حديد بغداد , التي كان يرى في بناءها نهاية لإستقلاله , لأنها ستسهل في عملية نقل القوات العثمانية من اسطنبول إلى بلاده , والقضاء على استقلاله عن الدولة العثمانية الذي كان يطمح إليه.

وفيما يتعلق بالطراد الروسي الحربي "فارياغ", نوّه "بوغويافلنسكي" أنه أحدث انطباعاً صاعقاً في نفوس سكان الخليج العربي , الذين نشروا صيته في الأماكن التي لم يزرها , ففي كل مكان كان يسمع أسئلة: أين "فارياغ" الآن ؟ لماذا غادر الخليج العربي؟ وهل لدى روسيا سفن كثيرة من نوع " فارياغ " ؟ واستناداً لزيارات "بوغويافلنسكي" لمناطق الخليج العربي , فقد وجد عطفاً شديداً واحتراماً تجاه روسيا , واستياءً واضحاً من بريطانيا , ورغبة عامة في تواجد قوة

(756) نقلاً عن: رسالة "بوغويافلنسكي" بتاريخ 16 حزيران (يونيو) 1902, المصدر السابق, ص 107-111.

(757) المصدر نفسه, ص 107-109.

حربية روسية ، في هيئة سفينة حربية في مياه الخليج العربي ، إن هذه الرغبة قد تكون أنانية أيضاً لكي لا يكونوا تحت سلطة بريطانيا كلياً، وإن جاذبية روسيا ، بوصفها دولة عظمى كبيرة جداً ، وقد قوى هذه الجاذبية ، مجيء الطراد الثقيل " فارياغ " الذي أحدث تأثيراً صاعقاً في الخليج العربي سواء بضخامته أم بمداخنه الأربع وأضواءه الكهربائية ، التي لم يكن لها مثيل في السفن الحربية البريطانية الراسية في الخليج العربي⁽⁷⁵⁸⁾، وإن الانطباع الشديد الذي أحدثه " فارياغ " لم يبق مجهولاً لدى البريطانيين ، الذين بذلوا جهدهم لشل هذا الانطباع ، أن نصبوا أضواءً كهربائية على سفنهم أيضاً التي لم تكن تملكها قبل وصول " فارياغ "، لذلك أرسلوا إلى الخليج العربي السفينة " أمفيتريد " " Amphitride " الشبيهة " بفارياغ " من حيث الحجم والمداخن الأربع والإضاءة الكهربائية.⁽⁷⁵⁹⁾

فقد كانت البحرية البريطانية تقوم بين الحين والآخر بمبادرات من حكومة الهند ، بمناورات ترد بها على استعراضات القوة من البحرية الروسية والفرنسية ، من ذلك مثلاً إرسال حكومة الهند سفن ذات قوة كبيرة إلى الخليج العربي ، فرداً على زيارة الطراد الروسي "فارياغ" للخليج العربي في كانون الأول عام 1901، قامت السفينة البريطانية " أمفيتريد " بزيارة مماثلة ، وهي سفينة من الدرجة الأولى تبلغ حمولتها 11,000 طن ، وقد كانت في طريقها من الصين إلى بريطانيا ، يقودها الكابتن "ويندهام" " Captain Windhame "، وصدرت لها الأوامر بتغيير خط سيرها ، فوصلت في الثامن من حزيران عام 1902 إلى مسقط ، وأطلقت لتحية علم السلطان إحدى وعشرين طلقة ، وقام ضباطها في اليوم التالي بزيارة السلطان ، الذي قام في العاشر من الشهر نفسه برّد الزيارة ، إذ شهد كيفية إطلاق مدافعها في البحر خارج الميناء ، وبعد أن نزل السلطان إلى البر واصلت السفينة في اليوم نفسه مسيرتها في الخليج العربي ، وكانت تحمل الميجر كوكس الوكيل السياسي في مسقط ، الذي ظل على ظهر السفينة أثناء جولتها في الخليج العربي ، فوصلت في الثالث عشر من الشهر نفسه إلى بندر عباس ، وتم تبادل الزيارات بين ضباطها ونائب الحاكم الإيراني في المدينة ، وفي مساء اليوم التالي رست السفينة في هنجام ، وكان من المفروض أن تقوم بزيارة البحرين ، لكن تم العدول عن الزيارة لخطورة اقتراب سفينة لها مثل ذلك الغاطس من ساحل البحرين، وفي بوشهر التي وصلتها في الثامن عشر من الشهر نفسه ، أطلقت السفينة مدافعها لتحية للعلم الإيراني وقام ضباطها بزيارة الحاكم ، ثم عبرت الخليج العربي إلى الكويت وهناك استقبلها الشيخ جابر- الابن الأكبر للشيخ الحاكم نظراً لغياب والده - استقبلاً حسناً ، ولدى جولتها في الخليج العربي رست على مرمى النظر عن الدوحة بقطر، وزارت إمارات ساحل عُمان في الثاني والعشرين من الشهر نفسه ، وطافت حول جزيرة مسندم في اليوم التالي ، وختمت السفينة جولتها في الخامس والعشرين من الشهر نفسه بإنزال الميجر "

⁽⁷⁵⁸⁾ نقلاً عن: رسالة "بوغويافلنسكي" بتاريخ 16 حزيران (يونيو) 1902، المصدر السابق، ص 110-111.

⁽⁷⁵⁹⁾ من هامش، المصدر نفسه، ص 111.

كوكس" في مسقط⁽⁷⁶⁰⁾، لكنها لم تلق نجاحاً من جولتها على ما يبدو وفقاً لما أشار إليه "بوغويافلنسكي" ⁽⁷⁶¹⁾.

ومما زاد من مفعول التأثير الكبير لظهور السفن الحربية الروسية في الخليج العربي ، إن العرب كانوا في السابق ، على ثقة أن لدى الروس كثير من القوات البرية ، لكن لا توجد لديهم سفن حربية⁽⁷⁶²⁾، وقد أتضح أن البريطانيين كانوا يروجون لرأي يزعم ، أن لدى الروس قوات برية فقط ، وأنه لا يوجد لديهم أسطول⁽⁷⁶³⁾.

ونوه "بوغويافلنسكي" في رسالته ، إلى الرغبة العارمة لدى العرب في إقامة علاقات مع الروس اشد متانة وأكثر تكراراً ، وهذا يظهر ، من رغبة الشيخ مبارك شيخ الكويت في أن تكون له علاقات دائمة مع القنصلية الروسية العامة في بوشهر ، ومن الرغبة المماثلة لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، احد مشايخ البحرين ، الذي يغدو ، بموقفه الصادق النية من الروس ، ومن علاقات عدائية واضحة من السلطات البريطانية في البحرين والسلطات العثمانية في القطيف ، ومن تقديم الأفراد شتى الخدمات للقنصلية الروسية في بوشهر ، وأحياناً المجازفة باتخاذ مواقف عدائية من السلطات البريطانية، ويورد "بوغويافلنسكي" في هذا الصدد مثلاً على ذلك ، حجي جمعة ، احد تجار البحرين، الذي أعرب له جاسكين ، نائب القنصل البريطاني في البحرين ، عدة مرات عن استيائه الصريح من أحاديثه المتكررة مع "بوغويافلنسكي"⁽⁷⁶⁴⁾.

وبما أن رسائل "بوغويافلنسكي" بشأن الخليج العربي كانت تتسم بأهمية كبيرة لروسيا، فقد رفع "فلاسوف" المبعوث الروسي في طهران تقريراً عنها في كانون الثاني عام 1903، إلى وزارة الخارجية الروسية ، مع إرفاق نسخ عن هذه الرسائل ، ومما جاء في التقرير، نوه "بوغويافلنسكي"، بعد أن زار المحمرة والكويت والبحرين ومسقط ، وأمضى في كل منها مدة معينة ، إذ كان يومياً تقريباً يتقابل مع شيوخها وسلطينها ، وأنه قبل من جميعهم ، ومرؤوسهم كذلك ، ببالغ الحفاوة والود تجاه روسيا ، وأن جاذبية الاسم الروسي في كل الساحل الغربي للخليج العربي شديد جداً ، وإن أكثر ما يرغب فيه الشيوخ العرب هو أن يزورهم الروس بتكرار متزايد ، لاسيما ممثلو القوات الحربية البحرية ، وأنهم جميعاً يعانون من نير بريطانيا ، ويستقون من ظهور السفن الروسية في الخليج العربي القوة للكفاح ضد هذا النير، كما يستقون منه الآمال بأنهم ليسوا منسيين ومتروكين أمام تعسف البريطانيين ، ويضيف فلاسوف في تقريره ، أن أمثال هذه الاستنتاجات من عالم طبيعي متجول ، والمبنية على روح الملاحظة وعلى الانطباعات

⁽⁷⁶⁰⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp. 375-376.

⁽⁷⁶¹⁾ من رسالة "بوغويافلنسكي" بتاريخ 16 حزيران (يونيو) 1902، المصدر السابق، ص 111.

⁽⁷⁶²⁾ المصدر نفسه .

⁽⁷⁶³⁾ ي. ريزفان، المصدر السابق، ص 20.

⁽⁷⁶⁴⁾ من رسالة "بوغويافلنسكي" بتاريخ 16 حزيران (يونيو) 1902، المصدر السابق، ص 112.

الشخصية التي كوّنّها ، مما شاهده وسمعه وعاشه أثناء مكوثه هناك ، تطابق الواقع إذ تؤكدّها استنتاجات مماثلة من مصادر أخرى، ولذا ينبغي أن تأخذها روسيا باهتمام متزايد ، ومن المرغوب فيه وفقاً للحسابات السياسية للحكومة القيصريّة بشأن الخليج العربي ، أن تواصل الحكومة مساندة سمعة روسيا هناك ، التي نشأت بصورة موفقة للروس عندما ظهر في مياهه الطراد " غيلياك " الذي أثار انطباعاً شديداً في نفوس القبائل العربية القاطنة في هذا الساحل ، أن تحقيق ذلك أمر ممكن إذا ما جرى بتكرار متزايد تعريج السفن الحربية الروسيّة على هذا الساحل ، وهي في طريقها إلى المحيط الهادئ أو لدى عودتها من هناك إلى روسيا ، حيث تتوقف ولو لمدة قصيرة جداً في موانئ الساحل الغربي للخليج العربي⁽⁷⁶⁵⁾.

لقد مرّ عام كامل قبل أن تظهر من جديد سفينة حربية روسيّة في مياه الخليج العربي.

المناورات البحرية الروسية في الخليج العربي عامي 1902-1903.

كلف رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان في تشرين الأول عام 1902، قائد الطراد الثقيل " أسكولد " " Askold " بزيارة موانئ الخليج العربي ، وتضمّن الأمر التعليمات نفسها التي سبق أن أعطيت إلى قائدي الطرادين الروسيين " غيلياك " و "فارياغ" في العامين

(765) و.أ.د.م.س.ب.ح.،، نسخة من بلاغ المبعوث في طهران فلاسوف إلى وزارة الخارجية، بصدد رسائل "بوغويافلنسكي" مع إرفاق نسخ عن هذه الرسائل، المؤرخ في 15 كانون الثاني (يناير) 1903، رقم 9 ، ملف رقم 417، قائمة 1، إضبارة رقم 2512، المصدر السابق، ص 103-104.

الماضيين , وقد أضيف إلى تلك التعليمات أنه يوجد لدى الحكومة الفرنسية في مسقط , تحت إشراف قنصلها مستودع للفحم لحاجة سفنها, وعلى الرغم من حصول الحكومة الروسية, بالطريقة الدبلوماسية , على إذن بأخذ الفحم من هذا المستودع للسفن الروسية , فإن لدى الحكومة الفرنسية تحفظاً , أنه ما دامت احتياجات الفحم في هذا المستودع محدودة للغاية , بما لا يزيد عن ألف طن للاحتياطي الكامل , فليس بوسع السفن الروسية أن تعول بكل ثقة على أن المستودع سيكون - في كل لحظة - قادر على تلبية حاجاتها, لذلك يترتب على قائد الطراد " أسكولد " حال الوصول إلى هذا الميناء , أن يستوضح الأمر وأن يعمل مع القنصل الفرنسي ما أمكن , بصدد الشروط, التي يمكن في ظلها إنشاء مستودع للفحم في مسقط, يؤمن حاجة السفن الحربية الروسية التي تزور الخليج العربي , وفي حال إرسال الشيوخ أو الحكام , وفقاً للعادة المحلية , أية هدايا إلى الطراد , ينبغي تقديم هدايا جوابية في هيئة , مصابيح جميلة , ساعات بمنبهات , أواني قهوة وشاي وما أشبه من الأشياء , بقيمة لا تتعدى الخمسمائة روبل, وأن البرقيات التي تتضمن أية معلومات مهمة يمكن أن تفيد في السلم أو الحرب , ينبغي إرسالها بالشفرة⁽⁷⁶⁶⁾.

وارتفع العلم الروسي في منطقة الخليج العربي للمرة الثالثة , في كانون الأول عام 1902 على سارية الطراد الثقيل الروسي " أسكولد " , وهو أيضاً طراد من الطراز الأول تصل حمولته إلى 5905 طناً , الذي كان طاقمه يتألف من 580 شخصاً, وكان الأهالي في منطقة الخليج العربي يقدرون قوة السفينة بعدد المداخل المتصاعدة فوقها , ولما كان " لأسكولد " خمس مداخل , فقد أثار ظهوره هنالك دهشة الناس وانبهارهم⁽⁷⁶⁷⁾, وبما أن البريطانيين كانوا يعلمون ما الذي يثير الانطباع في نفس شعوب منطقة الخليج العربي , فقد حاولوا استباق الأمور, فقد روى رئيس الكمارك في بوشهر لقائد " أسكولد " , أن البريطانيين روجوا بصدد وصول الطراد , شائعة تزعم أنه كان لدى " أسكولد " ثلاث مداخل فقط , وأن اثنتين أخريين نصبتا خصيصاً قبل توجهه إلى الخليج العربي, ولدى وصول محافظ بوشهر الإيراني , يصحبه رئيس الكمارك, وقائد سلاح المدفعية , ورئيس مركز البريد والحاشية, لزيارة الطراد الروسي , عرضت عليهم جميع أقسام الطراد , وقد أثارت الرسوم المعلقة عند مدخل غرفة قائد الطراد والصورة الكبيرة للطراد " أسكولد " وهي تبرز سرعته الكاملة , وطول الطراد ومداخله الخمس , أثار ذلك انطباعاً شديداً

⁽⁷⁶⁶⁾ و.أ.د.م.س.ب.ج., أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل "أسكولد" بصدد زيارة موانئ الخليج العربي , بتاريخ 15 تشرين الأول (أكتوبر) 1902, رقم 2543, وزارة البحرية , أركان البحرية العامة, ملف رقم 417 , قائمة 1, إضبارة رقم 2548, المصدر السابق , ص 114-117.

⁽⁷⁶⁷⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 329; ريزفان , المصدر السابق , ص 22 . ي .

في نفوس الإيرانيين الزائرين ، وبيّنت بجلاء سخافة الشائعات التي يروجها البريطانيون ، الذين لم يخسروا في أعين الإيرانيين فحسب ، بل إن الإيرانيين أدركوا على الفور أن البريطانيين يخافون من الروس ، طالما أنهم أرادوا بمختلف الشائعات الانتقاص من قوة الطراد القادم⁽⁷⁶⁸⁾.

وصل الطراد الثقيل الروسي " أسكولد " بقيادة العقيد البحري "رايتسنشتاين" في التاسع عشر من تشرين الثاني (2 كانون الأول) عام 1902⁽⁷⁶⁹⁾، بعد الظهر ، إلى مسقط، وصادف في الميناء سفينة خفر السواحل البريطانية " ريد بريست " " Redbreast " المرابطة في الخليج العربي ، ويصف قائد الطراد " أسكولد " الوضع السياسي لمسقط، التي هي المدينة الرئيسية في سلطنة عُمان، ومقر إقامة السلطان ، الذي يدعى سلطان مسقط أو سلطان عُمان ، أن سلطة السلطان الفعلية تنبسط في مسقط فقط ، أما سائر قبائل البدو القاطنة في عُمان فهي توجد في تبعية ضعيفة جداً للسلطان ، الذي يعقد معها اتفاقيات ، فضلاً عن أنه كان يدفع لها بعض المبالغ للحفاظ على السلم والاستقرار، وبما أن السلطان كان يتلقى حوالي 150 ألف فرنك في العام من حكومة الهند فهو يوجد ، بلا شك ، في تبعية معينة لبريطانيا ، فضلاً عن ذلك كان يتلقى السلطان دخلاً من رسوم البضائع الأجنبية المجلوبة إلى السلطنة، يبلغ ما يقرب 150 ألف فرنك في العام ، وعليه فإن الميزانية السنوية للسلطان تبلغ تقريباً 300 ألف فرنك ، إنه مبلغ غير كبير ، ولذا فانه لأمر مفهوم ذلك الفقر الذي يحيط بالسلطان ، وأثناء المقابلة وبعد تبادل التحية ، كان أول سؤال طرحه السلطان على قائد " أسكولد " هو هل سيقوم بزيارة القنصل البريطاني في مسقط ؟ فأجاب أنه لن يقوم بالزيارة هذه ، لكن إذا قام القنصل البريطاني بزيارة قائد الطراد الروسي سيُرد له الزيارة ، وإن الاتصال البريدي بأوروبا تضطلع به السفن البريطانية من خلال الموانئ الهندية ، ويرسل البريد مرة واحدة في الأسبوع ، وتقوم السفن البريطانية بالرحلات الاعتيادية ، كراتشي ومسقط وموانئ الخليج العربي، وتحافظ بريطانيا في الخليج العربي، ومن ضمنها

مسقط ، على خمس سفن خفر سواحل للمرابطة⁽⁷⁷⁰⁾، تُغيّر مكان وقوفها من حين لآخر، علماً أنه توجد في مسقط سفينة خفر سواحل دائماً ، وللترويج عن الطاقم تغادر هذه السفن ، بالتناوب وفي فاصل زمني مُعيّن ، إلى كراتشي لمدة أسبوعين ، وتُعرّج سفن حربية تابعة لدول أخرى على مسقط أحياناً لكن بصورة نادرة نسبياً ، فمن الأسطول الفرنسي المربط في مدغشقر ترسل سفينة

(768) و.أ.د.م.س.ب.ح.، من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد" العقيد البحري "رايتسنشتاين" بشأن زيارة موانئ الخليج العربي، ملف رقم 417، قائمة 1، إضبارة رقم 2548، المصدر السابق، ص 117 . وسيسار له في الصفحات التالية: ب من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد".

(769) يشير لوريمر إلى أن وصول الطراد إلى مسقط كان في الثالث من كانون الأول. ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 329.

ينظر: Melpomen, Pigeon, Lapwing, Sphinx, Pomone⁽⁷⁷⁰⁾ وهي :

S. R. G. I. F. D. Vol. V, Administration Report by M. J. Meade, Lieut-Col, Resident, P. Gulf to Gov of India, Bushire, March 27, 1900. p. 6.

واحدة ثلاث مرات في العام إلى مسقط، وتُعرَّج سفن حربية أمريكية أحياناً ، يوجد لدى الحكومتين البريطانية والفرنسية مستودعا فحم لحاجات سفنهما، البريطاني يتسع لـ 2500 طناً، والفرنسي لـ 1000 طناً⁽⁷⁷¹⁾.

وقد أعلَمَ "جوجوير" الفرنسي وكيل الشركة الروسية للملاحة والتجارة ، قائد الطراد الروسي أن المستودع الفرنسي يوجد فيه 650 طناً من الفحم، وأنه يتسع لـ 1000 طن، ويمكن مضاعفة سعته بإضافة عنبر إليه ، وحينما أتى لارونس القنصل الفرنسي في مسقط إلى الطراد للترحيب بالوصول ، وعارضاً خدماته أثناء توقف الطراد في مسقط ، طلب منه قائد الطراد كمية من الفحم الموجودة في المستودع الفرنسي، فأعلن " لارونس " أنه ينبغي عليه لتسليم الفحم للطراد الروسي، طلب إذن من باريس، وأن الجواب يمكن أن يرد منها خلال ثمان وأربعين ساعة ، وبغية التحقق من صحة أفعاله وسلوكه ، طلب منه قائد الطراد أن يبعث استفساراً بهذا الصدد إلى باريس ، وبما أنه لن يبقى أكثر من ثمان وأربعين ساعة في مسقط ، لذلك فحينما يتلقى جواباً فليرسل إلى قائد الطراد برقية إلى بوشهر للتعريض عليه في طريق العودة ، لم يستطع قائد الطراد الروسي التحقق ، مما إذا كان القنصل الفرنسي أرسل برقية إلى باريس أم لا ، وقبل مغادرة مسقط كان قائد الطراد الروسي قد ترك لدى القنصل الفرنسي برقيات ليرسلها إلى روسيا ، وأثناء وصوله إلى كولومبو في طريق العودة إلى بلاده، تلقى من القنصل الفرنسي رسالة وبضمنها إيصالات بالبرقيات المرسلة ، لكن لم يكن يوجد في الرسالة كلمة واحدة بشأن الجواب ، الذي تلقاه القنصل من باريس بصدد الفحم ، وعليه واستناداً إلى الشائعات الرائجة في مسقط، وإلى شهادة "جوجوير"، وإلى الانطباع الذي تركه القنصل في نفس قائد الطراد الروسي، فإن الأخير استنتج ، أنه لا ينبغي الثقة بالقنصل الفرنسي " فهو بريطاني أكثر مما هو فرنسي ". وأثناء وجود الطراد في مسقط ، فقد أخبر " جوجوير " قائد الطراد ، أنه إذا كانت روسيا راغبة في إيجاد مكان لمستودع الفحم في مسقط ، فانه سيتولى تدبير الأمر مع السلطان ، فضلاً عن ذلك أعلن أنه يؤد أن يكون وكيلاً للقنصلية الروسية عند افتتاحها في مسقط⁽⁷⁷²⁾، وكان " جوجوير " هذا تاجراً فرنسياً محنكاً يعيش في مسقط منذ عام 1899، ويتحدث العربية كأبنائها ، ولم يمض مدة طويلة في مسقط حتى شرع في حملة صحفية في الصحف الفرنسية ضد بريطانيا ، وكانت الصحيفة المفضلة لديه هي " ديباش كولونيال " " Depeche Coloniale " التي كتب فيها مقالات باسمه ، ثم ظهرت حملات أخرى في الصحف الروسية ، والصحف العربية في مصر، وكان يمكن ردها إلى هذا الأصل من دون سواه ، وقد كشفت كتاباته المكتوبة بطريقة لاذعة ساخرة ، عن عداء حاد للسياسة البريطانية في الخليج العربي لاسيما في مسقط ، وكشفت مقالة نشرت في عام 1902 في صحيفة " الأهرام " القاهرية ، التي تدور " حول عنجهية البريطانيين

⁽⁷⁷¹⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق ، ص 118-120.

⁽⁷⁷²⁾ المصدر نفسه ، ص 120-122.

وعبيدهم الهندوس في مسقط "، من أن هدف الكاتب كان واضحاً وهو محاولة خلق شعور عدائي في فرنسا ليغلّ به يد وزارة الخارجية الفرنسية ، عن عزم بريطانيا على ضم مسقط إليها ، وقد استطاع الوكيل السياسي البريطاني في مسقط في العام نفسه ، من إقناع "لارونس" القنصل الفرنسي في مسقط ، الذي كان من المعجبين بكتابات "جوجوير" اللاذعة ، أن يسأل حكومته عن إمكانية موافقتها ، على إجراء قد يتخذه سلطان مسقط ، الذي نال قدراً من الشتائم في مقالات "جوجوير" أيضاً ، لإبعاد الأخير عن مسقط ، وجاء ردّ الخارجية الفرنسية بعدم الموافقة ، لكنها سمحت بتحذيره ، أن يتحرّى الدقة فيما يكتب مستقبلاً، وقد رفض "جوجوير" هذا التوبيخ الهادئ بتحدٍ مكشوف لسلطة القنصل الفرنسي ، مهدداً أن يرفع العلم التجاري الروسي على داره ، بصفته وكيلاً للشركة الروسية للملاحة والتجارة ، غير أن "لارونس" صدّه عن ذلك العمل⁽⁷⁷³⁾.

أما قائد الطراد الروسي فقد كان يظن أنه إذا كانت الحكومة الروسية ، راغبة في أن يكون لديها مستودع فحم في مسقط لحاجة سفنها التي تتراد الخليج العربي، فمن الأسهل والأرجح بكثير، إجراء المفاوضات مع السلطان مباشرة ، عن طريق إرسال موظف روسي يجيد اللغة العربية ، على متن الطراد الحربي، لا من خلال الفرنسيين ، وليس هناك أدنى شك في أن السلطان ، سيسمح بوضع الفحم في أحد أماكن سلطنته ، مادام أنه سمح بذلك للبريطانيين والفرنسيين ، فليس هناك ثمة أسباب لرفض ذلك ، لكن من الواضح ان البريطانيين سوف يقاومون تخصيص مستودع فحم للسفن الروسية، لذلك ينبغي إجراء المفاوضات مع السلطان بصورة سرية وبأسرع ما يمكن ، وحينما يوافق السلطان على تخصيص المستودع ، سيعمد البريطانيون ، بالتأكيد ، إلى تهديده بالقصف وبقطع الإعانة عنه ، وهو ما فعلوه أثناء المفاوضات بشأن المستودع الفرنسي ، وأن البريطانيين لن يقدموا على القصف إنما لإخافة السلطان فحسب ، وحتى الإعانة ، على الأرجح ، لن يقطعوها عنه خوفاً من أن تقدم له روسيا إعانة أكبر، وسينتقل السلطان حينذاك إلى جانب روسيا ، ويرى قائد الطراد الروسي، أن المفاوضات مع السلطان فيها ربح محتمل وليس هناك أية خسارة ، وإذا ما تقرر إجراء المفاوضات مع السلطان بصدد مكان لمستودع الفحم ، فانه لن يختار مسقط مكاناً لذلك ، لأن ميناء مسقط والموانئ المحاذية لها ، مكشوفة أمام الرياح الشمالية الغربية ويحدث تموج في البحر حتى لدى هبوب رياح خفيفة ، ويصبح التحميل عسيراً ، بل ومستحيلاً أحياناً ، ومن كل ساحل الجزيرة العربية والخليج العربي ، ينبغي عدّ الموانئ الواقعة عند رأس مسندم⁽⁷⁷⁴⁾، أفضل الموانئ لمستودع الفحم ، ويتبيّن من

⁽⁷⁷³⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp. 339-340.

، المقيم البريطاني في الخليج العربي، قد اختار منذ عام 1863 رأس Colonel Pelly⁽⁷⁷⁴⁾ وكان الكولونيل بيلي مسندم التابع لسلطان مسقط ، لإقامة المقيمة البريطانية بدلاً من بوشهر ، ولتحقيق ذلك أعدّ مذكرة في الثاني عشر من كانون الثاني عام 1863 إلى حكومة بومباي ، وضع فيها خطة دقيقة لتثبيت النفوذ البريطاني في الخليج العربي، وأن نظرة إلى الخريطة ترينا أن بوشهر لم تكن . جغرافياً . أفضل الأماكن الملائمة ، لتحقيق

الخريطة أن شواطئ هذه الموانئ رأسية الانحدار تحت الماء , وعليه فإذا ما أنشئ مرسى غير كبير فان باستطاعة السفن الاقتراب من المرسى مباشرة وأخذ الفحم , وحينما أراد قائد الطراد الروسي الإطلاع أكثر على هذه الموانئ , غير انه لا يملك أمراً بذلك , أخبره القنصل الروسي في بوشهر , أن البريطانيين يعدّون هذا الرأس خاصاً بهم , على الرغم من أنهم لا يرفعون العلم هناك , لكن ما أن تظهر سفينة ما في أحد هذه الموانئ , حتى يسارعون إلى رفع العلم البريطاني عليه⁽⁷⁷⁵⁾ , حتى لا يقع في أيدي الدول الأجنبية المنافسة لهم , لاسيما روسيا في منطقة الخليج العربي.

وعلى أية حال توجه "رايتسنشتاين" قائد الطراد الروسي "أسكولد" بصحبة الضباط الروس في العشرين من تشرين الثاني (3 كانون الأول) عام 1902 , في الساعة التاسعة صباحاً , إلى دار سلطان مسقط الذي استقبلهم بالحفاوة والترحاب , وفي اليوم التالي قام بزيارة الطراد وطلب من قائده أن ينقل إلى القيصر الروسي وولي العهد امتنانه وشكره الجزيل على إرسال طراد كبير , وأنه مسرور وسعيد للغاية أن يرى في بلاده سفينة حربية روسية , وأثناء زيارة السلطان للطراد , جرت جميع الأحاديث من خلال القنصل الفرنسي في مسقط⁽⁷⁷⁶⁾.

بعدها توجه الطراد الروسي باتجاه بوشهر التي وصلها في الرابع والعشرين من تشرين الثاني (7 كانون الأول) عام 1902 , بعد الظهر , ورسا في الميناء الخارجي على مسافة ستة أميال عن الساحل , وفي الميناء الداخلي كانت ترسو سفينة خفر السواحل البريطانية "كوساك" "Cossack"⁽⁷⁷⁷⁾ المرابطة في الخليج العربي , وبعد ساعتين جاء قائد السفينة البريطانية في زيارة للطراد الروسي , الذي قام قائده في اليوم التالي بزيارة جوابية للسفينة البريطانية , ووصل في يوم

الأهداف التي أنشئت المقيمة لتحقيقها , فالنقطة الإستراتيجية التي يمكن منها مكافحة تجارة الرقيق , هي ذلك المضيق بين رأس جاسك ورأس مسندم في مدخل الخليج , ذلك أن رسو سفينة بخارية هناك , وقواربها منتشرة حولها , يضمن مراقبة كل الأساطيل الداخلة إلى الخليج العربي بيُسر أكثر مما تستطيعه عشر سفن تطوف في الخليج , ومن وجهة النظر الحربية , فان موقعاً مثل رأس مسندم له من الأفضلية على بوشهر , ما لجبل طارق أن موقعاً بالقرب من رأس "من ميزات في البحر المتوسط , على موقع في الجزائر أو في تونس , وفي رأي بيللي مسندم , في أرض حليفنا سلطان مسقط , تتوافر له كل هذه الحثيات التي أشرت إليها , ويجب أن يكون في هذا . للمزيد من "الموقع ميناؤنا ومقيميتنا السياسية ومحطة تلغرافنا الرئيسية , ومخزن تمويننا الرئيس بالفحم . التفاصيل عن مشروع رأس مسندم الذي أعده بيللي . ينظر :

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp. 252-258.

⁽⁷⁷⁵⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد", المصدر السابق, ص 122-123.

⁽⁷⁷⁶⁾ المصدر نفسه.

⁽⁷⁷⁷⁾ يشير قائد "أسكولد" سهواً إلى أن سفينة خفر السواحل البريطانية المرابطة في بوشهر هي "كورساك" "Corssak" . ينظر: "Cossack" والصحيح هي "كوساك" "Corssak".

من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد", المصدر السابق , ص 125 ;

S. G. I. F. D. Vol. V, Administration Report by C. A. Kemball, Lieut-Colonel, Political Resident, P. Gulf to Gov. of India, Bushire, April 1901. p. 6.

وصول الطراد "أوفسيينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر، بصحبة "أداموف" القنصل الروسي في البصرة، اللذان قاما بصحبة الضباط الروس في اليوم التالي، الخامس والعشرين من تشرين الثاني (8 كانون الأول) من العام نفسه، بزيارة مُعز الممالك محافظ بوشهر في داره، الذي استقبلهم بالحفاوة، وكان "أداموف" يتولى ترجمة الأحاديث⁽⁷⁷⁸⁾.

وحينما علّم قائد الطراد الروسي "أسكولد" أن الفحم يمكن الحصول عليه من بوشهر، لذلك أمر بأخذ أربعمائة طن، لاسيما أن الفحم الذي استلمه من عدن كان سيء النوعية، واستهلك منه كمية كبيرة، وحينما علّم البريطانيون أن الطراد الروسي سوف يتسلم فحمًا، أخذوا يسعون لعرقلة الاستلام، وبما أنهم لم يتجاسروا على منع تسليم الفحم، لأنه ملك خاص، لذلك استولوا على جميع الصنادل لأجل طرادهم، على حد زعمهم، ليحرموا بذلك الطراد الروسي من إمكانية الحصول على الفحم، مما حمل قائد الطراد الروسي أن يأمر باستئجار زوارق صيد السمك، وتم على متنها نقل كل الفحم الذي حصل الطراد الروسي عليه⁽⁷⁷⁹⁾.

ويشير قائد الطراد الروسي إلى أن النفوذ البريطاني كان في بوشهر قوياً، وأن كل شيء في الخليج العربي في أيدي البريطانيين، فاتصالات البريد البحري بريطانية، ومركز البرق بريطاني، وسفينة خفر السواحل البريطانية هي سفينة المراقبة الدائمة التواجد في الخليج العربي، أما سفن الدول الأخرى فهي سفن عَرْضِيَّة فقط، وتُعْرَج على الخليج بصورة نادرة، وتوجد تحت تصرّف المقيم البريطاني العام سفينة أثناء إقامته في بوشهر، فضلاً عن أنه يحق له ّ التصرف بسفن المراقبة الدائمة، إذ تتوافر لديه في كل لحظة إمكانية إما أن يسافر بنفسه، وإما أن يرسل سفينة عادية أو سفينة مرابطة إلى حيثما يرى أمراً ضرورياً في مناطق الخليج العربي "والإنجليز أسياد مطلقون في ذلك كله"⁽⁷⁸⁰⁾، وكانت سفنهم تجوب موانئ الخليج العربي على مدار العام وهي "سفينكس" و"ريدبريست" و"كوساك" و"هاي فلاير"⁽⁷⁸¹⁾.

وعلى أية حال أبحر الطراد الروسي "أسكولد" في الثامن والعشرين من تشرين الثاني (11 كانون الأول) عام 1902 باتجاه الكويت، التي وصلها في مساء اليوم التالي⁽⁷⁸²⁾، وأثار المدينة بالمصاييح الكاشفة، وفي صباح الثلاثين من تشرين الثاني (13 كانون الأول) من العام نفسه، تم إنزال القارب البخاري لإرسال "أداموف" إلى الساحل لمقابلة شيخ الكويت، لكن هبت عاصفة فجأة ودوت ريح شمالية غربية رفعت موجة عاتية، وبات من المستحيل إرسال أي

⁽⁷⁷⁸⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 123-125.

⁽⁷⁷⁹⁾ المصدر نفسه، ص 125، 128.

⁽⁷⁸⁰⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 128-129.

⁽⁷⁸¹⁾ S. G. I. F. D. Vol. V, Administration Report by C. A. Kemball, Lieut-Col, Political Resident, P. Gulf to Gov. of India, Bushire, April 1901. p. 6.

⁽⁷⁸²⁾ يشير لوريمر إلى أن وصول الطراد الروسي إلى الكويت، كان في الرابع عشر من كانون الأول عام

1902. ينظر:

قارب إلى الساحل، الذي لا تتوافر فيه المراسي⁽⁷⁸³⁾، وحينما بدأت قوة الريح تخف وصل في اليوم الأول من كانون الأول (14 كانون الأول) من العام نفسه في قارب نجل الشيخ الكويتي، الشيخ جابر ونجله أحمد وبعض أفراد الحاشية من عائلة الصباح، وجرى إطلاعهم على جميع أقسام الطراد الروسي، وبمناسبة شهر رمضان امتنعوا عن تناول الطعام، وأثناء هذه الزيارة أرسلت من لدن الشيخ مبارك ثلاثة عجول وعشرة خراف، وقدمت هدية جوابية للشيخ ونجله مسدس وبندقية صيد، وبعد مغادرة الشيخ أرسل قائد الطراد نائبه مع ضباط روس والقنصل الروسي في البصرة، بزيارة جوابية فاستقبلهم الشيخ بحفاوة بالغة⁽⁷⁸⁴⁾، مبدئياً سروره برؤية الطراد الروسي في بلاده، وأنه سيقدم في المستقبل أيضاً أوسع أسباب الضيافة لجميع السفن الروسية الحربية والتجارية على السواء⁽⁷⁸⁵⁾، ويبدو أن الشيخ كان يوازن بمهارة بين المصالح البريطانية والروسية في بلاده.

وأن السؤال الأول الذي طرحه القنصل الروسي على الشيخ مبارك، هل وصلت سفينة حربية بريطانية إلى الكويت؟ فأجاب "أن البريطانيين دأبوا على زيارتهم للكويت"، وحينما قال القنصل الروسي فيما إذا توصلت الحكومتان البريطانية والألمانية، إلى تفاهم بصدد سكة حديد بغداد، فهل سيوافق على إيصالها إلى كاظمة في الكويت؟ فأجاب الشيخ أنه لا يوافق، ولا يتمنى حدوث ذلك⁽⁷⁸⁶⁾.

جرى الحديث كله بوساطة مترجم أرمني وكيل لشركة ملاحه، كان الضباط الروس يوجهون إليه الكلام بالفرنسية، فيترجمه إلى اللغة العربية، أن هذه الحالة أتاحت لقائد الطراد الروسي، أن يلاحظ أنه يلزم الروس، كما يفعل البريطانيون، أن يجوبوا هذه المياه ومعهم مترجم من السكان المحليين، الذين يمكن أن يجعل من بعضهم وكلاء مفوضين بصورة مسبقة، فإن شخصين إلى ثلاثة من هذا النوع يمكنهم العمل لدى القنصليتين الروسييتين في بوشهر لاسيما في البصرة، وهم ضروريون بوجه خاص، لأن لدى اللغة العربية لهجات وهي غير مفهومة دائماً للذين يعرفون اللغة العربية الفصحى، في هذه الحالة كان يساعد الضباط الروس أداموف القنصل الروسي في البصرة، لكنه لا يستطيع بصورة دائمة مراقبة كل سفينة روسية، بل وليس من اللائق الاستنجاد به في جميع الأحوال⁽⁷⁸⁷⁾.

⁽⁷⁸³⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 129-132؛

A. K. Vol. Tow, Part V. Inclosure 2 in No. 31. Kuwait Agent to Lieut Col. Kemball . 19th Ramazan, 1320 (December 20, 1902). P. 18.

⁽⁷⁸⁴⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 129-132.

⁽⁷⁸⁵⁾ المصدر نفسه، ص 133.

⁽⁷⁸⁶⁾ A. K. Vol. Tow, Part V. Inclosure 2 in No. 31. Kuwait Agent to Lieut-Col. Kemball . 19th Ramazan, 1320 (December 20, 1902). P. 18.

⁽⁷⁸⁷⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 133-134.

وكان البريطانيون على علم بأخبار زيارة القنصل الروسي لشيخ الكويت ، فسعوا إلى التعرف على فحوى المباحثات التي أجريت خلالها ، وأبدوا قلقهم من التحركات الروسية ، وابدوا استعدادهم للوقوف بوجه أي دولة تتطلع لبسط نفوذها على الكويت⁽⁷⁸⁸⁾.

ويحتوي تقرير قائد الطراد الروسي على عرض مفصل للوضع السياسي في الكويت، وعلى وصف الميناء الكويتي والترسانات الوافرة العدد والأسطول الكويتي ، المؤلف من ألف سفينة بين كبيرة وصغيرة ، ولكل سفينة صارية بشرع ، وهي تحدث بالإجمال انطباعاً مميزاً لسفن من القرون الوسطى ، وأن سكان المدينة والبدو الرحل القاطنون بمحاذاتها، على السواء، يحكمهم الشيخ الكويتي مبارك بن الصباح ، الذي يعيش في داره الواقعة عند الساحل مباشرة وأمام الدار سارية مرفوع عليها العلم العثماني، وأن هذا العلم يرفع لدى وصول كل سفينة ، أما في واقع الأمر فإن الشيخ لا يعترف بسلطة السلطان ، ولا يدفع أية إتاوات ، وقد تطابق زيارة الطراد الروسي للكويت ، على ما يظهر، مع زمن السلم ، ولم يسمع عن وقوع أي عمل حربي ، لكن منذ عام ونصف إلى عامين مضت⁽⁷⁸⁹⁾، شكلت العمليات الحربية مع ابن رشيد أمير شمال نجد حقبة ملحوظة في حياة مدينة الكويت ، فقد اضطر الشيخ الكويتي ، الذي ضيق عليه جاره وأصيب بجراح في إحدى المعارك ، لطلب النجدة من البريطانيين ، لاسيما أن العثمانيين أرسلوا سفينة إنزال حربية ، وأوقفت سفينة المراقبة البريطانية، بوساطة التهديد وتصويب المدافع ، أوقفت الهجوم على الكويت، وأرغمت السفينة الحربية العثمانية على العودة أدرجها ، فكان يترتب على الشيخ مقابل ذلك الموافقة على إقامة خطوط ملاحية ، إذ كان ذلك يزيد من اهتمام البريطانيين بهذه المدينة ، وفي هذه الحالة كان البريطانيون يمارسون تأثيرهم، بشكل فعلي ، بإبقاء سفينة المراقبة هناك ، وإرسال سفينة خاصة مؤخراً قامت بعمليات ضرورية لمد كابل تلغرافي ، وتأنيث غرفة استقبال الشيخ على الطريقة الأوربية ، وعلى الجدران علفت صور ملك ومملكة بريطانيا والملكة الراحلة فكتوريا، والتأثير الأوربي لا يذهب إلى أبعد من ذلك، إذ أنه لم ينتهك أبداً السير الاعتيادي لحياة المدينة العربية، ولا يلاحظ وجود منشآت في أي مكان ، ولم يبدأ العمل في مد سكة حديد ولا بتحسين مرافق المدينة بعدّها ميناءً بحرياً، فضلاً عن أن الشيخ نفسه الذي ينم مظهره الخارجي ، عن خمسين إلى ستين عاماً من العمر، يثير انطباعاً أنه حاكم رصين وقاسٍ في الوقت نفسه ، وهو يعلم جيداً ، أية قيمة تتحلّى بها مدينة الكويت ، بوصفها

(788) بدر الدين عباس أخصوصي ، المصدر السابق، ص 158.

(789) في أوائل عام 1901 اشترك شيخ الكويت مع ابن سعود في غزو إقليم القصيم ، المختلف عليه بين نجد الشمالية والجنوبية ، للمزيد من التفاصيل ينظر:

ف.لوتسكي ؛ المصدر السابق ، . J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp. 357-359 ;

ص 425-429

أفضل وأقرب ميناء لسكة حديد بغداد الجاري تصميمها حينذاك ، ولن يتوانى عن استغلال هذا الوضع بوصفه حلاً نهائياً للمسألة (790).

غادر الطراد الروسي الكويت (791) في الثالث من كانون الأول (16 كانون الأول) عام 1902 باتجاه لنجة ، التي وصلها في اليوم التالي، وبعد إتمام جميع الزيارات أُلْقِعَ في مساء اليوم نفسه باتجاه بندر عباس (792)، المحطة الأخيرة لخط سير الطراد ، وقبل رفع المرساة أعلن سكرتير القنصل "أداموف" ، اثر عودته من الساحل ، عن رواج شائعة في لنجة تزعم وجود كوليرا في بندرعباس، كان الضباط الروس في لنجة وتم مقابلة المحافظ وسائر أصحاب السلطة، ولم يخطرهم أحد بذلك، لذلك فقد شكك قائد الطراد الروسي في هذه الشائعة، ونسب ترويجها إلى البريطانيين ، الذين لا يتورعون عن أي شيء لأجل بلوغ أهدافهم ، لقد كان البريطانيون يعلمون علم اليقين ، أن الطراد الروسي سيتجه إلى بندر عباس ، وكانوا على الأرجح ، بإطلاقهم الشائعة عن الكوليرا، يريدون منع الطراد من التعرّيج على بندر عباس ، فقرر قائد الطراد الذهاب إلى هناك والتحقق من صحة الشائعة، فإذا كانت صحيحة فسوف يتجه الطراد في الحال ، من دون اتصال بالساحل إلى مسقط (793).

وصل الطراد في الخامس من كانون الأول (18 كانون الأول) عام 1902، صباحاً، إلى بندر عباس ، وصادف في الميناء السفينة الإيرانية " برسبوليس " تحت علم الحاكم العام للموانئ الإيرانية الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي ميرزا رضا قولي خان ، الذي قام قائد الطراد بصحبة أداموف بزيارته فأخبرهم ، أنه مسرور جداً من أن السفن الروسية أخذت تُعَرَّج على الخليج العربي ، وأنه لا توجد في بندر عباس الكوليرا لا في الماضي ولا الآن ، وحينما طلب قائد الطراد الروسي من الحاكم العام للموانئ الإيرانية، المشاركة في الاحتفال الذي سيقامه طاقم الطراد في اليوم التالي ، بذكرى عيد ميلاد القيصر الروسي، قَبِلَ الحاكم العام الدعوة بكل امتنان ، وحضر الاحتفال فضلاً عن الحاكم العام قائد سفينة " برسبوليس " ومحافظ بندرعباس ورئيس الكمارك ، وحينما دخلت الميناء سفينة خفر السواحل البريطانية " كوساك " إزدانت

(790) من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق ، ص 129-133.

(791) يشير الوكيل البريطاني في الكويت إلى أن الطراد الروسي ، غادر الكويت في الرابع عشر من كانون الأول عام 1902. ينظر:

A. K. Vol. Tow, Part V. Inclosure 2 in No. 31. Kuwait Agent to Lieut-Col. Kemball . 19th Ramazan, 1320 (December 20, 1902). P. 18.

(792) من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 134 ؛

1. p. 329 J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part

(793) من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص. 134.

بالأعلام في الحال وشاركت في الاحتفال , فأرسل قائد الطراد الروسي أحد الضباط الروس , إلى السفينة البريطانية للتهنئة بالوصول والشكر على المشاركة في الاحتفال (794).

وطلب الحاكم العام للموانئ الإيرانية من قائد الطراد الروسي, التوسط له لإرسال ابنه سالار مُعظم تالي خان الذي عمره عشرة أعوام , وشقيقه سالار مُعظم محمد خان الذي عمره خمسة عشر عاماً , للدراسة في روسيا , الأول للدراسة العسكرية , والثاني لدراسة الحقوق (795), وقد نجح قائد الطراد في الحصول على إذن بهذا الصدد (796).

وانتهى في السادس من كانون الأول (19 كانون الأول) عام 1902, برنامج طواف الطراد الثقيل الروسي " أسكولد " لموانئ الخليج العربي, وفي اليوم التالي غادرت سفينة " برسبوليس " وسفينة خفر السواحل البريطانية " كوساك " بندرعباس , أما قائد الطراد الروسي فقد ظل ليرد الزيارة لمحافظ بندرعباس على الساحل, وإنجاز كتابة التقرير عن ملاحه الطراد في الخليج العربي, وغادر "أداموف" في الثامن من كانون الأول (21 كانون الأول) الطراد إلى الساحل , لانتظار وصول سفينة البريد البريطانية لنقله إلى مركز عمله في البصرة, وخرج الطراد في اليوم نفسه من بندرعباس إلى بلاده , وبعد أن طاف إحدى وعشرين يوماً في الخليج العربي وزيارته لأهم موانئه , استخلص قائده "رايتسنشتاين" عدداً من الاستنتاجات منها , أثناء طواف الطراد في موانئ الخليج العربي, قَدَّمَ "أداموف" له مساعدة هائلة , فلو لا مساعدته هذه لما تمكن قائد الطراد , لجهله اللغة العربية , أداء مهمة الطراد في هذه المدة القصيرة , وأن قائد الطراد صادف في كل مكان زاره في الخليج العربي إستقبالاً لطيفاً للغاية , من جميع أصحاب السلطة والسكان , وكان عدد الزائرين كبيراً بعد أن سمح للجميع , كبيرهم وصغيرهم, بمشاهدة الطراد , وكان الزائرون لدى مغادرتهم يشكرون على حُسْن الضيافة , فأثار الطراد انطباعاتاً قوياً في نفوس الناس العاديين, بطوله وبمداخله الخمس, وبمنظره , وبقوة مدفعيته (797), وأشار لوريمر إلى ان ما يُميّز زيارات السفن الروسية المتتابعة لموانئ الخليج, كان الحفاوة الزائدة والتحيات الرسمية والمجاملات الواسعة , بل وأحياناً كانت السفن نفسها تسمح للبسطاء من العرب والإيرانيين بالصعود إليها ومشاهدتها , وقد كتب القنصل البريطاني في البصرة معلقاً على ذلك يقول: " لو قد أظهر شيء أكبر من الرزانة لأثر ذلك تأثيراً أبلغ في نفوس الشرقيين " (798).

(794) من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد", المصدر السابق , ص 134-137.

(795) المصدر نفسه , ص 138.

(796) و.أ.د.م.س.ب.ج., رسالة الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى لامزدورف, بصدد إرسال ولدي الحاكم العام لموانئ ومقاطعات الخليج العربي, إلى روسيا طلباً للدراسة, بتاريخ 13 أيار (مايو) 1903, رقم 1940, وزارة البحرية , الأركان البحرية العامة, ملف رقم 417, القائمة 1, الاضبارة رقم 2531, المصدر السابق, ص 143.

(797) من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد", المصدر السابق, ص 137-141.

(798) Quoted in: J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . part . 1 . p. 330.

ويُنوّه قائد الطراد الروسي إلى أنه لا يمكن عدّ الملاحة في الخليج العربي ملاحة هادئة ومريحة ، فالخرائط غير متقنة إطلاقاً، والمواقف غير مريحة لعدم وجود أية مراسٍ في أي مكان ، فضلاً عن عدم وجود فحم في الموانئ، والماء رديء وجلبه أمر شاق للغاية ، وكذلك المأكولات رديئة ومحدودة ، وأن مياه الخليج العربي رديئة جداً وتلوث جسم السفينة ، الفقر المدقع بارز في جميع الموانئ ، والمدن تفتقر لأسباب الراحة، وقذرة، وأن جميع السلاطين والشيوخ والمحافظين، الذين يحبون كثيراً التبجيل والتحيات بالمدفعية ، يعيشون بصورة لا تليق بالحكام إطلاقاً ، أما النفوذ البريطاني في الخليج العربي فشديد ، ولا غرابة في ذلك ، لأن جميع الخدمات المتوافرة هناك هي من البريطانيين، البريد ، البرق ، المواصلات البحرية ، والعلم المرفوع دائماً في الخليج العربي هو العلم البريطاني، الحربي، والتجاري ، أما الأعلام الأخرى فنادرًا ما تُشاهد هناك ⁽⁷⁹⁹⁾. وكان الرد المباشر على جولة الطراد الروسي الثقيل " أسكولد " في الخليج العربي في كانون الأول عام 1902، هو إصدار حكومة لندن الأوامر في الشهر التالي أن تقوم السفينة الملكية البريطانية " رناون " " Renown " بزيارة الخليج العربي، وهي سفينة مقاتلة من الطراز الأول⁽⁸⁰⁰⁾، يبلغ طولها 380 قدماً، وعرضها 1/3 72 قدماً، وغطاسها 26.75 قدماً، وحمولتها 12350 طناً، وسرعتها 18 عقدة ، ومجهزة بأربعة وأربعين مدفعاً من عيارات مختلفة، وخمسة أجهزة الغام وعلى متنها طاقم

من 674 شخصاً⁽⁸⁰¹⁾، تعدّ بفعل حمولتها أضخم سفينة حربية زارت الخليج العربي حينذاك ⁽⁸⁰²⁾.

وكان على متن السفينة " رناون " "دوق كوناوت" " Duke of Connaught " قاصداً دلهي لحضور حفلات التتويج ، وكانت السفينة غير مرتبطة بمهام أخرى ، خرجت من بومباي في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام 1903، فزارت مسقط وبوشهر ولنجة وبندرعباس وجاسك ، لكنها لم تستطع زيارة الكويت لاستحالة رسو غاطسها الضخم في مياهه ، واستقبل طاقمها سلطان مسقط ونائب الحاكم الإيراني في بندرعباس وغيرهما من كبار المسؤولين على

⁽⁷⁹⁹⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 141-142.

⁽⁸⁰⁰⁾ و.أ.د.م.س.ب.ح.، نسخة من بلاغ عميد القنصلية العامة الإمبراطورية الروسية في بوشهر السيد أوفسينكو، إلى السيد المبعوث الإمبراطوري الروسي في طهران، بتاريخ 12 شباط (فبراير) 1903، رقم 79، ملف رقم 417، قائمة 1، إضبارة رقم 2548، المصدر السابق، ص 144. ويشير له بـ نسخة عن بلاغ عميد القنصلية العامة الإمبراطورية الروسية

⁽⁸⁰¹⁾ نسخة من بلاغ عميد القنصلية العامة الإمبراطورية الروسية ، المصدر السابق ، ص 144.

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . ⁽⁸⁰²⁾ المصدر نفسه ؛

متنها⁽⁸⁰³⁾، وعلى الرغم من ذلك فإن السفينة لم تحدث أي انطباع في نفوس السكان المحليين ، لأنها لم توفر لهم ، لمكوئها القصير جداً في مياه الخليج العربي ، إمكانية رؤية السفينة الجديدة والتعرّف عليها، ورسّت في ميناء بوشهر الخارجي ثلاث إلى أربع ساعات فقط ، وتبادلت تحية الأمة ، التي لم تسمع إطلاقاً على الشاطئ ، مع سفينة خفر السواحل الإيرانية " برسبوليس "، وسارعت في مغادرة الميناء من دون أي اتصال مع الشاطئ ، وتكرر الشيء نفسه أيضاً في مينائي الخليج الآخرين ، لنجة وبندرعباس ، وهكذا فلا أحد تقريباً من السكان المحليين يعلم بتعريج السفينة " رناون " على الخليج العربي ، ويمكن التأكيد بلا تردد على أن الهدف الرئيسي لإرسال الحكومة البريطانية السفينة إلى الخليج العربي ، هو شلّ الانطباع الذي تركه فيه الطرادان الثقيلان الروسيان " فارياغ " و " أسكولد "، لكن لم يتم بلوغه إطلاقاً في هذه المرة على أقل تقدير⁽⁸⁰⁴⁾ . وفقاً لرأي الوزير المفوض الروسي في طهران .

زيارة الطراد الروسي بويارين لموانئ الخليج العربي في عام 1903

وتتسم الزيارة المشتركة التي قام بها الطراد الحربي الروسي من الدرجة الثانية "بويارين" Boyarin والطراد الحربي الفرنسي "إنفيرنية" "Infernet" إلى الخليج العربي بأهمية كبيرة ، إذ سبق للدولتين الحليفتين أن ناقشتا هذا المشروع في مطلع عام 1902، إلا أن تحقيق ذلك لم يكن أمراً سهلاً ، فلا يوجد أسطول روسي ولا أسطول فرنسي في الخليج العربي ، ولم تكلل بالنجاح محاولات استخدام السفن ، المتجهة من بحر البلطيق إلى الشرق الأقصى ، للقيام بهذه الزيارة ، فقد كانت السفن الروسية والفرنسية تمر على مقربة من الخليج العربي في مدد مختلفة ، وفي مطلع عام 1903 فقط تسنى تحقيق هذه الخطة ، وكانت تدفع الحليفتين إلى القيام بذلك ، الرغبة

(803) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 377.

(804) نسخة من بلاغ عميد القنصلية العامة الإمبراطورية الروسية ، المصدر السابق ، ص 144.

في عرض وحدة وقدرة الحلف الثنائي أمام خصمه الرئيسي في هذه المنطقة ، بريطانيا ⁽⁸⁰⁵⁾ ، وكذلك أمام إيران والدولة العثمانية والشيوخ العرب في الساحل الغربي للخليج العربي، وكان للدولتين أهداف ومقاصد ، فقد كان الخليج العربي لروسيا مهماً بشكل كبير ، في سياق سياستها الإيرانية والتناقضات البريطانية الروسية بهذا الصدد، أما في فرنسا فقد كانوا ينظرون إلى هذه الزيارة، من زاوية النزاع البريطاني الفرنسي على مسقط ، الذي ثار مجدداً عشية الزيارة ، وأدت المسألة الكويتية دوراً مهماً في تحضير التظاهرة الروسية الفرنسية ، إلا أن مواقع الطرفين في الخليج العربي كانت مختلفة مبدئياً ، فقد وظفت فرنسا رأسمال كبير في المشروع الألماني لسكة حديد بغداد ، الذي كان يمكن أن يعطي مردوداً ، وفقاً لما كانت المصالح الفرنسية ترضى حينذاك ، في حال إكمال السكة إلى مدينة الكويت ، وفي الوضع السياسي لتلك الحقبة ، لم يكن هذا الأمر ممكن التحقيق إلا في حالة بقاء السلطة العثمانية في الكويت ، وكانت السياسة الفرنسية تصطدم هناك بالسياسة البريطانية ، التي كانت تسعى لفرض حمايتها على الكويت ⁽⁸⁰⁶⁾ .

أما روسيا فقد كانت خصماً للمشروع ⁽⁸⁰⁷⁾ ، وكانت مصالحها تتجاوب مع استقلال الشيخ مبارك الذي كان يرى في سكة حديد بغداد وسيلة لاستبعاد الكويت المحتوم والنهائي، وهنا كانت السياسة الروسية تقف في وجه سياسة ألمانيا وفرنسا وسياسة بريطانيا ، على السواء ، لقد كانت بريطانيا ، كما أتضح

فيما بعد ، توافق على مشروع سكة حديد بغداد ⁽⁸⁰⁸⁾ ، في حال فرض الإشراف البريطاني التام على القاطع الجنوبي منه المطل على الخليج العربي ⁽⁸⁰⁹⁾ .

ي. ريزفان، المصدر السابق ، .
J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 329;
⁽⁸⁰⁵⁾ ص 24

⁽⁸⁰⁶⁾ ي. ريزفان ، المصدر السابق ، ص 24.
⁽⁸⁰⁷⁾ للمزيد من التفاصيل عن موقف روسيا من مشروع سكة حديد بغداد، يمكن مراجعة الدراسة التي أجراها الدكتور نوري عبد البخيت السامرائي، روسيا ومشروع سكة حديد بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس عشر، بغداد 1980.

⁽⁸⁰⁸⁾ للمزيد من التفاصيل عن موقف بريطانيا من مشروع سكة حديد بغداد. ينظر :
F. O. 371 / 148 / 2490, The Influence of the Railway on British Interests, Part V ; E. M. Earle, Op.Cit. pp. 179-261 ;
لؤي بحري، سكة حديد بغداد ، بغداد 1967، ص 136-173؛ فواز مطر نصيف الدليمي ، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق 1869-1914، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة بغداد 1989، ص 146-211.
⁽⁸⁰⁹⁾ ي. ريزفان ، المصدر السابق ، ص 24.

وقد كان الفرنسيون ، على الرغم من تحالفهم مع الروس، يتخوفون من اشتداد النفوذ الروسي في الخليج العربي، وتشهد على ذلك تقارير قائدي الطرادين الروسيين "فارياغ" و"أسكولد"، التي تحتوي رفض فرنسا المزاوغ والدائم ، منح السفن الروسية ، التي ترتاد الخليج العربي، إمكانية استخدام مستودع الفحم الفرنسي في مسقط⁽⁸¹⁰⁾، ومع ذلك فإن تقرير المقدم البحري الروسي ساريتشيف قائد "بويارين"، يتسم بأهمية كبيرة للزيارة المشتركة للطرادين الروسي والفرنسي لمنطقة الخليج العربي، الذي أدرك أن الهدف من السير سويرة مع الطراد الفرنسي "إنفيرنية"، هو لتأكيد الاتجاه المنسجم والودي للسياسة الروسية والفرنسية في الخليج العربي، خلافاً لذلك الرأي الذي تروج له الحكومة البريطانية ووكلائها وممثلوها في موانئ الخليج العربي، في أوساط الشيوخ والقبائل العربية في الساحل الغربي وفي الساحل الشرقي للخليج العربي أيضاً، والقاتل أن الخليج العربي بحر مغلق وأنه تحت النفوذ البريطاني حصراً⁽⁸¹¹⁾.

فقد التقى "ساريتشيف" بالمقدم البحري الفرنسي "أوهيسبل" "O,Hespel" قائد الطراد "إنفيرنية"، في الثلاثين من كانون الثاني (12 شباط) عام 1903 في ميناء جيبوتي، واتفقا على خط السير في الخليج العربي ، وقبل مغادرة الطراد الفرنسي جيبوتي ، الذي كان ينبغي له مغادرتها إلى مسقط ، قبل يومين من إقلاع "بويارين" ، لأن قائده كان يستعجل في القيام بجولة في موانئ الخليج العربي، اتفق "ساريتشيف" معه على أن ينطلقا من مسقط سويرة إلى بوشهر، من دون التعرّيج في الطريق على أي ميناء ، وذلك بغية التحدث مع ممثليهما الدبلوماسيين هناك ، فضلاً عن ذلك كان قائد الطراد "بويارين" يرغب في إعادة قراءة تقرير قائد الطراد "أسكولد"، ليكون لديه تصوّر واضح عن آخر الأنباء في منطقة الخليج العربي ، والأهم ليستطيع فيما بعد ، إذا ما رغب "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر التجوّل معه في الموانئ ، وأن يطلب منه مسبقاً الاتفاق مع الممثل الفرنسي في بوشهر، للسماح بالجولة الروسية الفرنسية المشتركة⁽⁸¹²⁾.

وعشية مغادرة "بويارين" جيبوتي وصلت إلى الميناء سفينة الشركة الروسية للملاحة والتجارة ، "تروفور" العائدة من موانئ الخليج العربي ، وبما أن "تروفور" كانت ترفع علم الحجر الصحي ، لذلك لم يستطع "ساريتشيف" أن يتحدث بالتفصيل مع قائدها - الذي قام لأكثر من مرة بهذه الرحلة - عن الوضع في الخليج العربي، ومع ذلك فقد أخبره أن موانئ الخليج العربي التي يزعم زيارتها ، فإنها في هذا الفصل من العام في حالة جيدة ، وأنه لم يسمع شيئاً عن الأمراض

⁽⁸¹⁰⁾ من تقرير قائد الطراد الثقيل "فارياغ"، المصدر السابق، ص 82 ؛ من تقرير قائد الطراد الثقيل "أسكولد"، المصدر السابق، ص 120-121.

⁽⁸¹¹⁾ و.أ.د.م.س.ب.ح.، من تقرير قائد الطراد الخفيف "بويارين" المقدم البحري "ساريتشيف" ، بصدد زيارة موانئ الخليج العربي ، ملف رقم 417، قائمة 1، إضبارة رقم 2613، المصدر السابق، ص 145، 15. وسيشار له بـ من تقرير قائد الطراد الخفيف "بويارين" .

⁽⁸¹²⁾ من تقرير قائد الطراد الخفيف "بويارين" ، المصدر السابق، ص 146، 149.

لاسيما وبائيّ الكوليرا والطاعون , لا في بوشهر ولا في بندرعباس , ونصحته قائد " تروفور " , بإقامة اتصال مع ممثل الشركة الروسية للملاحة والتجارة في مسقط , المطلّع وفقاً لما قال على الأوضاع في الجزيرة العربية وعمان والخليج العربي (813).

وصل الطرادان مسقط قادمين من جيبوتي , لكن كلاً منهما وصل الميناء وحده , "إنفيرنية " في الحادي والعشرين من شباط عام 1903 (814), و " بويارين " في ليلة العاشر منه (23 شباط), بعد أن أضاء بالمصابيح الكاشفة ساحل مسقط , لرؤية مدخل الميناء الذي كان يرسي فيه " إنفيرنية " وسفينة بريد بريطانية , وعلى الصخور عند جهة مسقط المطلّة على خليج عُمان , كُتب اسم " بويارين " إلى جانب أسماء السفن الأخرى التي زارت مسقط في الأعوام السابقة , وبعد أن تبادل "ساريتشيف" الزيارات مع "لارونس" نائب القنصل الفرنسي في مسقط , الذي عرضَ خدماته بوصفه مترجماً عند زيارة السلطان , لذلك توجّه في الحادي عشر من شباط (24 شباط) من العام نفسه مع ثلاثة ضباط روس , بالبذلة الرسمية والأوسمة والسيوف في زيارة إلى السلطان , الذي استقبلهم عند البوابة الخارجية للقصر , وقدّم السلطان له وللضباط الروس شقيقه ونجله , الوريث المقبل الذي أصبح يملك ميدالية بريطانية , تلقّاها أثناء احتفالات التتويج في الهند , التي أوفده السلطان ممثلاً عنه إلى هناك , وفي غرفة الاستقبال , قال "ساريتشيف" للسلطان أنه تلقّى في طريقه إلى المحيط الهادي أمراً بزيارة مسقط وموانئ الخليج العربي , ليعزز بهذه الزيارة علاقات الاحترام والصداقة القائمة بين الحكومة الروسية وجيرانها , لم يستطع "ساريتشيف" معرفة أي شيء جديد عن مسقط , زيادة عما كان قد وردَ في تقرير العقيد البحري بير (قائد الطراد الثقيل " فارياغ " الذي زار مسقط عام 1901), باستثناء أن السلطان يمر في ظروف مالية حرجة حينذاك , فهو لم يدفع الرواتب منذ أربعة أشهر لحرسه الشخصي , إذ أن المدخولات قليلة جداً بسبب التجارة السيئة , لأن الرسوم المفروضة على الاستيراد , هي الدخل الوحيد للسلطان , فضلاً عن الإعانة التي يتلقاها من الحكومة البريطانية (815), وقد طلب "ساريتشيف" من "لارونس" أن يخطر السلطان , أنه سيغادر مسقط في اليوم نفسه , لأنه يسير بمعية طراد فرنسي , لذلك اعتذر من أنه لن يستطيع قبول زيارة السلطان الجوابية , لكنه يأمل أثناء العودة لدى التعرّيج على الخليج العربي , أنه سيكون له الشرف باستقباله عند زيارة الطراد للإطلاع عليه . وتطرّق الحديث فيما بعد إلى زيارة " فارياغ " و " أسكولد " اللذين تركا , على ما يبدو , انطباعاً عميقاً وأعطيا تصوراً ساطعاً عن قوة روسيا , ويستحق الاهتمام بلا شك , السؤال غير المتوقع الذي طرحه السلطان على "ساريتشيف" عبر القنصل الفرنسي , عما إذا كانت روسيا تبيع السلاح لإيران , فرأى من واجبه الإجابة على ذلك , أنه لا يعتقد أن روسيا تبيعه لها ,

(813) المصدر نفسه .

(814) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 329.

(815) من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " , المصدر السابق, ص 150-151.

لأنها لا تحتاج للأموال وهي تقيم علاقات سلمية مع الجميع , مضيفاً أن رغبة القيصر الروسي تكمن في أن تسود علاقات سلمية بين الجيران أيضاً , لذلك لا يجري بيع السلاح لأي كان , وحينما قال السلطان أنه وصلته شائعات , أو بالحرف الواحد " يُقال في السوق " أن علاقات روسيا مع اسطنبول متوترة , فأجابه أنه لم يسمع شيئاً بهذا الصدد , وأن العلاقات كانت منذ شهر مضى جيدة بينهما , وبعد ذلك طلب منه السلطان نقل تحيته واحترامه إلى الممثل الروسي في الخليج العربي , وأنه سيكون مسروراً بمقابلته في مسقط⁽⁸¹⁶⁾.

وحينما قام بزيارة الطراد الروسي "جوجوير" الفرنسي التابعة الذي يعمل وكيلاً للشركة الروسية للملاحة والتجارة في مسقط , الذي كان على علاقة سيئة مع قنصله "لارونس" , أخبر قائد الطراد الروسي, بلهجة قاطعة أن القنصل الفرنسي عيّن بصورة مقصودة , على حد قوله , من أجل تصفية جميع شؤون فرنسا في مسقط , وإن كان في غير صالحها إذا اقتضى الأمر, ولهذا السبب فهو يفعل ما في وسعه للحفاظ على علاقات جيدة مع القنصلية البريطانية في مسقط , لقد أثار "جوجوير" في نفس قائد الطراد الروسي انطباعاً عن شخص مخبول وشاذ بعض الشيء , فضلاً عن انه ينهج سياسة منفصلة , لكن كان من الصعب إدراك لصالح مَنْ ينهج هذه السياسة , وحتى أنه كان أحياناً يشتت زاعماً أن العرب ينتظرون تدخل روسيا , وإنهم ينظرون إلى الروس نظرتهم إلى محررين من النفوذ البريطاني المتعاضم في منطقة الخليج العربي , ان "جوجوير" على استعداد لتقديم خدمة في هذا الاتجاه, فضلاً عن ذلك فقد أكد "جوجوير" أنه لا توجد أية صعوبات في امتلاك مستودع للفحم الروسي , مماثل تماماً للمستودعين الموجودين لدى البريطانيين والفرنسيين , وأن الفرصة مناسبة لتدبير هذا الأمر, لأن السلطان بحاجة ماسة إلى الأموال, وأنه إذا دفع له إيجاراً غير كبير, لقاء المكان فسيكون ذلك أمراً مسروراً وضرورياً للسلطان, وعلى الرغم من ان التحميل في ميناء مسقط , سيكون على حد رأي قائد الطراد الروسي, غير مريح وغير ممكن دائماً, إلا أنه من الضروري امتلاك مستودع فحم في مسقط للسفن المتجهة إلى الخليج العربي⁽⁸¹⁷⁾, لكن هذا الأمر ثبت فيه عادة , السلطات الروسية في بطرسبورغ , لذلك لم يعمد قائد الطراد الروسي إلى مفاتحة السلطان , بصدد الحصول على مستودع للفحم في مسقط , لتزويد السفن الروسية بالفحم عند ارتيادها منطقة الخليج العربي.

وأتجه الطراد الروسي " بويارين " في الحادي عشر من شباط (24 شباط) عام 1903, بمعية الطراد الفرنسي " إنفيرنية " إلى بوشهر, التي وصلها في صباح الخامس عشر من شباط (28 شباط) من العام نفسه , فتوجه قائد " بويارين " مع ضابطين روسيين إلى الساحل, إذ

(816) المصدر نفسه , ص 152.

(817) من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " , المصدر السابق, ص 153.

استقبلهم "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر⁽⁸¹⁸⁾، ثم اتفق قائدا الطرادان على أن يقوم كل واحد منهما ، بادئ الأمر، بزيارة لقنصله ، ومن ثم يقوموا بزيارة مشتركة للقنصلين ، وبعد ذلك يستقبلهم الحاكم العام لبوشهر جميعاً ، القائدان مع الضباط والقنصلان على السواء ، وهذا ما حدث فبعد الزيارة المتبادلة توجهوا إلى مقر رضا قولي خان الحاكم الإيراني لبوشهر، الذي استقبلهم بحفاوة بالغة ، وفي اليوم التالي زار الحاكم العام بصحبة الحاشية المؤلفة من قائد سفينة " برسبوليس " القبطان إبراهيم ، وجنرال سلاح المدفعية شوجال مماليك ، الذي سبق له أن أوفد إلى موسكو لحضور احتفالات تتويج القيصر الروسي ، وبعد الغداء طلب الحاكم العام مشاهدة الطراد " بويارين " وتدريباً بالمدفعية ، فتم إطلاق قذيفتين متفجرتين من مدفعين عيار 120 ملم ، وأبدى جنرال سلاح المدفعية اهتماماً شديداً بمدى تحليق القذائف وقوة المدفعية ، وطرح أسئلة عديدة في دائرة اختصاصه ، مما يسمح بالاستنتاج أنه يفهم أشياء لا بأس بها في هذا المضمار ويهتم بالأمر، وفي عصر اليوم نفسه تم نقل جميع هؤلاء الأشخاص من الطراد الروسي إلى " إنفيرنية " بالقارب البخاري ، وفي أثناء جميع الزيارات كان قائد الطراد الروسي، يتصرف بالاتفاق مع القائد الفرنسي ومع القنصلين، ليكون كل شيء منسقاً ما أمكن ، وفي مساء التاسع عشر من شباط (4 آذار) من العام نفسه ، وصل إلى الطراد الروسي "أوفسينكو" القنصل الروسي العام في بوشهر، للقيام بجولة على متن الطراد في موانئ الخليج العربي ، ورفع الطراد المرساة ، في أعقاب الطراد الفرنسي، وسار خلفه باتجاه الكويت، ورسا في صباح اليوم التالي في ميناء الكويت ، وجاء إلى الطراد الروسي في الحال صباح بن مبارك النجل الثاني للشيخ مبارك ، لتهنئتهم بالوصول باسم مبارك ، والاتفاق على موعد زيارة قائد الطراد مع القنصل والضباط الروس، وبعد ذلك قام بزيارة " إنفيرنية"⁽⁸¹⁹⁾، وقد ظل الطرادان في الكويت من الخامس إلى الثامن من آذار⁽⁸²⁰⁾ عام 1903⁽⁸²¹⁾، وبعد أن اتفق القائدان على زيارة جوابية في الحادي والعشرين من شباط (6 آذار) للشيخ مبارك ، الذي استقبلهم في مقره ، وحينما تم التطرق إلى مسألة سكة حديد بغداد ، كان الشيخ مبارك يعارض السماح بوصول السكة إلى الكويت ، لأنه كان يدرك أن ذلك يشكل

هو الذي استقبل "بويارين" ، **Passek**⁽⁸¹⁸⁾ يشير لوريمر سهواً ، إلى أن القنصل الروسي العام في بوشهر باسك والصحيح هو "أوفسينكو"، بناءً على ما أشار إليه قائد " بويارين " بنفسه ، فضلاً عن ذلك أن باسك قام بمهمة القنصل الروسي العام في بوشهر، في السابع والعشرين من نيسان عام 1904. ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit.Vol.1 .Part.1 .p. 329; Part .II .p.2692 ;

من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين "، المصدر السابق، ص 154-155.

⁽⁸¹⁹⁾ من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين "، المصدر السابق، ص 153-157.

⁽⁸²⁰⁾ يشير قائد السفينة البريطانية " سفينكس " ، الذي وصل إلى بوشهر في العاشر من آذار عام 1903 قادماً من الكويت ، إلى أن الطرادين الروسي والفرنسي كانا متواجدين في الكويت ، من الرابع إلى الثامن من آذار من العام نفسه. ينظر:

A. K.Vol.V. No. 38 .Telegram From Colonel Kemball to Gov. of India, March 11, 1903. p. 24.

⁽⁸²¹⁾ **J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 329.**

نهاية لقوته وسلطته , لكن عندما طرح عليه سؤال , عما سيكون عليه موقفه , إذا ما تم تنفيذ الخطة البريطانية , التي ترتتي بناء طريق من بورسعيد إلى الكويت ⁽⁸²²⁾, أجاب بطريقة دبلوماسية , أنه لو جرى بناء هذا الطريق من قبل بريطانيا وروسيا وفرنسا , فإنه لا يعارض ذلك ⁽⁸²³⁾, ويصف لوريمر اهتمامات روسيا بالكويت في تلك المدة أنها كانت أفلاطونية (خيالية) ⁽⁸²⁴⁾.

وقد وصلت السفينة الحربية البريطانية " سفينكس " في الثاني والعشرين من شباط (7 آذار) عام 1903 إلى ميناء الكويت , التي أرسل قائد الطراد الروسي إليها ضابطاً لتقديم التهنئة بالوصول , وقد فعل الشيء نفسه الطراد " إنفيرنية " , وفي اليوم التالي قام قائد " سفينكس " الضابط " كيمب " " Kemp " , الذي يتكلم الروسية بصورة لا بأس بها , بزيارة " إنفيرنية " أولاً ثم زيارة " بويارين " التي قام قائدها مع القنصل الروسي برّد الزيارة " لسفينكس " التي حصلت في عام 1902 على مراجل جديدة , التي ركّبت على حواملها القديمة مدافع سريعة الطلقات , عدّ قائدها أنه من الضروري أن يطّلع قائد " بويارين " والقنصل الروسي , وقائد " إنفيرنية " على مدافعه الجديدة, لقد كان ذلك أول ما رأى قائد " سفينكس " القيام به , على الرغم من أنهم لم يطلبوا منه ذلك , ولم يبدو أي اهتمام بمدافعه, إن هذه الحالة تُبيّن بجلاء , إن إرسال الطرادين الحربيين لأمتين صديقتين , أثار لدى البريطانيين حالة من التوتر العصبي والقلق والإرتياب , على حد وصف قائد الطراد الروسي " بويارين " ⁽⁸²⁵⁾, ومما يؤكد هذه الحالة, أنه حالما

وصلت السفينة البريطانية " سفينكس " إلى بوشهر في السادس من آذار عام 1903, طلب " كامبل " المقيم البريطاني في الخليج العربي من قائدها " كيمب " أن يتوجه إلى الكويت , للحصول على أية معلومات مفيدة عن زيارة " بويارين " و " إنفيرنية " للكويت , التي وصلها في اليوم التالي , وقد علّم " كيمب " أن عبد العزيز ابن سعود الموجود في الكويت , قد تمت زيارته مرتين من القنصل الروسي وقائد " بويارين " , وقد عرضَ القنصل عليه المساعدة سواء بالأموال أم بتقديم الأسلحة في حربه ضد ابن رشيد أمير نجد , لكن الشيخ مبارك نصحه بعدم قبول ذلك, ولم يستطع كيمب أن يتأكد فيما إذا كان مجيء عبدالعزيز إلى الكويت بهدف مقابلة السفن الأجنبية , لكن مبارك أخبره أنه جاء إلى الكويت لإعادة بعض أفراد عائلته إلى نجد ⁽⁸²⁶⁾, وقد أهدى القنصل الروسي أثناء زيارته للشيخ مبارك في السابع من آذار عام 1903 ثلاث بنادق مختلفة,

⁽⁸²²⁾ وهو المشروع الذي طرحه أحد البريطانيين, قبل نهاية القرن التاسع عشر وقبل حصول الألمان على مشروع سكة حديد بغداد , لكن المشروع لم يرَ النور لإحجام الحكومة البريطانية عن تأييده ودعمه مالياً , شأنه شأن المشاريع العديدة التي سبقته.

⁽⁸²³⁾ من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " , المصدر السابق, ص 157-158.

⁽⁸²⁴⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . p. 361.

⁽⁸²⁵⁾ من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " , المصدر السابق, ص 161-162.

⁽⁸²⁶⁾ A. K. Inclosure in No.42 Commander Kemp to Rear-Admiral Sir C .Drury "Sphinx " at Bushire, March 14, 1903 p. 27 ; Ibid Inclosure in No. 43 Lieut-Col Kembell to Gov. of India, Bushire, March, 16, 1903 . p. 28.

ثم زار عبدالعزيز الذي أهده القنصل الروسي بندقية، بعدها ذهب أخو عبدالعزيز مع عشرة رجال لمشاهدة الطراد الروسي، الذي غادر في الثامن من آذار عام 1903 الكويت (827).

وغادر الطرادان الكويت في الثالث والعشرين من شباط (8 آذار) عام 1903، إلى لنجة، التي وصلها في اليوم التالي، وقام "أوفسينكو" بصحبة القائدين الروسي والفرنسي بزيارة محافظ لنجة حاجي طالب خان، الذي قام بصحبة عقيد سلاح المدفعية الإيرانية سرحان حيدر خان، بزيارة جوابية للطرادين، أما "أوفسينكو" الذي قام لعدة مرات بزيارة الموانئ بصحبة القائدين الروسي والفرنسي، فقد كانت هذه الزيارات تترك أثراً في نفوس سكان الخليج العربي (828)، وحينما كان لا يزال في لنجة قام باستفسارات وتحريات عن القاعدة البريطانية في باسيديو (829)، التي تقع على الطرف الشمالي الغربي من جزيرة قشم (830)، وهذا يدل على إهتمام روسيا بمدخل الخليج العربي، وكانت السلطات البريطانية تشرف إشرافاً دقيقاً على مستودع الفحم والمنشآت البريطانية في باسيديو، وتأكيداً لوضع بريطانيا فيها، تقرر أن يبقى العلم البريطاني. الذي لم يكن يُرفَع إلا في أيام الأحاد والعطل ولدى مجيء سفينة بريطانية. مرفوعاً كل يوم من شروق الشمس إلى غروبها (831).

أبحر الطرادان في مساء السادس والعشرين من شباط (11 آذار) عام 1903 باتجاه بندر عباس، الذي وصله في صباح اليوم التالي، وهناك أيضاً تبادلوا التحيات بالمدفعية والزيارات الرسمية، وحينما جاء إلى الطراد الروسي بدعوة من قائده، الموظف البلجيكي، الذي يعمل مفتشاً للكمارك الإيرانية في موانئ الخليج العربي، أخبر قائد الطراد أنه قبل وصول الطراد الروسي بما يقرب ثلاثة أسابيع، جاءت السفينة البريطانية "سفينكس" إلى جزيرة هرمز، وسأل قائدها حاكم الجزيرة بشكل جدي، هل صحيح أن روسيا اشترت جزيرة هرمز؟ وفي مساء اليوم نفسه، وعندما كان هذا البلجيكي في ضيافة قائد "سفينكس" سأل هذا القائد عدة أسئلة بشأن

(827) Ibid, Inclosure 3 in No. 43 . News Agent, Kuwait, to Lieut-Col Kemball, March 8, 1903 . p. 29.

(828) من تقرير قائد الطراد الخفيف "بويارين"، المصدر السابق، ص 162-163.

(829) للمزيد من التفاصيل عن القاعدة البريطانية في باسيديو ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. 1 . pp. 365-366, 373; Part . II . pp. 2105-2108 ; R. E. P. D. Vol. 5, Op.Cit. p. 385.

يشير لوريمر سهواً إلى أن باسك، هو الذي قام بالتحريات في عام 1903، عن المواقع البريطانية في باسيديو، والصحيح أن الذي قام بتلك التحريات انطلاقاً من لنجة هو أوفسينكو الذي كان يشغل منصب القنصل الروسي العام في بوشهر، وهو نفسه الذي كان على متن الطراد "بويارين" حينما زار لنجة، وهذا ما أشار إليه قائد "بويارين" نفسه، فضلاً عن ذلك أن باسك لم يستلم منصبه قنصلاً في بوشهر، إلا في السابع والعشرين من نيسان عام 1904، وظل مشرفاً على القنصلية حتى ما يس عام 1906. ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1, Part. 1 . p.373; Part .II .p.2692 ;

من تقرير قائد الطراد الخفيف "بويارين"، المصدر السابق، ص 162، 165.

(830) A. T. Wilson, Op.Cit. p. 212.

(831) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol.1 . Part.1 . pp. 372-373.

حصول الروس على أي شيء في الخليج العربي ، لأن البريطانيين كانوا يعملون منذ مائتي عام ، على ترسيخ نفوذهم هناك، ولن يسمحوا بمقاومة ذلك ، لدرجة أن البلجيكي أضطر لإيقاف قائد " سفينكس " أن طلب من القنصل البريطاني في بندرعباس ، إقناع القائد أنه ليس روسياً ، وأن المصالح الروسية قلما تهتم ، وأنه يهتم بالكمارك الإيرانية حصراً ، ولا يخدم الروس ، وعلى الرغم من اعتقاد القائد الروسي ، أن هذا الواقع قد يكون إختلاقاً برمته ، لكنه يشير في الوقت نفسه إلى " أن الإنجليز أصبحوا عصبيي المزاج وهم يتوقعون أعمالاً عدوانية ما ، من جانبنا في الخليج " وأنهم "يتخوفون منا في الخليج ، وليس من تواجدنا أو مجيئنا ، بل من مظاهر نفوذنا بوجه عام " (832).

ويبدو أن البريطانيين كانوا يخشون من إمتداد النفوذ الروسي إلى الخليج العربي ، الذي يعدونه تحت نفوذهم بشكل مطلق ، وهذا مايفسر إزدياد قلق بريطانيا بمجرد ظهور سفينة حربية روسية في مياه الخليج العربي .

وأتجه الطرادان من بندرعباس في الثامن والعشرين من شباط (13 آذار) عام 1903 إلى مسقط ، التي وصلها بعد الظهر في يوم الأول من آذار (14 آذار) من العام نفسه ، وفي ميناء

مسقط صادف الطراد المساعد البريطاني " بيرسيوس " " Perseus " (833) الذي تبادل قائده "Pears" مع قائد الطراد الروسي الزيارات المتبعة ، وفي يوم وصول " بويارين " و " إنفيرنية " إلى مسقط ، كانت سفينة البريد البريطانية ستغادر إلى بومباي ، التي كان ينبغي للقتصل الفرنسي " لارونس " أن يسافر على متنها في إجازة ، لذلك توجه قائد الطراد الروسي إلى السفينة للقيام بزيارة وداعية له ، وعلى السفينة نفسها تعرّف على القنصل الفرنسي الجديد " دورفيل " " Dorville ، الذي عُيّن مؤقتاً من الموصل ، وحينما قام " دورفيل " بزيارة الطراد الروسي وبعد أن عرّفه قائد الطراد ، على القنصل الروسي " أوفسيينكو "، سأل في الحال فيما إذا كان القائد الروسي سيزور السلطان وعرض خدماته بوصفه مترجماً ، وبما أن " أوفسيينكو " يجيد اللغة العربية بطلاقة ، ويعرف العادات المحلية معرفة رائعة ، وهو نفسه جاء إلى مسقط بهدف التعرف على السلطان ، لذلك لا يستطيع الإفادة من خدماته ، لكن " دورفيل " كرر مرات عدة وبذرائع مختلفة إقتراحه بحضور اللقاء مع السلطان ، إذ بدا وكأنه يتخوف من تقويت اللقاء من دون

(832) من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين "، المصدر السابق، ص 165، 168.

Perseus والصحيح هو " Perseur " (833) يشير قائد " بويارين " سهواً، إلى أن اسم الطراد المساعد البريطاني . ينظر: " .

S.R.G. I. F. D. Vol.V, Administration Report by P. Z. Cox, Major, Political Agent, Maskat, April 2, 1902 . p. 11 ;

من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين "، المصدر السابق، ص 169-170.

حضوره , وقد إستنتج قائد الطراد الروسي من ذلك , أن جلّ ما يريده هو مراقبة الزيارة ومعرفة ما سيدور فيها من أحاديث , وبالإجمال فإن هذه الرغبة الشديدة في حضور اللقاء , أقنعت القائد الروسي, أن الفرنسيين يسعون جهدهم , شأن البريطانيين , بلا شك , لإبعاد الروس بشتى الوسائل عن مسقط , التي يعدّها حتى البريطانيون تحت نفوذ فرنسا (834).

قام "أوفسينكو" في اليوم التالي الثاني من آذار (15 آذار) عام 1903 بزيارة السلطان فيصل بن تركي, الذي قام في اليوم التالي مع شقيقه ونجله وحاشيته , بزيارة جوابية للطراد الفرنسي "إنفيرنية" وبعد ذلك إلى "بويارين" , وقد أبلغ شقيق السلطان "أوفسينكو" أنه إذا ما احتاجت السفن الروسية مستودع للفحم في مسقط , فإنه يستطيع أن يُقنّع السلطان بتدبير المستودع , إذا رغبت الحكومة الروسية بذلك (835), وقد أثار (أوفسينكو) خلال محادثته مع السلطان , موضوع تعيين قنصل

روسي في مسقط , لكن السلطان تجاهل ذلك الطلب, ولم يعد (أوفسينكو) إلى الحديث في الموضوع (836).

وطوال تواجد السلطان على متن "إنفيرنية" و"بويارين" رفع الطراد البريطاني "بيرسيوس" المرساة وأبحر للقيام بتمارين ألغام ورماية , وكان الطراد يتجول بكامل سرعته أمام مدخل الميناء , وهو يُصوّب فوهات مدافعه ويقوم بتمارينه بإنذار حربي , ثم يبتعد إلى ما وراء المدخل , ويظهر مرة أخرى من جديد أمام المدخل وكان يمر على بعد ثلاثة أطوال كبلية (837), [أي أكثر من نصف كيلو متر] فقط من الطرادين , ويشير قائد الطراد الروسي إلى أن مثل هذه الرغبة في إحداث انطباع لدى السلطان والسكان تدل بشكل واضح , على وجود بعض القلق لدى السلطات البريطانية , بسبب قيام طرادي دولتين متعاونتين بزيارة مسقط , لكن السكان , كما

(834) المصدر نفسه .

(835) المصدر نفسه , ص 170, 172.

(836) J.G. Lorimer, Op.Cit.Vol.1.Part.1 .p.352.

ويشير لوريمر سهواً إلى أن باسك القنصل الروسي العام في بوشهر , هو الذي قام بمحادثة مع السلطان, والصحيح أن أوفسينكو هو الذي قام بتلك المحادثة, وذلك وفقاً لما أورده قائد "بويارين" الذي يشير "ومكث السلطان على متن الطراد ما يقرب الساعتين , من الساعة 9 إلى الساعة 11, وكان طوال الوقت مسروراً وتحديث كثيراً مع السيد "أفسينكو" . ينظر:

من تقرير قائد الطراد الخفيف "بويارين" , المصدر السابق, ص 172.

(837) الطول الكبلي الواحد يساوي 185,2 متراً. ينظر:

ي. ريزفان, المصدر السابق, ص 38.

يستدل من الأحداث , فهموا هذه المناورة لا كما ترغب هذه السلطات , لأنها أثارت التهمات والأقوال اللاذعة فقط , ومن جملة ما قيل وفقاً لما نوه به قائد الطراد الروسي " إن الطراد " Perseur " أصيب بمرض من فرط التكدر , على ما يبدو , ولذا فهو يهرول إلى الوراء وإلى الأمام " (838).

وقد ودع قائد الطراد الروسي " بويارين " في الثالث من آذار (16 آذار) عام 1903, "أوفسينكو " على متن السفينة البريطانية "Tigris" , وبعد ذلك ودع الأصدقاء الفرنسيين الذين طاف معهم الطراد " بويارين " في مياه الخليج العربي ما يقرب الشهر , وفي صباح اليوم التالي غادر الطرادان الروسي والفرنسي " بويارين " و " إنفيرنية " مياه الخليج العربي (839), وهكذا انتهت آخر زيارة لطراد حربي روسي لتلك المياه.

ويمكن القول ان الرحلة المشتركة التي قام بها الطرادان الروسي والفرنسي في عام 1903 إلى مسقط وبوشهر والكويت ولنجة , كانت إعلاناً واضحاً مقصوداً عن الاتحاد الروسي الفرنسي وإلى وجود سياسة مشتركة بين روسيا وفرنسا في منطقة الخليج العربي (840), لمعارضة النفوذ البريطاني الطاغى هناك.

ولدى إنهاء ما كلف به المقدم البحري " ساريتشيف " قائد الطراد الروسي " بويارين " من طواف عبر موانئ الخليج العربي , أرسل من مسقط قبل الإقلاع برقية إلى طهران , على عنوان المبعوث الروسي هناك , طلب منه فيها تقديم الشكر للشاه الإيراني , على ذلك الاستقبال الودي الذي حظى به الطراد وطاقمه في موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي, واستخلص استنتاجاً عاماً من الرحلة المشتركة مع الطراد الفرنسي أشار فيه إلى أن أنسب مدة من العام , لإرسال السفن إلى الخليج العربي هي من شباط إلى آذار, إذ يكون الطقس معتدلاً وهادئاً نسبياً , وان عدم وجود الفحم في الخليج العربي , على هيئة مستودعات دائمة يشكل صعوبة كبيرة , لكن يمكن إعداد أية كمية كانت وفي أي من موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي , إذا ما تم إبلاغ القنصل الروسي العام في بوشهر, قبل ثلاثة أشهر في أقل تقدير, ونظراً لوجود قنصل روسي عام في بوشهر, فلا يمكن أن يحدث ما حدث للسفينة " غيلياك " عندما اضطرت بسبب دسائس البريطانيين , أن تضع على سطح السفينة الفحم الزائد , بعد أن رفض المحافظ , الذي كان يتخوف من المسؤولية , السماح بوضع هذا الفحم على الساحل , وإذا أقيم مستودع للفحم شبيه بالمستودعين البريطاني والفرنسي في مسقط , فينبغي أن يديره شخص روسي لا أجنبي , كالوكيل للشركة الروسية للملاحة والتجارة " جوجوير " الفرنسي, الذي لا تشكل المصالح الروسية , لاسيما التجارية أية أهمية له على الإطلاق (841), وأن العلاقات قد تغيرت كثيراً منذ زمن

(838) نقلاً عن: من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " , المصدر السابق, ص 170-172.

(839) المصدر نفسه , ص 169, 172.

(840) J.G. Lorimer, Op.Cit.Vol.1.Part.1. p. 338.

(841) من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " , المصدر السابق , ص 172-173.

مجيء السفينة " غيلياك " , ففي جميع أرجاء الخليج العربي يعرفون الروس جيداً , ويعاملونهم معاملة وديّة , وأن مكانة أوفسينكو القنصل الروسي العام في بوشهر عالية جداً , إذ أن التجار في مسقط كانوا يتوجهون إليه طالبين منه حماية مصالحهم للبت في الخلافات والجدالات التجارية , وفي جميع موانئ الخليج العربي يلزم لجمع المعلومات , أن يكون لدى روسيا وكلاء موثوق بهم , ومن المستحسن أن يكون هؤلاء من التبعية الروسية , ومن الضروري أن تكون تحت تصرف القناصل الروس سفينة تتواجد بشكل دائم في موانئ الخليج العربي , وأن الاستقبال الذي حظى به الطراد كان فائق الحفاوة , أثار تعليقات لاذعة بحق بريطانيا , وكان السكان , إذ يرون الضباط الروس والفرنسيين مع بعضهم البعض دائماً , يعدّون ذلك علامة جيدة وسيقلل كثيراً من إدعاء بريطانيا السيطرة على الخليج العربي ⁽⁸⁴²⁾ , وفي ختام تقريره ينوه " ساريتشيف " , "إنني أسمح لنفسي أن أعرب عن الرأي , أن إرسال سفن إلى الخليج بصورة سرية , يضّر بأهداف حكومتنا أكثر مما يفيدها , وهو يقدم مادة مغذية للتلميحات والتعليقات غير المرغوب فيها في الصحافة الأجنبية , ويوحي أننا بالفعل نتسلل إلى الخليج بصورة سرية , من دون أن يكون لنا حق في ذلك , بينما ينبغي أن يكون الأمر على عكس ذلك تماماً , فنحن نذهب إلى الخليج لأن لنا الحق في ذلك ونرى ذلك أمراً مريحاً وضرورياً , لا سيما أنهم يتحدثون دائماً في الصحافة الأجنبية قبل الأوان عن إرسال سفينة إلى الخليج , وعلى الرغم من ذلك لا توجد في الوقت الحاضر أية عقبات تذكر أمام ملاحقتها , وذلك بفضل وجود قنصلينا ⁽⁸⁴³⁾ في الخليج وإمكانات إجراء الأحاديث بواسطتهما " ⁽⁸⁴⁴⁾.

لقد تسنى للسفن الحربية الروسية في مطلع القرن العشرين , دخول الخليج العربي لمدة قصيرة امتدت من عام 1900 إلى عام 1903 , وإن إرسال روسيا لسفنها الحربية إلى الخليج العربي , كان بمثابة تظاهرة عسكرية سياسية , وكان ذلك مرتبط بمصالحها في مجابهة بريطانيا في الشرق , فقامت روسيا لمرات عدة بمحاولات للحصول على محطة فحم في سواحل الخليج العربي , وكان ذلك أحد أهداف ظهور سفنها الحربية في هذه المنطقة , لكنها لم تستطع بلوغ ذلك , كما إنها لم تستطع أن تهز دعائم السيطرة البريطانية في المنطقة.

⁽⁸⁴²⁾المصدر نفسه , ص 173-174.

⁽⁸⁴³⁾ يقصد أداموف القنصل الروسي في البصرة , وأوفسينكو القنصل الروسي العام في بوشهر.

⁽⁸⁴⁴⁾ نقلاً عن: من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " , المصدر السابق, ص 174.

ردود الأفعال البريطانية لنشاط روسيا في منطقة الخليج العربي 1902-1905.

تميزت المدة من 1900 إلى 1905 بتهديد سيادة بريطانيا في منطقة الخليج العربي، والهند البريطانية التي ترتبط بها إرتباطاً وثيقاً، من لدن سياسات الدول الأجنبية لاسيما روسيا وفرنسا وألمانيا، فكان هدف روسيا إنشاء قاعدة بحرية لها في الخليج العربي أو خليج عُمان، يتصل بسكة حديد عبر إيران مع مراكز قواتها العسكرية، أما فرنسا فأنها كانت تسعى لإقامة قاعدة بحرية لها في خليج عمان، والمشروع الألماني بمد سكة حديد من البحر المتوسط إلى الخليج العربي، كل هذه التطورات كانت ذات أهمية فائقة لبريطانيا، التي كان عليها أن تأخذ بمزيد من الحذر، لمواجهة النتائج المحتملة لتلك التطورات، وكان ذلك الحذر على كل المستويات، الدبلوماسية والبحرية والعسكرية.

وأياً كان الهدف الروسي فإنه كان ضار بمصالح الإمبراطورية البريطانية في الهند، فقد كان على السياسة البريطانية أن تحول دون تحقيق روسيا لأهدافها⁽⁸⁴⁵⁾، وكان أول إجراء دبلوماسي قامت به الحكومة البريطانية بشأن التخطيط الروسي لموانئ الخليج العربي، هو أن قدمت إلى الحكومة الإيرانية مذكرة في نيسان عام 1900، تذكرها فيها بأسبعية بريطانيا في مد السكك الحديدية في جنوب إيران، وفقاً لقرار الشاه الصادر في عام 1888، وكان الدافع لذلك اجتماع عقدته بعثة المساحين الروس في طهران في عام 1900، بعد أن قامت بعملية مسح شامل لجنوب إيران، وكان يرأسها مسؤول روسي وصفته الصحف الروسية أنه، مدير السكك الحديدية الإيرانية، وبناءً على تعليمات من حكومة لندن، قدم سفيرها في طهران إلى وزير الخارجية الإيراني، النسخة الأصلية لخطاب ناصر الدين شاه بخط يده في السادس عشر من أيلول عام 1888، وقد اعترف بصحة هذه الوثيقة كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية، ولم

⁽⁸⁴⁵⁾ J.G. Lorimer, Op. Cit. Vol.1, Part . II. p. 2124.

تتوقف الجهود المبذولة من الممثل البريطاني , إلا حينما تأكد تماماً من أن مظفر الدين شاه قد رأى الوثيقة , وأعترف بالالتزام الناشئ عنها , وكذلك أعتترف الوزير المفوض الروسي في طهران في حديث له مع القائم بالأعمال البريطاني , أنه على علم بوعده الشاه بشأن السكك الحديدية في جنوب إيران , ولو صح أن الروس كانوا في تلك المدة يسعون للانتقاص الفعلي , من حقوق السكك الحديدية الممنوحة لبريطانيا في جنوب إيران , فلا شك أن تقديم وثيقة ناصر الدين شاه , واعتراف ابنه وخليفته بها كان رادعاً كافياً لهم , وربما كان هو السبب الذي جعلهم يتجنبون القيام بعمل ما في جنوب إيران⁽⁸⁴⁶⁾.

وتكرر تحذير بريطانيا لإيران بصورة أشد حدة , فقد أعطى "اللورد لانسدون" Lord Lansdowne "وزير الخارجية البريطاني, في السادس من كانون الثاني عام 1902," لأرثر هاردنك⁽⁸⁴⁷⁾ A. Hardinge "الوزير المفوض البريطاني في طهران , تعليمات يوضح بموجبها للحكومة الإيرانية , أن بريطانيا لن تتخلى عن مركزها في جنوب إيران, الذي حصلت عليه بعد أعوام طويلة من الجهود المضنية , أو أن تقبل تملك روسيا أية مواقع عسكرية أو بحرية في الخليج العربي , وأنه إذا منحت الحكومة الإيرانية لروسيا أي حق من هذه الامتيازات , فانه من الضروري أن تتخذ الحكومة البريطانية , ما تراه مناسباً لحفظ مصالحها في الخليج العربي, وأن الحكومة البريطانية لن تقبل منح روسيا أية أفضلية في الحقوق السياسية , أو أية مزايا أو احتكار تجاري أو أية مميزات خاصة , في المناطق الجنوبية المطلة على الخليج العربي, أو الجنوبية الشرقية في إيران بما في ذلك سيستان, وأخيراً فانه في حال مخالفة هذا التحذير بقيام الحكومة الإيرانية , بتشجيع زحف النفوذ السياسي الروسي والتغلغل في تلك المناطق , فان الحكومة البريطانية ستعدل من سياستها وتجد لنفسها المبرر في اتخاذ أية إجراءات تراها كفيلة بحفظ مصالحها , حتى وان أدى الأمر إلى سلوك الطرق التي لا تجعل من استقلال إيران ووحدته الإقليمية , أول أهداف سياستها كما هو الحال الآن⁽⁸⁴⁸⁾.

ونتيجة لهذا التحذير أرسل الشاه كتاباً بخط يده إلى رئيس وزراءه في شباط عام 1902, أبلغ إلى البعثة البريطانية في طهران , ومما جاء فيه , أن الحكومة الإيرانية لم تفكر

⁽⁸⁴⁶⁾ Ibid, Part.1.pp. 367-368 ; R. E. P. D. Vol. 5. . Op.Cit. p.410.

⁽⁸⁴⁷⁾ تولى آرثر هاردنك منصبه مبعوثاً فوق العادة ووزيراً مفوضاً لدى طهران , من الحادي والعشرين من

تشرين الأول عام 1900, إلى السادس والعشرين من كانون الثاني عام 1906. ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part . II . p. 2665.

⁽⁸⁴⁸⁾ للتفصيل عن نص المذكرة. ينظر:

Ibid . p. 2125 ; J A .Saldanha, Précis on Commerce and Communication.P.Gulf 1801-1905 . Vol. III . London, 1986, pp. 45-46 ; J. C. Harwitz, The Middle East and North Africa in World Politics, Documentary Record, Vol. I. European Expansion, 1553-1914, New Haven 1975, pp. 489-491 ; B. C. Busch, Op.Cit. p. 248.

مطلقاً في الماضي ولا تفكر في المستقبل , في الاتفاق مع أية دولة ضد الحكومة البريطانية , ولم ترغب مطلقاً في الماضي أو الحاضر في التنازل عن شبر واحد من أراضيها إلى أية جهة , لإقامة استحكامات عليها ضد مصالح الحكومة البريطانية , التي يجدر بها أن لا تلقي بالاً إلى الأنباء الخاطئة التي تثير الشبهات ضد حكومة الشاه , وأن تشعر بالثقة الكاملة في مودتها , وتتأكد من أن الحكومة الإيرانية تعمل بكل جهودها لتشجيع التجارة البريطانية , وستظل دائماً كذلك إلى المدى الذي لا يؤثر على استقلال إيران , وهو ما لا يحق لأية دولة أجنبية أن تتوقعه من حكومة الشاه (849).

وفي لقاء غير رسمي بين " اللورد لانسدون " والسفير الفرنسي في التاسع عشر من آذار عام 1902 في لندن , أشار " لانسدون " إلى أنه فيما يتعلق بمنطقة الخليج العربي " أن بريطانيا العظمى ستعارض معارضة شديدة وستقاوم إذا لزم الأمر , أية محاولة من دولة أخرى لخلق قواعد إستراتيجية , أو إقامة موانئ محصنة على سواحلها " (850).

وحينما زار الشاه في صيف العام نفسه بريطانيا , انتهز " اللورد لانسدون " هذه المناسبة للضغط عليه في لقاء شخصي , موضحاً له النقاط الرئيسية في السياسة البريطانية , وهي التمسك باستقلال إيران كما تقرر إعلان ذلك في عام 1834 وعام 1888 , لكن الحكومة البريطانية في الوقت نفسه تولي المناطق الجنوبية والخليج العربي اهتماماً خاصاً , وإنها مصممة - إذا دعت الضرورة - على استعمال كامل قوتها لمنع اعتداء أية دولة أجنبية على تلك المناطق (851).

أما الإجراء الدبلوماسي الثاني الذي اتخذته الحكومة البريطانية , فكان بشأن الإشراف على كمارك جنوبي إيران , التي كانت مهددة باحتمال وضع الحكومة الروسية يدها عليها , لكن من الضروري أن ننظر أولاً إلى الموقف بين بريطانيا وروسيا في إيران بشكل عام , فحينما بدأت إيران تنزلق إلى المشاكل المالية في أوائل حكم مظفر الدين شاه , اقترحت الحكومة البريطانية على الحكومة الروسية منح إيران قرضاً مشتركاً , وبدأت مفاوضات بين بريطانيا وروسيا بهذا الصدد , لكن روسيا أحبطت تلك المفاوضات بتقديمها المفاجئ لإيران في كانون الثاني عام 1900 قرضاً روسياً بحتاً , بوساطة " بنك دي بريس " " Banquet des Prets " وهو فرع بنك الدولة الروسي , وكان مبلغ القرض 2,400,000 جنيه إسترليني بفائدة 5 % بضمان عائدات الكمارك الإيرانية في إقليم فارس والخليج العربي , على أن لا ينفذ هذا الشرط إلا في حالة العجز عن سداد الدين فقط , ومن هذا القرض الروسي دفعت إيران ما تبقى من مبلغ قرض عام 1892 والقروض الأخرى البريطانية , واشترطت روسيا أن لا تحصل إيران على أية مبالغ من جهات

(849) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II . pp. 2125-2126 ; R-Kumar, Op.Cit. p. 229.

(850) A .K .Vol. Tow .Part. IV . No. 90 / 170. The Marques of Lansdowne to Sir E. Monson, Foreign Office, March 19, 1902. p.50.

(851) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II . p. 2126 ; R. Kumar, Op.Cit. p. 230.

أجنبية قبل عام 1910، وبذلك أتضح الإشراف الكامل لروسيا على شؤون إيران المالية ، ووضعتها تحت عبودية مالية صارمة لها وحدها ، وحينما كانت خزينة الدولة الإيرانية خاوية ، تقدم رئيس الوزراء الإيراني في عام 1901 إلى الحكومة البريطانية طالباً قرضاً ، وكانت حكومة الهند راغبة في تقديم مبلغ 500,000 جنيه إسترليني بشروط محددة ، وقدمت بذلك عرضاً إلى الحكومة الإيرانية التي رفضته آخر الأمر ، وربما كان السبب الرئيسي للرفض ، خوفها من أن تعدّ روسيا ذلك خرقاً لشروط قرض عام 1900، وان كان استلام القرض من حكومة الهند بوساطة البنك الإمبراطوري الإيراني "البريطاني" ⁽⁸⁵²⁾، وتتابع بعد القرض الروسي قروض روسية أخرى ، كانت الوسيلة التي استطاعت بها ضمان الامتياز على البريطانيين في كثير من المشكلات السياسية القائمة بينها وبين بريطانيا في إيران .

ومما لا شك فيه أن التنافس البريطاني - الروسي ، بصدد إنشاء السكك الحديدية الذي بدأ في عام 1889، استمر بشكل هادئ في المدة التي نحن بصدددها ، فجددت روسيا في كانون الأول عام 1899 الاتفاقية الروسية . الإيرانية ⁽⁸⁵³⁾، التي تحظر إنشاء سكك حديدية في إيران لمدة عشرة أعوام، وعلى الرغم من ذلك قامت هيئة فنية روسية في العام التالي ، بدراسة شاملة لإيران ، وعملت أبحاثاً أولية في إنشاء سكة حديد تتجه من طهران وأصفهان جنوباً ، إلى المحمرة وبوشهر وبندرعباس وشاهبار ، وامتدت سكة حديد روسية في عام 1904 إلى جلفا على الحدود الروسية الإيرانية ⁽⁸⁵⁴⁾، وكان النفوذ الروسي يتمد إلى مناطق جديدة وفي مختلف أجزاء إيران، ففضلاً عن زيادة النفوذ الروسي في مشهد ، وتعيين روسيا في عام 1899 قنصلاً عاماً هناك ، أنشأت في العام التالي نيابة قنصلية روسية في سيستان ، تتبعها جهود شديدة من روسيا للإطاحة بالنفوذ البريطاني في تلك المنطقة ذات الأهمية الحيوية لأمن الهند ⁽⁸⁵⁵⁾.

لكن هذه الجهود التي استمرت لأعوام طويلة انتهت بالإخفاق الكامل ، فعلى الحدود بين خراسان وأفغانستان ، وبين سيستان وأفغانستان ، عملت روسيا طوال المدة 1902 إلى 1905 لخلق المشاكل لبريطانيا ، بإثارة الخلافات بشأن الحدود لكنها لم تنجح في شيء من ذلك أبداً ، بل وحتى في وسط وغرب إيران ، كان يجري دفع النفوذ الروسي إلى الأمام ، لمناوأة النفوذ البريطاني ، فوصلت التجارة الروسية إلى أصفهان في عام 1899، إذ أنشأ الروس قنصلية عامة قبل عامين هناك ، فأصبح التفوق البريطاني التجاري بذلك مهدداً في وسط إيران ، وأنشأت بريطانيا في عام 1904 وكالة قنصلية في كرمنشاه برئاسة ضابط من الدائرة الهندية السياسية ، وبعد مدة وجيزة رفعت إلى درجة قنصلية ، وأجري التعديل نفسه في درجة المندوب الروسي في

⁽⁸⁵²⁾ Ibid . pp.2113-2114; Ibid . p. 222.

⁽⁸⁵³⁾ وهي الاتفاقية الروسية . الإيرانية التي وقعت في الحادي عشر من تشرين الثاني عام 1890، التي تحظر

بناء أية سكك حديدية في إيران لمدة عشرة أعوام ، التي سبق أن أشير إليها.

⁽⁸⁵⁴⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol.1.Part. II. p.2116.

⁽⁸⁵⁵⁾ Ibid, p. 2124.

المنطقة نفسها ، وحينما انتشر وباء الكوليرا في عام 1904 في غرب إيران ، عن طريق بعض القادمين من العراق العثماني، اقترحت السلطات الروسية في إيران ، وضع الكارنتيننا "الجبر الصحي" في كرمنشاه في أيدي أطباء روس ، لكن المبادرة بإرسال طبيب جراح بريطاني إلى هناك ، ساعدت ضابط الكمارك الإيراني على اتخاذ الإجراءات الصحية الضرورية ، وبذلك انتهى أمر الاقتراح الروسي (856).

وبدأت بريطانيا مناقشة موضوع الإشراف على كمارك جنوبي إيران في عام 1899، على أساس وعد كانت قدمته إيران لبريطانيا في عام 1897، بألا تضع عوائد الجنوب تحت أي إشراف أو سيطرة أجنبية ، وأثناء المباحثات أقرت الحكومة الإيرانية أخيراً بعد تردد طويل ، أنها حينما وضعت جزءاً من عوائد الجنوب ، تحت إشراف روسيا ضماناً للوفاء بديونها في عام 1900 وعام 1902، فإن ذلك لا يعدّ منافاة مقصودة لوعد عام 1897، وبأدركت الحكومة البريطانية لدى تلقيها هذا الرد الذي تعدّه غير كافٍ ، إلى إبلاغ وزراء الشاه رسمياً ، أنه لا بد من الاعتراف بصحة ضمان عام 1897، وأنه في حالة أية محاولة من إيران للانتقاص من حقوق بريطانيا المكفولة فيه ، فستتخذ الحكومة البريطانية من الإجراءات ما تراه جديراً بحفظ احترامها ، وقد كان لهذا الموقف الحازم الذي وقفته الحكومة البريطانية طوال مناقشة الموضوع آثاره المثمرة ، وكان من المحتمل، لو أنها وقفت موقفاً أقل من ذلك حملاً أن تنتقل عوائد جنوب إيران ، كلها أو بعضها ، إلى أيدي الحكومة الروسية أو الدائنين الروس (857) .

وهكذا استبعدت عوائد "فارس وموانئ الخليج" من العوائد المرتبطة بضمانات للقروض الروسية، لكن المشكلة التي بقيت ، هي تحديد المعنى الدقيق لعبارة " فارس وموانئ الخليج " وهو تعبير رأت الحكومة البريطانية أنه يجب عدّه بموجب تعهد عام 1897 مرادفاً لتعبير "جنوب إيران" الذي يشمل المحمّرة (858)، وتم تحويل كمارك عريستان في عام 1902 من شيخ المحمّرة، إلى الحكومة الإيرانية بشروط ليست مضرة للشيخ (859)، كما منحه الشاه لقب يشمل معظم جنوب عريستان ، ولم تظهر المفوضية البريطانية في طهران في المفاوضات التي أدت إلى هذه التسوية ، لكن ممثل الشيخ الحاج رئيس التجار ، غالباً ما التمس نصيحتها عند استصدارها ، وأثناء وجود ممثل الشيخ في طهران، كان هدف إغراءات وتهديدات موجهة من الممثل الروسي في طهران ،

Ibid . (856)

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 Part. I . pp. 268-269 ; (857)

وليم تيودور سترنك ، حكم الشيخ خزل بن جابر واحتلال إمارة عريستان ، ترجمة عبد الجبار ناجي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، البصرة 1983، ص 62-63.

Ibid ; (858)

المصدر، نفسه .

(859) للمزيد من التفاصيل ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II . pp. 1749-1754 ;

وليم تيودور سترنك ، المصدر السابق ، ص 62-68.

بإنشاء محمية روسية في المحمرة ، أو أُوحي إليه أن ذلك سيكون ، ولهذا كان ممثل الشيخ ملحاً في رجاءه بتقديم موثيق إضافية للشيخ خزعل من الحكومة البريطانية ، وأن يكون له وضع مشابه لوضع شيخ الكويت ، ليشعر أن مصالحه ومصالح رعاياه ستكون آمنة ، إلا أن بريطانيا كانت ترى فرقاً بين المشيختين وأوضاعهما السياسية ، ولم يكن ارتباط بريطانيا بالشيخ خزعل حينذاك إلا احتياطاً مؤقتاً ، لاحتمال سقوط إيران في أيدي الروس ، وحينما أصبح معلوم في تشرين الثاني عام 1902، أن نائب قنصل

روسي⁽⁸⁶⁰⁾ سيعين حالاً في عريستان ، على الرغم من عدم وجود تجارة روسية هناك ، أبرق " هاردنك " إلى " اللورد لانسدون " ، أنه ما لم يصبح الشيخ متأكداً بثقة حقيقية بعزم وتصميم الحكومة البريطانية في دعمه ، فإن النفوذ الروسي سيتسرب بعد مدة قصيرة ، ويصبح متفوقاً ونشطاً في المحمرة ، وتأييدت توصيته بسياسة أقل تحفظاً ، حيال الشيخ خزعل من " اللورد كيرزن " نائب الملك والحاكم العام للهند⁽⁸⁶¹⁾.

وفي غضون ذلك تمت مقابلة بين الوزير المفوض البريطاني في طهران ، في الأول من كانون الأول عام 1902 ورئيس الحكومة الإيرانية ، بشأن قضايا عريستان ، حاول رئيس الحكومة الإيرانية أن يبرّر أن المصالح البريطانية ، لن تتأثر بأية تغييرات في وضع شيخ المحمرة ، الذي كان حاكم محلياً كغيره ، فأجابه الوزير البريطاني أن الحكومة البريطانية ليس لديها أي شك في سيادة الشاه على رئيس وشعب المحمرة ، وأنها اعترفت بها دوماً⁽⁸⁶²⁾، لكن " إن خبرتنا في سيستان كانت على أي حال درساً ، للتأثير الذي يحدثه على مصالحنا قنصل روسي وموظف بلجيكي ، حينما يتواجدان في مقر حاكم إيراني قليل المعرفة في منطقة بعيدة ، ولا توجد للروس لا في الكارون ولا في سيستان مصالح تجارية حقيقية ، وأن تعيينهم قنصل لهم هناك حديثاً ، لا يمكن إلا أن يكون لأهداف سياسية فقط ، ونحن مصممون إذا استطعنا أن لا تحدث سيستان أخرى في المحمرة ، ولذلك سنجعل الشيخ خزعل يفهم ذلك إذا حاول عملاء الروس إرهابه أو الإيعاز إليه ، أنهم قادرون على الضغط عليه ، نظراً لما لهم من نفوذ في

" تير مولن "⁽⁸⁶⁰⁾ وكان نائب القنصل الروسي المعين في عريستان في عام 1902 ، هو التاجر الهولندي ، الذي وصل إلى الناصري في كانون الأول من العام نفسه ، وفيما عدا غيابه في إجازة " Ter Meulen " من كانون الثاني إلى حزيران عام 1905، فقد بقي باستمرار في الإقليم طوال المدة ، ومع ذلك لم يظهر لنفسه تأثيراً فعالاً في المصالح الروسية ، وكان ناقص الهممة والنشاط، مشكوكاً في أمانته وغير ناجح في تجارته الخاصة ، وأما علاقاته مع شيخ المحمرة وممثله الحاج رئيس التجار وموظفي الكمارك الإمبراطورية الإيرانية ، فكانت غير ودية ، وفي بعض المرات وصلت خلافاته مع الأولين ، إلى الحد الذي أدى إلى تدخل القنصل الروسي العام في بوشهر للصلح. ينظر :

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II . p. 1762.

⁽⁸⁶¹⁾ Ibid, pp. 1755-1758.

⁽⁸⁶²⁾ لا يحق لبريطانيا الاعتراف بسيادة الشاه على الشعب العربي في المحمرة، حتى وإن كان هدفها من ذلك هو حماية المصالح البريطانية في جنوب إيران.

طهران , ونحن من جانبنا على استعداد لمساندته , ولعلّي بسبب تهديدات من هذا النوع , هدّد بها الأمير دابيجا القنصل الروسي في أصفهان عندما زار المحمّرة , شعرت أنني مضطر أن أسّر الشيخ أن قواتنا البحرية في الخليج , اشد قوة من تلك التي لدى روسيا , وإنها قد تستخدم في بعض الحوادث المعينة , للحفاظ على الوضع الراهن الذي يوافقنا نحن وهو "(863).

وجه "هاردنك" الوزير المفوض البريطاني في طهران , في السابع من كانون الأول عام 1902 خطاباً إلى شيخ المحمّرة , رداً على سؤال ممثله الحاج رئيس التجار , عن أي مدى يستطيع الشيخ أن يعتمد على حماية الحكومة البريطانية من أية محاولة أجنبية لعزله أو لحرمانه وشعبه من الحقوق التي لهم حالياً , وقد أشار "هاردنك" في خطابه أن هذا يمكن أن يحدث بطريقتين , "أما أن تكون هذه الدولة في حرب مع إيران , وبعدّها عدوة للشاه , أن ترسل سفناً لمهاجمة إقليمك ؟ وإما أن تكون هذه الدولة متظاهرة بالصدّاقة للحكومة الإيرانية , أو تعمل لصالحها , أو أنها تحاول بواسطة سفنها أن تقهرك أنت والعرب ؟ وقد أضاف "هاردنك" أن كلا الحالين غير متوقع , لكن إذا حدث إحداها فإننا ن تدخل بشرط أن تكون قد تصرفت وفقاً لنصيحتنا , وأن أسطولنا وهو الأقوى من أي أسطول في الخليج , سوف يستخدم لمنع أي إجراء بالقوة ضدك , وإن وزير خارجية بريطانيا قد أجازني أن أقول , إننا سوف نحمي المحمّرة ضد أي هجوم بحري , من أي قوة أجنبية مهما كانت ذريعة التدخل , وأيضاً طالما أنت مخلص للشاه وتعمل وفقاً لنصائحنا فسوف نستمر في منحك التأييد والمساعدة الحميدة "(864).

وأخيراً أوبرق "هاردنك" في كانون الأول عام 1903 إلى وزارة الخارجية البريطانية وإلى اللورد "كيرزن" , أن مسألة المحمّرة قد تتأزم ثانية , وذكر في الوقت نفسه شكاوى الشيخ بشأن خرق الإيرانيين التفاهم معه , ورغبته في أن يعرف بشكل محدد هل ستسانده الحكومة البريطانية في مقاومة التعدي على حقوقه , إن لزم الأمر , بمنع الحكومة الإيرانية من استعمال القوة ضده , إذا خرق هو من جانبه التفاهم لأن الإيرانيين لم يراعوه , وكان "هاردنك" ميالاً لإعطاء بعض الموائيق , لاسيما أن روسيا ما زالت تحاول الحصول على صداقته , وحال إستلام التعليمات من الحكومة البريطانية⁽⁸⁶⁵⁾ , كتب "هاردنك" في الرابع والعشرين من كانون الأول عام 1903 من بغداد , إذ كان مجتمعاً مع "اللورد كيرزن" في الخليج العربي ورجع عن طريق بغداد والمحمّرة إلى طهران , "يقول "اللورد لانسدون" أنه إذا كانت الحالة كوصفي لها نقلاً عن عظمتكم لي , من أن الحكومة الإيرانية تحاول أن تنتكر للاتفاق الذي تم معك في العام الماضي , فأنتم في رأيه محقّون في مقاومة مثل هذه المحاولة , ونبهني أن أذكركم أن تبقوا واثقين من مساندة

⁽⁸⁶³⁾ Quoted in: J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VII . pp. 82-83 ; J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II. p. 1759.

⁽⁸⁶⁴⁾ Quoted in: J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VII . pp. 82-83 ; J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II. p. 1758.

⁽⁸⁶⁵⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 . Part. II . p. 1761.

الحكومة البريطانية , طالما أنكم مراعون لشروط الاتفاق بينكم وبين الحكومة الإيرانية , وقد خولني أن أوضح للحكومة الإيرانية ضرورة احترام شروط الاتفاق من جانبها , لكنني لا أنوي أن أفعل ذلك حتى أسمع منك ثانية , إذ إنني أظن أنه أفضل لمصلحة حسن العلاقات بين السلطات الإيرانية وبينكم , أنه لا يتم تدخلنا حتى تستهلك كل الوسائل في تسوية الأمور بينها وبينك" (866).

واتخذت الحكومة البريطانية إجراءً دبلوماسياً ثالثاً , وهو توقيع بيان تجاري بين بريطانيا وإيران في أوائل عام 1903, رداً على محاولة روسيا الجريئة بحصولها على بيان تجاري في عام 1901 من الحكومة الإيرانية , يضمن لتجارتها امتيازاً , على تجارة كل الدول الأخرى المنافسة, فأعدت مع الحكومة الإيرانية تعريفية بكمارك إيران , وكان هناك شرط سري في البيان , يمنع إيران من منح أية دولة أخرى تعريفية كمركية أفضل من دون أخذ موافقة روسيا, ولم يكن خوف بريطانيا من زيادة قيمة الضرائب , بموجب التعريفية الكمركية الجديدة, بقدر ما كان من زيادات في المستقبل من دون الرجوع إليها , ولولا أن بريطانيا وضعت في اتفاقها مع إيران بياناً مضاداً في عام 1903, لكان ممكناً الاستمرار في تعديل التعريفات الكمركية الإيرانية لصالح روسيا وحدها , ولأدى إلى خسائر متزايدة للتجارة البريطانية (867).

أما الإجراء الدبلوماسي الرابع فكان ذو طابع برلماني, كشفت بريطانيا فيه عن سياستها في الخليج العربي , وحمل إنذاراً للدول الأجنبية لاسيما إلى روسيا , فقد اتضحت شدة ردود الأفعال البريطانية تجاه التطلعات الروسية في منطقة الخليج العربي , في الكثير من التصريحات التي أطلقها كبار المسؤولين البريطانيين , الذين أكدوا أن احتلال روسيا لبندرعباس وغيره من الموانئ , معناه تنازل بريطانيا عن مركزها في الخليج العربي , ولذلك يجب الوقوف بشدة أمام التسلل الروسي هناك.

فقد كانت بريطانيا ومنذ بداية عام 1902 وما بعده وفي كل مناسبة ممكنة , تحرص على إبلاغ روسيا بشكل خاص والعالم بشكل عام , من خلال أحاديث الوزراء في البرلمان البريطاني عن السياسة الثابتة , التي تتبعها حكومة لندن تجاه إيران وبصفة خاصة الخليج العربي , فقد أعلن "اللورد كرانبورن" "Lord Cranborne" وكيل وزارة الخارجية البريطاني , في الثاني والعشرين من كانون الثاني عام 1902 في مجلس العموم: "إننا نهتم بسلامة إيران, لكن اهتمامنا بالتوازن الدولي أشد من ذلك , ومن المستحيل علينا مهما كانت الأسباب , أن نتخلى عما نرى أنه مركزنا الشرعي في إيران , لاسيما ما يتصل بالخليج , والحقيقة أن اهتمامنا لا يتركز في الخليج فحسب , إنما يشمل المناطق الجنوبية من إيران , والمناطق التي لها حدود

(866) Treaties and Undertakings in Force Between the British Government and the Shaikh of Mohammerah 1899-1919, Calcutta 1919 . No. 3, Copy of A Letter From Sir Arthur Hardinge, Dated Baghdad, 24th December 1903, Addressed to Shaikh of Mohammerah . p. 4.

(867) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. 1 .part .1 .p. 326 ; part . II . pp. 2599-2600.

مع إمبراطوريتنا الهندية , وحقوقنا ونفوذنا في تلك المناطق لا يمكن التخلي عنها , ان نفوذنا وسلطاننا في الخليج , ليس أمراً نظرياً إنما هو حقيقة واقعية "(868).

وحذّر عضو البرلمان "والن" "Walen" في الجلسة نفسها , من النشاطات الروسية وتطلعها لمد نفوذها إلى الخليج العربي, مشيراً إلى أن حصول روسيا على ميناء تجاري هناك سيتحوّل إلى قاعدة بحرية محصّنة , مما يحمل حكومة الهند إلى زيادة قوتها العسكرية في الخليج العربي لضمان سلامة الهند , لذلك لابد من سلوك سياسة بريطانية جديدة تكون أشدّ حزمًا⁽⁸⁶⁹⁾.

لقد كان موضوع النشاط الأجنبي في الخليج العربي , الموضوع الأساسي للمناقشة في مجلس اللوردات , الذي استمر في الانعقاد من نيسان حتى السادس من مايس عام 1903, وكان "اللورد لامنكتون" "Lord Lamington" قد تقدم في جلسة الخامس من مايس , بالسؤال إلى "لانسدون" وزير الخارجية البريطاني , عن مدى تقدم المفاوضات بين الحكومة البريطانية وأصحاب امتياز سكة حديد بغداد , وطالبه أن يكشف النقاب عن الأوراق المتعلقة بالمفاوضات , وأن يضعها أمام الرأي العام البريطاني , كما تقدم بسؤال آخر بشأن المركز البريطاني في الخليج العربي, وأشار إلى أن بريطانيا ظلت على مدى مائة عام سيدة الخليج العربي والمتحكمة في تجارته , أن هذا المركز اكتسبته بريطانيا ببذل الأموال التي تصل إلى الملايين, والتضحية بالكثير من الأرواح , وان حكومة الهند تعتقد أن الخليج العربي يمثل حجر الزاوية في الدفاع عن إمبراطورية الهند , ومع ذلك أخذت السفن الحربية الروسية والفرنسية , تبحر في الخليج العربي , وأن القناصل الروس والفرنسيين والألمان متواجدون هناك , وأخذ يعدد النشاطات الروسية في الخليج العربي حينما يشير إلى ان السفن التجارية الروسية تبحر الآن في مياه الخليج العربي , وأرسلت روسيا ما يسمى بالبعثات الطبية إلى بوشهر وبندرعباس, وأخذ الروس يفحصون سواحل الخليج العربي لإيجاد ميناء ملائم , واستخدمت روسيا القروض للسيطرة على الحكومة الإيرانية , فضلاً عن وجود قوات القوزاق الإيرانية التي يقودها الضباط الروس, وأنها تتلقّى أوامرها من وزير الحرب الروسي⁽⁸⁷⁰⁾.

ويرد "لامنكتون" على من يدعي أن روسيا ينبغي أن يكون لها ميناء في الخليج العربي, مؤكداً أن روسيا لم يكن لها تجارة في الجنوب الإيراني , وأن هدفها الرئيسي من ذلك هو محاولة إقامة قاعدة بحرية , بهدف عرقلة التجارة البريطانية في الخليج العربي , وهو يعتقد أن حصول أية دولة على ميناء في الخليج العربي , أو في جنوب إيران, سيكون باستطاعتها أن تثير المشاكل لبريطانيا, بتحريض ملايين الناس الذين تحكمهم بريطانيا في الهند , أما كيف تستطيع تلك الدولة , أن تؤثر في مركز بريطانيا الاستراتيجي ؟ فيعتقد إن إيران والخليج العربي

⁽⁸⁶⁸⁾ Quoted in : Ibid. Part. II . p. 2126 ; J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VIII. p. 45 H. Nazem, Russia and Great Britain in Iran 1900-1914, Teheran 1975. p. 12.

⁽⁸⁶⁹⁾ H. Nazem, Op.Cit. p. 13.

⁽⁸⁷⁰⁾ R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. The Parliamentary Debates, Fourth Series, 1903, pp. 107-109.

يشكلان من الناحية العملية جزءاً من حدود الهند , وإذا ما سمحت بريطانيا لأية قوة أجنبية بالوجود في الخليج العربي , فان ذلك سيؤدي إلى تحطيم المركز البريطاني هناك , وسيحمل بريطانيا على أن تصرف الملايين من الأموال, لحماية حدود شمال غرب الهند بإقامة مركز دفاعي قوي هناك , ويستشهد⁽⁸⁷¹⁾ برأي الكابتن الأمريكي ماهان " Captain Mahan. U. S. N. " الذي عبّر عن آراءه في مقالة نشرت في صحيفة " National Review " في أيلول عام 1902, تجاه السياسة البريطانية في الخليج العربي , من خلال الجملة الآتية: " إن أي تنازل من بريطانيا في الخليج , سواء أكان ذلك وفقاً لإتفاق رسمي معيّن مع الدول الأخرى , أم كان عن طريق إهمال المصالح التجارية المحلية , التي تشكل جوهر السيطرة العسكرية والتجارية الآن, سوف يهدد المركز البحري لبريطانيا العظمى , في الشرق الأقصى ومركزها السياسي في الهند, فضلاً عن مصالحها التجارية في كلتا المنطقتين , وروابطهما الإمبراطورية مع أستراليا"⁽⁸⁷²⁾.

دعمت فكرة اللورد لامنكتون في مجلس اللوردات , من لدن " اللورد الينبورو " Lord Ellenborough " الذي استشهد برأي اللورد كيرزن قبل أن يصبح نائب للملك في الهند , الذي كان يعتقد " أن أي امتياز تحصل عليه روسيا لتقيم لها ميناءاً عليه في الخليج العربي, فإنه يُعدّ إخلالاً طائشاً بحالة الأمر الواقع , وتحريضاً صارخاً لقيام حرب دولية , وكذلك فإنه سيتهم أي وزير بريطاني الذي يستسلم لذلك ويرضخ , أنه مذنب وخائن لوطنه " ويؤكد " الينبورو " أنه لن يهتم إذا ما تمكنت روسيا من اسطنبول , بقدر اهتمامه من أن تتمكن من امتلاك ميناء في الخليج العربي⁽⁸⁷³⁾.

ورداً على كل هذه التساؤلات , التي أثّرت بشأن المنافسة الأجنبية لمركز بريطانيا في الخليج العربي , أعلن اللورد " لانسدون " تصريحه الشهير, في قاعة مجلس اللوردات في الخامس من مايس عام 1903 إذ قال: " إنني متأكد من أن إهتمام جناب اللورد بمشروع سكة حديد بغداد راجع لإرتباطه الوثيق بمصالحنا في الخليج , وأنا لا اسلم مع جناب اللورد من حيث دوافع الاهتمام الذي أوليه أنا لموضوع الخليج, أو من حيث الظن من أن هذه البلاد تمثل في ملاحه الخليج مكانة تختلف عن مكانة أية دولة أخرى, وقد أبلغكم جناب اللورد بالحقيقة المجردة, وهي أنه بفضل أعمال بريطانيا ولقاء الدماء التي ضحت بها, أصبحت الملاحه في الخليج الآن مفتوحة للعالم كله , فسفننا هي التي طهرت ذلك المكان من [القرصنة] , وهي التي قضت على تجارة الرقيق , وهي التي وضعت الإرشادات والإشارات للملاحه في تلك المياه المضطربة", ويستمر هذا الرأي ليأتي بحجة أخرى , " والآن من مجموع التجارة في موانئ الخليج , التي بلغت قيمتها وفقاً لأرقام عام 1901, ثلاثة ملايين وستمئة ألف جنيه إسترليني, كان نصيب

⁽⁸⁷¹⁾ R. E. P. D. Vol. 5 .Op.Cit. The Parliamentary Debates, Fourth Series, 1903 pp. 109-110.

⁽⁸⁷²⁾ F. O. No. 371 / 148 / 2490, The Influence of the Railway on British Interests, part. V.

⁽⁸⁷³⁾ R. E. P. D. Vol. 5 .Op.Cit. The Parliamentary Debates, Fourth Series, 1903, pp. 112-113.

التجارة البريطانية لا يقل عن مليوني وثلاثمائة ألف جنيه إسترليني، وهذه الأرقام تدل على نجاحنا في الاحتفاظ بنصيب عادل لنا من تلك التجارة، لكنه ما من ريب في أننا نحس في الخليج، كما نحس في سواه بشدة المنافسة الأجنبية، وأخشى أن يكون هذا هو قدرنا لا في مياه الخليج وحده لكن في كل البحار، ولا أحسب أننا نستطيع الاحتفاظ بمثل التفوق الذي نبداً به لمجرد أننا كنا خلال تطور التجارة، رواد العالم في هذا الحقل الحضاري، وقد طلب إليّ اللورد النبيل أن أشرح سياستنا في الخليج، وأنا أخص ذلك في كلمات معدودات، إنني أرى أن الواجب يقتضي منا قبل كل شيء أن نصون ونحسن تجارة بريطانيا في هذه البحار، ثم إنني لا أرى بعد ذلك اللورد المحترم يقترح، أو يستطيع أن يقترح أن علينا توجيه مجهوداتنا لطرد التجارة الشرعية للدول الأخرى⁽⁸⁷⁴⁾، ومع ذلك يجب أن نتجه سياستنا إلى حماية التجارة البريطانية وتعزيزها في هذه المياه⁽⁸⁷⁵⁾.

ثم يقول مهدهاً الدول لاسيما روسيا وألمانيا، "فاني أقول بلا تردد، إننا نعدّ تأسيس قاعدة بحرية، أو ميناءً محصناً في الخليج من أية دولة أخرى، على أنه تجاوز خطير على المصالح البريطانية، من واجبنا أن نقاومه بكل ما لدينا من وسائل، وأنا أقول هذا لا بلهجة التهديد، لأنه على أحسن ما أعلم ليست هناك الآن مشروعات لأية دولة أجنبية، لإنشاء قواعد بحرية في الخليج، إنني شخصياً لم أسمع عن مثل تلك الاقتراحات، ولا أستطيع منع نفسي من ملاحظة شدة حماس اللورد، بصدد موضوع التدخل الأجنبي في حين إنني متأكد أنه لا يهددنا الآن⁽⁸⁷⁶⁾".

لقد كانت اللهجة والأسلوب المستخدم في ذلك الخطاب، دليلاً على زيادة حدة التنافس بين بريطانيا وبين روسيا وفرنسا وألمانيا في مياه الخليج العربي، ودليلاً على عزم بريطانيا في أن يكون نفوذها وحده السائد هناك، وهكذا نستطيع أن نعدّ تصريح لانسدون هذا أنه لا مجرد اندفاع لاتخاذ قرار مفاجئ، لكنه تعبير عن السياسة الواضحة للحكومة البريطانية، ولم يفت ملاحظة هذا التصريح، الجهات التي كان موجهاً إليها، بطبيعة الحال، ففي السادس من مايس عام 1903، أشار السفير الروسي في لندن في حديث له مع اللورد لانسدون إلى أنه قرأ تصريحه باهتمام في صحيفة التايمز في السادس من مايس، وهو لا يرى فيه شيئاً غير

⁽⁸⁷⁴⁾ Quoted in: R. E. P. D. Vol. 5. Op. Cit. The Parliamentary Debates, Fourth Series, 1903. p. 116.

⁽⁸⁷⁵⁾ F. O. No. 371 / 148 / 2490, The Influence of the Railway on British Interests, part V.

⁽⁸⁷⁶⁾ Quoted in: R. E. P. D. Vol. 5. Op. Cit. The Parliamentary Debates, Fourth Series, 1903. p. 116.

عن تصريح لانسدون ينظر:

Ibid, pp. 114-119; J. G. Hurewitz, The Middle East and North Africa in World Politics. pp. 506-507; J. G. Lorimer, Op. Cit. Vol. I. Part. I. pp. 369-370; L. Frazer, Op. Cit. p. 83; E. M. Earle, Op. Cit. p. 197.

عادي, وأضاف يقول أن لورد لانسدون ربما كان يتكلم وهو يقصد روسيا , لكن روسيا ليس لديها أية فكرة لإقامة قاعدة بحرية في الخليج العربي⁽⁸⁷⁷⁾.

وقد أبرق "لانسدون" إلى "سكوت" Scott "السفير البريطاني في بطرسبورغ , أوضح له ما دار بينه وبين السفير الروسي أثناء لقاءه به في السادس من أيار عام 1903, فضلاً عن أنه تحدث مع السفير الروسي , أنه لا بد من النظر في إمكانية الوصول إلى تسوية , تحدد كل من مصالح بريطانيا وروسيا في إيران, على الرغم من الصعوبة في تحديد مناطق النفوذ , وان بريطانيا تعترف بتفوق المصالح الروسية في الشمال في الوقت , الذي لدى بريطانيا مصالح خاصة في الخليج العربي ومناطق جنوبي إيران حتى سيستان⁽⁸⁷⁸⁾, لكن حكومة القيصر لم تكن في تلك المدة على استعداد, للدخول في مفاوضات مع بريطانيا في هذا الموضوع⁽⁸⁷⁹⁾, لأن ذلك وفقاً لإعتقادها سيقيدّها من مدّ نفوذها في جنوب إيران , وهو الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه حينذاك للوصول إلى الخليج العربي.

وقد أعتبط اللورد "كيرزن" كثيراً للتصريح الذي تفوّه به "لانسدون" في مجلس اللوردات , الذي كان منسجم مع آراءه التي آمن بها , بصدد السياسة البريطانية الواجب إتباعها في الخليج العربي, ففي رسالة له في الرابع عشر من مايس عام 1903 إلى "جورج هاملتون" George Hamilton, وزير الدولة لشؤون الهند , أشار فيها , أنه لأول مرة يصرّح وزير خارجية بريطاني في البرلمان , أن بريطانيا لا تسمح لأية قوة أخرى , أنشاء قاعدة بحرية لها في الخليج العربي" وهو ما ناضلت من أجله في الأعوام السابقة⁽⁸⁸⁰⁾.

وكان البريطانيون يبالغون في الحذر من النشاط الروسي في الخليج العربي , بينما كان لهم المركز الممتاز هناك , والتفوق الكبير في تجارة جنوب إيران ومنطقة الخليج العربي وحركة النقل المتعلقة بذلك.

ومع ذلك كانت الحكومة البريطانية تقوم بين الحين والآخر , وبتشجيع من حكومة الهند بمناورات تردّ بها على استعراض القوة من البحرية الروسية والفرنسية , من ذلك مثلاً إرسال حكومة الهند سفن ذات قوة كبيرة إلى الخليج العربي , ففي عام 1901 قامت السفينة البريطانية "هاي فلاير" High Flyer " التي كانت تقل القائد البحري العام لأسطول حكومة الهند الأميرال" بوسانكوت" Bosanquet", بجولة في الخليج العربي, فزارت صور ومسقط وبوشهر وبندرعباس , ورداً على زيارة السفينة الروسية "فارياغ" للخليج العربي في كانون الأول من العام نفسه , قامت السفينة الملكية البريطانية "أمفيتريد" بزيارة مماثلة فزارت مسقط في الثامن من حزيران

⁽⁸⁷⁷⁾ J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VIII. P. 48; J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I. Part. I. p. 370; Earl of Ronaldshay, The Life of Lord Curzon, Being the Authorized Biography of George Nathaniel Marquess Curzon of Kedleston, Vol. II. London 1928, pp. 311-312.

⁽⁸⁷⁸⁾ J. A. Saldanha, Op. Cit. Vol. VIII. P. 48.

⁽⁸⁷⁹⁾ J. G. Lorimer, Op. Cit. Vol. I. Part. II. p. 2126.

⁽⁸⁸⁰⁾ Quoted in: Earl of Ronaldshay, Op.Cit. Vol. II. p. 312.

عام 1902 وفي الثالث عشر منه , وصلت إلى بندرعباس ثم زارت هنجام وبوشهر والكويت وساحل عُمان المتصالحة, وختمت جولتها في الخامس والعشرين منه⁽⁸⁸¹⁾ .

وعلى الرغم من قيام السفن الحربية الروسية بزيارة للخليج العربي خلال الأعوام 1900-1903, إلا أن روسيا لم تتمكن من الحصول على موطن قدم ولا حتى على مستودع فحم لسفنها التي ترتاد الخليج العربي, لأن البريطانيين تمكنوا من أن يضعوا عقبات فعالة ضد الخطر الروسي الذي كان يتهددهم هناك , ورداً على زيارة السفن الروسية , عزم اللورد كيرزن على أن يقوم بمظاهرة كبيرة واستعراضاً للقوة , لإظهار الأبهة البريطانية وترسيخ النفوذ البريطاني في الخليج العربي , لاسيما إذا ما عرفنا أن اللورد كيرزن كان يمثل واحداً , من أشد الساسة البريطانيين حماسة في التصدي للنفوذ الروسي, ومنع إطلالته إلى الخليج العربي , وتعريض سيادة البريطانيين في الهند للخطر .

كانت إحدى الحوادث المهمة في تاريخ الخليج العربي في مطلع القرن العشرين, هي زيارة اللورد "كيرزن" نائب الملك والحاكم العام للهند , في تشرين الثاني وكانون الأول عام 1903 لمياه الخليج العربي⁽⁸⁸²⁾ .

⁽⁸⁸¹⁾ J. G. Lorimer, Op. Cit. Vol. I. Part. I. pp. 375-377.

⁽⁸⁸²⁾ R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. Lord Curzon Tour in the P. Gulf, November – December 1903, p. 127.

رحلة اللورد كيرزن إلى الخليج العربي في عام 1903 وأثرها في روسيا.

لقد اقترح "كيرزن" في مدة مبكرة من عام 1901 أن يقوم بزيارة بحرية لمنطقة الخليج العربي , لظنه أنها سوف تبرهن لكل القوى الأوروبية , على عزم بريطانيا حماية مركزها في المنطقة وبأي ثمن , وعلى تصميمها في مواصلة إظهار القوة البريطانية هناك , إلا أن هذه الفكرة قد أفلقت وزارة الهند حينذاك , فوصفها اللورد جورج هاملتون وزير الدولة لشؤون الهند , " أنها محفوفة بالمخاطر وفي غير حينها " لحاجة بريطانيا الحفاظ على الهدوء في المنطقة لانشغالها بحرب الترانسفال [البوير] , وستثير الرحلة في الخليج العربي قلق العواصم الأوروبية , لاسيما بطرسبورغ , لكن الموقف السياسي في عام 1903 قد اختلف بشكل كبير عما كان عليه الموقف في عام 1901, بعد انتصار بريطانيا في حرب البوير⁽⁸⁸³⁾, فطلب اللورد "كيرزن" في آب عام 1903 من الحكومة البريطانية الموافقة الرسمية للقيام برحلة إلى الخليج العربي , فحصل عليها بعد ذلك بقليل , لتفقد المؤسسات الهندية في هذه المنطقة , ولزيارة الشيوخ العرب الذين تربطهم معاهدات مع الحكومة البريطانية , وللمحافظة على النفوذ البريطاني الاقتصادي و السياسي المتزايد في مياه الخليج العربي⁽⁸⁸⁴⁾, والأهم من ذلك كله كانت الرحلة رداً على زيارات السفن الحربية الروسية للخليج العربي خلال المدة 1900-1903, ولما لم يكن للأسطول البريطاني سفينة على هيئة السفن الحربية الروسية التي زارت الخليج العربي , حرص اللورد "كيرزن" على أن يرافقه عدد كبير من البوارج والمدمرات , لإظهار الأبهة البريطانية في منطقة الخليج العربي⁽⁸⁸⁵⁾.

لقد كانت حسابات "كيرزن" أنه في حال قيام روسيا باحتلال بندرعباس أو أي ميناء آخر في مدخل الخليج العربي , سيعطي الأوامر للقائد البحري برفع العلم البريطاني على جزيرتي هرمز وقشم , فضلاً عن ذلك كان رأيه أن السماح لروسيا بدخول الخليج العربي لأهداف تجارية, يستدعي تأكيد الحماية البريطانية على الكويت والبحرين بصورة أشد , أما في حال قيام حرب فعلى بريطانيا , أن تحتل سيستان وبندرعباس وقشم وهنجام وهرمز , فضلاً عن توليها الدفاع عن المصالح البريطانية في بوشهر⁽⁸⁸⁶⁾, وتأكيداً لتلك السياسة أقلعت السفينة "هاردنك" " Hardinge " من سفن البحرية الملكية الهندية⁽⁸⁸⁷⁾ من ميناء كراتشي في السادس عشر من تشرين الثاني عام 1903, واستعداداً لهذه الرحلة عزز أسطول الهند الذي يقوده نائب أمير

⁽⁸⁸³⁾ Earl of Ronaldshay, Op.Cit. Vol. VIII. pp. 311-313; R. Kumar, Op.Cit. pp. 236-237.

⁽⁸⁸⁴⁾ R. E. P. D. Vol. 5 . Op.Cit. Lord Curzon Tour in the P. Gulf, November – December 1903, p. 127 ; J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I. Part. II. p. 2626; Earl of Ronaldshay, Op.Cit. Vol. VIII. P. 312.

⁽⁸⁸⁵⁾ D. Dilke, Curzon in India, Vol. II. London 1970, p. 62; Earl of Ronaldshay, Op.Cit. Vol. VIII. P. 312.

⁽⁸⁸⁶⁾ B. C. Busch, Op. Cit. pp. 235-238.; R. Kumar, Op. Cit. p. 234.

⁽⁸⁸⁷⁾ كانت " هاردنك " أكبر سفينة حربية تدخل بحر العرب والخليج العربي, منذ أيام البوكيوك في عام 1515.

ينظر :

W. Phillips, Op. Cit. p. 153.

البحر " اتكنسون - ويلز " " Atkinson-Wills " بالسفينة " أرجونوت " " Argonaut " من سفن الأسطول الملكي البريطاني , وهي سفينة من الدرجة الأولى حمولتها إحدى عشر ألف طن , وكانت حينئذ في طريقها من مركزها في الصين إلى بريطانيا , وقد وقفت عند مدخل ميناء كراتشي استعداداً لمرافقة الرحلة , وحينما وصلت السفينة " هاردنك " اسطفت السفن في خطوط مقسمة طولياً , فكان الجانب الأيمن يتكون من البارجة " هيسنت " " Hyacinth " والسفينة " فوكس " " Fox " , وكان الجانب الأيسر يتكون من السفينة " أرجونوت " يتبعها الطراد " بومون " " Pomone " ليصل عدد سفن الأسطول خمساً , واتجه خط سيره إلى مسقط مباشرة , إذ كانت السفينة " لورنس " من البحرية الملكية الهندية وعليها العميد " كامبل " المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي , والسفينة " لابونك " قد رستا هناك من قبل , وحينما دخل الأسطول إلى ميناء مسقط صباح الثامن عشر من تشرين الثاني عام 1903 قام السلطان فيصل بن تركي بزيارة اللورد " كيرزن " الذي نبه فيصل بعدم قبوله رشوة من الروس لمنحهم محطة فحم في بلاده , ثم زار كيرزن المعتمدية البريطانية في مسقط , بعدها التقى بالرعايا البريطانيين المقيمين في عُمان الذين بلغ عددهم 1300 شخصاً , وبعد أن ألقى ممثلهم خطاباً للترحيب باللورد كيرزن وموضحاً فيه المسائل التجارية هناك , ألقى كيرزن فيهم خطاباً بيّن فيه ارتباط بريطانيا بمسقط سياسياً وتجارياً , وفي اليوم نفسه الثامن عشر من تشرين الثاني , وصلت السفينة " سفينكس " من سفن الأسطول الملكي قادمة من بوشهر , وعليها هاردنك الوزير المفوض البريطاني في طهران , الذي قدّم للتشاور مع " كيرزن " قبل وصوله إلى الساحل الشرقي للخليج العربي⁽⁸⁸⁸⁾.

وكان المكان الثاني الذي زاره اللورد " كيرزن " الشارقة في الساحل الغربي للخليج العربي , في الحادي والعشرين من تشرين الثاني من العام نفسه , وتم نقل شيوخ عُمان المتصالحين على ظهر سفينة دائرة التلغراف الهندية " بتريك ستيوارت " " Patrick Stuart " , إلى السفينة " أرجونوت " ⁽⁸⁸⁹⁾ , ووفقاً لما يشير إليه لوريمر فعلى الرغم من أن أجدادهم كانوا من [القراصنة] ولصوص البحر ! فانهم قاسوا بشدة من دوار البحر على ظهر السفينة " بتريك ستيوارت " , وأعد على ظهر السفينة " أرجونوت " قاعة استقبال بالطريقة نفسها , التي كانت عليها في مسقط , وقد حضر الاحتفال هاردنك الذي جاء من مسقط مباشرة إلى بندرعباس , للإعداد لرحلة الأسطول الوشيكة , أما الشيوخ الذين حضروا شخصياً فكانوا الشيخ زايد شيخ أبوظبي وبصحبه ولده , والشيخ صقر شيخ الشارقة , والشيخ مكتوم شيخ دبي , وبصحبة كل منهما أحد أبناءه ,

⁽⁸⁸⁸⁾ S. R. G. I. F. D. Vol. V. Administration Report on The Viceroy's Visit to P. Gulf by. C. A. Kemball, Lieut-Col Political Resident P.Gulf Bushire, April 1904. p. 2 ; R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. Lord Curzon's Tour in the P. Gulf, November-December 1903. pp. 127-128 ; J. A. Saldanha, Op.Cit.Vol,III. pp. 50-51 ; J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I. Part. II. pp. 2626-2631 .

⁽⁸⁸⁹⁾ S. R. G. I. F. D. Vol. V. Administration Report on The Viceroy's Visit to P. Gulf by. C. A. Kemball, Lieut -Col Political Resident P.Gulf Bushire, April 1904. p. 2.

والشيخ عبدالعزيز شيخ عجمان بمفرده إذ كان ابنه مريضاً، والشيخ أحمد شيخ أم القيوين وهو شيخ كبير هُرم توفي بعد ذلك بأشهر، وقد قدمه ابنه راشد الذي خلفه في المشيخة، ولم يدع إلى هذا الاجتماع شيخ الحميرية الذي ادعى لمدة ما استقلاله عن الشارقة، ولم تعترف الحكومة البريطانية بذلك، وبعد أن قدموا إلى اللورد "كيرزن" ألقى فيهم خطاباً باللغة الإنكليزية، وقام بترجمته "جاسكين" القنصل البريطاني في البحرين، كان الخطاب في جوهره موجزاً لتاريخ بريطانيا في المياه العربية، من الساحل الغربي للخليج العربي خلال القرن التاسع عشر، ومما جاء في بعض منه "رؤساء ساحل العرب... إنني أتيت إلى هنا ممثلاً للسلطة البريطانية في إمبراطورية الهند العظيمة، التي عرفتوها أنتم وآباءكم وأجدادكم، وتعاملتم معها منذ أكثر من مائة عام، وهدفي أن أعطيكم الدليل على أن الحكومة لم تتسكع مع أنكم تعيشون على بعد من السواحل الهندية، بل إنها تتمسك بسياسة الوصاية والحماية⁽⁸⁹⁰⁾، التي وفرت لكم بها الأمن... وإن كل واحدة من الإمارات المتصالحة... لا يسمح لها الدخول في أي اتفاق أو اتصال بأي دولة أخرى... وإنني إذ أخشى أن يتعرض في بعض الأحيان سجل الماضي لخطر النسيان، أو يوجد أشخاص يتساءلون، لماذا يجب على بريطانيا العظمى مواصلة ممارسة قوتها؟ لذلك أقول إن في تاريخ إماراتكم وعلاقاتكم والأحوال الحاضرة في الخليج الجواب على ذلك، إننا هنا قبل أية دولة كبرى أخرى، أظهرت وجهها في هذه المياه... ومازال يوجد على امتداد هذه السواحل رعايا لملك بريطانيا ولهم تجارتهم، فضلاً عن ذلك فإن إمبراطورية الهند، التي يقع علينا واجب حمايتها ليست منكم ببعيد... لذلك يجب أن يبقى السلام في هذه المياه، وحينها يبقى استقلالكم من دون أن يمسه أحد، ويجب كذلك أن يبقى تفوق نفوذ الحكومة البريطانية على نفوذ غيرها⁽⁸⁹¹⁾".

لقد كان خطاب اللورد "كيرزن" موجهاً إلى سفراء بطرسبورغ وباريس وبرلين، لا إلى الشيوخ العرب والمقابلين له⁽⁸⁹²⁾.

وفي مساء الحادي والعشرين من تشرين الثاني عام 1903 غادر اللورد "كيرزن" الشارقة متوجهاً إلى بندرعباس، يصحبه الأسطول الذي وصل في صباح اليوم التالي إلى مرسى أمام

⁽⁸⁹⁰⁾ لا نعلم من أعطى بريطانيا الحق بالوصاية والحماية على شؤون الخليج العربي؟ فقد أخذت بريطانيا ذلك بحد السيف، ولابد من التذكير بالحملات العسكرية البريطانية المتتابعة، منذ بداية القرن التاسع عشر على القواسم وغيرهم، لفرض نفوذها على الخليج العربي، للتفصيل في حملات بريطانيا على القواسم. ينظر: صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي.

⁽⁸⁹¹⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II . pp. 2637-2638.

، الذي ألقاه في الحادي والعشرين من تشرين الثاني عام 1903 في "كيرزن" للإطلاع على نص خطاب اللورد الشارقة، باللغتين العربية والإنكليزية. ينظر:

R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. Lord Curzon's Tour in the P. Gulf, November-December 1903. pp. 133, 177-180.

⁽⁸⁹²⁾ R. Kumar, Op.Cit. p. 237.

بندرعباس , وكان هاردنك قد سبق الأسطول ووصل على ظهر السفينة " سفينكس " في اليوم السابق , وساعة وصول الأسطول كانت هذه السفينة والسفينة الحربية الإيرانية " برسبوليس " التي أحضرت القائد العام سالار مُعظَّم حاكم موانئ الخليج , للترحيب باللورد " كيرزن " نيابة عن الشاه تقفان في مرسى خارج المدينة , وأطلقت الأخيرة إحدى وثلاثين طلقة تحية للورد " كيرزن " عند وصوله , الذي استقبل على ظهر السفينة " هاردنك " سالار مُعظَّم , الذي سلمه رسالة الشاه الرسمية⁽⁸⁹³⁾ , واستقبل " كيرزن " في اليوم نفسه وفداً يزيد عدد أفرادهم عن ثلاثين شخصاً من التجار والرعايا الهنود , الذين يقيمون في بندرعباس على ظهر السفينة " سفينكس " وألقوا خطب ترحيب به , ومما جاء في بعض منها , يمكن عدّ بندرعباس بتجارة صادراته القيمة المركز التجاري المهم لأسواق وسواحل جنوبي إيران , مما يقع معظمه بأيدي رعايا بريطانيا , ويعود الفضل في ذلك لرعاية الحكومة البريطانية لهم , وقد رد " كيرزن " على هذا الخطاب بالعبارات التي توضح تفوق النفوذ البريطاني سياسياً وتجارياً في الخليج العربي , وقد يتساءل البعض لماذا يتوجب على نائب الملك في الهند , وهو في غمرة مسؤوليات منصبه أن يزور هذه المياه , فيجيب " كيرزن " " إننا هنا نقع على فم بحر يعدّ من أكثر البحار أهمية ومنفعة للنشاط البريطاني في قارة آسيا , ولم يخفق الخليج منذ القِدَم طريقاً بحرياً مهماً في اجتذاب أنظار الأمم , التي سيطرت أو تطمح في السيطرة على الموانئ الهندية , التي باتت في أيدي بريطانيا والبعيدة جداً عن متناول المنافسين الآخرين⁽⁸⁹⁴⁾ .

ثم تفقد " كيرزن " جزر هرمز وقشم وهنجام وباسيدو ولنجة , وقد زودت زيارة هذه الجزر " كيرزن " و " هاردنك " و " اتكنسون - ويلز " بمادة لمناقشة شؤون الدفاع والإستراتيجية البحرية في الخليج العربي , وفي صباح السابع والعشرين من تشرين الثاني عام 1903 زار الشيخ عيسى شيخ البحرين اللورد " كيرزن " زيارة خاصة على ظهر السفينة " هاردنك " , أشار اللورد " كيرزن " إلى موضوع سوء إدارة الكمارك في البحرين , وشدد على الشيخ بضرورة وفائدة إصلاحها , ليس مراعاة لمصلحته فحسب بل لرعاية مصالح الحكومة البريطانية التي تقوم بحمايته , وكذلك لمصلحة ابنه حمد الذي اعترفت السلطات البريطانية بلقبه خليفة له , وقد أبدى الشيخ عناداً شديداً في هذا الموضوع , طالباً أن يصرف النظر عنه طوال مدة حياته , ومع ذلك فانه سيبحث الموضوع مع أبناءه وأخيه , إلا أن " اللورد كيرزن " حذر الشيخ في الوقت نفسه من أن الموضوع , يجب أن لا يهمل وعليه أن يُقدّم في أقرب مدة اقتراحات محدّدة للتغيير المرغوب فيه , وانصرف الشيخ بعد أن دامت المقابلة أكثر من نصف ساعة⁽⁸⁹⁵⁾ .

⁽⁸⁹³⁾ S. R. G. I. F. D. Vol. V. Administration Report on The Viceroy's Visit to P. Gulf by. C. A. Kemball, Lieut-Col Political Resident P. Gulf Bushire, April 1904. p. 2 ; J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VIII. pp. 50-51 ; J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I. Part. II. pp. 2639-2640.

⁽⁸⁹⁴⁾ R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. Lord Curzon's Tour in the P. Gulf, November-December 1903. pp. 128-129 ; J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I. Part. II. pp. 2640-2641.
⁽⁸⁹⁵⁾ Ibid. pp. 130-131 ; Ibid pp. 2646-2647.

وصلت السفينة " هاردنك " التي تقل اللورد " كيرزن " في صباح الثامن والعشرين من تشرين الثاني عام 1903 إلى الكويت , وكانت السفن الأخرى من الأسطول قد سبقتها في الوصول إلى هناك, ثم أطلقت البطريات القديمة المنصوبة أمام بيت الشيخ مبارك إحدى وثلاثين طلقة تحية " لكيرزن " , ثم صعد الشيخ مبارك على ظهر السفينة " هاردنك " يرافقه كامبل المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي , ليستفسر عن صحة اللورد " كيرزن " ولتحديد موعد الزيارة الرسمية , وفي صباح اليوم التالي غادر اللورد " كيرزن " الكويت على ظهر السفينة " لورنس " تصحبها السفينة " سفينكس " بقيادة القائد " كيمب " في زيارة تفقدية لكازمة التي تقع غرب المدينة , ولخور عبدالله الذي من المحتمل أن تصله سكة حديد بغداد , ولخور موسى وبحث إمكانية ربط الميناء فيه بسكة حديد من داخل الأراضي الإيرانية , واستمرت الزيارة مدة يومين وتأخر بقية الأسطول في الكويت حتى صباح الأول من كانون الأول عام 1903, وقد خصص يوم الثلاثين من تشرين الثاني للذين تأخروا في الكويت , بما فيهم عقيلة اللورد " كيرزن " , ليتجولوا بالمدينة وما يحيط بها⁽⁸⁹⁶⁾, وقد جاء في التقرير الذي قدمه اللورد " كيرزن " إلى وزارة الخارجية عن نتائج رحلته إلى الكويت ما نصه "لقد وجدت هنا كما في مسقط أن الرحلة بحد ذاتها , بصرف النظر عن الوعود أو الالتزامات الجديدة , كانت في نظر الحاكم رباطاً نهائياً يربطه بنا , واعترافاً رسمياً بحماية بريطانيا وسيادتها , وفي الحقيقة أن الشيخ اعترف لي بصراحة في محادثاته الخاصة معي , أنه قطع كل ارتباط له مع العثمانيين, ورفض عروض روسيا وفرنسا , وبعد ذلك طلب أن يحصل على لقب أو نيشان ومكافأة , ومن الواضح أنه طلب هذه الإكراميات حتى تكون إقراراً بالعلاقة التي يعد الشيخ أنها قائمة بالفعل بيننا وبينه , لا خطوة أولية في نظام جديد أكثر تحديداً⁽⁸⁹⁷⁾".

لم تتوافر مناسبة لعقد اجتماع بين اللورد " كيرزن " وشيخ المحمرة في الأحواز, وعدّ اتخاذ الترتيبات للاجتماع في مكان آخر غير مجد , وعلى أية حال , فقد أرسل الشيخ خزعل رسالة مجاملة إلى اللورد كيرزن عن طريق " الماجور برتون " " Major Burton " نائب القنصل البريطاني في الأحواز, وقد ردّ اللورد " كيرزن " عليها برسالة مماثلة⁽⁸⁹⁸⁾.

كانت بوشهر التي وصل إليها أسطول اللورد " كيرزن " في صباح الثاني من كانون الأول عام 1903, مسرحاً لحدث طارئ أدى إلى تشويه استمرارية رحلة كيرزن بعض الشيء , للتعديلات التي أدخلتها الحكومة الإيرانية في مراسيم استقبال " كيرزن " في بوشهر, وإن النقطة التي أدت إلى الصدام كانت الاقتراح الذي قدمه البريطانيون لعلاء الدولة , حاكم إقليم فارس,

⁽⁸⁹⁶⁾ R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. Lord Curzon's Tour in the P. Gulf, November-December 1903. pp. 130-131 ; J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I. Part. II, p. 2648.

⁽⁸⁹⁷⁾ Quoted in: J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II . p. 2648 ; Earl of Ronaldshay, Op.Cit.Vol.III, p. 319.

⁽⁸⁹⁸⁾ Ibid,p.2649 ; Ibid; R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. Lord Curzon's Tour in the P. Gulf, November-December 1903, p. 132 ; J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VIII. p. 55.

التي مفادها أنه بدلاً من أن يؤدي زيارته الأولى للورد "كيرزن" في المعتمدية البريطانية , يمكن تأديتها على ظهر السفينة " هاردنك " ولم يشددوا على هذا الاقتراح , إلا أن علاء الدولة حرقه عندما نقله إلى حكومته , واصفاً إياه أنه طلب تعسفي أن يفرض عليه الصعود إلى سفينة اللورد "كيرزن" , " مثل سلطان مسقط " , وأشار في تحريفه أيضاً إلى أن السلطات البريطانية قدمته على أنه شرط لابد منه لنزول اللورد كيرزن إلى اليابسة , هذا فضلاً عن أن علاء الدولة فاتته أن يرّد الزيارة الرسمية التي قام بها قائد الأسطول البريطاني له⁽⁸⁹⁹⁾, وأخيراً أصّر علاء الدولة على عدم زيارة اللورد "كيرزن" في المعتمدية البريطانية إلا إذا كانت في بيت إيراني بصفته ضيفاً على الشاه , لذلك لم ينزل اللورد "كيرزن" إلى اليابسة في بوشهر بسبب ما حدث مع علاء الدولة ورفضه زيارة اللورد "كيرزن" على ظهر السفينة⁽⁹⁰⁰⁾.

استقبل اللورد "كيرزن" على ظهر السفينة " هاردنك " بعد ظهر الثالث من كانون الأول عام 1903 , وقبل مغادرته بوشهر , وفداً كبيراً من رعايا بريطانيا المقيمين هناك , وألقوا أمامه خطاب ترحيب به وموضحين له الوضع في بوشهر تجارياً وسياسياً , مؤكدين أن زيارته لهم منحتهم تشجيعاً خاصاً في مساعيهم , للاحتفاظ بتفوق التجارة البريطانية في الخليج العربي وجنوبي إيران , وقد ردّ اللورد كيرزن على خطابهم , أنه كان أول شاغل منصب نائب الملك في الهند يزور هذه المياه خلال مدة وظيفته , ولقد كانت الذاكرة تدعوه بإلحاح إلى تذكر من سبقوه من الطلائع قبل قرن من الزمان , إن نائب الملك في الهند يعدّ من الناحيتين المنطقية والتاريخية وريث " جون مالكولم " , الذي جاء إلى هنا أكثر من مرة منذ مائة عام مضت تحديداً , وكان الحلقة الأخيرة في سلسلة متصلة من الشخصيات السياسية التي انتدبت من الهند , لتمثل المصالح السياسية البريطانية والهندية ولحماية ما يقابلها من مصالح تجارية في هذا البلد المجاور , ومنذ عام 1763 كانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد فتحت لها وكالة تجارية في بوشهر , وكان مركب واحد في العام حينذاك كافياً لأن يزود هذا المكان بجميع البضائع البريطانية , أما في عام 1902 فقد دخل هذا الميناء 136 سفينة تجارية منها 133 سفينة بريطانية , وتوضح هذه الأرقام من دون شك الاتجاه الذي أخذت تتحوه الحركة التجارية , وقد تحول هذا المكان من قرية صغيرة لصيد السمك إلى مدينة مزدهرة يسكنها 20,000 نسمة , فأحرزت بوشهر شهرة لا نعدوا الحقيقة لو قلنا عنها , أنها جعلتها معروفة في كل جزء من العالم⁽⁹⁰¹⁾.

واختتم خطابه حينما أشار نصاً : " وقد قمت خلال المدة التي شغلْتُ فيها منصبِي هذا في الهند قدر إمكاني , بتسهيل التقدم التجاري وتأمين الحماية المطلوبة للمصالح البريطانية في الخليج والمقاطعات والأقاليم المجاورة له , كما إن حكومة صاحبة الجلالة في الوطن مهتمة

⁽⁸⁹⁹⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II . pp. 2649-2655.

⁽⁹⁰⁰⁾ Ibid; J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VIII. pp. 54-55.

⁽⁹⁰¹⁾ R. E. P. D. Vol. 5.Op.Cit. Lord Curzon's Tour in the P. Gulf, November-December 1903, pp. 131-132.

اهتماماً شديداً بهذا الموضوع , إني آمل أن يدوم طويلاً هذا الوضع الذي تتمتع به المصالح البريطانية , لأنه وضع غير مصطنع , فهو ليس حديث النمو لكنه ثمرة ما يقارب من قرن ونصف من العبر والجهد الشاق, بذلته الحكومة البريطانية في القطاع الخاص , وآمل أن تواصل بوشهر في المستقبل كما كانت في الماضي , في البقاء مركزاً يشع منه هذا التأثير الحميد والسليم إلى جنوبي إيران والخليج "(902) .

وما أن انتهى هذا اللقاء حتى أطلع الأسطول الذي يقل اللورد "كيرزن" في الرابع من كانون الأول عام 1903, من بوشهر باتجاه الهند إذ وصل ميناء كراتشي في السابع من الشهر نفسه(903), وبهذا اختتمت زيارة اللورد "كيرزن" نائب الملك للهند , لمنطقة الخليج العربي التي دامت مايقارب ثلاثة أسابيع , لتعزيز النفوذ البريطاني في الخليج العربي بعد أن وصلته أنباء عن وصول عددا من السفن الحربية الروسية إلى الخليج العربي , وزيارة الضباط الروس الذين كانوا على متنها لبعض موانئه والتقاءهم ببعض شيوخ ومسؤولي الخليج العربي.

أصبح موضوع بوشهر على الرغم من انتهاءه بعد عودة اللورد "كيرزن" مدار مجادلات دبلوماسية , استهلتها الحكومة الإيرانية في التاسع من كانون الأول عام 1903, عندما أبلغ الوزير المفوض الإيراني في لندن , اللورد "لانسدون" وزير الخارجية البريطاني بوجهة نظر حكومته بالحقائق مثلما نقلت إليه , وطلب أن يلفت نظر اللورد إلى التصرف الشديد الفظاظة من اللورد "كيرزن" , الذي من شأنه أن يُسيء إساءة بالغة للعلاقات بين الحكومتين(904).

وبينما كانت المباحثات بصدد حادث بوشهر دائرة , لم يترك الرسميون الإيرانيون وسيلة لترويج وجهة نظرهم إلاّ اتخذوها , إذ ظهر بعد مغادرة اللورد "كيرزن" بقليل مقال في الصحيفة الإيرانية " مظفري " التي تصدر في بوشهر, جاء فيه انه كان على اللورد "كيرزن" طبقاً للترتيبات المتفق عليها أن يزور علاء الدولة حاكم إقليم فارس , أولاً في داره وأن يرد الأخير الزيارة في المعتمدية البريطانية , وقَدَّمَ كل الحادث نموذج شديد الوضوح لسوء النوايا البريطانية , وكان يبدو أن المقال قد نشر بإيعاز من علاء الدولة , إلاّ أن سالار مُعَظَم حاكم موانئ الخليج عاقب في الحادي عشر من كانون الأول عام 1903 رئيس التحرير, ويشير لوريمر إلى أنه كان من المتوقع بعد الحادثة أن يكون علاء الدولة " كبش الفداء " إذ أنه استدعي في شباط عام 1904 إلى طهران وقد وظيفته في الحكومة الإيرانية(905).

(902) Quoted in: J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II . pp. 2660-2661 ; J. A. Saldanha, Op.Cit. Vol. VIII. pp. 54-55.

(903) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II . p. 2661.

(904) للمزيد من التفاصيل عن المجادلات الدبلوماسية , بين الحكومتين البريطانية والإيرانية بسبب حادث بوشهر . ينظر:

J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II, pp. 2655-2657.

(905) Ibid . pp. 2656-2657 ; L. Frazer, Op.Cit. p. 111.

من الممكن أن يعزى حادث بوشهر إلى الخوف الذي تغلب على الشاه تدريجياً ، من أن استقبال اللورد "كيرزن" بالطريقة التي كان يرغب بها الأخير، قد يمكن تأويله فيما بعد أنه اعتراف من السلطات الإيرانية بمكانة بريطانيا في الساحل الجنوبي لإيران ، وجزئياً إلى التحريف المقصود الذي قام به علاء الدولة ، الذي كان يريد أن يثبت مدى أهميته ، ومن الممكن أيضاً أن تكون زيارة اللورد "كيرزن" إلى جزر هرمز وقشم وهنجام ، قد خلقت نوعاً من الحساسية لدى الإيرانيين ، وعلى العموم فإن الحكومة الإيرانية التي لحق بها الضرر، التي لم تتمكن من الحصول على ما كانت تسعى إليه من تعويض ، يمكن عدّها الخاسرة في هذا النزاع الدبلوماسي ، وربما أدى إخفاق زيارة بوشهر إلى ترحيب بعض الجهات ، فقد تلقى علاء الدولة رسالة من القنصل الروسي العام في بوشهر، "هناك فيها على الصفة القوية التي وجهها ، من أجل تأكيد إستقلال إيران"، وقد ورد في تقرير أحد المسؤولين الإيرانيين ، إن الأوساط غير الرسمية في إيران ، قد استاءت من إخفاق زيارة بوشهر، وإنها عزت تصرف الحكومة الإيرانية إلى النفوذ الروسي في إيران⁽⁹⁰⁶⁾.

لقد حضيت رحلة اللورد "كيرزن" في الخليج العربي باهتمام في كل من بريطانيا وروسيا ، فالصحف الهندية مثل ، "الرجل الإنكليزي" "Englishman" " الصادرة في الثالث والعشرين والسادس والعشرين من تشرين الثاني عام 1903، فسّرت الزيارة " أنها كانت ضربة موفقة في قرار الحكومة البريطانية "، التي عادة ما اشار إليها "لانسدون" وزير الخارجية البريطاني في دفاعه عن سيطرة بريطانيا على المنطقة كلها ، أما بطرسبورغ فقد بدأت بمراقبة هذه الرحلة عن بُعد ، فصحيفة " النوفورميا " كانت تشك في النوايا البريطانية واستعدادها في استغلال مصاعب روسيا في الشرق الأقصى ، بهدف ضم دويلات عُمان إليها ، فقد حذّرت الصحيفة ، أن الدويلات العربية " لقمة كبيرة " "Large Morsel" ، ولن تسمح القوى الأوربية بمرورها إلى أيدي أخرى ، " من دون ثمن باهظ" ، وقد ردت "التايمز" في عددها الصادر في الثاني والرابع من كانون الأول عام 1903، على اتهامات " نوفورميا " بتأكيداها ، أن هنالك وجهات نظر عديدة عن رحلة اللورد "كيرزن" في الخليج العربي، "تثير الخيال والانتباه"⁽⁹⁰⁷⁾.

وأوضحت الحكومة البريطانية في ألتى عشر شهراً الماضية ، من خلال البيانات السياسية لرجال الحكومة عن آرائها ، أنها لن تسمح لأية قوة أخرى أن تهدد نفوذها في الخليج العربي، وأظهرت رحلة اللورد "كيرزن" عن عزم بريطانيا بالحفاظ على نفوذها الطاغى هناك ، فضلاً عن ذلك لا ينبغي أن تسبب سياسة بريطانيا في الخليج العربي القلق لأية قوة أخرى ، طالما إن تلك السياسة هي الأساس دفاعية لحماية الإمبراطورية ، وأن وجود القوى الأوربية في الخليج العربي ، سيجعل مركز الإمبراطورية في خطر مميت ، لذلك أكدت التايمز في عددها الصادر في الرابع من كانون الأول عام 1903 على النقطة الحيوية لما يسمى بالمسألة الإيرانية

⁽⁹⁰⁶⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II, pp. 2657-2658.

⁽⁹⁰⁷⁾ Quoted in: R. Kumar, Op.Cit. p. 228.

, التي يمثل الخليج العربي الوجه البارز فيها , فقد مثلت مشكلة حقيقية للساسة البريطانيين , التي تتلخص في ربط حماية شبه القارة الهندية بالسيطرة البريطانية على جنوبي إيران والخليج العربي⁽⁹⁰⁸⁾.

وقد جاءت رحلة اللورد "كيرزن" في الخليج العربي دليلاً على قوة بريطانيا ونفوذها , بعد أن شهد الخليج حدة المنافسة الأجنبية , لاسيما الروسية , ويصف لوريمر الرحلة , أنها كانت حدثاً لا سابق له في تاريخ الخليج , وربما بقيت لمدة طويلة حدثاً لا يوجد ما يوازيه في التاريخ المحلي , ولعل أرسخ نتائجها كان تلك المشاهدات المشتركة التي قام بها اللورد "كيرزن" , وقائد عام الأسطول, المتعلقة بقضايا الإستراتيجية البحرية , ففضلاً عن ان النتائج السياسية كانت كبيرة وموفقة على العموم , إلا أنه لم يكن في حسابان إيران أن يكون للرحلة في النهاية رد فعل على علاقاتها الدولية الحسنة , وقد ورد في التقارير التي جاءت فيما بعد عن نتائج الرحلة , أنها أطلقت الرعب في العراق العثماني , وأيقظت مشاعر الكره ضد البريطانيين في الأوساط الرسمية العثمانية , أما نتائجها في الساحل الغربي للخليج العربي فيمكن القول عنها , أنها كانت موفقة وناجحة تماماً لمسقط وساحل عُمان والكويت , إذ زادت قوة الروابط السياسية لهذه الإمارات ببريطانيا , أما ما يخص البحرين فإن الرحلة لم تؤد إلى شيء من شأنه التأثير الواضح , في سلوك شيخها المتميز وفقاً لوصف لوريمر , بالمشاكسة والعناد ! , لكن بريطانيا لم تترك مجالاً للشك في عزمها , على إقصاء كل نفوذ غير نفوذها في تلك الجزر الإستراتيجية المهمة⁽⁹⁰⁹⁾.

كما إتضح شدة ردود الأفعال البريطانية تجاه التطلعات الروسية إلى منطقة الخليج العربي, في المناقشات العسكرية التي جرت في عام 1902 في وزارة الحرب البريطانية , فقد رفع "الكولونيل روبرتسون" "Colonel W. R. Robertson" مساعد القائد البحري العام , مذكرة تشاؤمية في الرابع من تشرين الأول من العام نفسه إلى وزارته , بصدد المسائل الإستراتيجية بين بريطانيا وروسيا في إيران والخليج العربي أشار فيها , إلى أن الهدف الأساس لروسيا هو الوصول إلى الخليج العربي , وتستطيع بطرسبورغ السيطرة على شمال إيران في مدة لا تتعدى أسابيع , ومن ثم تُوسع نفوذها إلى التخوم البريطانية في بلوچستان شرقاً والخليج العربي جنوباً , ولمنع تحقيق ذلك فإن بريطانيا تستطيع أن تطالب بالأراضي الجنوبية الواقعة في منطقة نفوذها , إلا أن روسيا لن تُدعن لهذا الطلب وستعلن الحرب ضد بريطانيا , التي لا تستطيع احتلال جنوبي إيران عسكرياً لمصادرها المحدودة التي تحت تصرفها , وعليه فإن روبرتسون يرى إن أية حركة روسية في الشمال فإن على بريطانيا احتلال سيستان, بينما يمكن موازنة أي موطن قدم

⁽⁹⁰⁸⁾ R. Kumar, Op.Cit. pp. 228-229.

⁽⁹⁰⁹⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II . p. 2662.

تستطيع بطرسبورغ أن تحرزه في الخليج العربي ، أن تقوم بريطانيا باحتلال بندرعباس والجزر المجاورة⁽⁹¹⁰⁾.

وتم تأكيد مذكرة " روبرتسون " التشاؤمية للمشهد في إيران والخليج العربي من " الكولونيل ي.أي. الثام " Colonel E. A. Altham " المساعد الآخر للقائد البحري العام ، في مذكرة له في الرابع عشر من الشهر نفسه إلى وزارة الحربية ، أشار فيها إلى أن التورط بالحرب ضد روسيا سيدفع فرنسا إلى دخول الصراع ، وعليه فإن بريطانيا لن تتمكن من مواجهة التحالف الثنائي ، فضلاً عن ذلك فإن بريطانيا سوف لا تفيد من تحالفها مع اليابان⁽⁹¹¹⁾ ضد روسيا عدوها المشترك ، لأن الحلف مقتصر على الصين ، لذلك فإن التفاهم مع برلين سيُغيّر الموقف ، لاسيما أن ألمانيا مهتمة أيضاً في مقاومة التقدم الروسي ، الذي لا يمنع روسيا من السيطرة على إيران فحسب ، بل من سيطرتها على آسيا الصغرى ووادي الرافدين والخليج العربي ، وإن التفاهم المتبادل بين بريطانيا وألمانيا من شأنه أن يمنع روسيا من المجازفة بدخول الحرب ، وإذا ما نشبت الحرب فإن نتائجها لا تبعث على الخوف⁽⁹¹²⁾.

لكن " جون برودريك " " St. John Broderik " وكيل وزارة الهند كان يرى عكس ذلك ، فقد أشار إلى أن التفاهم الثنائي بين بطرسبورغ وباريس له علاقة بأوروبا والصين فقط ، وإن هناك أسباباً قليلة للظن أن فرنسا مهتمة بمساعدة روسيا في السيطرة على الخليج العربي ، فضلاً عن

Memorandum by Col-W. R. Robertson, Assistant Quartermaster-general on " Strategic Relations Between England and Russia With regard to Persia " 4 October 1902, Quoted in: R. Kumar, Op.Cit. p. 232.

⁽⁹¹¹⁾ بعد إخفاق بريطانيا في التوصل إلى حلف في عام 1901 مع ألمانيا، أخذت تبحث عن حلف جديد وجاءت الفرصة من اليابان، فجرت مباحثات بين الجانبين في صيف وخريف العام نفسه، كان الكونت كاتسورا الزعيم Marquess Ito رئيس الحكومة الياباني، يرغب بالتحالف مع بريطانيا، لكن الماركيز إيتو Katsura الياباني الأكبر كان يؤدّ التحالف مع روسيا، لذلك وصل إيتو في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام 1901 عن طريق باريس وبرلين إلى بطرسبورغ، للتوصل إلى عقد اتفاقية بين روسيا واليابان ، تأخذ اليابان بموجبها كوريا، على أن تكون منغوليا من نصيب روسيا، إلا أن الاتفاقية واجهت معارضة من القيادة البحرية الروسية التي عارضت إعطاء امتيازات لليابان في كوريا، في الوقت الذي تمكن لانسدون وزير الخارجية البريطاني من إقناع إيتو الذي وصل إلى لندن في كانون الثاني عام 1902 من التحالف مع بريطانيا، وكان الإمبراطور الياباني قد أباح برأيه إلى إيتو في السابع من كانون الأول عام 1901 بضرورة التحالف مع بريطانيا، لذلك تم التوصل إلى توقيع معاهدة تحالف بين بريطانيا واليابان في الثلاثين من كانون الثاني عام 1902 موجهة ضد روسيا، بموجبها في حالة نشوب حرب بين أحدهما ودولة أخرى بسبب المصالح في الشرق الأقصى، فإن الأخرى تلتزم جانب الحياد، أما في حالة دخول الحرب دولة أخرى، فإن الدولة المتعاقدة الأخرى تبادر إلى مساعدة حليفها، وكانت بريطانيا مشغولة حينذاك بحرب البوير، في الوقت الذي كانت فيه روسيا منهكة بحملتها على منغوليا، أما اليابان فقد اطمأنت بكسبها أكبر دولة بحرية إلى جانبها، وإن أية دولة أخرى لن تجرؤ على دخول الحرب إلى جانب روسيا. للمزيد من التفاصيل ينظر:

H. Seton-Watson, Op.Cit.pp.208-

210.

⁽⁹¹²⁾ **Memorandum by Col-E. A. Altham, Assistant Quartermaster-general 14 October 1902, Quoted in: R. Kumar, Op.Cit. p. 232.**

ذلك فان الاقتراح الذي يدعو إلى التفاهم مع ألمانيا لا يمكن تطبيقه , لأن برلين ستطالب بالكويت محطة نهائية لسكة حديد بغداد , وإذا ما وافقت بريطانيا على ذلك سيؤدي إلى وصول قوة أخرى في منطقة تريد بريطانيا احتكارها كلها لنفسها , أما الأدميرالية فقد أفصحت عن آرائها في المسألة , التي كانت متفقة مع وجهات نظر وزارة الحربية البريطانية , فظنت أن حصول بطرسبورغ على قاعدة بحرية في الخليج العربي , واختارت تحشيد قواتها البحرية هناك , فإنها ستُعَرِّض المواصلات البريطانية إلى الهند والشرق الأقصى إلى الخطر, وسيترتب عليه زيادة النفقات البحرية البريطانية, وإن مثل ذلك الحدث لا يمكن قبوله , لا من بريطانيا وحدها , بل وتحت ضغط القوى الشمالية في البلطيق , واليابان في الباسفيك , لن يُسمح لروسيا في أن تتمركز قواتها البحرية قرب مياه الهند⁽⁹¹³⁾.

لقد درست الجوانب الإستراتيجية للموضوع في مؤتمر عقد في لندن في عام 1902 شهدته ممثلو البحرية البريطانية ووزارة الحرب , ووزارة الخارجية ومكتب الهند⁽⁹¹⁴⁾, وكرر ممثلو وزارة الحرب والأدميرالية في هذا المؤتمر وجهات النظر نفسها التي سبق أن أدلت بها دوائرهم , فتحدث بالنيابة عن الأدميرالية الأمير "لويس باتنبيرغ" "Prince Louis Battenburg" مدير الاستخبارات البحرية, مؤكداً أن محطة روسية في الخليج العربي لن تشكل أية مشكلة لبريطانيا حينذاك , ما لم تحصن جيداً ويتم ربطها بآسيا الوسطى الروسية بوساطة سكة حديد , أما المتحدث باسم وزارة الحرب فقد قيّم رداءة القوة العسكرية البريطانية مقارنة بروسيا وأكد عدم استحسانه لاحتلال مواقع أمامية في الخليج العربي , على الرغم من أنها ستكون ضرورية للتراجع في حالة نشوب حرب , إلا أنه قدّم توصية تشير إلى أنه في حال احتلال روسي في الشمال , يجب على بريطانيا أن تحتل بصورة فورية بندرعباس وجزر هرمز وقشم وهنجام , فضلاً عن ذلك أن تراقب بريطانيا مصالحها في بوشهر وما يستلزم منها لاحتلال سيستان , على أن لا تحاول القيام بعمليات لاحتلال أقاليم أخرى⁽⁹¹⁵⁾.

وأقرّت لجنة الدفاع الإمبراطوري خطط الحكومة البريطانية العسكرية في اختيار قواعد بحرية في منطقة الخليج العربي , لتواجه أي ضرورة أو احتمال طارئ , فضلاً عن ان الإجراءات البحرية أُسند تنفيذها لحكومة الهند , فبدأت القيادة البحرية بالتنسيق مع مكتب الهند بدراسة التقارير المبدئية عن الموانئ والمرافئ الرئيسية في الخليج العربي , التي سبق أن كُلفَ بها الضابط البحري الأول "ه. أ. فيليبس" H. A. Phillips "في عام 1900 التي قام برفعها إلى حكومة الهند , وفي عام 1903 تمت عملية مسح لكل الساحل الشرقي للخليج العربي , ولجزء من ساحل إقليم مكران الإيراني, وقد أنجز هذا العمل "ه. ب. ت. سومرفيل" "H. B. T.

⁽⁹¹³⁾ Memorandum by Col-E. A. Altham, Assistant Quartermaster-general 14 October 1902, Quoted in: R. Kumar, Op.Cit. p. 233.

⁽⁹¹⁴⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. I . p. 370.

⁽⁹¹⁵⁾ R. Kumar, Op.Cit. pp. 233-234.

Somerville الذي كان قد أوفد خصيصاً من بريطانيا لتلك المهمة , يعاونه القائد " ت. و. كيمب " T. W. Kemp " الضابط البحري الأول في الخليج العربي , كان الهدف من عملية المسح هو تحديد المواقع التي تتيح أفضل المزايا لدولة أجنبية ذات قوات برية ضخمة , أن تنشئ لها ميناءً محصناً في السواحل الشرقية للخليج العربي , وقد حظي باهتمام خاص لتوافر التسهيلات في كل موقع مقترح , لربط الميناء عند إنشائه بالمناطق الداخلية بسكة حديد⁽⁹¹⁶⁾.

وكلفت القيادة البحرية البريطانية في حزيران من العام نفسه ممثلو بريطانيا السياسيين , في كل من بوشهر ومسقط وبندرعباس ولنجة , أن يخطروها تلغرافياً في المستقبل عن وصول أي سفينة أجنبية ورسوها وإقلاعها إذا ما كانت تلك السفينة , تحمل مقاتلين أو إمدادات أو ما يتعلق بذلك في موانئهم⁽⁹¹⁷⁾. لاسيما من روسيا لتتخذ الحكومة البريطانية الإجراءات المناسبة بهذا الصدد.

ونظراً لتزايد النشاط التجاري للدول الأجنبية لاسيما روسيا في إيران ومنطقة الخليج العربي , فقد وجهت الحكومة البريطانية وحكومة الهند إهتماماً خاصاً بالتجارة البريطانية والهندية في المنطقة , فأرسلت بعثتين تجاريتين لدراسة المشاكل التجارية هناك , الأولى أوفدت من بريطانيا في بداية عام 1903 برئاسة " ه. و. ماكلين " H. W. MacLean " المدير السابق للبنك الإمبراطوري في إيران , الذي شهدت له خبرته بإيران , ومعرفته الوثيقة بأحوال التجارة فيها بكفاءة تؤهله لرئاسة البعثة , التي قامت بزيارة مراكز التجارة الرئيسية , في كل من بندرعباس وبوشهر والبصرة وبغداد وكرمنشاه وهمدان وتبريز ومشهد وطهران وأصفهان , وكتب " ماكلين " رئيس البعثة ثلاثة تقارير قيمة عن التجارة البريطانية , الأول في الخامس من كانون الأول عام 1903 من طهران , وهو خاص بالتعريف الكمركية الإيرانية الجديدة , والثاني أكمله في رشت في العشرين من الشهر نفسه , يتطرق فيه إلى كل جوانب التجارة البريطانية في إيران , أما التقرير الثالث فكان خاص بعمان والبحرين والكويت , ويضم نتائج أبحاثه في هذه المناطق , وقد أرسله إلى لندن في الثاني عشر من نيسان عام 1904⁽⁹¹⁸⁾.

أما البعثة الثانية فكانت تحت إشراف حكومة الهند , التي تم تشكيلها في الثامن من الأول عام 1904 برئاسة " A. Gleadowe-- Newcomen " " تشرين " الذي كان إلى جانب خبرته الطويلة لمدة سبعة أعوام , واحد من أكبر مزارعي الشاي في الهند , أ. كيلداو- نيوكومن يتمتع بخبرة أخرى بأنواع التجارة الشرقية المختلفة , وصلت البعثة في الحادي والعشرين من الشهر نفسه إلى بندرعباس , ومنه سافرت إلى سعد آباد وكرمان وبام ويزد وشيراز وبوشهر , ومنها أبحرت إلى الهند في التاسع عشر من مايس عام 1905 , وقد اقتصر عمل البعثة على الشؤون التجارية فقط , وكانت علاقات المسؤولين الإيرانيين بالبعثة ودية أينما حلت , لكن ممثلو روسيا

⁽⁹¹⁶⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. I . pp. 370-371.

⁽⁹¹⁷⁾ Ibid . p. 379.

⁽⁹¹⁸⁾ Ibid. pp. 386-387.

في إيران بذلوا كل جهودهم للإيهام ، أنها بعثة سياسية ورائها أهداف خبيثة ، مما حمل الحكومة الإيرانية على أن تقوم بتقديم شكوى إلى الوزير المفوض البريطاني في طهران ، تزعم أن أعضاء البعثة كانوا يلتقطون الصُور الفوتوغرافية ويرسمون الرسوم التخطيطية ، وإنهم أفصحوا عن اهتمام بالغ بقوة الجيش الإيراني وتسليحه ، وإن أعضاءها ليسوا إلا ضباطاً ، لكن ضمانات المسؤولين البريطانيين هدأت من روع الحكومة الإيرانية، وبصورة عامة ، كانت البعثة ناجحة في أعمالها ، فبعد أن قطعت أكثر من 1790 ميلاً ، أُلقت الضوء على حال التجارة وأوضاعها العامة في جنوبي إيران⁽⁹¹⁹⁾، وكانت الحكومة البريطانية ترى إن من أهم أولوياتها ، أن لا تتسلط روسيا على كمارك جنوبي إيران ، فسارت بريطانيا على سياسة إقصاء روسيا تدريجياً عن كل علاقة لها بالكمارك في تلك المنطقة ، أو في الأقل في إقليم فارس وموانئ الخليج العربي ، لاسيما كمارك المحمّرة وجاسك وشاهبار وجواتر، ونظراً لاستمرار الضائقة المالية للحكومة الإيرانية ، بعد أن بلغ مجموع ديون إيران لروسيا حتى عام 1903، أربعة ملايين جنيه إسترليني تقريباً ، استغلت بريطانيا ذلك فقدمت قرضاً إلى الحكومة الإيرانية مقداره 200,000 جنيه إسترليني في الرابع من نيسان عام 1903، وقرضاً آخر مقداره 100,000 جنيه إسترليني في الأول من أيلول عام 1904، بوساطة البنك الإمبراطوري الإيراني (البريطاني) ، بضمان عائدات مصادد الأسماك في بحر قزوين ، ودخل البريد والبرق الإيراني وكمارك إقليم فارس وموانئ الخليج العربي⁽⁹²⁰⁾.

ورداً على النشاط الروسي في الساحل الشرقي للخليج العربي، المتمثل في إيجاد مراكز قنصلية جديدة، إذ افتتحت في بندرعباس في كانون الثاني عام 1904 وكالة قنصلية روسية هناك، وكان أول مَنْ عُيِّنَ فيها شخص إيراني هو محمد علي " سديد السلطنة " Sadid-us-Sultaneh، ثم ارتفع التمثيل إلى قنصلية وعُيِّنَ فيها أوفسينكو الذي تسلم منصبه في الرابع عشر من شباط عام 1906⁽⁹²¹⁾، وفي لنجة أُفتتحت في عام 1905 وكالة قنصلية تمثل روسيا وفرنسا معاً ، وهي مؤسسة فرنسية يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام 1899 وكان يديرها الوكيل الوطني الحاج عبدالرحمن، حصل توسُّع مقابل في التمثيل السياسي البريطاني، جاء نتيجة حتمية للنشاط المتزايد من الدول الأجنبية لاسيما من روسيا، ففي عام 1900 عُيِّنَ نائب قنصل بريطاني في بندرعباس، رفعت درجته في تشرين الثاني عام 1904 إلى قنصل ، وكان أول مَنْ أُسند إليه المنصب هو النقيب " و. ه. أ. شكسبير " W. H. I. Shakespear " ووسعت حدود القنصلية ، للإشراف السياسي على أقاليم أخرى في الساحل الغربي للخليج العربي ، وفي نيسان عام 1904

⁽⁹¹⁹⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. I . pp. 387-389 ; L. Frazer, Op.Cit. p. 124.

⁽⁹²⁰⁾ Ibid . Part. II. p. 2115; Ibid . p. 125; H. Nazem , Op. Cit. p. 15 ; D. Dilkes, Op. Cit. Vol. II. P. 61.

⁽⁹²¹⁾ S. R. G. I. F. D. Vol. VI. Administration Report on The P. Gulf. Political Resident For the Year 1905-1906, by W. H. I. Shakespear, Lieut (Late) Assistant Resident and his Britannic Majesty's Consul at Bunder Abbas, The 15th August 1906, p. 61.

رفعت درجة المقيم البريطاني في بوشهر إلى درجة القناصل، وأول من تولاها "برسي كوكس" Percy Cox "وأضيف في الوقت نفسه إلى المقيمة، منصب مساعد قنصل عُزِّرَ في عام 1905 بمساعد ثان، ورفعت درجة وكالة القنصلية البريطانية في المحمرة في بداية عام 1904 إلى درجة القنصلية، وكان أول من تولاها "و. مكدوال" W.Mc.Douall "بفعل الحاجة إلى تمثيل قنصلي أفضل في تلك المنطقة، كما أُقيمت في بداية العام نفسه وكالة قنصلية جديدة في الناصري بالأحواز، وأول من شغلها الملازم الأول "د. ل. ر. لوريمر" D. L. R. Lorimer " وألحقت بها حامية من الجنود الهنود⁽⁹²²⁾.

ولمواجهة استقدام الروس لعدد من رجال القوزاق حرساً لقنصلياتهم في إيران ومنطقة الخليج العربي، ازداد رجال الحرس القنصلي البريطاني عدداً ورتباً زيادة كبيرة، وكانت كل هذه الزيادات من الجنود الفرسان، وكان عدد الحرس القنصلي البريطاني في إيران ومنطقة الخليج العربي، 56 من المشاة الهنود و9 من الفرسان في بوشهر و5 من الفرسان في مشهد، كان المجموع الكلي 70 رجلاً، زيدَ في العام 1904 إلى الحرس 127 من الفرسان الهنود، تم توزيعهم على اثنتي عشرة قنصلية بريطانية في المنطقة، بينما ظل حرس المشاة والفرسان في بوشهر والمشاة الهنود في جاسك وشاهبار وعددهم 150 رجلاً، لحراسة محطات البرق في تلك الأماكن على حاله⁽⁹²³⁾.

ولإحكام بريطانيا سيطرتها على الكويت، أسندت في السابع من آب عام 1904 منصب المعتمد السياسي هناك إلى "الكابتن كنوكس" Captain Knox⁽⁹²⁴⁾، بدلاً من الوكيل الوطني الذي كان يدير الوكالة البريطانية منذ عام 1899 في الكويت⁽⁹²⁵⁾، وهكذا كانت بعض المواقف التي اتخذتها بريطانيا، لحماية مصالحها وزيادة نفوذها السياسي في منطقة الخليج العربي. ومما زاد من النفوذ السياسي البريطاني في منطقة الخليج العربي، هو حماية بريطانيا لرعاياها من الهنود المقيمين في بغداد وكربلاء والنجف، فقد كلفت حكومة الهند المقيم البريطاني العام في بغداد، وفقاً لاتفاقها مع ملك أود في الهند⁽⁹²⁶⁾، بتوزيع مبلغ يصل شهرياً⁽⁹²⁷⁾، إلى 7334 روبية، أي ما يعادل 750 جنيهاً إسترلينياً، وفقاً لسعر التبادل النقدي حينذاك، لأنفاقها

⁽⁹²²⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II. pp. 2127-2128.

⁽⁹²³⁾ Ibid. p. 2203.

⁽⁹²⁴⁾ A. K. Part . II . Vol. VI . Inclosure 2 in No. 135. Captain Knox to Major Cox , Koweit, August 8, 1904. p. 97.

⁽⁹²⁵⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II. p. 2678.

⁽⁹²⁶⁾ كانت طائفة من الهنود التي تدعى نواب، تسكن منذ أوائل عام 1821 في بغداد وكربلاء والنجف، وفي السابع عشر من آب عام 1825 تم التوقيع على اتفاقية، بين غازي الدين حيدر ملك أود في الهند وبين نائب الحاكم العام في الهند، نص بند منها على أن تقوم شركة الهند الشرقية بتوزيع جزء من أرث أود، على أعمال البر والخير في كربلاء والنجف، وبوفاة غازي الدين في عام 1827 وزوجته في عام 1849، باتت فقرات الاتفاقية بصدد أرث أود سارية المفعول، ابتداءً من العام الأخير (1849)، ثم جاء بعدها طائفة نواب أود عام

على أعمال البر والإحسان في تلك المدن , وكانت ضخامة هذه الوصية تمنح بريطانيا أهمية سياسية كبيرة , لاسيما حينما باتت صرف تلك الأموال لصالح الهنود , بأيدي مجتهد كربلاء والنجف من العلماء ورجال الدين⁽⁹²⁸⁾, الذين ظلوا لمدة طويلة عاملاً شديداً من عوامل الحياة السياسية , فقد أنظم جماعة منهم إلى صفوف منتقدي الحكومة الإيرانية التي أصابها الاضطراب في عام 1903, فأثارت انتقاداتهم للشاه ووزيره الأكبر, الأتابك الأعظم , قلق الحكومة الإيرانية , لاسيما ان أقوال المجتهدين سريعاً ما كان يتلقفها الشعب , سواء التي كانت متعلقة منها بالسياسة أم بالدين , لذلك لاغرو أن حاولت الحكومة الإيرانية , ومنذ البداية استرضائهم , لكن محاولاتها كانت من دون جدوى , ولما كان للحكومة البريطانية علاقة بالمجتهدين من العلماء ورجال الدين من خلال هبة أود , التي كان بعضهم مشرفين على توزيعها , فقد ظن الوزير المفوض البريطاني في طهران , أن الظروف قد تتحول لصالح البريطانيين , بالتدخل في السياسة الإيرانية, بل وليتحالفوا ايضاً مع الحكومة البريطانية بشكل من الأشكال لصد النفوذ الروسي في إيران , واتخذت خطوات في عام 1903 لتنفيذ هذا المقترح لكنها لم تؤد إلى نتيجة تذكر, لرفض المجتهدين من الدخول في علاقات ودية وثيقة مع ممثل الحكومة البريطانية , فاستغلت الحكومة الإيرانية في العام التالي هذه المفاوضات البريطانية , لتوغر صدر الباب العالي ضد المجتهدين , بعدهم ممن ينشؤون علاقات مع دولة أجنبية , مما دفع الباب العالي إلى قمع نشاطهم بقسوة في العام نفسه , بتحريض الحكومة الإيرانية⁽⁹²⁹⁾, ومع ذلك كان هناك ما يقرب من ستمائة من المجتهدين من العلماء ورجال الدين في إيران , يتقاضون رواتبهم من السفارة البريطانية في طهران والقنصلية البريطانية في بغداد , للإفادة منهم وإعدادهم للمستقبل لاسيما لمنع الشاه من بيع إيران لروسيا⁽⁹³⁰⁾.

رافق التخوف البريطاني من روسيا صراع دبلوماسي , أثار الكثير من النقاش في الدوائر البريطانية , لاسيما بعد حصول الألمان في عام 1903 على الاتفاق النهائي لمشروع سكة حديد بغداد , لتبني سياسة جديدة , بإيجاد تقاهم بريطاني - روسي وإقامة نوع من التقارب بينهما , بصدد إيران ومنطقة الخليج العربي.

1850, وانتشرت في كربلاء والنجف, ومنذ ذلك الحين أخذت أعدادهم بالازدياد. ينظر :

ج. ج. لوريمر, المصدر السابق, ج 4, ص 2075 – 2079.

(2) Mesopotamia, Hand book, No. 63, Official, Op.Cit. p. 25.

(3) J. G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I. part . I. p. 264.

⁽⁹²⁹⁾Ibid. p . 348.

(930) خضير مظلوم فرحان البديري , المصدر السابق , ص 165 – 166.

الإتفاق النهائي بين بريطانيا وروسيا بشأن إيران ومنطقة الخليج العربي في عام 1907.

ظهرت فكرة التقارب البريطاني . الروسي لأول مرة , في مجلة " فورتنكلي رفيو " " Fortnightly Review " الصادرة في الأول من تموز عام 1901 في مقالة بعنوان "سياسة روسيا الخارجية " , قام كاتبها بإخفاء اسمه الحقيقي تحت اسم " Calchas " , حذر فيها من استمرار التنافس البريطاني - الروسي الذي لا تستفيد منه سوى ألمانيا " , ومن الحماسة الاستمرار بمثل هذا التنافس " , أن إيران تمثل المكانة الأولى في الاحتكاك بين الدولتين , وقد أوضحت روسيا أنها ليس لديها مخططات بشأن الهند , وكل ما تطمح له هو منفذ في الخليج العربي , وفي ضوء هذه الحقائق فمن غير المنطقي الاستمرار في الاحتجاج , ضد القاعدة الروسية في الخليج , لاسيما بعد ان ظهرت ألمانيا منافساً قوياً في الشرق الأوسط , وما إن تحقق روسيا طموحاتها في إيران , فأنها ستتجه نحو البلقان , وستقع مسؤولية كبح جماحها هناك , على عاتق محور فيينا - برلين , أن ما واجهته بريطانيا من تطلعات روسية باتجاه الخليج العربي , فضلاً عن تصادم المصالح البريطانية الألمانية , أدى إلى محاولة التقارب بين بريطانيا وروسيا , فقد دعا بعض الساسة البريطانيين إلى ضرورة إقامة إتفاق دولي مع روسيا , حتى وأن أدى ذلك إلى منحها قاعدة بحرية في الخليج العربي , وتأكيداً لهذه السياسة فقد أشار " رولاند بلانرهاست " " Rowland Blannerhasset " , المتحمس للتقارب البريطاني . الروسي في صحيفة التايمز في الحادي والثلاثين من آب عام 1901 , إلى أن مفهوم سياسة خارجية ذات قيمة لبريطانيا تتوافق مع مصالحها , في التوصل إلى اتفاقية ودية مع ألمانيا أشبه " بوهم حزين " , أن الساسة الألمان وفقاً لما يروه من ضرورة اقتصادية , قد تبنا سياسة مختلفة عن السياسة البريطانية , لذلك ينبغي أن يتوصل البريطانيون إلى تفاهم مع الروس ⁽⁹³¹⁾.

وكان اللورد " كيرزن " يعجب من بعض الساسة والصحفيين الذين يشيرون , إلى أن روسيا لا ينبغي منعها من الحصول على قاعدة في الخليج العربي , تكون مدخلاً لها إلى المحيط الهندي , فيؤكد أنهم بذلك يرحبون بإنشاء بورت آرثر في الخليج , وإذا كان طموح روسيا لأهداف تجارية , فيمكنها أن تحقق ذلك في بحر البلطيق والبحر الأسود أو في المحيط الهندي , لا في الخليج العربي ⁽⁹³²⁾ , فضلاً عن انه يشير إلى أنه من الخطأ الظن , أن طموح روسيا في الوصول إلى الخليج العربي كان لأهداف اقتصادية , إنما كان طموحها لأهداف سياسية وإستراتيجية , أنها أرادت بناء قاعدة عسكرية قوية في مياه الخليج العربي القريبة من الهند , التي سوف تربطها بالسكك الحديدية في آسيا الوسطى , وهنا يتساءل " كيرزن " عن ماهية الطموح الروسي؟ فيجيب

⁽⁹³¹⁾ R. Kumar, Op.Cit. pp. 224 – 225.

⁽⁹³²⁾ L. Frazer, Op.Cit. p. 114.

أن ما أثير أن القاعدة في الخليج , لن تضيف إلى قوة روسيا شيئاً , لأنها لا تملك أسطولاً بحرياً للدفاع عن القاعدة البحرية , لكن مع طموحاتها في البسفور وفي بحار الصين الشمالية وفي الخليج العربي , سوف يبرز مستقبل روسيا بعدها قوة بحرية مرعبة , وأن دخول روسيا في الخليج العربي سوف يسبب مشاكل جدية لبريطانيا , وأن إمبراطورية الشاه ستكون أشبه بحالة خانيات آسيا الوسطى , فضلاً عن ذلك سيحتم وجود الأسطول العدائي في الخليج العربي , إلى زيادة قوة أسطول الهند , مما يؤدي إلى زيادة التزامات الهند العسكرية والبحرية , لذلك فـدّد "كيرزن" الآراء التي كانت ترى في إمكانية التفاهم مع روسيا , وقد إستندت فكرة التفاهم البريطاني- الروسي على أسس زائفة , لأن روسيا ستحصل على أكبر المكاسب في حين " ستكون التضحية المفرطة من جانبنا فقط" (933).

وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا منشغلة في مسألة منع روسيا من الوصول إلى الخليج العربي , كانت تواجه مشروعاً آخر لا يقل خطورة على مصالحها في الخليج , وهو المشروع الألماني بمد سكة حديد بغداد إلى الخليج العربي , فقد كانت نظرة بعض الساسة البريطانيين إلى المشروع الألماني , حينما رسا على الممولين الألمان في عام 1899 على انه تقدم سلمي من ألمانيا في الشرق , لا يمثل أي تهديد لبريطانيا , وكان الانطباع السائد حينذاك , أن التوسع الألماني في الدولة العثمانية من شأنه , أن يسدّ الطريق أمام التوسع الروسي في الشرق الأوسط , حتى ان الامبرياليين " جي. شامبرلين " " J. Chamberlain " و " سيسل رودس " " Cecil Rhodes " , قد أبديا رغبتهما في إشراك ألمانيا في القضايا الكولونيالية في المنطقة , ذلك لأن بريطانيا كانت تشك في النوايا الروسية أكثر من الألمانية (934).

وفي السياق نفسه لم تقم روسيا بعرقلة تنفيذ مشروع سكة حديد بغداد , بل حاولت إقناع بريطانيا بعدم المساهمة مالياً في تكاليفه , وأيدت الصحافة الروسية موقف الساسة الروس من المشروع كصحيفة " الأزمنة الحديثة " التي نشرت في آب عام 1901 , مقالتين أكدت في الأولى على أن المشروع الألماني لا يخدم إلا المصالح الألمانية فقط , وانتقدت موقف بريطانيا من المشروع , وعدّت مساهمتها فيه أو تأييده تدميراً لمصالحها , لأنها تساعد ألمانيا على الوصول إلى الخليج العربي , وأكدت في المقالة الثانية أن مساندة بريطانيا للمشروع , يعني مساهمتها في فتح الطريق للبضائع الألمانية في أن تصل إلى الهند , وفي الوقت نفسه هاجمت الصحيفة مساندة فرنسا للمشروع , وعدّت مساهمتها فيه بأنه مناقض لمضمون الاتفاق الروسي- الفرنسي لعام 1891 (935).

ومع ذلك استمر الساسة البريطانيون ينظرون إلى إنشاء الألمان لسكة حديد بغداد بعين العطف , ويميلون في الوقت نفسه إلى المشاركة في إنجازها , ففي آذار عام 1902 أخبر

(933) R. Kumar, Op.Cit. pp. 226 – 227.

(934) E. M. Earle, Op.Cit. p. 178.

(935) نوري عبد البخيت, روسيا ومشروع سكة حديد بغداد , ص 54 – 55.

"لانسدون" وزير الخارجية البريطاني , " مترنيخ" Metternich "السفير الألماني في لندن , أننا لم ننظر إلى المشروع بشكل غير ودي , لكن إذا كان يتوجب انجازه من خلال دعمنا ومساعدتنا الحميدة , فينبغي ان نتوقع الحصول على حصة تكون على الأقل مساوية للحصص الممنوحة للدول الأخرى⁽⁹³⁶⁾, وذلك فيما يتعلق بالرأسمال المستخدم في إنشاء السكة , وباحتياجاتها من المواد وبالإدارة عند إنجازها , وقد ردّ مترنيخ أن الباب كان مفتوح على حد علمه , ولا يوجد أي سبب لعدم استثمار أي مقدار من الرأسمال البريطاني في المشروع⁽⁹³⁷⁾, حتى " أن أ. ج . بلفور " A. J. "Balfour" (1902. 1905) رئيس الوزراء البريطاني فضل المشاركة مع الألمان , وصرّح في السابع من نيسان عام 1903 في مجلس العموم " أنه من دون التشكيك بقدرة الحكومة البريطانية في عرقلة أو تأخير المشروع , لكنه سينفذ , سواء شاركنا أم لم نشارك به... وهل من المعقول ان يكون هناك أقصر طريق إلى الهند , في أيدي الرأسماليين الفرنسيين والألمان فقط ؟ " مؤكداً الفوائد التي ستجنيها بريطانيا من مشاركتها في المشروع⁽⁹³⁸⁾.

ان مقترحات بلفور هذه تم استقبالها بترحيب كبير في برلين , فأبدت بعض الصحف الألمانية مثل صحيفة " فوزج " "Vossische" و" ناشنال " "National" في الثامن من نيسان عام 1903, عن أملها في موافقة مجلس العموم البريطاني على المشاركة في المشروع , لكن الصحافة في لندن شنت حملة من الانتقادات اللاذعة على تصريح بلفور , فالصحف البريطانية مثل " الديلي ميل " "The Daily Mail" و"التايمز" و"الناشنال ريفيو" "National Review" وغيرها , وجهت سيلاً من الشتائم والقدح ضد النشاطات الامبريالية الألمانية بشكل عام , وضد سكة حديد بغداد بشكل خاص , وحتى ان إحدى الصحف وهي " السبكتوتر " "The Spectator" كتبت في افتتاحيتها في الخامس عشر من نيسان عام 1903, تحت البريطانيين على القيام بأي شيء يلحق الضرر بألمانيا , وكانت تذكر قراءها

بعدم ودية الألمان إنشاء حرب البوير⁽⁹³⁹⁾, وترى الصحيفة أن المشاركة البريطانية في بناء سكة حديد بغداد, سيقوي الشكوك لدى روسيا تجاه السياسة البريطانية , مما يدفعها إلى أن تنشئ سكة حديد من منشوريا ومدّها باتجاه إيران⁽⁹⁴⁰⁾.

(936) يقصد بها فرنسا , لأن أصحاب الأموال الفرنسيين كانوا مساهمين في مشروع سكة حديد بغداد , جنباً إلى جنب مع الممولين الألمان.

(937) F. O. 371/148/2490, No. 71, The Marques of Lansdowne to Sir F. Lasselles , Foreign Office, March 18, 1902.

(938) Quoted in: E. M. Earle, Op.Cit. pp. 181 – 182.

(939) " فان إمبراطور ألمانيا أوقف نفسه حامي البوير , ومناهض للسياسة الانكليزية " ينظر :

بغض الألمان لانكلترا سببه ومعناه , مجلة المقتطف , ج4 من المجلد السابع والأربعين في 11 تشرين الأول سنة 1915 , ص 350 – 351.

لقد كشف " كلاينتون دوكنيس " "Clinton Dowkins" من مجموعة "موركان" "Morgan" وهي إحدى المؤسسات المالية البريطانية , عن الأسباب التي جعلت الصحافة البريطانية تتخذ هذا الموقف, وذلك في رسالة بعث بها إلى " كينفر " "Cwinner" (مدير البنك الألماني) في الثالث والعشرين من نيسان عام 1903 " من الذي يحرض هذه الصحف ؟ ومن أين تستقي معلوماتها ؟ ان انطباعي الخاص ان هذه التحريضات تنطلق من مصادر روسية , فالضجيج الذي ترفعه صحيفتا التايمز والناشنال رفيو تتلقفها على الفور كل الصحف البريطانية" (941) .

وما أن حل عام 1903 حتى اشتد اهتمام البريطانيون بالمشروع الألماني , واتخذ شكلاً تهيم عليه دوافع استراتيجية , من النوع الذي أكد عليه المختصون منذ زمن سكة حديد الفرات , التي لم يقدر لها النجاح , فلم تعد روسيا إنما غدت ألمانيا هي التي تمثل ذلك الخطر عند البريطانيين, وكان امتياز سكة حديد بغداد الذي استقر حينذاك على شاكلته المعلومة , هو الحافز لهذا التبدل الخطير, ولقد أسهم الرأي العام البريطاني في هذا الاتجاه مساهمة شديدة , واتفقت معه الحكومة نهائياً , فشكّل المشروع الألماني في بريطانيا الفيصل في تحديد مصير نفوذها في الخليج العربي , ورجحان كفتها في وادي الرافدين , وما لذلك من علاقة وثيقة بمركزها في الهند وغيرها من بلاد الشرق , فاتخذت منذ عام 1903 موقفاً شديداً ضد أية محاولة ترمي إلى اتصال السكة بالخليج العربي , وضد أي اتجاه لإزدياد النفوذ الألماني إلى ما يقارب نفوذها هناك⁽⁹⁴²⁾, لقد أجبرت هذه الظروف , حملة الصحافة , المعارضة البرلمانية للمشاركة البريطانية في المشروع⁽⁹⁴³⁾ , رئيس الوزراء " بلفور " أن يعلن في مجلس العموم البريطاني في الثالث والعشرين من نيسان عام 1903

أن الحكومة البريطانية قررت سحب دعمها للمشروع مالياً أو بأية وسيلة أخرى⁽⁹⁴⁴⁾, فالسيطرة على الخليج العربي بوصفه مركزاً مهماً للدفاع عن الهند, غدا المبرر الرئيس لمقاومة بريطانيا لسكة حديد بغداد⁽⁹⁴⁵⁾, تلك السكة التي عدتها بريطانيا طريقاً مختصراً إلى الهند , غير أنه طريق مختصر على , حد وصف " موريس جاسترو " " M . Jastrow " "برلين لا للندن" ⁽⁹⁴⁶⁾, أن تخوف البريطانيين من سكة حديد بغداد وتهديدها للهند , مبني على فرضيات منها, ان امتلاك الألمان لسكة حديد بغداد سيمكنهم من الوصول بوساطة السكة , من هامبورغ إلى الخليج

(940) E. M. Earle, Op.Cit. pp. 181 – 183.

(941) Quoted in: Ibid . pp. 186 – 187.

(942) Z. Saleh, Op.Cit. pp. 266 – 268.

(943) للمزيد من التفاصيل عن موقف بريطانيا من مشروع سكة حديد بغداد , بعد اتفاقية الخامس من آذار عام 1903. ينظر:

F. O. 371/148/2490, The Baghdad Railway Convention of March 1903, part . II ;

فواز مطر نصيف الدليمي, المصدر السابق , ص 172 – 211.

(944) F. O. 371/148/2490, The Englo – German Negotiations of 1903. part . III.

(945) E. M. Earle, Op.Cit. p. 198.

(946) Quoted in: M. Jastrow, Op.Cit. p. 100.

العربي بسبعة أيام , ولا يبقى أمامهم سوى أربعة أيام أخرى , بوساطة السفن للوصول إلى الهند , مما يؤدي إلى تعرض بريطانيا هناك للخطر, فضلاً عن ذلك ان قناة السويس التي هي الطريق المختصر البريطاني إلى الهند , ستدخل في منافسة خاسرة مع سكة حديد بغداد , التي تعدّ الطريق الأقصر, وتمتلك امتيازات مفضلة على القناة في جميع الميادين⁽⁹⁴⁷⁾.

وفي غضون ذلك ظهرت في نهاية عام 1903 فكرة جديدة في بعض الصحف الروسية, مفادها أنه لا بد من التوصل إلى تحالف ثلاثي في شرق آسيا , بين بريطانيا وروسيا وفرنسا, محذرة في الوقت نفسه من الاتفاق مع ألمانيا , التي عدّت العدو المشترك لهذه الدول⁽⁹⁴⁸⁾, وكان التوتر السياسي بين بريطانيا وروسيا في نهاية العام نفسه , قد وصل إلى نهايته تماماً , فأوقفت روسيا تنفيذ أخطر مشروعاتها المتمثلة , بإيجاد قاعدة بحرية لها في الخليج العربي, ولم يبق إلا النشاط التجاري الذي ظلّت منغمسة فيه , عن طريق تمثيلها القنصلي المتسع في منطقة الخليج العربي , وقد صدّ البريطانيون بقوة جميع الهجمات التي سدّت إلى سيطرتهم ونفوذهم في سائر المواقع ولم يخسروا شيئاً , حتى حينما كانت كل الظروف الدولية في صالح أعداء بريطانيا [أثناء حرب البوير], فتمكن البريطانيون من أن يضعوا عقبات فعالة ضد الخطر الروسي , الذي كان يتهدهم في إيران ومنطقة الخليج العربي⁽⁹⁴⁹⁾ .

وكانت بريطانيا ولمدة طويلة أقل اهتماماً بالقوة العسكرية الألمانية الجديدة , من اهتمامها بمصالح روسيا الاستعمارية في آسيا , ومطامع فرنسا الاستعمارية في أفريقيا , لكن لما أضافت ألمانيا إلى تفوقها العسكري في القارة الأوروبية , ونمو قوتها البحرية , وإصرار ساستها على التدخل في النشاط الاستعماري , لاسيما حصولها على سكة حديد بغداد , التي تشكل خطراً جسيماً على المصالح البريطانية في الخليج العربي , ومن ثم جعلت مكانة بريطانيا قلقة وغير ثابتة في الشرق , شجع ذلك بريطانيا ملكاً وحكومةً بل وحتى شعباً على التقرب من فرنسا , التي وقّعت معها الوفاق الودي في نيسان عام 1904, الذي أزال العديد من المشاكل الاستعمارية بين الدولتين , وقد اعترفت بريطانيا بموجبه بالمصالح الفرنسية في المغرب , مقابل اعتراف فرنسا بالمصالح البريطانية في مصر⁽⁹⁵⁰⁾, وعلى الرغم من ترحيب مجلس العموم البريطاني به , الذي أمّن مركزاً بريطانياً في مصر, وضمن سلامة قناة السويس من هجوم فرنسي من السودان , إلا أن " اللورد روزبري " " Lord Rosbery " زعيم حزب الأحرار حينذاك , لاحظ أن ألمانيا ,

⁽⁹⁴⁷⁾ Ibid . pp. 97 - 101.

⁽⁹⁴⁸⁾ H. Nazem, Op.Cit. pp. 15 - 16.

⁽⁹⁴⁹⁾ J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. I . pp. 393 - 394.

⁽⁹⁵⁰⁾ E. M. Earle, Op.Cit. pp. 202 - 203; H. Seton-Watson, Op.Cit. pp. 311 - 313;

هـ. أ. ل. فشر, المصدر السابق, ص 412.

وعن نص المعاهدة ينظر:

J. G. Hurewitz, The Middle East and North Africa in World Politics, pp. 507 - 510.

وهي أقوى دولة حربية في أوروبا ، لم يؤخذ رأيها في مسألة المغرب ، فانتقد الوفاق الودي ، معبراً عن رأيه أن ذلك سيقود بريطانيا في النهاية إلى حرب مع ألمانيا⁽⁹⁵¹⁾.

إن اضطراب الموقف الدولي وازدياد حدة التسلح ، وعدم إمكانية الوقوف بوجه التحديات الألمانية الشديدة ، أدى إلى ازدياد الحاجة إلى تقوية الوفاق الودي ، الأمر الذي كان يتطلب تحسين العلاقات البريطانية- الروسية ، لكن كان لا يزال هناك تيار مناهض لهذا التقارب سواء أكان داخل بريطانيا أم داخل روسيا ، أن العائق الأساس الذي كان يعرقل تقوية هذه العلاقات ، هو التنافس الحاد بين الدولتين في إيران⁽⁹⁵²⁾، ومنطقة الخليج العربي حينذاك.

لم يكن توجه بريطانيا وروسيا إلى طاولة المفاوضات لحل خلافاتهما الطويلة الأمد ، قد انطلق من رغبة أنية إنما بفعل عوامل داخلية وخارجية ، فقبل كل شيء كان للحلف البريطاني- الياباني لعام 1902 أثر مهم ، في تشجيع اليابانيين على قطع علاقاتهم الدبلوماسية ، في الخامس من شباط عام 1904 مع الروس ، بسبب تنافسهم الاستعماري في الشرق الأقصى ، في الصين وكوريا ، وقيامهم في ليلة الثامن على التاسع من الشهر نفسه، بشن هجوم مباغت على السفن الروسية في بورت آرثر الصيني ، ونال اليابانيون نصراً بعد آخر، انعكس ذلك سريعاً في نظرة الروس إلى بريطانيا ، أنها العدو الرئيسي⁽⁹⁵³⁾ .

ففي الوقت الذي كان فيه القيصر الروسي يظهر لطفه وتودده إلى " تشارلس هاردنك " " Charles Hardinge " السفير البريطاني في بطرسبورغ ، أثناء سير العمليات العسكرية الروسية- اليابانية ، إلا أنه كان يظمر عكس ذلك لبريطانيا ، ففي إحدى رسائله المتبادلة مع " وليم الثاني " (1888-1918) الإمبراطور الألماني في السادس عشر من تشرين الأول (29 تشرين الأول) عام 1904، وصف البريطانيين بـ " أعدائنا الحقراء "، ومن جانب آخر كان وزيراً خارجية بريطانيا وروسيا شديدي التوق لتفادي الحرب ، ويرغب أن تبذل الحكومة الفرنسية مساعيها ، للتوفيق بين حليفها القديمة وصديقتها الجديدة ، بما ينسجم مع التحالف المقدس⁽⁹⁵⁴⁾، وحينما أنهكت الحرب روسيا واليابان رغبتاً بإنهاءها ، إلا أن بريطانيا كانت تعوّق ذلك لتستمر

E. M. Earle, (951) هـ. أ. ل. فشر، المصدر السابق، ص 412؛
Op.Cit. p.20

(952) نوري السامرائي، الصراع الروسي- البريطاني في إيران عشية الحرب العالمية الأولى، مجلة الخليج العربي، المجلد الثامن عشر، العدد 3 - 4، جامعة البصرة 1986، ص 46.

(4) H. Seton-Watson, Op. Cit. pp. 212 - 217.

(954) التحالف المقدس الذي تكوّن في السادس والعشرين من أيلول عام 1815، من الدول الأوروبية الثلاث روسيا وبروسيا والنمسا ، الذي أوحى إليه ألكسندر الأول استمر حتى عام 1826، وكانت سياسته تهدف إلى مقاومة مبادئ الحرية والقضاء على الحركات الثورية ، وقد اصطدم هذا التحالف بشكل عنيف بفلسفة بريطانيا السياسية ، الأمل إلى الحرية. ينظر: هـ. أ. ل. فشر، المصدر السابق، ص 119.

الحرب ولتحصل بريطانيا على أفضل الشروط , عند التفاوض مع روسيا لإنهاء مشاكلهما في آسيا , لكن بتدخل الرئيس الأمريكي "تيودور روزفلت" "Theodore Roosevelt" (1901- 1909) تم التوقيع على معاهدة "بورتسموث" في ولاية "نيوهامبشير", في الخامس من أيلول عام 1905 التي أنهت الحرب بين الجانبين , وقد وقعها عن الجانب الروسي رئيس الوزراء فيتته , بموجبها اعترفت روسيا بخسارتها , فتنازلت عن بورت آرثر وكوريا والجزء الجنوبي من منشوريا⁽⁹⁵⁵⁾.
أن الحكومة الروسية التي خسرت الحرب ضد اليابان , وتحملها ديون ضخمة لفرنسا بلغت أربعمائة ألف جنيه إسترليني , واضطراب أوضاعها الداخلية كثيراً بسبب ثورة عام 1905, وتوقف نشاطها التجاري في الخليج العربي , غدت مضطرة إلى الاتفاق مع البريطانيين , بشأن تقسيم مناطق النفوذ في إيران للتفرغ لمعالجة مشاكلها الداخلية⁽⁹⁵⁶⁾, وكان الخوف الأزلي لدى البريطانيين من وصول الروس إلى الخليج العربي , أو البوابة الشمالية للإمبراطورية البريطانية في الهند , وهو ما جعل حكومة الهند تتفق الأموال الطائلة , في سبيل دعم موقفها بوجه المنافسة الدولية , وبهزيمة روسيا تشجعت بريطانيا للتفاهم معها , أملاً منها في الوصول إلى اتفاق يقلل من الإنفاق العسكري الكبير , وإبعاد الروس من الوصول إلى الخليج العربي , والتفرغ لمواجهة ألمانيا التي عدت العدو المشترك الجديد هناك , فضلاً عن ذلك فان مما دفع الدولتين إلى التفاهم

هو قيام الثورة الدستورية الإيرانية⁽⁹⁵⁷⁾ في عام 1905 التي مست مصالح كلا الجانبين .
كان المتنافسون البريطانيين والروس , يخشون ان يمنح التحول الجذري في إيران الآخرين فرصة في النفوذ إلى البلاد , لذلك كان كلاهما يرغب في بقاء القاجار حكاماً صوريين لدولة إيران العاجزة , فقد انعكست مشاكل روسيا القيصرية في بداية القرن العشرين على الساحة الإيرانية , وابتهج الكثير من الإيرانيين لهزيمتها على أيدي اليابانيين , وبعثت الانتفاضات الثورية داخل روسيا بالآمال أيضاً في نفوسهم , بأن الضغوط الاقتصادية والسياسية الروسية ستزول عن بلادهم , في حين عبرت المبادئ الثورية من روسيا الحدود الإيرانية , يحملها معهم اللاجئين

⁽⁹⁵⁵⁾ H. Seton-Watson, Op.Cit. pp. 212 - 217.

⁽⁹⁵⁶⁾ Ibid. p. 224.; L. Frazer, Op.Cit. p. 8 ; P. Sykes, Op.Cit. p.380 ; M. C. Wren, Op.Cit. pp. 485 – 486 ; I. Spector, Op.Cit. p. 175.

⁽⁹⁵⁷⁾ للمزيد من التفاصيل عن الثورة الدستورية الإيرانية (1905 – 1911) ينظر:

M. S. Ivanov, Op.Cit. pp. 201 – 222 ; P. Sykes, Op.Cit. pp. 401 – 405 ; E. G. Browne, The Persian Revolution of 1905 - 1909, London 1966 ;

عبد الله لفته البديري , المؤسسة الدينية في الثورة الدستورية الإيرانية (1905 – 1911) , رسالة ماجستير ,

كلية التربية جامعة واسط , 2005 .

الذين كانوا مسؤولين نقابيين ، يعملون بين الأذربيجانيين في حقول نفط باكو ، ومن ناحية أخرى فان قلب الحركة الدستورية الإيرانية ، لا يكمن في مجموعة صغيرة من الشباب المتطرف ، ممن تأثروا بالفكر الثوري الأوربي ، بل بين الطبقة المتوسطة من تجار السوق ورجال الدين ، المرتبطون بقوة بالتراث الإيراني الديني والاجتماعي، وفي عام 1905 ظهرت بوادر محنة اقتصادية أخذت تهدد تلك المجموعة المتطرفة ، فتفاقمّت التظاهرات الجماهيرية ضد الأوضاع الاقتصادية المتدهورة ، بسبب مرض الكوليرا ، والانتفاضة الثورية في روسيا ، والحرب الروسية-اليابانية ، التي عطلّت التجارة في شمال إيران ، ورفع أسعار الغذاء ، وتقليل الواردات الحكومية من رسوم الكمارك ، مما أدى إلى قيام إضراب عام في تموز عام 1906⁽⁹⁵⁸⁾.

لقد كانت السياسة الإيرانية الداخلية والخارجية ، تسير وفقاً لرغبة الدولتين المسيطرتين عليها ، مع وجود خلافات شديدة بينهما، وقد وصل الأمر أن امتد نفوذهما للحركات الوطنية الإيرانية ، فعندما قامت الحركة الدستورية الإيرانية أيد البريطانيون الحركة ، وعملوا على تشجيعها ودعمها مادياً وأدبياً ، وفي الوقت نفسه أيدت روسيا القيصرية نظام الشاه الاستبدادي ، وحفنة من محترفي السياسة الإيرانية من أعوانه وأقربائه ، من أصحاب الأراضي والثروات الضخمة ، للمحافظة على الامتيازات الروسية الكبيرة في إيران، وقد أعتصم المطالبون بالإصلاح في مساجد طهران ، ومسجد الشاه عبد العظيم بمدينة الري القريبة من طهران ، التي تعد من أكبر المراكز الروحية في إيران ، اعتراضاً منهم على موقف الحكومة ، فاعتصم في آب عام 1906 ما يقرب من اثني عشر ألف شخصاً في السفارة البريطانية ، نكاية بالشاه وهرباً من قوات القوزاق ، التي كان يقودها الضابط الروسي " الكولونيل لياخوف " Colonel Liakhov " ، الذي أشاع الرعب والهلع في قلوب الإيرانيين ، مما دفع علماء الدين إلى التهديد أنهم سيتركون البلاد ، على شكل هجرة جماعية هرباً من الحكم الاستبدادي القائم ، وأحدث هذا التهديد رد فعل عنيف في سائر المدن الإيرانية ، إذ كانت أكثر المسائل العامة والقانونية ، تدار من رجال الدين حينذاك⁽⁹⁵⁹⁾ ، فاضطر الشاه وبتدخل المفوضية البريطانية في طهران ، إلى إقالة ، عين الدولة ، رئيس الوزراء ، ونصب بدلاً منه الليبرالي ميرزا نصرالله خان ، مشير الدولة ، في الخامس من آب عام 1906 ، ووقع في اليوم نفسه على لائحة ، لتأسيس المجلس الوطني الدستوري⁽⁹⁶⁰⁾ ، وبذلك حققت الحركة الوطنية الإيرانية أولى أهدافها ، بحصول إيران على النظام البرلماني لأول مرة في تاريخها.

(958) جون ليمبرت ، إيران حرب مع التاريخ ، ترجمة حسين عبد الزهرة ، مركز الدراسات الإيرانية جامعة البصرة 1962، ص 104 - 105؛ نيكي، ر. كيدي ، الثورة الإيرانية والجمهورية الإسلامية ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، مجلس قيادة الثورة ، بغداد 1984، ص 22 - 23.

(959) P. Sykes, Op.Cit. pp. 400 - 403 ; H. Nazem, Op.Cit. p. 18.;

عبدالسلام عبدالعزيز فهمي ، المصدر السابق ، ص 21 - 22.

(960) P. Sykes, Op.Cit. pp. 402 - 404.

لقد ساندت بريطانيا الثورة في بدايتها انسجاماً مع مصالحها , طالما أن الشاه وبلاطه لا يزالان يخضعان لسيطرة الدبلوماسية الروسية , لذلك أدرك الساسة البريطانيون أنه لابد من تغيير النظام القديم , فلم يعدّ الشاه إلا دمية روسية لا يمكن الاعتماد عليها , وعدم جدوى إصلاح الماكنة الإدارية الإيرانية لأنها استهلكت , ومن الأفضل تزويد إيران بماكنة إدارية جديدة تحقق الأهداف البريطانية⁽⁹⁶¹⁾, ومع تطور الحركة الوطنية الشعبية في إيران بدأ مركز روسيا يتأرجح فيها , فحينما تم ترشيح "نوس" البلجيكي , مسؤول الكمارك الإمبراطورية الإيرانية , لتمثيل إيران في أيلول عام 1906 في المفاوضات التي ستعقد في بطرسبورغ , وتتناول بعض المسائل المالية مع روسيا , رفضت الحكومة الإيرانية ترشيحه , لشعورها بالريبة من لهفة روسيا على إرساله ممثلاً عنها , واستجابة للسخط الشعبي شن المجلس الوطني الإيراني حملة على دائرة الكمارك , وطلب التحقيق عن مدى مسؤولية نوس في ارتكابه جرائم الرشوة والفساد , وأنه جمع لنفسه ثروة طائلة بطرق غير مشروعة , وأصرّ المجلس على أن يُحرم من لقبه وسلطاته , ورضخ الشاه بعد تردد فنحى نوس من منصبه , ولم تقم أي من المفاوضات الأجنبية في طهران بأي عمل حاسم إزاء ذلك , لا المفاوضات البلجيكية ولا الروسية , فأصبح مستقيل الكمارك الإمبراطورية الإيرانية غامضاً⁽⁹⁶²⁾.

ووقفت بريطانيا وروسيا تتظران بعين القلق , لما ستتمخض عنه الأحداث الإيرانية بعد أن قلت الزمام من أيديهما , فظهر تغير جذري في سياستهما , لظهور ألمانيا قوة أوربية جديدة , وأصبح صوت برلين يسمع في إيران , أكثر من صوت لندن وبطرسبورغ , وتعاطف الشعب الإيراني مع الدعايات الألمانية⁽⁹⁶³⁾, أملاً في أن تنقذهم ألمانيا من براثن الاستعمارين البريطاني والروسي , مما جعل الدولتين المتنافستين تضطران إلى التعايش السلمي , لمواجهة الخطر الألماني الجديد , وكان على بريطانيا الإسراع في تحقيق ذلك العمل , الذي يخفف كثيراً من الأعباء المالية , والعسكرية , والسياسية , على حكومة الهند البريطانية , التي كانت تنفق جزءاً كبيراً من ميزانيتها على شؤون الدفاع عن مصالحها في الخليج العربي وممتلكاتها في الهند⁽⁹⁶⁴⁾, كما عمدت بريطانيا إلى إبعاد الروس عن التدخل في شؤون أفغانستان , ومن ورائها الهند , لاسيما بعد أن ساد اعتقاد واسع في أوساط المؤسسة العسكرية البريطانية , بقدرتهم على محاصرة هرات والسيطرة عليها خلال أسبوع واحد, واجتياح شمالي أفغانستان وتركستان الأفغانية , في

(961) خضير مظلوم فرحان البديري , المصدر السابق , ص 185 - 186.

(962) J.G. Lorimer, Op.Cit. Vol. I . Part. II . pp. 2615 - 2616.

(963) للمزيد من التفاصيل عن النشاط الألماني في إيران. ينظر:

هاشم صالح التكريتي , التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى , مجلة المؤرخ العربي, العدد السابع والعشرون , بغداد 1986, ص 40 - 54؛ نصيف جاسم عباس الاحبابي, العلاقات بين إيران وألمانيا النازية 1933 - 1945, رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد 1989, ص 22 - 28.

(964) عبد السلام عبد العزيز فهمي , المصدر السابق, ص 22.

الوقت الذي لن تتمكن فيه القوات البريطانية من صدّ الغزو, لذلك رأت هذه المؤسسة ان الهند بحاجة إلى خمسة أعوام في أقل تقدير, لتكون مستعدة لمواجهة الخطر الروسي الذي يهدد سيادة أفغانستان⁽⁹⁶⁵⁾.

ومن جانب آخر كان الساسة البريطانيون ميالين إلى التفاهم مع الروس , فالأزمة المراكشية الأولى⁽⁹⁶⁶⁾, ونمو البحرية الألمانية السريع قد أثار شكهم بنوايا ألمانيا , التي كانت تهدف من وراء إثارة الأزمة المراكشية , إلى تسديد ضربة إلى الوفاق الودي البريطاني - الفرنسي . الحديث العهد , وإلى الحلف الروسي - الفرنسي , لكن الذي حدث هو أن مندوبا بريطانيا وروسيا , ساندوا فرنسا في مؤتمر الجزيرة الخضراء⁽⁹⁶⁷⁾, في نيسان عام 1906, فكان ذلك إخفاقا دبلوماسياً لألمانيا , في الوقت الذي أحدث ذلك تغييراً في السياسة الخارجية الروسية للتقارب مع بريطانيا , بسبب الضغوط الفرنسية عن طريق القروض التي قدمتها إلى الحكومة الروسية , إذ حينما كانت مداورات مؤتمر الجزيرة الخضراء لا تزال جارية تمكن " كوكوفتسوف " "Kokovtsov" وزير المالية الروسي , من التوقيع على اتفاقية مالية في الثالث من نيسان عام 1906 في باريس , حصلت روسيا بموجبها على قرض مقداره مليوني وربع فرنك فرنسي , لتواجه به مشاكلها المالية الكبيرة التي نجمت عن خسارتها الفادحة ضد اليابان , وحدثت رجة عنيفة ثورية فيها في عام 1905, مما منح فرنسا حرية كبيرة للعمل , على تقريب وجهات النظر البريطانية والروسية , بصدد المشاكل المعلقة بينهما في آسيا⁽⁹⁶⁸⁾.

إن تهديد ألمانيا البري والبحري المتزايد دفع الحكومة البريطانية للتساؤل , عما إذا كان الوفاق الودي البريطاني - الفرنسي , والتحالف الروسي - الفرنسي , يتمكنان من إحداث توازن مضاد له يمكن الاعتماد عليه , لإيقاف ألمانيا عند حدها , فيما لو تجاسرت على تهديد التوازن الدولي, قاد ذلك وبشدة الحكومة البريطانية أن تضيف إلى تلك العلاقات, علاقة ودية بين بريطانيا وروسيا لمجابهة التهديد الألماني , ويكون ذلك بإنهاء تنافسهما الاستعماري في آسيا , وكانت روسيا من جانبها ترغب في التوصل إلى نوع من التعايش السلمي مع بريطانيا في إيران , لاسيما بعد أن أعلن المجلس الوطني الإيراني شجبه لفرقة القوزاق الإيرانية التي يديرها الضباط

(965) جمال هاشم أحمد الذويب , المصدر السابق, 67 - 68.

(966) حدثت الأزمة المراكشية الأولى, حينما قام وليم الثاني الإمبراطور الألماني في نهاية آذار عام 1905 بزيارة ميناء طنجة , وتصريحه هناك أنه جاء لزيارة صديقه سلطان مراكش , التي سيدافع عنها وعن المصالح الألمانية فيها , فتشجع السلطان بهذا التصريح ورفض الاقتراحات الفرنسية , التي أرادت تحويل مراكش إلى محمية لها , مما أدى إلى تفاقم الأزمة الفرنسية - الألمانية , وإلى وقوف بريطانيا وروسيا إلى جانب فرنسا. ينظر:

M. Anderson, The First Morocco Crisis, Chicago 1930, pp. 45 - 47.

(967) وهي مدينة أسبانية صغيرة بالقرب من مضيق جبل طارق , احتضنت المؤتمر الذي عقد في كانون الثاني وانتهى في نيسان عام 1906.

(968) H. Seton-Watson, Op.Cit. pp. 314 - 317.

الروس , وشجبه لإدارة البلجيكي للكمارك الإيرانية, ورفض المجلس للقرض البريطاني - الروسي المشترك , البالغ مقداره أربعمائة ألف جنيه إسترليني للحكومة الإيرانية , التي ينبغي عليها إنشاء بنك وطني بدعم من ألمانيا , يحل محل البنوك البريطانية والروسية في إيران , دفع ذلك لندن وبطرسبورغ إلى الخندق المعادي للثورة⁽⁹⁶⁹⁾, وإلى محاولة إنهاء صراعهما في إيران ومنطقة الخليج العربي , وفي أفغانستان والتبت , عن طريق عقد إتفاق بينهما.

وعلى هذا الأساس جرت المباحثات بين لندن وبطرسبورغ , للتوصل إلى اتفاقية تنهي التنافس بينهما في آسيا , التي كادت أن تخفق للخلافات بينهما بشأن الخليج العربي, ففي الوقت الذي طالب فيه " ادوارد كراي " Edward Grey "وزير الخارجية البريطاني بضرورة اعتراف بطرسبورغ بالسيادة البريطانية وبالحالة الراهنة في الخليج العربي, أوضح" م. أزفولسكي " M. Isvolski وزير الخارجية الروسي رأي حكومته , في المذكرة التي أرسلها في حزيران عام 1907 إلى " آرثر. نيكلسون " A. Nicolson "السفير البريطاني في بطرسبورغ , بأن اعترافاً بشأن الخليج في اتفاق رسمي سيكون محرراً لروسيا , لأنه لا يتعلق بها أو ببريطانيا فقط , ومن شأنه أن يثير اعتراضات القوى الأخرى , لاسيما فرنسا وألمانيا , اللاتي كانت روسيا تحرص بالمحافظة على

العلاقات الودية معهما , فضلاً عن اعتراضات الحكومة العثمانية , التي لها سيادة على جزء من منطقة الخليج العربي⁽⁹⁷⁰⁾.

أبدت بريطانيا بعض المرونة في سبيل عقد الاتفاقية , فاتصل كراي بسفيره في بطرسبورغ في آب عام 1907 تلغرافياً , طالباً منه التوقيع على اتفاقية مع الروس , بصدد إيران وأفغانستان والتبت , على أن تحترم الاتفاقية وحدة إيران , وتحديد مناطق النفوذ البريطاني والروسي فيها , وعلى أن يكون موضوع الخليج العربي خارج هذه الاتفاقية , وأن الحكومة البريطانية ترى أن هذا الطلب , لن يؤدي إلى أية صعوبة بين الحكومتين , فخلال المباحثات السابقة بينهما , لم تنكر الحكومة الروسية المصالح الخاصة لبريطانيا في الخليج العربي , وقد عدّت الحكومة البريطانية ذلك بياناً روسياً رسمياً , وأنه جاء بناءً على رغبة الحكومة البريطانية , بالإعتراف بنفوذها الذي يمتد لمئات الأعوام, وتعتقد الحكومة البريطانية أنه من الصواب توجيه الانتباه , للتصريحات السابقة⁽⁹⁷¹⁾ للسياسة البريطانية في الخليج العربي , وأن الحكومة

⁽⁹⁶⁹⁾ P. Sykes, Op.Cit. pp. 406 – 410 ; H. Nazem, Op.Cit. pp. 18 - 22.

⁽⁹⁷⁰⁾ British Documents on the Origins of the War 1898 - 1914, Edited by: G. P. Gooch and H. Temberly, Vol. IV (The Anglo-Russian Rapprochement 1903-1907) London 1929. No. 437 Memorandum Communicated by: M. Isvolski to Sir A. Nicolson. St-Petersburgh, June 27, 1907. pp. 486 - 487.

⁽⁹⁷¹⁾ يقصد به التصريح الشهير للورد لانسدون في الخامس من أيار عام 1903, وتصريحات اللورد كيرزن العديدة السابقة.

البريطانية ستواصل بذل الجهود للمحافظة على الوضع الراهن , وصيانة التجارة البريطانية في الخليج العربي , مع الإشارة إلى أن بريطانيا ليس لديها الرغبة في تحديد النشاط التجاري لأية قوة أخرى⁽⁹⁷²⁾.

وبعد أن تم تسوية موضوع الخليج العربي , جرى التوقيع على اتفاقية بين بريطانيا وروسيا , في الحادي والثلاثين من آب عام 1907 , وكانت تتألف من مقدمة وخمس مواد لحل الخلافات البريطانية - الروسية , في إيران وأفغانستان والتبت , تقرر بموجبها تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ , الأولى بريطانية وتشمل المنطقة الجنوبية الشرقية من إيران , التي تبدأ من المنطقة الواقعة ما وراء الخط الممتد من الحد الأفغاني مروراً بكازاك Gazik , بيرجند , كرمان وتنتهي في بندر عباس في الخليج العربي , والثانية روسية وتشمل المقاطعات الشمالية , ابتداءً من قصر شيرين على الحدود العثمانية الإيرانية , وتمتد حتى أصفهان , يزد , كاخ Kach وأنتهاءً بنقطة تقع على الحدود الإيرانية , التي ترتبط بالحدود الروسية الأفغانية. وعدّ الجزء بينهما منطقة محايدة , وبموجب الاتفاقية تعهدت بريطانيا أن لا تبحث لنفسها , أو أن تقوم بدعم رعاياها أو رعايا دولة أخرى , للحصول على أية امتيازات تجارية وسياسية في المنطقة الواقعة تحت النفوذ الروسي , وتعهدت روسيا بالالتزام بالتعهدات نفسها في منطقة النفوذ البريطاني , في الوقت الذي لا تمنع الدولتان رعاياهما , من الحصول على امتيازات في المنطقة المحايدة⁽⁹⁷³⁾.

لقد جرى تقسيم إيران بين بريطانيا وروسيا إلى منطقتي نفوذ بما ينسجم مع الامتيازات , التي حصلت عليها كل منهما في المناطق المعينة سابقاً , على الرغم من أن مقدمة الاتفاقية أشارت إلى استقلال إيران وسلامة وحدة أراضيها , وبذلك أزيلت العداء التاريخي بين المتنافسين , وأضفت الاتفاقية طابعاً جديداً في العلاقات الدولية بين بريطانيا وروسيا ووجودهما في إيران , فقبل التوقيع عليها بيومين أنبأ وزير الخارجية البريطاني , السفير الفرنسي في لندن بفحواها , وبعد أن تبادل النص المصدق بين الدولتين في أيلول عام 1907 بيوم واحد فقط , تم إبلاغ الحكومة الإيرانية والدول الكبرى المعنية بها⁽⁹⁷⁴⁾.

ظن معظم الإيرانيين أن البريطانيين , الذين طالما القوا عليهم دروساً في الاستقامة واحترام القوانين والأنظمة , قد ضحووا بإيران للتوصل إلى تفاهم مع روسيا الاستبدادية , فكتب "

⁽⁹⁷²⁾ British Documents on the Origins of the War 1898 - 1914, Op.Cit. No. 455. Sir E. Grey to Sir A. Nicolson, F. O, August 29, 1907, pp. 501 - 502 ; R. E. P. D. Vol. 5. Op.Cit. Sir E. Grey to His Majesty's Ambassador at St. Petersburg, dated August 1907. pp. 404 - 405.

⁽⁹⁷³⁾ P. Sykes, Op.Cit. pp. 410 - 411; F. Kazemzadeh, Russia and Britain in Persia 1864 - 1914, A Study in Imperialism, London 1968, pp. 499 - 500.

عن نص الاتفاقية ينظر :

C. U. Aitchison, Op.Cit. Vol. XII. pp. 119 - 121; J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I. pp. 265 - 267.

⁽⁹⁷⁴⁾ P. Sykes, Op.Cit. p. 411 ; R. K. Ramazani, Op.Cit. pp. 91 - 92, 110 ; H. Nazem, Op.Cit. pp. 23 - 25.

سيسل سبرنك رايس "C. Spring-Rice" الوزير المفوض البريطاني في طهران , وهو يناقش تأثير الاتفاقية على الصداقة البريطانية الإيرانية , في رسالة بعثها إلى حكومته أشار فيها: " لقد قذفوا بحجر على زجاج نافذتي وتركوني أواجه الشرطي وحدي , لم يخبرني نيكلسون سفير بريطانيا في سانت بطرسبورغ (لينينغراد) , أو حتى ضابط الميدان أن المعاهدة , وقعت قبل ثلاثة أيام من نشرها هنا , وأعتقد أن هذا دليل على أن الرأي العام الإيراني لم يكن مهماً " (975) . وكان "سبرنك رايس" قد حذر وزير خارجيته "كراي" من عقد الاتفاقية , للتأثيرات الضارة المحتملة على المصالح البريطانية , وضياح شعبية بريطانيا في إيران , في الوقت الذي لن تعيق الاتفاقية التقدم الروسي فيها , لكن "كراي" رفض هذا الرأي مدافعاً عن الاتفاقية , أن بريطانيا لا يمكنها أن تصارع روسيا للمحافظة على المودة مع إيران (976) , وبعد معرفة "كراي" بالتذمر الإيراني من الاتفاقية , أبلغ الوزير المفوض البريطاني في طهران في أيلول عام 1907 , أن يقوم بإرسال مذكرة بالاشتراك مع نظيره الروسي نظيره الروسي إلى الحكومة الإيرانية , يوضح فيها إتفاق بريطانيا وروسيا , على ضمان سلامة واستقلال الأراضي الإيرانية , وأن هدف الاتفاقية هو وضع نهاية للتنافس البريطاني- الروسي , وعدم التدخل في الشؤون الإيرانية (977) .

اختلفت الآراء في تحديد المكاسب التي حققها طرفا الاتفاقية من مضمونها , ففي رأي برسي سايكس الخبير بشؤون إيران والمنطقة , ان اتفاقية التقسيم خدمت المصالح البريطانية , أكثر مما خدمت المصالح الروسية , لأنها منعت الروس من الوصول إلى الخليج العربي , أو إلى الهند , بينما أبدت بعض الأوساط في بريطانيا امتعاضها من الاتفاقية , في كونها كانت في صالح الروس لا البريطانيين , الذين وفقاً لتلك الأوساط , منحوا الروس منطقة واسعة وغنية من إيران , في الوقت الذي حصل فيه البريطانيون على منطقة صغيرة وفقيرة جداً (978) , وقد عبر الكثير من الكتاب عن هذا الرأي في مقالات نشرها في الصحف البريطانية , فنشرت مجلة " Punch " اللندنية صورة كاريكاتيرية , جسدت فيها موقف إيران بهيئة القطة , ووقف إلى جانبها الأسد البريطاني , والدب الروسي لافتراسها , وقد أشار الأسد من الممكن أن تبدأ من الرأس , وسأبدأ أنا من الذيل , وسنلتقي في وسط الظهر , وهنا أومأت القطة الإيرانية قائلة , ولكني لم أوضح رأيي في الموضوع , ونشرت المجلة نفسها صورة كاريكاتيرية أخرى , جسدت فيها الموقف البريطاني , الذي كان على شكل أسد في إيران أصبح قطة بعد التقسيم (979) , ومع ان الاتفاقية

(975) مقتبس في: جون ليمبرت , المصدر السابق , ص 106 - 107.

(976) روز لويس كريفس , المعاهدة الأنكلو - روسية , بعض وجوها ومدى تأثيرها على فارس , ترجمة

الدكتور محمود وصفي أبو مغلي , البصرة 1981, ص 17.

للمزيد من التفاصيل عن تأثير الاتفاقية على الإيرانيين. ينظر:

المصدر نفسه .

(977) P. Sykes, Op.Cit. pp. 410 - 411 ; H. Nazem, Op.Cit. pp. 25 - 26.

(978) P. Sykes, Op.Cit. pp. 411 - 412.

(979) I. Spector, Op.Cit. p. 175 ; H. Nazem, Op.Cit. p. 133.

كانت موضع نقد البعض في بريطانيا بصفتها جائرة على إيران , إلا أنها امتدحت من بعض الأوساط البريطانية , بصفتها خطوة مهمة باتجاه تنظيم العالم بطرق سلمية , في الوقت الذي ساد فيه الاعتقاد بين الأوساط الرسمية الروسية المحافظة, أن اتفاقية التقسيم ليس لها أية قيمة عند الروس, وأنها لن تخفف من سرعة عملهم العدائي تجاه القوة المنافسة لهم⁽⁹⁸⁰⁾.

وكان الحديث العام في أوروبا أن الاتفاقية كان لها أهمية كبيرة , لأنها حولت المنافسة إلى صداقة بين الدولتين , بينما عدّت برلين الاتفاقية قرينة جديدة , تنم عن المشروع الذي عزت تدبيره إلى الملك " إدوارد السابع " " Edward VII " (1901-1910) , ووزير خارجيته إدوارد كراي , الذي كان في نظرها يهدف إلى تطويق ألمانيا بحلقة من الأعداء⁽⁹⁸¹⁾.

وفيما يتصل بالخليج العربي, الجانب الذي يهمننا من الموضوع , فقد حققت بريطانيا , بلا شك, المكسب الأكبر من اتفاقية عام 1907, لأنها سدت الطريق بوجه محاولات الضغط الروسي للوصول إلى الخليج العربي , وباتجاه الهند , وكان الروس حتى عام 1903 يؤكدون أنهم لا يعترفون بالأفضلية البريطانية , في الخليج العربي وجنوبي إيران , لكنهم بموجب اتفاقية التقسيم اعترفوا بتلك الأفضلية في جنوبي إيران , ولم يتطلعوا إلى الخليج العربي , الذي عدّوا موقعه ضمن مناطق النفوذ البريطاني بصورة فعلية , أن الاتفاقية لم تكن في الواقع سوى إقرار تعاقدي لواقع موجود , وهي ساعدت على تعزيز نفوذ الدولتين في إيران, لأنها قللت إلى حد ما من فرص المناورة لحكام إيران , الذين كانوا يفيدون أحياناً من شدة التنافس البريطاني . الروسي , للتخفيف من ضغط الدولتين بصورة أو بأخرى.

وحققت بريطانيا مكسباً آخر في أفغانستان في اتفاقية التقسيم , حينما اعترفت روسيا بموجبها أن أفغانستان خارج مجال نفوذها , وعلى أن تباشر علاقاتها السياسية مع تلك البلاد بواسطة الحكومة البريطانية , وأنها لا تنوي إرسال وكلائها إلى أفغانستان , فكرست الاتفاقية مشروعية السيطرة البريطانية على الشؤون الخارجية الأفغانية , من خلال موافقة روسيا, التي عارضت دائماً مثل تلك السيطرة للتعامل مع هذه الحالة⁽⁹⁸²⁾.

وعلى أية حال خففت الاتفاقية التناقضات بين الدولتين , وساعدت على قيام الوفاق الودي بين بريطانيا وروسيا وفرنسا , لكنها لم تقض على تلك التناقضات بصورة تامة , الموضوع الذي يقع خارج نطاق بحثنا , وكان للتنافس البريطاني - الروسي في إيران الدور الأول , في تقويض فرص التعامل بين الدولتين , وإضعاف الوفاق الودي بوجه تحديات الحلف الثلاثي⁽⁹⁸³⁾ ,

(980) P. Sykes, Op.Cit. p. 412 ;

هـ. أ. ل. فشر, المصدر السابق , ص 437.

(981) Ibid ;

المصدر نفسه .

(982) جمال هاشم أحمد الذويب , المصدر السابق , ص 74.

(983) ضم التحالف الثلاثي ألمانيا , والنمسا - المجر , وإيطاليا .

وقد اشتد التنافس البريطاني - الروسي قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى , لكنه كان بأسلوب خفي جداً , فاستمر الكثير من المسؤولين البريطانيين في نظرتهم إلى روسيا , على أنها العدو الأول لبريطانيا حتى عام 1914, على الرغم من عمق التناقضات الروسية - الألمانية , حتى أنه طرحت بعض التساؤلات , لماذا نشبت الحرب في عام 1914 بين روسيا وألمانيا , ولم تتشب بين بريطانيا وروسيا ؟ (984)0

(984) نوري السامرائي, الصراع الروسي - البريطاني في إيران عشية الحرب العالمية الأولى, ص 46-47.

الخاتمة

يشكل الخليج العربي طريقاً بحرياً إستراتيجياً بين الشرق والغرب ، ولأهميته للمصالح البريطانية قررت بريطانيا أن لا يقع مهما كلف الثمن تحت سيطرة دولة أجنبية ، فأحكمت سيطرتها عليه في العقد الأخير من القرن الثامن عشر، ولكن مع مطلع القرن التاسع عشر بدأ تنافس القوى الأوربية للوجود البريطاني في منطقة الخليج العربي والهند ، وكان لموقع الدولة العثمانية وإيران الإستراتيجي ، لاسيما إمتلاك الأخيرة سواحل طويلة على الخليج العربي ، ومجاورتها روسيا وأفغانستان ، التي تطل على المستعمرات البريطانية في الهند ، من بين الأسباب المشجعة للتنافس البريطاني . الروسي ، طيلة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

حرصت بريطانيا على بذل الجهود لتحجيم النشاط الروسي في إيران، لإفشال خطط روسيا المعادية للبريطانيين في مناطق الحدود بين أفغانستان والهند ، لذلك تركزت العلاقات البريطانية - الروسية في الحقبة 1832-1857، بشأن أفغانستان والتهديد الروسي للهند ، ولم يكن الخليج العربي بعيداً عن هذه التطورات ، فحينما قامت إيران بفرض حصارها في عام 1837 على هرات في أفغانستان بتشجيع من الروس ، قام البريطانيون بانتهاج سياسة متشددة مع شاه إيران ، وتم تطبيق تلك السياسة على الساحل الشرقي للخليج العربي ، باحتلالهم جزيرة خرج في حزيران عام 1838 للضغط عليه برفع حصاره عن هرات ، وقد احتجت روسيا على الاحتلال البريطاني لجزيرة خرج ، على أساس أن وجود القوات البريطانية في الجزيرة انتهاك صريح لسيادة إيران ، ويتعين سحبها فوراً هي والأسطول العامل في الخليج العربي ، فإذا ما تم ذلك فإن روسيا ستؤيد بريطانيا في جهودها ، لإقناع الشاه بالبقاء ضمن حدود بلاده ، وعدم القيام بعمليات عسكرية جديدة مثل التي قام بها على إقليم هرات ، وبعد أن أجبرت بريطانيا الشاه على توقيع اتفاقية تجارية في عام 1841، سحببت قواتها في العام التالي من الخليج العربي ، فقد كان الساسة البريطانيون يخشون أن يؤدي استمرار احتلال بريطانيا للجزيرة ، إلى تشجيع الروس على احتلال مناطق ساحلية من إيران على بحر قزوين ، مما يجعلهم في مركز قوة في إيران على حساب ضعف مركز بريطانيا هناك.

وحينما بدأت إيران تفكر من جديد باحتلال هرات ، أعلنت بريطانيا في تشرين الثاني عام 1856 الحرب على إيران ، لإرغامها على احترام تعهداتها بصدد هرات ، وألا فإنها ستتعرض للخطر الإيراني المدعوم من روسيا ، مما يشكل تهديداً لأمن الهند ، فتمكنت الحملة البريطانية التي أرسلت إلى الخليج العربي ، من احتلال جزيرة خرج في كانون الأول عام 1856 من دون مقاومة ، وبعد ستة أيام إستسلمت بوشهر، وعندما رضخ الإيرانيون للشروط البريطانية ، وافقت

بريطانيا في عام 1857 على إنهاء الحرب لتضمن إستمرار الوجود الإيراني بوضعه الراهن , بعدّه ضرورة عسكرية وسياسية لحماية الهند من الخطر الروسي , فتم توقيع معاهدة باريس في آذار عام 1857, فوضعت بذلك نهاية للعمليات العسكرية البريطانية الناجحة في الخليج العربي. وإذا كانت روسيا التي تعدّ منذ مدة طويلة , هي المنافس القوي لبريطانيا في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام, وفي إيران بشكل خاص , فقد غدت نشاطاتها في نهاية القرن التاسع عشر, تهدد تهديداً واضحاً مركز بريطانيا الوطيد في البحار, لاسيما في منطقة الخليج العربي , وكان الهدف من إرسال روسيا سفنها في مطلع القرن العشرين إلى الخليج العربي , هو أن تبين للبريطانيين وللسلطات المحلية على السواء , بوساطة رفع العلم الروسي في الخليج العربي , أنها تعدّ مياهه سهلة المنال تماماً أمام ملاحه سفن جميع الأمم , وذلك على النقيض من سعي بريطانيا لتحويل الخليج العربي إلى بحر مغلق يقع في دائرة نفوذها فقط.

أن إهتمام الساسة الروس بالخليج العربي نشأ بادئ الأمر, من جراء تغلغل روسيا الناجح في إيران , عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين , وتصادم المصالح الاستعمارية البريطانية والروسية في هذه المنطقة , وقد أدت هزائم بريطانيا في المرحلة الأولى من حرب البوير, إلى إصابة مواقعها السياسية الخارجية بضعف شديد في الشرق , الأمر الذي حاول خصوم بريطانيا الإفادة منه , وكانت إحدى الوسائل الأساسية للسياسة الروسية في الخليج العربي , بين عامي 1900-1903 إرسال سفن حربية إلى هناك , التي تعدّ أول ظهور للسفن الروسية في مياه الخليج العربي الدافئة , وبذلك تكون روسيا قد حققت جزءاً من السياسة , التي خطط لها بطرس الكبير في الربع الأول من القرن الثامن عشر, وأن لم تستطع من تحقيق هدفها في إيجاد قاعدة دائمة لها , لتزويد سفنها التي ترتاد الخليج العربي بالوقود , لمعارضة بريطانيا لتواجد السفن الروسية فيه , بعدّه بحراً مغلقاً يقع في دائرة نفوذها حصراً .

ما لبث التخوف البريطاني من النشاط الروسي , أن أخذ يتلاشى تدريجياً على أثر المتغيرات الدولية , التي تمثلت بالوفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا, وتزايد النشاط الألماني في الدولة العثمانية ومنطقة الخليج العربي , فجنحت كل من بريطانيا وروسيا إلى التقاهم فتمّ التوصل إلى إتفاق عام 1907 , الذي أنهى الخلافات بينهما بشأن إيران وأفغانستان والتبت , وإستبعاد الخليج العربي من هذه التسوية.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة.

- Foreign Office, Part. V.
- Treaties and Undertaking in Force Between The British Government and The Shaikh of Mohamerah 1899-1919, Calcutta 1919.

ثانياً: الوثائق المنشورة.

1- باللغة الإنكليزية:

- Aitchison, C. U. A Collection of Treaties, Engagements and Stands Relating to India and Neighboring Countries, Calcutta 1933. Vol. XII, Vol. XIII.
- Andrew, W. Euphrates Valley Route to India, London 1882.
- "British Documents on the Origins of the War 1898-1914", Edited by: G. P. Gooch and Harold Temperley. Vol. IV (The Anglo-Russian Rapprochement 1903-1907), London 1929.
- Curzon G. N, Persia and the Persian Question, Vol. II. London, 1892
- _____ Persia and the Persian Question, Vol. I. London, 1966 .
- _____ Russia in Central Asia in 1889 and the Anglo- Russian Question, London, 1967 .
- Hurewitz, J. C. Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record, Vol. I. (1535-1914), New York, 1972.
- _____, The Middle East and North Africa in world Politics, A Documentary Record, Vol. I. (1535-1914). New Haven, 1975.
- Iran Political Diaries, Vol. I. (1881-1900), General Editor Dr. R. M. Burrell, British Library Cataloguing in Publication Data, Archive Editions 1997.
- Lorimer, J. G. Gazetteer of the P. Gulf Oman and Central Arabia, Calcutta 1915, Vol. I. Part. I. , Vol. I. Part. II.
- Record of the Emirates Primary Documents, Vol. 5 (1892-1909), Edited by: Penelope Tuson, British Library Cataloguing in Publication Data, Archive Editions 1990.
- Saldanha, J. A. Précis of Corresponding Regarding the Affairs of the P. Gulf, 1801-1853, London 1986.
- _____ , Précis on Commerce and Communication in the P. Gulf 1801-1905, London 1986. Vol. VII, Vol. VIII.
- Selections From the Records of the Government of India, Foreign Department, Administration Report on the P. Gulf Political Residency and Maskat Political Agency, Vol. V. (1899-1905), British Library Cataloguing in Publication Data, Archive Editions, London 1986.
- The Affairs of Kuwait, 1899-1905, Edited by: Dr. Robin Bidwell, London 1971. Vol. I, Vol. II.

- The Cambridge History of British Foreign Policy, Vol. I, (1783-1815), Edited by:A. W.Ward and G.P.Gooch, New York 1922.

2- الوثائق الروسية المترجمة إلى اللغة العربية:

- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, من تقرير قائد سفينة خفر السواحل " غيلياك " المقدم البحري أندرينيوس, عن زيارة موانئ الخليج العربي (في عام 1900).
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, من تقرير قائد الطراد الثقيل " فارياغ " العقيد البحري بير, بشأن زيارة موانئ الخليج العربي (شباط . أيار 1900).
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, ملف السفارة في القسطنطينية, بلاغ " كروجلوف " إلى القسطنطينية بتاريخ 1900/9/10.
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة " كلاسينغ ", بشأن الرحلة الأولى إلى الخليج العربي التي قامت بها السفينة " كورنيلوف " من شباط إلى أيار عام 1901.
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري " أفيلان " إلى قائد الطراد الثقيل " فارياغ " بشأن زيارة موانئ الخليج العربي بتاريخ 22 أيلول 1901.
- ملف الأرشيف السياسي, نسخة بلاغ أداموف إلى زينوفيف بتاريخ 1901/11/1.
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, رسالة من وزارة الخارجية إلى وزارة البحرية , بشأن زيارة الطراد الفرنسي " كاتين " لموانئ الخليج العربي (شباط 1902).
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, نسخة من رسالة بوغويافلنسكي إلى عميد القنصلية العامة في بوشهر بتاريخ 14 حزيران 1902.
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل " أسكولد ", بصدد زيارة موانئ الخليج العربي, بتاريخ 15 تشرين الأول 1902.
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, من تقرير قائد الطراد الثقيل " أسكولد " العقيد البحري رايتسنشتاين , حول زيارة موانئ الخليج العربي (في كانون الأول 1902).
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, نسخة عن بلاغ المبعوث في طهران فلاسوف إلى وزارة الخارجية , بصدد رسائل بوغويافلنسكي مع إرفاق نسخ عن هذه الرسائل (كانون الثاني 1903).

- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, نسخة عن بلاغ عميد القنصلية العامة الإمبراطورية الروسية في بوشهر السيد أفسينكو إلى السيد المبعوث الإمبراطوري الروسي في طهران بتاريخ 12 شباط 1903.
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي , من تقرير قائد الطراد الخفيف " بويارين " المقدم البحري ساريتشيف , بصدد زيارة موانئ الخليج العربي (شباط 1903).
- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي, رسالة الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى لامزدورف بصدد إرسال ولدي الحاكم العام لموانيء ومقاطعات الخليج العربي إلى روسيا طلباً للدراسة , بتاريخ 13 أيار 1903.

ثالثاً: الرسائل الجامعية :

- أسعد محمد زيدان الجوارى , سياسة إيران الخارجية في عهد أحمد شاه 1909-1925, رسالة ماجستير, كلية الآداب جامعة بغداد 1987.
- باسم خطاب حبش الطعمة , العلاقات البريطانية - الإيرانية 1798-1857, رسالة دكتوراه , كلية الآداب جامعة بغداد 1992.
- جمال هاشم أحمد الذويب , سياسة بريطانيا تجاه أفغانستان 1907-1929, رسالة دكتوراه, كلية الآداب جامعة بغداد 1994.
- خضير مظلوم فرحان البديري , سياسة بريطانيا تجاه إيران 1896-1919, رسالة دكتوراه, كلية الآداب جامعة بغداد 1991.
- صالح محمد العابد , موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي, 1798-1810, رسالة دكتوراه , كلية الآداب جامعة بغداد 1978.
- عبد المجيد عبد الحميد العاني, السياسة البريطانية تجاه الكويت 1896-1915, رسالة ماجستير, كلية الآداب جامعة بغداد 1984.
- عبد الله لفته البديري , دور المؤسسة الدينية في الثورة الدستورية الإيرانية , 1905-1911, رسالة ماجستير, كلية التربية . جامعة القادسية , 2005 .
- علي خضير عباس ألمشاخي, إيران في عهد ناصر الدين شاه 1848-1896, رسالة ماجستير, كلية الآداب جامعة بغداد 1987.
- فؤاد حمه خورشيد , أفغانستان في الاستراتيجية السوفيتية , أطروحة دكتوراه , كلية الآداب جامعة بغداد 1989.
- فواز مطر نصيف الدليمي , التغلغل البريطاني في العراق 1869-1914, رسالة ماجستير, كلية الآداب جامعة بغداد 1989.

- نصيف جاسم عباس الأحبابي، العلاقات بين إيران وألمانيا النازية 1933-1945، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة بغداد 1989.

رابعاً: الكتب:

1- باللغة العربية:

- إبراهيم خلف العبيدي, الأحواز أرض عربية سلبية, وزارة الثقافة والأعلام, السلسلة الإعلامية 105, بغداد 1980.
- أ. ج. جرانت وهارولد تمبرلي, أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950, ترجمة بهاء فهمي, مراجعة الدكتور عبد الكريم القاهرة (د. د. ت.).
- الياس طنوس الحويك, تاريخ نابليون الأول, منشورات مكتبة الهلال, ج², (بدون مكان الطبع).
- بدر الدين عباس أخصوصي, دراسات في تاريخ الخليج الحديث والمعاصر, ج², ط¹, الكويت 1988.
- ب. م. دانتسيغ, الرحالة الروس في الشرق الأوسط, ترجمة وتعليق الدكتور معروف خزندار, بيروت 1981.
- ج. ج. لوريمر, دليل الخليج, القسم التاريخي, ترجمة مكتب أمير دولة قطر, ج⁴, ج⁷, الطبعة الجديدة. (د. د. ت.).
- جون ليمبرت, إيران حرب مع التاريخ, ترجمة حسين عبد الزهرة مجيد, مركز الدراسات الإيرانية, جامعة البصرة 1962.
- حسين خلف الشيخ خزعل, تاريخ الكويت السياسي, عصر الشيخ مبارك (1896-1915), بيروت (د. د. ت.).
- حسين محمد القهواتي, دور البصرة التجاري 1869-1914, بغداد 1980.
- خليل الله خليلي, هرات تاريخها, آثارها, رجالها, بغداد 1974.
- رايموند بيزلي, كيف وصلت الدولة التي أسسها إيقان فليكي إلى مستوى العظمة زمن بطرس الكسيفتش وكاترين الثانية, الناشر جون. أ. هامرتن, تاريخ العالم, ترجمة إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي, مصر (د. د. ت.).
- روز لويس كريفس, المعاهدة الأنكلو - روسية, بعض وجوها ومدى تأثيرها على فارس, ترجمة الدكتور محمود وصفي أبو مغلي, البصرة 1981.
- زكي صالح, مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني, معهد الدراسات العربية العالية, جامعة الدول العربية, 1966.

- . س. هـ. لونكريك , أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث , ترجمة جعفر الخياط , ط⁴, بغداد 1968.
- . صالح محمد العابد , دور القواسم في الخليج العربي 1747-1820, بغداد 1976.
- . صلاح العقاد , الاستعمار في الخليج , القاهرة 1956.
- . ———— , التيارات السياسية في الخليج العربي, القاهرة 1974.
- . عبد السلام عبد العزيز فهمي, تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين, الجيزة 1973.
- . عبد العزيز عبد الغني إبراهيم, حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي, دراسة وثائقية, ط¹, بغداد 1981.
- . عبد العزيز نوار وعبد الحميد , التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر, القاهرة (د. ت.).
- . عبد الفتاح إبراهيم , على طريق الهند , بغداد 1935.
- . علاء الدين نورس , السياسة الإيرانية في الخليج العربي أبان حكم كريم خان (1757-1779) , بغداد 1985.
- . ف. لوتسكي , تاريخ الأقطار العربية الحديث , ترجمة عفيفة البستاني , موسكو 1971.
- . فؤاد سعيد العابد , سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر, الكويت (د. ت.).
- . قدري قلعي , الخليج العربي , بيروت 1965.
- . كمال مظهر أحمد , دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر, بغداد 1985.
- . لؤي بحري , سكة حديد بغداد , بغداد 1967.
- . محمد حسين العيلة , الحرب الأفغانية الأولى 1838-1842, هزيمة بريطانيا العظمى وانتصار الأفغان , الدوحة (د. ت.).
- . مصطفى عبد القادر النجار, التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية 1897-1925, القاهرة 1971.
- . نكي ر. كيدي , الثورة الإيرانية والجمهورية الإسلامية , ترجمة مركز البحوث والمعلومات , مجلس قيادة الثورة , بغداد 1984.
- . هريت أ. فشر, تاريخ أوربا الحديث , ترجمة محمد شفيق غريال , ط², القاهرة 1953.

- . هيفاء عبد العزيز الربيعي , غزاة في الخليج , الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية , دراسة تاريخية , بغداد 1989.
- . وليم تيودور سترنك , حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عريستان , ترجمة عبد الجبار ناجي , البصرة 1983.
- . ي. ريزفان , سفن روسية في الخليج العربي 1899-1903 , مواد من أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي , ترجمة سليم توما , موسكو 1990.

2- باللغة الفارسية:

- . إبراهيم تيموري , عصر بي خبري يا تاريخ امتيازات در إيران , تهران 1332.
- . علي أكبر بينا , تاريخ سياسي وديبلوماسي إيران ازكلتاباد تاتركمن جاي (1134-1243 هـ) , جلد أول , جاب سوم , تهران 1342 هـ.

3- باللغة الإنكليزية:

- Algar, H. Mirza Malkum Khan A Study in the History of Iranian Modernism, London 1973.
- Anderson, M. S. Britain's Discovery of Russia (1553-1815), London 1958.
- Anderson, M. The First Morocco Crisis, Chicago 1930.
- Browne, E. G. The Persian Revolution of 1905-1909, London 1966.
- Bruce, J. Annals of the Honorable East India Company, London 1810. Vol. II, Vol. III.
- Busch, B. C. Britain and the P. Gulf 1894-1914, Los Angeles 1967.
- Busse, H. History of Persia Under Qajar Rule, Translated From Persia of Hasari-F- Fasais Farsnama-Ye Naseri, New York 1972.
- Chamberlain, M. E. British Foreign Policy in the Age Palmerston, London 1980.
- Chaques, R. The Twilight of Imperial Russia, New York, 1965.
- Dilke, D. Curzon in India, Vol. II, London 1970.
- Donald, W. Iran Past Cities, London 1960.
- Earle, E. M. The Great Powers and the Baghdad Railway, A Study in Imperialism, New York, 1954.
- Earl of Ronaldshay, The Life of Lord Curzon, Being the Authorized Biography of George Nathaniel Marquess Curzon of Kedleston, London 1928. Vol. II, Vol. III .
- Fatemi, N. Diplomatic History of Russia, 1917-1923, New York 1952.
- Fennell, J. L. Prince A. M. Kurbsky's History of Ivan IV, Cambridge 1965.
- Forrest, D. Tiger of Mysor, The Life and Death of Tipu Sultan, London 1970.
- Frazer, L. India Under Curzon and After, London 1911.
- Gunther, J. England and Russia, Comprising the Voyages of Sir Hugh Willoughby, Richard Chancellor, Nelson and Others to the White Sea, London 1968.
- Herbert, H. V. Iran, New Haven 1957.

- Hoskins, H. **British Routes to India, Vol.I, London 1966.**
- Ingram, E. **The Beginning of the Great Came in Asia 1828-1834, Oxford 1979.**
-
- Jastrow, M. **The War and the Baghdad Railway, Philadelphia 1917.**
- Kazemzadeh, F. **Russia and Britain in Persia 1846-1914, A Study in Imperialism, London 1968.**
- Kelly , J.B. **Britain and P.Gulf (1795-1880), Oxford 1968.**
- Krussinski, T. **The History of the Revolution of Persia, New York 1973.**
- Kumar, R. **India and the P.Gulf Region 1858-1907, Bombay 1965.**
- Lockhart, L. **The Fall of the Safari Dynasty and the Afghan Occupation of Persia, Cambridge 1958.**
- ———— , **Persia Cities, London 1960.**
- Mazour, A. G. **Russia Tsarist and Communist, Toronto Canada 1962.**
- Mesopotamia, **Handbook, No. 63, Official, London 1920.**
- Miles, S. B. **Countries and Tribes of the P. Gulf With A New Introduction, J.B. Kelly, London 1966.**
- Mowat, R. B. **A History of Europe and the Modern World 1492-1928, London 1931.**
- Nazem, H. **Russia and Great Britain in Iran 1900-1914, Tehran 1975.**
-
- Phillips, C.H. **The East India Company, 1784-1834, Manchester 1940.**
- Phillips, W. **Oman A History, Economic Adviser and Representative For His Majesty the King of Oman and Dependencies, London 1967.**
- Ramazani, R.K. **The Foreign Policy of Iran A developing Nation in World Affairs, Virginia 1966.**
- Rawlinson, H.G. **The British Achievement in India, London 1948.**
-
-
- Saleh, Z. **Mesopotamia (Iraq) 1600-1914, A Study in Foreign Affairs, Baghdad 1957.**
- Searight, S. **The British in the Middle East, London 1969.**
- Seton-Watson . H. **The Decline of Imperial Russia, 1855-1914, London 1956.**
- Shupp, P.F. **The European powers and the Near Eastern Question 1806-1807, New York 1931.**
- Skeet, I. **Muscat and Oman the end of an era, London 1974.**
- Somervill, D. C. **Modern Britain 1870-1909, London 1944.**
- Spector, I. **An Introduction to Russia History and Culture, New York 1965.**
- Strakhovsky, I. **Alexander I of Russia, New York 1947.**
- Sumner, B. H. **A short History of Russia, New York 1949.**
- ———— , **Peter The Great and the Ottoman Empire, Hamden Connecticut 1965.**
- Sykes, P. **A History of Persia, Vol. II, London 1951.**
- Temperley, H. **England and the Near East the Crimea, London 1964.**
- **The New Encyclopedia Britannica, Vol. 3, 15th Edition 1995.**
- Walsh, W. B. **Russia and the Soviet Union A Modern History, New York 1968.**
- Wilson, A. T. **The P. Gulf An Historical Sketch From the Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century, London 1959.**
- Wood, A. **A History of the Levant Company, London 1946.**

- Woodruff, P. The Men Who Ruled India, Vol. I, London 1965.
- Wren, M. C. The Course of Russia History, New York 1958.
- Yapp, M. E. Strategy of British India, Britain, Iran and Afghanistan, 1798-1850, Oxford 1980.

4- باللغة الروسية:

- Ivanov, M. S. Ocherk Istorii Irana, Moscow 1952.

5- باللغة الفرنسية :

- Notes Et Etudes Documentaries, Presidence Du Conseil, Premiere Partie, No.1499 . 5 Juliet, Paris 1951.
- Rossi, P. L Iraq des Revolts, Paris 1957.
- Sabry, M. Lempire Egyptian Sous Mohamed Ali La Question Derieat (1811-1849), Paris 1930.

خامساً: المقالات والبحوث :

1- باللغة العربية:

- . أداموف , القنصلية الروسية العامة في تبريز سنة 1902, التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر, ترجمة الدكتور نوري عبد البخيت, مجلة المؤرخ العربي, العدد 9, جامعة البصرة 1980.
- . بي. جي. سلوت , دراسة حول المصادر عن نشاطات شركة الهند الشرقية الهولندية في البصرة , عامي 1645-1754, ترجمة الدكتور عبد الجبار ناجي, مجلة الخليج العربي, المجلد السابع عشر العدد 3-4, لسنة 1985.
- . محمد عبدالله العزاوي , نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة 1793-1798, مجلة الخليج العربي, المجلد الثامن عشر, العدد 3-4 لسنة 1986.

- . ——— , الصراع البريطاني الروسي في فارس 1809-1839, مجلة الخليج العربي, المجلد العشرون, العدد 1, البصرة 1988.
- . محمود علي الداود, تاريخ العلاقات الهولندية في الخليج العربي (1630-1671), مجلة كلية الآداب جامعة بغداد, العدد 6 لسنة 1963.
- . مجلة المقتطف, ج⁴, من المجلد السابع والأربعون في 11 تشرين الأول سنة 1915.
- . هاشم صالح التكريتي, التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى, مجلة المؤرخ العربي, العدد السابع والعشرون, بغداد 1986.
- . نوري عبد البخيت السامرائي, الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين, مجلة المؤرخ العربي, العدد 6, جامعة البصرة 1976.
- . ——— , روسيا ومشروع سكة حديد بغداد, مجلة المؤرخ العربي, العدد الخامس عشر, بغداد 1980.
- . ——— , الصراع الروسي . البريطاني في إيران عشية الحرب العالمية الأولى, مجلة المؤرخ العربي, المجلد الثامن عشر, العدد 3-4, جامعة البصرة 1986.
- . ——— , محاولات التوسع البريطاني في شمالي الهند في منتصف القرن التاسع عشر, مجلة الخليج العربي, السنة الثامنة عشرة, المجلد الثاني والعشرون, العدد 1, جامعة البصرة 1990.

2- باللغة الإنكليزية:

- M. Volodarsky, Persian Foreign Policy Between the two Herat Crises 1831-1856, Middle Eastern Studies, Vol. 21, No. 2, April, London 1985.

